روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

فارس الزمن

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٠٠ - ٢٨٣٥٥٥١ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: [illegible]

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - غمـــوض ..

انبعث ضوء بنفسجى هادئ ، يغمر ذلك المصعد الصغير ، الذى يهبط براكبه فى هدوء ، إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، من مبنى المخابرات العلمية المصرية ، وبدا الراكب شديد التوتر ، وهو يستقل ذلك المصعد الخاص جدًّا ، للمرة الأولى منفردًا ، ولم يكد يستقرّ فى الطابق الثالث ، حتى سرت فى جسده قشعريرة باردة ، وازدرد لعابه فى صعوبة ، ثم شدّ قامته ، وهو يقول لنفسه فى خفوت :

- تماسك يا رجل .. إنه أمر طبيعى ، بالنسبة لمنصبك الجديد .. هيا .. حاول أن تعتاد هذا .

توقّف أمام باب إليكترونى مزدوج ، والتقط أنفاسه فى قوة ، إلا أن جسده لم يلبث أن ارتجف ارتجافة خفيفة ، عندما انبعث شعاع رفيع من الضوء ، من ثقب خفى بالباب ، وراح يمسح وجهه فى سرعة ، قبل أن يقول صوت آلى :

ـ تم تحديد هوية الزائر .. مسموح له بالدخول .

ومع الصوت الآلى ، انفتح ذلك الباب الإليكترونى المزدوج فى بطء ، وبدا من خلفه مكتب القائد الأعلى ، وذلك الأخير ينهض فى نهايته ، وإلى جواره الدكتور (ناظم) ، رئيس مركز الأبحاث العلمية ، والأوَّل يقول :

ـ تفضَّل يا دكتور (رمزى) .. إننا فى انتظارك .

تقدَّم (رمزى) داخل حجرة القائد الأعلى ، وصافح الرجلين فى ارتباك واضح ، وهو يغمغم بابتسامة شاحبة :

ـ الواقع أننى أشعر بشىء من الاضطراب ، فلم يسبق لى أن واجهت هذا الموقف من قبل قط .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ عندما يكتمل شفاء (نور) ، ويستعيد قيادة الفريق ، لن يكون عليك أن تواجه هذا الموقف مرة أخرى يا دكتور (رمزى)(*) .

أجابه (رمزى) فى سرعة :

(*) راجع قصة (العاصفة النووية) .. المغامرة رقم (١١٦) .

ـ فى رأيى أن (نور) قد تعافى بالفعل .. من الناحية النفسية على الأقل ، وبالنسبة لمهمة علمية جديدة ، كنت أفضّل أن ...

قاطعه الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

ـ صحيح أننا قد استدعيناك إلى هنا ، باعتبارك قائد الفريق الحالى يا (رمزى) ، ولكن الواقع أننا لسنا بصدد مهمة علمية تقليدية ، من تلك المهام التى تسند فى المعتاد إلى الفريق ، ولكننا أمام موقف خاص للغاية ، يحتاج إلى استشارة طبيب نفسى متخصِّص ، بأكثر مما يحتاج إلى فريق علمى .

بدا الاهتمام على وجه (رمزى) ، وانزاح عنه الكثير من توتره ، وهو يقول :

ـ كلى رهن إشارتكم يا سادة .

أشار إليه القائد الأعلى بالجلوس ، ثم تبادل نظرة سريعة مع الدكتور (ناظم) ، قبل أن يقول هذا الأخير :

ـ الحقيقة أن الأمر يتعلَّق بالعضو الجديد فى فريقكم .

ارتفع حاجبا (رمزى) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ (طارق)(★) !

أومأ الرجلان برأسيهما إيجابًا ، وقال القائد الأعلى فى حزم :

ـ نعم يا (رمزى) .. (طارق) .. ذلك الشاب ، الذى احتلَّ موقع (محمود) فى الفريق ، والذى أبدى شجاعة وبراعة فائقتين ، فى أثناء مهمتكم الأخيرة .

لوَّح (رمزى) بكفه ، قائلاً :

ـ ماذا عنه ؟! ربما كان غريب الأطوار بعض الشىء ، ولكنه عبقرى ، وغرابة الأطوار هذه من سمات العباقرة .

تبادل الدكتور (ناظم) نظرة أخرى مع القائد الأعلى ، قبل أن يقول :

ـ الأمر لا يقتصر على غرابة الأطوار يا (رمزى) .. لدينا مؤاخذات أخرى عديدة ، بشأن (طارق) هذا .

اعتدل (رمزى) فى توتر ، متسائلاً :

ـ مثل ماذا ؟! الشاب يبدو لى مخلصًا باسلاً للغاية ، ثم إنه كان يعمل من قبل فى مؤسسة الرياسة ،

(★) راجع قصة (العدو الخارق) .. المغامرة رقم (١١٥) .

وأنتما تعلمان أن العاملين فى تلك المؤسسة يتم اختبارهم ومراجعة كل ما يخصَّهم بدقة بالغة .

أجابه القائد الأعلى :

ـ هذا صحيح يا دكتور (رمزى) .. (طارق) كان يعمل بالفعل فى مؤسسة الرياسة ، ولكنهم فصلوه منها ، بعد ضبطه متلبسًا بجمع معلومات فضائية وفلكية ، تندرج تحت بند السرية المطلقة .

قال (رمزى) فى دهشة :

كيف تمَّ إلحاقه بالمخابرات العلمية إذن ؟!

بدا الضيق على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يجيب :

ـ لن نحاول التنصُّل من الخطأ أو تبريره يا (رمزى) ، فلقد التحق (طارق) فى البداية بإدارة البحث العلمى ، باعتباره عبقرية فذَّة ، فى مجال الأشعة والإليكترونيات ، ولقد أسهم فى إنتاج وتطوير عدد كبير من الأجهزة المتطوِّرة والأسلحة الحديثة بالفعل ، ولا توجد حتى قرينة واحدة ، توحى بتسرُّب المعلومات البالغة السرية ، التى اطلع عليها بحكم موقعه ، إلى أية جهات خارجية ، بل على العكس ، لقد كان دائمًا موضع ثقة رؤسائه واطمئنانهم للغاية .

بدت الحيرة على وجه (رمزى) ، وهو يقول :

ـ ما الذى يشينه إذن ؟

تبادل الرجلان نظرة صارمة ، قبل أن يجيب القائد الأعلى فى صرامة :

ـ يشينه أنه ليس كما يدّعى .

سأله (رمزى) ، فى مزيد من الحيرة والتوتر :

ـ ماذا تعنى بأنه ليس كما يدّعى ؟! أنتم تؤكدون أنه عبقرية نادرة فى مجاله ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

ـ إنه ليس (طارق) الحقيقى ..

اتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، وهو يردّد مبهوتًا :

ـ ليس ماذا ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) هذه المرة :

ـ لقد سمعت جيدًا يا (رمزى) .. ذلك الشاب ، الذى التحق بفريقكم ليس ، ولم يكن قط هو (طارق) الحقيقى .

ران على ثلاثتهم الصمت ، لما يقرب من نصف دقيقة كاملة ، و (رمزى) يحدّق فى وجهى الرجلين غير مصدّق ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ أعتقد أننى فى حاجة إلى المزيد من التوضيح .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد .

ثم مال إلى الأمام ، وشبّك أصابع كفيه أمامه ، وهو يتابع فى اهتمام شديد :

ـ مشكلتنا جميعًا أننا ، وعلى الرغم من كل ما عانيناه ، عند إعادة بناء البلاد ، بعد انزياح ذلك الغزو الفضائى(*) ، لم نع الدرس جيدًا ، وظللنا نعتمد ، بصورة أساسية ، على أجهزة الكمبيوتر ، وشبكات المعلومات المحلية والدولية ، وتصورنا أننا نستطيع تأمينها ، ومنع أى متسلل من اقتحامها ، وإحداث أية تغيرات رئيسية بها .

هزّ (رمزى) رأسه ، قائلاً :

ـ هذا ليس صحيحًا بالتأكيد ، فـ (نشوى) يمكنها التسلل إلى معظم شبكات الكمبيوتر ، حتى المحصنة منها ، وما دامت قادرة على فعل هذا ، فمن المؤكد أن الآخرين يمكنهم هذا أيضًا .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

تنهَّد القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ للأسف .

تطلَّع إليه (رمزى) لحظة فى توتر ، قبل أن يلتفت إلى الدكتور (ناظم) ، ويسأله :

ـ هل تعنيانِ أن (طارق) قد فعل هذا ؟! هل اختلق لنفسه ملفًا زائفًا ؟!

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لو أنه فعل هذا لكشف الكمبيوتر المركزى أمره على الفور ، مع زيادة عدد الملفات دون مبرِّر منطقى ، ولكنه كان أكثر براعة وعبقرية ، فقد بحث ضمن الملفات القديمة عن ملف لفتى لقى مصرعه فى حداثته ، ثم محا كل ما يثبت مصرع ذلك الفتى ، الذى يحمل بالطبع اسم (طارق) ، بحيث صار ، من الناحية الرسمية ، مازال على قيد الحياة ، وبعدها ، أجرى بعض التعديلات الدقيقة للغاية على صورة الفتى ، وكل صوره السابقة ، بل واستبدل لوحة بصماته أيضًا ، وتوزيع مسامه العرقية ، وبصمة قزحيته ، وحتى بصمته الجينية .. استبدل بكل هذا ما يتفق معه هو ، وبعدها راح يصنع للفتى تاريخًا

مشرِّفًا ، ومنحه بعض الشهادات الدراسية ، التى تعلى من قدره ، حتى حصل فى النهاية على شهادة الدكتوراة فى الإليكترونيات والأشعة النووية .

فغر (رمزى) فاه ذاهلاً ، وهو يقول :

ـ ولكنه عبقرى فى هذا المضمار بالفعل ، وباعتراف الجميع .

قال القائد الأعلى ، وهو يتراجع فى مقعده :

ـ هذا ما يثير حيرتنا ودهشتنا أيضًا ، فالشاب عبقرى مخلص بالفعل ، ولم يقم بأى شىء ، يمكن أن يحيطه بالشبهات .

اندفع الدكتور (ناظم) يقول :

ـ فيما عدا جمعه النهم للمعلومات الفلكية والفضائية .

أشار إليه القائد الأعلى بالصمت ، ليتابع فى اهتمام :

ـ وباستثناء محاولاته لصنع ذلك التاريخ الزائف أيضًا .. هل تعلم يا (رمزى) ؟! لقد احتاج الأمر إلى خمسة من أبرع خبراء الكمبيوتر ، عملوا ليلاً ونهارًا ، طوال ثلاثة أيام كاملة ، حتى كشفوا ، بالمصادفة البحتة ، تلك الثغرة فى ملفه .

سأله (رمزى) مبهورًا :

ـ وكيف أمكنهم التوصُّل إليها ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بسَّبابته ، مجيبًا :

ـ أحدهم لاحظ أن (طارق) لم يكن عبقريًا فى طفولته ، بل ولم يكن يبدى أدنى اهتمام بالعلوم ، ثم فجأة راح يتفوَّق فيها ، ويحصل على أعلى الشهادات الدراسية ، فى مجال الإليكترونيات والكمبيوتر والأشعة النووية .

قال (رمزى) فى دهشة :

ـ فقط ؟!

تنحنح الدكتور (رمزى) ، قائلاً :

ـ هناك أمر آخر بالتأكيد .

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ وما هو ؟!

مطَّ الدكتور (ناظم) شفتيه فى ضيق ، وكأنما لم يكن يرغب فى سماع هذا السؤال ، فى حين عقد القائد الأعلى شفتيه ، وقال فى صرامة :

ـ أحد خبراء الكمبيوتر الخمسة كان يعرف (طارق) الحقيقى فى صباه .

تنهَّد (رمزى) ، قائلاً :

ـ هكذا إذن !!

أشاح الدكتور (ناظم) بوجهه ، فى حين قال القائد الأعلى :

ـ بالضبط يا (رمزى) ، ودعنى أعترف لك بأن ذلك الشخص ، الذى يحمل اسم (طارق) ، قد صنع كل شىء بدقة مذهلة ، دون أن ينسى أدق التفاصيل ، حتى إنه لولا تلك المصادفة ، ما أمكننا كشف أمره فعليًّا .

نقل (رمزى) بصره بينهما ، قبل أن يقلب كفيه ، قائلاً فى حيرة :

ـ ما دمتم قد توصَّلتم إلى كل هذا ، فلِمَ لا تلقون القبض عليه ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بسَّبابته ، قائلاً :

ـ خطأ يا دكتور (رمزى) .. خطأ .. هذا هو الفارق الرئيسى ، بينك وبين (نور) ، فلو أنه فى موقعك ، لما ألقى هذا السؤال قط :

قال (رمزى) فى حذر :

ـ ولِمَ لا ؟!

أجابه القائد الأعلى هذه المرة :

- لأن (طارق) لم يرتكب أية أخطاء ، منذ التحق بالعمل فى المخابرات العلمية ، ولم يفش أصغر أسرارنا لأحد .

قال (رمزى) :

- آه .. فهمت .. أنتم تقصدون، أن وجود (طارق) أفضل وأكثر ربحًا من إلقاء القبض عليه .. أليس كذلك ؟!

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وقال :

- خطأ يا (رمزى) .. خطأ .. العكس هو الصحيح تمامًا .. فأكثر الجواسيس خطورة ، هو ما يطلق عليه اسم (الجاسوس النائم) ، وهو شخص يندس فى مكان ما ، أو هيئة ما ، ثم يعمل فيها بمنتهى التفانى والإخلاص ، حتى يبلغ منصبًا رفيعًا ، أو موقعًا شديد الحساسية ، وعندئذ يستيقظ ، بمعنى أن يبدأ نشاطه الفعلى ، الذى تم تدريبه عليه ، مستغلاً منصبه أو موقعه ، لنقل أخطر وأدق الأسرار والمعلومات إلى العدو .

اتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، وهو يقول :

- يا إلهى ! إلى هذا الحد ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) :

- بالضبط يا دكتور (رمزى) .. إننا نشك فى أن (طارق) هذا جاسوس نائم ، تم زرعه هنا لهدف ما ، وأن جهة أمنية أجنبية ، هى التى صنعت تاريخه الزائف هذا ، وكل ما نريده منك ، ومن الفريق كله ، هو أن تبذلوا قصارى جهدكم لكشف أمره ، وهو يعمل إلى جانبكم .

وانعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول فى حزم صارم :

- هكذا ترى أنها عملية داخلية يا (رمزى) .. عملية داخلية بحتة .

صمت (رمزى) بضع لحظات ، ثم تراجع فى بطء ، وأطلق من أعمق أعماق صدره زفرة حارة ملتهبة ، وهو يقول :

- هذا صحيح .. إنها عملية داخلية بحتة ، ولكنها خطيرة ومخيفة .. وإلى أقصى حد .

اندفع الدكتور (ناظم) يقول :

- وغامضة أيضًا يا (رمزى) .

رفع (رمزى) عينيه إليه بنظرة متسائلة ، فاتجه

الدكتور (ناظم) نحوه ، وفرد أمامه صورتين ضوئيتين ، وثلاثة رسوم قديمة ، وهو يقول :

- هذه الصورة تعود إلى عام ألف وتسعمائة وستة عشر ، أما الصورة الثانية ، فقد تم التقاطها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، والرسوم الثلاثة تعود إلى القرون الرابع عشر ، والتاسع والرابع الميلادي ، ولو أنك تأملتها كلها في اهتمام ، فستجد بينها عاملاً مشتركًا ، أبرزه الكمبيوتر ، عندما غذيناه بصورة (طارق) وملامحه وصفاته .. تطلَّع إليها جيِّدًا يا (رمزي) ، وأخبرني ما العامل المشترك ، الذي توصَّل إليه الكمبيوتر .

التقى حاجبا (رمزي) ، وهو يتطلَّع إلى الصورتين والرسوم الثلاثة في اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن تراجع في حركة حادة ، وهو يهتف :

- رباه ! مستحيل !

فعبر الصورتين والرسوم ، كان هناك بالفعل عامل مشترك ، يثير الكثير من الحيرة والدهشة والذهول ..

عامل يتمثَّل في وجه مألوف ..

وجه (طارق) ..

★ ★ ★

« هذا يذكرني بقضية قديمة لفريقنا .. »

غمغم (نور) بالعبارة ، وهو يجلس على مقعد متحرِّك آلي ، في مقر قيادة الفريق ، ثم أدار عينيه في وجود رفاقه ، متابعًا :

- عندما واجهنا غريبًا من كوكب آخر ، بدا بالنسبة لنا ، نظرًا للطول الفائق لدورة حياته ، وكأنه يتمتَّع بالخلود(★) .

سألته (نشوى) في قلق :

- أبي .. هل تعتقد أن (طارق) أيضًا ..

قاطعها (نور) بإشارة حازمة من يده ، وهو يقول :

- لست أعتقد شيئًا في الوقت الحالي ، فنحن لا نملك المعلومات الكافية بعد لتقييم الموقف ، ولو حشونا أذهاننا بفكرة ما الآن ، فستستولي علينا ، وتمنعنا من تقدير الأمور بشكل جيِّد فيما بعد .

تنهَّدت (سلوى) ، قائلة :

- الواقع أن الأمر يوحي بالتشابه يا (نور) ، وإلا فكيف تفسِّر وجود (طارق) ، في كل تلك العصور والأزمنة .

(★) راجع قصة (نبض الخلود) .. المغامرة رقم (١٧) .

أجابها (نور) فى حزم :

ـ ليس لدينا بعد ما يثبت أن الصورتين والرسوم كلها لـ (طارق) هذا ، الذى نعرفه .. إنه مجرَّد تشابه دقيق ، لم يثبت شيئًا حتى الآن .

تنحنح (رمزى) ، وقال :

ـ لست أعتقد أن التشابه بين الأشخاص ، يمكن أن يبلغ هذا الحد يا (نور) ، ولو عَبْر العصور .

قال (أكرم) فى شىء من التوتر ، وهو يداعب مقبض مسدسه فى عصبية :

ـ ألا يقول : إن الله (سبحانه وتعالى) قادر على خلق أربعين مثلا من كل بشرى ؟

هزَّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ هذا مجرَّد قول مأثور يا (أكرم) ، يحتمل الخطأ والصواب ، والواقع أن العلم يتعارض معه تمامًا ، فمن الناحية العلمية ، لا يمكن أن يتشابه شخص مع آخر تشابهًا تامًّا ، حتى التوائم المتماثلة ، بل إن جانبى الوجه لا يتشابهان قط(*) .

قال (نور) فى حزم :

(*) حقيقة علمية .

ـ مازلنا لا نمتلك دليلاً واحدًا بعد ، لاعتناقنا فكرة معقَّدة كهذه .

سألته (نشوى) :

ـ ما الذى تنتظره إذن يا أبى ؟! اعتراف صريح منه ؟!

التفت إليها (نور) ، قائلاً فى صرامة :

ـ من يدرى ؟! ربما حصلنا على شىء كهذا بالفعل !

ثم اعتدل فى مقعده ، وبدا عليه الضيق ، وهو يضغط أحد أزراره ، ليميل بمسنده الخلفى أكثر ، وقال :

ـ الأمر ليس سهلاً أو بسيطًا يا رفاق .. إننا نتحدَّث عن شخص شاركنا إحدى مغامراتنا ، وإليه يعود الفضل ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ، فى بقاء بعضنا على قيد الحياة ، وفى انتصارنا على خصم خارق رهيب ، كان من الممكن أن يسحقنا جميعًا .

التقى حاجبا (رمزى) ، وهو يقول فى توتر :

ـ (نور) .. لست أعتقد أنه من الجيد أن يمنعنا شعورنا بالامتنان تجاه شخص ما ، من أن نتحرى أمره بمنتهى الدقة والحيادية ، إذا ما أحاطت به الشكوك والريب .

توقَّع الجميع أن يعترض (نور) على هذا القول ، وأن يندفع لعرض وجهة نظره ، والدفاع عن موقفه ، لذا فقد أدهشهم أن يلتفت إلى (رمزى) ، ويسأله فى هدوء :

ـ ما رأيك فى (طارق) ؟!

قال (رمزى) فى دهشة :

ـ رأيى أنا ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ ليس رأيك الشخصى ، وإنما رأى الخبير النفسى للفريق .

التقى حاجبا (رمزى) فى شدة ، ولاذ بالصمت لبضع ثوان ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ إنسانٌ سوىٌّ عبقرىٌّ ، لا يعانى أية تعقيدات نفسيةَ أو عصبية ، ولكن ..

توقَّف لحظة ، عندما نطق كلمته الأخيرة ، فسأله (أكرم) فى لهفة عصبية :

ـ ولكن ماذا ؟!

بدا التردُّد لحظة على وجه (رمزى) ، قبل أن يقول فى اقتضاب حازم :

ـ ولكنه مرهق بشدة .

أطلَّ التساؤل من عيون (نور) و(سلوى) و(أكرم) ، فى حين قالت (نشوى) حائرة :

ـ مرهق ؟! ماذا تعنى بهذا يا (رمزى) ؟!

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

ـ إنه يبذل جهدًا مضاعفًا طوال الوقت ، ويُبدى نشاطًا واضحًا ، ولكن شيئًا ما فى تحركاته ، وردود فعله العصبية ، يوحى بأنه يستنفد قواه بشدة ، فى محاولة لإبعاد عقله عن مشلكة ما ، لا يجد لها حلاً .

ران عليهم صمت مهيب ، استغرق بضع لحظات ، قبل أن تقطعه (نشوى) ، قائلة :

ـ مازلت أتساءل : لماذا كان يجمع المعلومات من ذلك المرصد القديم ؟! بمَ يمكن أن تفيده معلومات قديمة كهذه ؟! لماذا ؟

قبل أن تتمَّ سؤالها ، اندفعت (سلوى) تجيب :

ـ ليبحث عن موضع كوكبه .

تفجَّر قولها كقنبلة بينهم ، فالتفتوا إليها جميعًا بحركة حادة ، وهتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ كوكبه ؟!

أجابت فى سرعة :ـ

ـ نعم .. هذا هو التفسير المنطقى لما فعله .. بل هو التفسير المنطقى لكل ما فعله ، منذ انتحل شخصية (طارق) هذه .. لقد فصلوه من مؤسسة الرياسة ، لأنه جمع بعض المعلومات الفلكية والفضائية ، التى تندرج تحت بند السرية المطلقة ، ثم رأته (نشوى) بنفسها ، وهو ينقل المعلومات القديمة ، من أجهزة المرصد إلى جهازه الخاص ...

ألا يبدو لكم تفسيرى منطقيًا بعد كل هذا ؟!

صمت الجميع ، وهم يفكرون فى الأمر ، ويدرسونه فى عقولهم ، أو يحاولون إقناع خلايا مخهم الرمادية بهضمه ، ثم لم يلبث (أكرم) أن قال فى عصبية :

ـ عظيم .. العضو الجديد فى فريقنا إذن هو غريب من كوكب آخر ، ويسعى للعودة إلى وطنه الأم !! يا لها من فكرة شاعرية !

بدت علامات التفكير العميق على وجه (نور) بضع لحظات ، قبل أن يرفع يده ، قائلاً فى حزم :

ـ مرة أخرى أحذركم من استباق الأحداث ، والتعجل بنتائج لا تستند إلى أية أدلة .. دعونا نمض

فى الأمر خطوة فخطوة ، طبقًا لقواعد البحث العلمى الصحيحة .

التفتوا إليه جميعًا ، وسأله (أكرم) فى توتر ملحوظ :

ـ ما الذى تريد منا أن نفعله يا (نور) ؟!

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ أن نبدأ بالخطوة المنطقية الأولى .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ دراسة الخصم ، وجمع كل المعلومات الممكنة عنه .

قالها ، وهو يعنى كل حرف من حروفها ..

نعم .. الخطوة المنطقية الأولى ، فى أمر كهذا ، هى جمع المعلومات عن الخصم ..

كل المعلومات ..

الممكنة .

★ ★ ★

٢ - رحلة عمر ..

تحرَّكت أصابع (طارق) بسرعة مدهشة ، على أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص به ، وهو يطالع شاشته فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن توقَّف بغتة ، ومال إلى الأمام ، ليتطلَّع إلى ما نقلته إليه الشاشة من معادلات ومعلومات ، قبل أن يعتدل ، ويهزَّ رأسه ، مغمغمًا :

- رباه ! من كان يتوقَّع هذا .

صمت بضع لحظات ، متطلِّعًا إلى الشاشة ، ثم قال فى حزم :

- لا بأس .. سأراجع كل شىء لمرة أخيرة .

وبسرعة كبيرة ، عاد يدخل كل ما حصل عليه من معلومات فضائية وفلكية ، من خلال عمله فى مؤسسة الرياسة ، ومركز الأبحاث العلمية ، التابع لجهاز المخابرات ، وأضاف إليها فى النهاية تلك المعلومات ، التى استخلصها من كمبيوتر المرصد ،

فى العملية الوحيدة ، التى انضمَّ بسببها لفريق (نور) ، ثم عضَّ شفته السفلى فى توتر بالغ ، وهو يغمغم :

- فليكن .

وضغط زر الإدخال ، ثم عاد يعمل على أزرار الكمبيوتر لعشر دقائق أخرى ، قبل أن يتوقَّف ، ويتراجع محدِّقًا فى الشاشة ، ومغمغمًا :

- نفس النتائج .. لا فائدة .. من كان يتوقَّع هذا .

ظلَّ لدقيقة كاملة يحدِّق فى الشاشة ، وما نقلته إليه من معلومات ، ثم هزَّ رأسه ، مغمغمًا فى أسى :

- وأنا الذى كنت أتصوَّر أننى ...

لم يتمَّ عبارته ، وهو يتراجع أكثر ، حتى ألصق ظهره بالمقعد ، ورفع رأسه إلى أعلى ، وهو ينطلق بأفكاره وذكرياته بعيدًا ..

بعيدًا ..

وراحت عشرات الصور تمتزج فى ذهنه ، فى سرعة خرافية ..

مقاتلة صغيرة ، تنطلق بأقصى سرعتها ..

وأضواء عنيفة قوية ، من مختلف الألوان ..

وأنهار ..
وبحار ..
وشمس تدور حول كوكبها بسرعة مخيفة ..
وديناصورات ضخمة ..
وفرسان ..
وحروب طاحنة ..
ثم انفجار هائل ..
وناطحات سحاب ..
وكهوف ..

عشرات الصور امتزجت فى ذهنه ، على نحو جعله يشعر كأن أحداث الدنيا كلها تقتحم عقله فى آن واحد ، فأغلق عينيه ، متمتمًا .

ـ يا لها من رحلة طويلة !

شعر كأن إرهاق الدنيا كله يسرى فى عروقه ، وهو يطلق زفرة ملتهبة ، ويعقد ساعديه أمام صدره ، مكملاً :

ـ يبدو أنها لن تنتهى أبدًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلق من ساعته أزيز خافت ، جعله يعتدل فى مقعده ، ويتطلّع إلى الساعة

فى اهتمام ، ثم يهبّ من مجلسه ، ويغلق جهاز الكمبيوتر الخاص ، مغمغمًا :

ـ مهمة جديدة للفريق .

وتحرّك بسرعة ، ليضغط زرًّا صغيرًا فى ركن الحائط ، قبل أن يغادر الحجرة فى سرعة ، متابعًا :

ـ وفرصة للخروج من حالة الملل هذه .

كان يشعر بسعادة حقيقية ، وهو يثب داخل سيارته ، وينطلق بها إلى مقر الفريق ..

نفس السعادة ، التى شعر بها ، عندما بدأ عمله معهم ..

مع الأشخاص الوحيدين ، الذين مال إلى الارتباط بهم ، منذ بدأ رحلته الطويلة ..

(نور) ..
(أكرم) ..
(رمزى) ..
(سلوى) ..
و (نشوى) ..

أفضل فريق صادفه ، فى حياته الحافلة كلها ..

وتدفّقت موجة من الحماس فى عروقه ، وهو ينطلق بالسيارة ..

وينطلق ..

وينطلق ..

ومن خلف منزله ، برز (أكرم) ، وهو يقول عبر جهاز اتصال صغير :

ـ إنه في طريقه إليك يا (نور) .

أتاه صوت (نور) عَبْر جهاز الاتصال ، وهو يقول :

ـ عظيم .. انتظرا حتى يخرج من مجال الرؤية ، ثم نفذا المهمة على الفور .

أجابه (أكرم) بلهجة عسكرية صرفة :

ـ عُلِمَ وسينفذ .

وتابع سيارة (طارق) ، حتى انحرفت عند أوَّل منحنى ، قبل أن يلتفت إلى (نشوى) ، قائلاً في حزم :

ـ هيا بنا .

تحركا بسرعة مدهشة ، فألصقت (نشوى) جهازًا صغيرًا بباب المنزل ، وضغطت أزراره في سرعة ، ثم تابعت ما يرتسم على شاشته في اهتمام ، قبل أن تغمغم :

ـ كما توقَّعنا تمامًا .. لقد أوصل باب منزله بجهاز إنذار حديث .

سألها (أكرم) في توتر :

تحرَّكا بسرعة مدهشة ، فألصقت (نشوى) جهازًا صغيرًا بباب المنزل ، وضغطت أزراره في سرعة ..

- هل يمكنك إيقافه عن العمل ؟!

ضغطت أزرار الجهاز الصغير مرة أخرى ، ثم قالت فى حزم :

- بالتأكيد .. إنه يستخدم جهازًا متطورًا للغاية ، يمكنه التقاط أية محاولة لاقتحامه أيضًا ، وتسجيلها فى برنامجه ، الذى يقوم على الفور بتطوير نفسه ، وتعقيد شفرة الدخول التقليدية ، ومضاعفتها .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يستمع إليها ، ثم قال فى عصبية :

- كيف يمكنك إيقافه عن العمل إذن ، مع كل هذه التعقيدات ؟!

أجابته ، وهى تواصل عملها فى حماس .

- سأتجاهل الباب ، وأدخل من النافذة .

بدا عليه الغضب ، وهو يقول :

- هل تعتبرين قولك هذا تفسيرًا ؟!

ضحكت قائلة :

- كلاً بالطبع .. إنه يحتاج إلى التوضيح .

والتقطت نفسًا عميقًا ، وهى تواصل عملها لبضع ثوان أخرى ، قبل أن تتابع فى حزم :

- لو أن البرنامج يقتصر على مضاعفة شفرة الدخول وتعقيدها فحسب ، فسيعنى هذا أن صاحب المكان نفسه لن يمكنه الدخول ، إلا بعد إجراء عمليات طويلة ومعقَّدة ، لذا فمبرمجو هذه الأنواع من أجهزة الأمن المتطوِّرة ، يزودون المشترى عادة بشفرة دخول احتياطية ، لا يتمّ إدخالها إلى الجهاز بالأسلوب التقليدى ، وإنما بوساطة جهاز آخر صغير ، يمكن إيصاله بجزء خلفى من الجهاز الأصلى .

سألها ، وهو يتلفَّت حوله فى توتر :

- وهل تمتلكين هذا الجهاز الصغير ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، مجيبة :

- كلاً بالطبع .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى عصبية زائدة :

- أخبرينى يا (نشوى) ، لماذا يبدو لى حديثك غامضًا مستفزًّا هذه المرة ؟!

هزَّت رأسها ، قائلة :

- ربما لأنه حديث علمى ، لا يناسب طبيعتك البريّة ؟!

بدا الغضب واضحًا ، فى ملامحه وصوته ، وهو يقول :

- إننى أعمل فى المخابرات العلمية .. العلمية يا (نشوى) .. أليس كذلك ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وقالت :

- بالطبع .. بالطبع يا (أكرم) .. حسن .. سأشرح لك الأمر بوضوح أكثر .. إننى الآن أحاول خداع جهاز الإنذار ، وإقناعه بأنه متصل بالفعل بجهاز الشفرة الاحتياطية ، وبعدها سأستخدم برنامجًا خاصًا ، للتوصل إلى تلك الشفرة الاحتياطية ، و ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، أطلق جهازها الصغير أزيزًا خافتًا ، فاعتدلت ، وتألّقت عيناها فى ظفر واضح ، أطلّ من كلماتها المقتضبة ، وهى تقول :

- لقد فعلها .

ومع آخر حروف كلماتها ، صدرت من الباب تكة خافتة ، فدفعه (أكرم) فى حذر ، وهو يقول فى انفعال :

- عظيم .

وتقدّم إلى المنزل فى حذر أكبر ، و ...

« توقّف .. »

هتفت (نشوى) بالكلمة ، فتجمّد (أكرم) فى مكانه ، والتفت إليها ، قائلاً فى توتر شديد :

- ماذا هناك أيضًا ؟!

أشارت إلى جهازها الصغير ، مجيبة :

- طبقًا لما يؤكده جهازى ، فنظام الأمن هنا لم يتوقّف بعد .

بدا عليه مزيج من الحيرة والتوتر ، فالتقطت من حقيبتها منظارين داكنين ، ناولته أحدهما ، قائلة :

- ارتد هذا ، وسيتبيّن لك الأمر فى وضوح .

التقط المنظار من يدها فى عصبية ، وارتداه وهو يتطلع داخل المنزل ، فارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يهتف :

- يا إلهى !

فأمام عينيه ، وعَبْر ذلك المنظار الخاص ، ظهرت أمامه عشرات من خيوط الليزر المتقاطعة ، تعترض طريق كل من يحاول دخول المنزل ..

وفى هدوء ، أشارت (نشوى) إلى تلك الخيوط الليزرية ، قائلة :

- إنها ليست قاتلة ، ولكن قطعها يؤدى إلى انطلاق الإنذار ، فى أقرب مركز للشرطة ، و ...

لم تكن قد أكملت عبارتها بعد ، عندما دوى فى

المكان فجأة بوق دورية شرطة ، ظهرت سيارتها الصاروخية بغتة ، عند الناصية المجاورة ، وانحرفت بحركة حادة سريعة ، لتتوقَّف أمام حديقة منزل (طارق) ، وقفز منها ثلاثة من رجال الشرطة ، صوَّبوا مسدساتهم الليزرية نحو (أكرم) و(نشوى) ، وهتف أحدهم فى صرامة :

ـ حركة واحد زائدة ونطلقُ النار ..

نطقها ، وهو يعنى كل حرف منها ..

كل حرف ..

★ ★ ★

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى (طارق) ، وهو يدلف إلى مقر الفريق ، ويلوِّح بيده ، قائلاً

ـ صباح الخير يا رفاق .. كيف حالكم ؟! كم يسعدنى أن ألتقى بكم مرة ثانية .

انتبه مع نهاية كلماته إلى النظرة المتفحِّصة ، التى يتطلَّع بها إليه (نور) و (سلوى) و (رمزى) ، فمال حاجباه قليلاً ، وهو يقول فى شىء من الحذر :

ـ أين (نشوى) و (أكرم) ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ إنهما فى مهمة خاصة .

ردَّد (طارق) ، وقد تسلَّل إليه شىء من الشك والقلق :

ـ مهمة خاصة ؟!

لم يخف عليه أن (رمزى) يتطلَّع إليه فى اهتمام شديد ، وكأنما يتابع ردود أفعاله بمنتهى الدقة ، وأن (سلوى) تبدو متحفِّزة قلقة فى الوقت ذاته ، فنقل بصره بينهما فى حذر ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ، ويسأله ، محاولاً إخفاء ما يشعر به :

ـ ألم تتعاف بعد أيها القائد ؟! كنت أتصوَّر أنك ستتجاوز هذا الأمر فى سرعة !

ابتسم (نور) ، قائلاً :

ـ لست قائد الفريق فى الوقت الحالى يا (طارق) .. (رمزى) هو الذى يتمتَّع بهذه الصفة ، حتى أستعيد لياقتى .

أسرع (رمزى) يقول :

ـ ومن يبالى بالرسميات يا (نور) ؟! أنت كنت ومازلت قائد الفريق .. الأمر كله لا يتعدَّى وجود كدمة بسيطة ، خلف عمودك الفقرى ، بسبب

ارتطامك العنيف بالجدار ، فى مغامرتنا السابقة(*) ، ونظرًا لقوة جسدك ، فسيتم امتصاص تلك الكدمة بسرعة ، بإذن الله (سبحانه وتعالى) «وستستعيد لياقتك ومنصبك الرسمى .

مدَّ (طارق) منظاره فوق أنفه ، وهو يقول فى حزم :

- معذرة يا دكتور (رمزى) ، ولكننى لا أعترف بقائد للفريق سوى (نور) .

ابتسم (رمزى) ، قائلاً :

- كلنا هذا الرجل يا (طارق) .

ثم اعتدل ، يسأله بغتة :

- وبمناسبة الحديث عن اللياقة .. ألم تلاحظ أنك أوَّل من تعافى منا .

صمت (طارق) لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

- ربما يتفوَّق جسدى فى هذا المضمار ، عن أجسادكم .

اندفعت (سلوى) تقول بغتة :

(*) راجع قصة (العاصفة النووية) .. المغامرة رقم (١١٦) .

- عن أجسادنا خاصة ، أم عن الأجساد البشرية عامة ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى غضب ، ومطَّ (رمزى) شفتيه متوترًا ، فى حين التفت (طارق) إلى (سلوى) فى حركة حادة ، ورمقها بنظرة مخيفة ، جعلتها تنكمش فى مقعدها ، وتقول فى ارتباك :

- ماذا حدث ؟! إنها مجرَّد دعابة .

واصل (طارق) رمقها بتلك النظرة الصارمة المخيفة لثوان أخرى ، ثم لم يلبث أن استعاد هدوءه بغتة ، وهو يتمتم :

- دعابة طريفة بالتأكيد .

والتفت إلى (نور) ، يسأله فى برود :

- لماذا تم استدعائى إلى هنا ؟!

بدا التوتر على (سلوى) و (رمزى) ، وهما يتساءلان عن رد فعل (نور) ، وعن المبرر الذى سيطرحه أمام (طارق) ، و ...

« هناك اتهام موجَّه إليك ، وأنت هنا ليتم استجوابك بشأنه .. »

فاجأهما قول (نور) ، الذى نطقه فى هدوء شديد ،

فمالت (سلوى) إلى الأمام ، تتطلّع إليه فى دهشة ، فى حين ابتسم (رمزى) ، وهو ينظر إلى (نور) فى إعجاب ، أما (طارق) ، فقد عدّل منظاره على أنفه كعادته ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أى اتهام هذا ؟!

أطلّ الهدوء واضحًا من ملامح (نور) وصوته ، وهو يهزّ كتفيه ، ويقول بابتسامة بسيطة :

ـ لست أدرى أهميته بالضبط ، ولكن (نشوى) ذكرت فى تقريرها ، فى نهاية مهمتنا السابقة ، أنها قد رأتك تنقل بعض المعلومات ، من أجهزة الكمبيوتر القديمة ، فى ذلك المرصد المهجور ، والرؤساء فى الإدارة يطلبون معرفة سبب هذا بالتحديد .

صمت (طارق) طويلاً ، وهو يتطلّع إلى (نور) ، وكأنما يحاول أن يستشفّ ما يخفيه ، خلف تلك الملامح الهادئة ، ثم لم يلبث أن عدّل منظاره فوق أنفه ، بتلك الحركة التقليدية المتكرّرة ، قبل أن يقول :

ـ يمكنك أن تقول إنها مجرّد هواية .

كرّر (نور) بلهجة متسائلة :

ـ هواية ؟!

أجابه (طارق) فى سرعة :

ـ نعم أيها القائد .. صدّق هذا أو لا تصدّقه ، ولكنها هواية تسيطر علىّ منذ حداثتى ، حتى إننى أطالع كل ما يتعلّق بالفلك والنجوم ، بمنتهى اللهفة والفهم ، ولا يمكننى مقاومة رغبتى فى معرفة الجديد ، حول هذه الأمور .

وعاد يعدّل منظاره الطبى مرة أخرى ، ثم ابتسم فى شىء من الخجل ، مستطردًا :

ـ ولقد سبّبت لى هذه الهواية الكثير من المشكلات فى الواقع .. دعونى أعترف لكم بأننى كنت أعمل من قبل فى مؤسسة الرياسة .

بدا التوتر على وجه (سلوى) ، واعتدل (رمزى) فى اهتمام ، فى حين قال (نور) بلهجة هادئة :

ـ حقًا ؟!

تابع (طارق) ، وهو يدير بصره بينهم فى هدوء :

ـ ولقد تم فصلى من هناك ، بسبب جمعى لكل ما أمكننى التوصّل إليه من معلومات ، حول الفضاء والفلك .

قال (نور) فى بطء :

ـ وهل اكتفوا بفصلك فحسب ؟!

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم أيها القائد .. هم أيضًا استجوبونى طويلاً ، وحاصرونى بشكوك لا حصر لها ، بل واتهمونى بالتجسس أيضًا ، إلا أنهم لم يلبثوا أن أدركوا حسن نيتى فى النهاية ، فأطلقوا سراحى ، واكتفوا بفصلى ، دون تدوين الواقعة فى سجلى المهنى .

غمغم (نور) :

ـ كان هذا كرمًا بالغًا منهم .

تنهّد (طارق) مغمغمًا :

ـ بالتأكيد .

ران عليهم الصمت بضع لحظات ، بعد أن ألقى كلمته ، ثم شدّ هو قامته ، وهو يقول بلهجة حازمة صارمة :

ـ أهذا كل شىء ؟!

ألقت (سلوى) نظرة سريعة على ساعتها ، بحركة لم تفت عينه الفاحصة ، و (نور) يجيبه :

ـ ما لم ترغب فى قضاء بعض الوقت معنا .

تراجع (طارق) فى سرعة نحو الباب ، وهو يقول :

ـ كنت أتمنى هذا ، ولكن لدىّ عمل مهم للغاية ، أرغب فى إنجازه أولاً .

ثم أضاف فى شىء من الصرامة :

ـ ما لم يحتّم ذلك التحقيق احتجازى هنا .

رمقت (سلوى) زوجها فى توتر ، وهى تتمنى أن يصرّ على بقاء (طارق) ، حتى ينتهى (أكرم) و(نشوى) من فحص منزله ، إلا أن (نور) أجابه فى هدوء ، وهو يطلق ضحكة مرحة :

ـ لا .. لست أعتقد هذا .

أومأ (طارق) برأسه ، وقال وهو يغادر الحجرة فى حركة سريعة :

ـ عظيم .

وما إن أغلق الباب خلفه ، حتى هتفت (سلوى) :

ـ أرهن على أنه قد أدرك ما يحدث .

أجابه (رمزى) فى حسم :

ـ ليس تمامًا ، ولكنه يعلم أننا نشك فى أمره .

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـ من الواضح أنه ذكى للغاية ، ونحن ارتكبنا عدة أخطاء ، لم تفته ملاحظتها ، وهو يدرك الآن أن

الأمور لم تعد كما كانت ، وأن الشكوك تحيط به ، ثم إنه قد انتبه إلى ما فعلته (سلوى) ، عندما ألقت نظرة على ساعتها ، وهذا ما جعلنى أسمح له بالخروج ، حتى لا يتأكد من أننا قد أتينا به إلى هنا ، لنفسح المجال للعبث فى أشيائه الخاصة .

قالت (سلوى) فى عصبية :

ـ ولكن هذا يعنى أنه سينطلق عائدًا إلى منزله على الفور ، وسيجد (نشوى) و (أكرم) هناك .

التقط (نور) جهاز اتصال لاسلكى ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا لو ظلا هناك ، حتى يعود .

سأله (رمزى) فى قلق :

ـ هل تعتقد أنهما قد حصلا على ما يكفى من الوقت لـ ...

قاطعه (نور) فى صرامة ، وهو يضغط زر الاتصال :

ـ لم يعد هذا يهم يا (رمزى) .. لقد فشلت العملية ، وأهم خطوة الآن هى أن نحمى رفاقنا .

ثم أدنى الجهاز الصغير من شفتيه ، قائلاً :

ـ من القيادة إلى (ألفا) و (بيتا) .. فشلت العملية .. فليتم إخلاء الموقع على الفور .. هل تسمعنى ؟! فليتم إخلاء الموقع على الفور .

صمت لحظة ، فى انتظار جواب ما ، إلا أن جهاز الاتصال ظلّ صامتًا ، على نحو جعل (سلوى) تغمغم فى عصبية :

ـ رباه ! أين هما ؟! ماذا أصابهما ؟!

أشار إليها (نور) أن تهدأ ، وهو يعاود الاتصال عدة مرات ، دون أن يتلقى جوابًا ..

وهنا امتزجت مشاعره بمشاعر زوجته ، وراح قلباهما ينبضان فى عنف ، وهما يتساءلان : ترى ماذا أصاب صديقهما وابنتهما ؟!

ماذا حدث هناك ؟!

ماذا ؟!

ماذا ؟!

* * *

اندفع الدكتور (ناظم) داخل مركز الشرطة ، وهو يبرز بطاقته الخاصة ، قائلاً :

ـ المخابرات العلمية .. مهمة خاصة .. أين مكتب رئيس الشرطة ؟!

قاده أحد الضباط إلى مكتب الرئيس ، الذى نهض يستقبله فى حرارة ، ثم دعاه للجلوس ، قائلاً :

- معذرة لإزعاجك يا سيِّدى ، ولكننا ألقينا القبض على رجل وسيِّدة ، حاولا اقتحام أحد المنازل ، فى المنطقة التابعة لنا ، وهما يدعيان أنهما يعملان لحسابكم ..

ثم لوَّح بذراعه ، مستطردًا بابتسامة مرتبكة :

- إننا لم نصدِّق قولهما بالطبع ، ولكن طبقًا للتعليمات ، كان من المحتم أن ..

قاطعه الدكتور (ناظم) ، وهو يسأله فى لهفة :

- هل ألقيتم القبض عليهما ، استجابة لنداء جهاز الإنذار الآلى للمنزل ؟!

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وأجاب فى حذر :

- كلا يا سيِّدى .. من الواضح أنهما بارعان للغاية ، فقد تجاوزا أجهزة الإنذار بالفعل ، ولكن دورية الشرطة المجولة لمحتهما ، و....

لم يبد على الدكتور (ناظم) الاهتمام بسماع باقى التفاصيل ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويتنهَّد فى حرارة ، قائلاً :

- عظيم .. لا شهود أو سجلات إذن .. عظيم .. عظيم جدًا .

انعقد حاجبا رئيس الشرطة فى توتر ، وهو يميل إلى الأمام ، مغمغمًا فى دهشة :

- ماذا ؟!

لوَّح الدكتور (ناظم) بكفه ، قائلاً :

- لا عليك يا رجل .. لا تشغل نفسك بمثل هذه الأمور .. أين الرجل والسيِّدة ؟

تراجع رئيس الشرطة ، على نحو يوحى بعدم رضائه عن هذا الأسلوب ، ولكنه أجاب فى توتر :

- هل أرسل فى إحضارهما ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى حزم :

- نعم .. وأحضر أيضًا كل ما كان معهما من أجهزة ومعدات ، وبالذات مسدس الرجل التقليدى .

ارتفع حاجبا رئيس الشرطة فى دهشة ، وهمَّ بقول شىء ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه ، قبل أن ينطق به ، وقال :

- لا بأس .. هذا شأنكم .

لم تمض دقائق ثلاث على قوله هذا ، حتى كان

الدكتور (ناظم) ينطلق بسيارته ، حاملاً (أكرم) و (نشوى) والأول يقول فى عصبية :

- إنها أسخف تجربة واجهتها فى حياتى كلها .. لقد ألقوا القبض علينا بمنتهى الوقاحة والغلظة ، كما لو أننا مجرَّد لصين حقيرين .

قالت (نشوى) فى توتر :

- ليس هذا هو المهم الآن .. المهم حقًّا أن نصلح الأمور ، قبل أن يعود (طارق) إلى منزله .

سألها الدكتور (ناظم) فى قلق شديد :

- أية أمور تلك .. إن أحدًا لم يركما ، باستثناء رجال دورية الشرطة ، ولقد اتخذت كل الإجراءات اللازمة لعدم تسجيل الواقعة .

قالت بسرعة :

- ولكن رجال الدورية ألقوا القبض علينا ، بعد أن أوقفنا الخطوة الأولى فى جهاز الأمن ، ولن يبدو هذا منطقيًا بالنسبة لـ (طارق) ، عندما يعود إلى منزله ، فتلك الأجهزة لا تتوقَّف من تلقاء نفسها ، ولا تستخدم شفرتها الخاصة ، لفتح نفسها بنفسها .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، فى حين هتف الدكتور (ناظم) :

- يا إلهى ! وما الذى يمكن فعله الآن ، لتفادى ذلك الأمر ؟!

أجابته فى انفعال :

- لابد أن نعود إلى منزل (طارق) ، ونعيد تشغيل جهاز الإنذار ، قبل عودته إليه .

التقط الدكتور (ناظم) جهاز الاتصال ، قائلاً فى توتر :

- ما لم يكن قد عاد إليه بالفعل .

قالها ، وهو يضغط زر الاتصال ، وينتظر لحظة فى قلق ، وما إن سمع صوت (نور) ، حتى سأله فى لهفة :

- (نور) .. أما زال (طارق) عندك ؟!

أجابه (نور) فى توتر واضح :

- كلاً .. لقد انصرف منذ قليل .. لم يمكننى احتجازه لفترة أطول ، حتى لا أثير شكوكه ، ولكن أين (نشوى) و (أكرم) ؟! إننى أحاول الاتصال بهما ، ولكنهما لا يستجيبان !

اختطفت (نشوى) جهاز الاتصال ، هاتفة :

- نحن هنا يا أبى .. لقد ارتبكت الأمور بعض

الشيء ، ورجال الشرطة أصروا على تجريدنا من كل أدواتنا ، ولهذا لم يكن جهاز الاتصال يعمل ، و ...

قاطعها فى دهشة قلقة :

ـ رجال الشرطة ؟! وما شأن رجال الشرطة بالأمر .

شرحت له فى سرعة كل ما حدث ، حتى انتهت إلى أنهم فى طريقهم إلى منزل (طارق) ، لإعادة تشغيل جهاز الإنذار قبل عودته ، فقال (نور) فى حزم :

ـ عليكم أن تسرعوا إذن ، فطبقًا لحالة التوتر ، التى كان عليها ، عندما غادرنا ، والحد الأقصى للسير فى طرقات المدينة ، فسيبلغ منزله بعد ثمان دقائق من الآن على الأكثر .

قال الدكتور (ناظم) فى حزم :

ـ من موقعنا هذا ، يمكننا أن نسبقه بدقيقة ونصف على الأقل .. هل تعتقدان أن هذه الفترة تكفيكما .

أجابته (نشوى) فى حزم :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

أنهى (نور) الاتصال فى تلك اللحظة ، وهو يقول :

ـ وفقكم الله (العلى القدير) .

شعر (أكرم) بالتوتر ، وهو يتحسس مسدسه فى حزامه ، قائلاً :

ـ كم كنت أتمنى ألا يحدث كل هذا ! لقد أنقذ (طارق) حياتى ذات مرة ، وأكره بشدة أن أتعامل معه اليوم كخصم .

أشارت (نشوى) بسبابتها ، قائلة فى حزم :

ـ ولكننى كنت واثقة منذ البداية ، أن مثاليته الشديدة هذه تخفى وراءها شيئًا ما .

تنهد (أكرم) فى توتر أكثر ، مغمغمًا :

ـ ما زلت لا أشعر بالارتياح !

أجابه الدكتور (ناظم) فى صرامة :

ـ رجل المخابرات العلمية لا ينبغى له أن يقحم مشاعره الشخصية ، فى مثل هذه الأمور .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟! محاضرة حول فن العمل فى جهاز المخابرات العلمية ؟

أشارت إليه (نشوى) ، أن يخفف من توتره الشديد ، فى حين قال الدكتور (ناظم) فى غضب صارم محنق :

- من يدرى ؟! ربما كنت تحتاج إلى محاضرة كهذه بالفعل .

همّ (أكرم) بالتعليق على عبارته فى حدة ، لولا أن ضغطت (نشوى) يده فى رفق ، قائلة :

- فلندخر انفعالاتنا كلها لإكمال المهمة .

مطّ (أكرم) شفته فى غضب ، وأشاح بوجهه ، ولاذ بصمت التزم به الجميع دون اتفاق ، حتى بلغت السيارة منزل (طارق) ، فتوقف الدكتور (ناظم) على مسافة عشرين مترًا منه ، خلف سور إحدى الحدائق المجاورة ، وقال :

- ها هو ذا المنزل .. أمامكما دقيقة ونصف ، قبل أن يصل ذلك الشاب .

قالت (نشوى) فى حزم ، وهى تغادر السيارة :

- سأذهب وحدى .

قال (أكرم) فى عصبية :

- وحدك ؟! ماذا تعنين بهذا أيتها الصغيرة ؟! هل تقترحين أن أنهمك فى صنع سترة من الصوف ، فى انتظار عودتك ، أم أنك تفضلين أن أطبخ لك وجبة دسمة ؟!

أشارت إليه ، قائلة :

- رويدك يا (أكرم) .. الأمر لا يمس رجولتك ، من قريب أو بعيد .. إنه قرار عملى بحت ، فمع احتمال وصول (طارق) فى أية لحظة ، لا يبدو من المنطقى أن نذهب معًا إلى منزله ، فى حين يمكننى إنجاز المهمة كلها وحدى ، ثم إننى أحتاج إليك للمراقبة ، ولتكن درعى الواقية عند الحاجة .

تطلّع إليها فى شك متسائل حذر ، فتابعت فى سرعة :

- ماذا لو أنه باغتنى ، أو حاول اللجوء إلى العنف لسبب ما ؟! ألا ينبغى أن أجد من يهبّ لنجدتى حينئذ ؟!

قال فى عصبية :

- (نشوى) .. هل تحاولين أن ...

قاطعته فى حماس :

- حاول أن تختبئ فى زاوية قريبة ؛ لتراقب الطريق طوال الوقت ، فى انتظار وصول (طارق) ، وعندما تلمحه ، أطلق جهاز الاتصال على الفور ، ومع سماعى الأزيز سأبتعد بأقصى سرعة ، قبل وصوله إلى المنزل .

صمت بضع لحظات ، فى محاولة لهضم الموقف ، واستيعاب الأمر كله ، فقالت فى حماس :

ـ الوقت يمضى بسرعة يا (أكرم) .

تنهَّد ، قائلاً :

ـ حسن .. اذهبى .

قفزت من السيارة ، وانطلقت تعدو نحو منزل (طارق) ، فى حين أسرع (أكرم) يختبئ عند زاوية قريبة ، وهو يتحسَّس مسدسه فى عصبية ، مغمغمًا :

ـ يا للنساء !

ألصقت (نشوى) جهازها الصغير بباب المنزل ، وراحت تضغط أزراره فى سرعة ، وراقبت الأرقام التى تتراص على شاشته فى توتر بالغ ..

وفى نفس اللحظة ، كان الدكتور (ناظم) يسأل (أكرم) ، عَبْر جهاز اتصال محدود :

ـ هل تلمحه ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يتطلَّع إلى الطريق فى ترقُّب :

ـ لا توجد أية سيارات قادمة ، على مدى البصر ، و ...

قاطعه صوت الدكتور (ناظم) ، وهو يهتف فجأة :

ـ يا إلهى !

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ ماذا حدث يا دكتور (ناظم) ؟! ماذا حدث ؟!

قبل أن يجيبه الدكتور (ناظم) ، وقعت عيناه على المشهد نفسه ، الذى أثار هذا الأخير ، فالتقى حاجباه فى شده ، وهتف :

ـ اللعنة !

وفى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها هتافه ، كانت (نشوى) قد انتهت من إعادة جهاز الإنذار إلى ما كان عليه ، واستدارت لتعود إلى السيارة ، و ....

وتجمَّدت كل خلية فى جسدها دفعة واحدة ، وهى تحدِّق فى العينين الصارمتين ، اللتين تتطلعان إلى عينيها مباشرة ..

عينى (طارق) .

★ ★ ★

٣ - سر الأسرار ..

« التطابق تام يا (نور) .. »

أشارت (سلوى) إلى شاشة الكمبيوتر ، وهى تلقى هذه العبارة ، فتطلع إليها (نور) فى اهتمام ، قائلا :

- هل راجعت النتائج جيدًا ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- نعم يا (نور) .. الوجوه فى الصورتين والرسوم الثلاثة تتطابق ملامحها تطابقًا تامًا مع بعضها ، على نحو لا يمكن أن يحدث ، إلا لو كانت كلها لشخص واحد .

وتسللت رجفة خفيفة إلى صوتها ، وهى تضيف :

- شخص يحيا منذ القرن الرابع الميلادى ، وحتى أيامنا هذه .

تمتم (رمزى) :

- وربما من قبل هذا بعدة قرون .

هتفت بسرعة :

- أو بعدة ملايين من السنين .

بدا الضيق على وجه (نور) ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- اتفقنا منذ البداية على ألا نسبق الأحداث .

التفت إليه (رمزى) ، قائلاً فى دهشة :

- أية أحداث يا (نور) ؟! كل شىء هنا يشير إلى أن (طارق) هذا ليس بشرًا عاديًّا ، وإن بدا لنا جميعًا كذلك .. إنه شخص يحيا على وجه الأرض منذ الأزل .. كائن ما ، تطول دورة حياته لآلاف ، أو ربما ملايين السنين .

صمت (نور) بعض الوقت ، وهو يجلس على مقعده المتحرك ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، قائلاً :

- ليس من السهل أن نقول : إنه ليس بشريًّا .. هذا قول مخيف للغاية ، ويحتاج إلى دليل قوى لإثباته .

رفعت (سلوى) سبَّابتها ، قائلة فى حماس :

- أنا عندى الدليل .

التفت إليها فى دهشة واهتمام ، فضغطت أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، مستطردة :

ـ منظاره الطبى .

اعتدل (رمزى) فى اهتمام ، فى حين سألها (نور) فى شىء من الحذر :

ـ ماذا عنه ؟!

مع ضغطات أصابعها على أزرار الكمبيوتر ، ظهرت على شاشته صورة (طارق) ، و (سلوى) تقول فى حماس :

ـ أظننا لاحظنا جميعًا أن (طارق) يعدِّل وضع منظاره فوق أنفه ، كل لحظة وأخرى ، على نحو يوحى بأنه شخص لم يعتد ارتداء المناظير الطبية بطبيعته ، ولكن هذا ليس الدليل ، الذى أعتمد عليه ، فذلك الدليل مادى بالدرجة الأولى .

ومالت نحو الشاشة ، مستطردة :

ـ انظروا إلى منظاره الطبى ، فى هذه الصورة .. كلنا نعلم أن عدسات المناظير الطبية ، حتى الرقيقة المضغوطة منها ، هى أجسام زجاجية محدَّبة أو مقعَّرة ، أو مزدوجة التحدُّب والتقعُّر ، طبقًا لما ينبغى أن تصحِّحه من قوة الإبصار ، وهذا يعنى أن أية عدسة ، من عدسات المناظير الطبية ، مهما بلغت

دقتها ، ومهما كان نوعها ، لابد أن تؤدى إلى حدوث انكسار ما فى الضوء ، بنسبة أو بأخرى(*) .

واعتدلت ، وتألَّقت عيناها ، وهى تتابع فى حزم :

ـ ولكن عدستى منظار (طارق) ، وبعد اختبار صورته بالكمبيوتر ، وبدرجة تكبير تبلغ ستمائة ضعف الحجم الأصلى ، لا تؤديان إلى حدوث أى انكسار فى أشعة الضوء ، إلا بالمقدار الذى يصنعه أى زجاج عادى .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول فى توتر :

ـ هل تعنين أن ..

قاطعته فى حماس :

ـ نعم يا (نور) .. ذلك المنظار ، الذى يعدّ جزءًا من شخصية (طارق) ، مجرَّد إضافة لا قيمة لها .. باختصار .. إنه ليس بحاجة إلى ارتداء أية مناظير طبية على الإطلاق .

تزايد التقاء حاجبى (نور) ، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، وهو يتمتم فى خفوت :

ـ هذا يغيِّر الكثير من الأمور .

(*) حقيقة علمية .

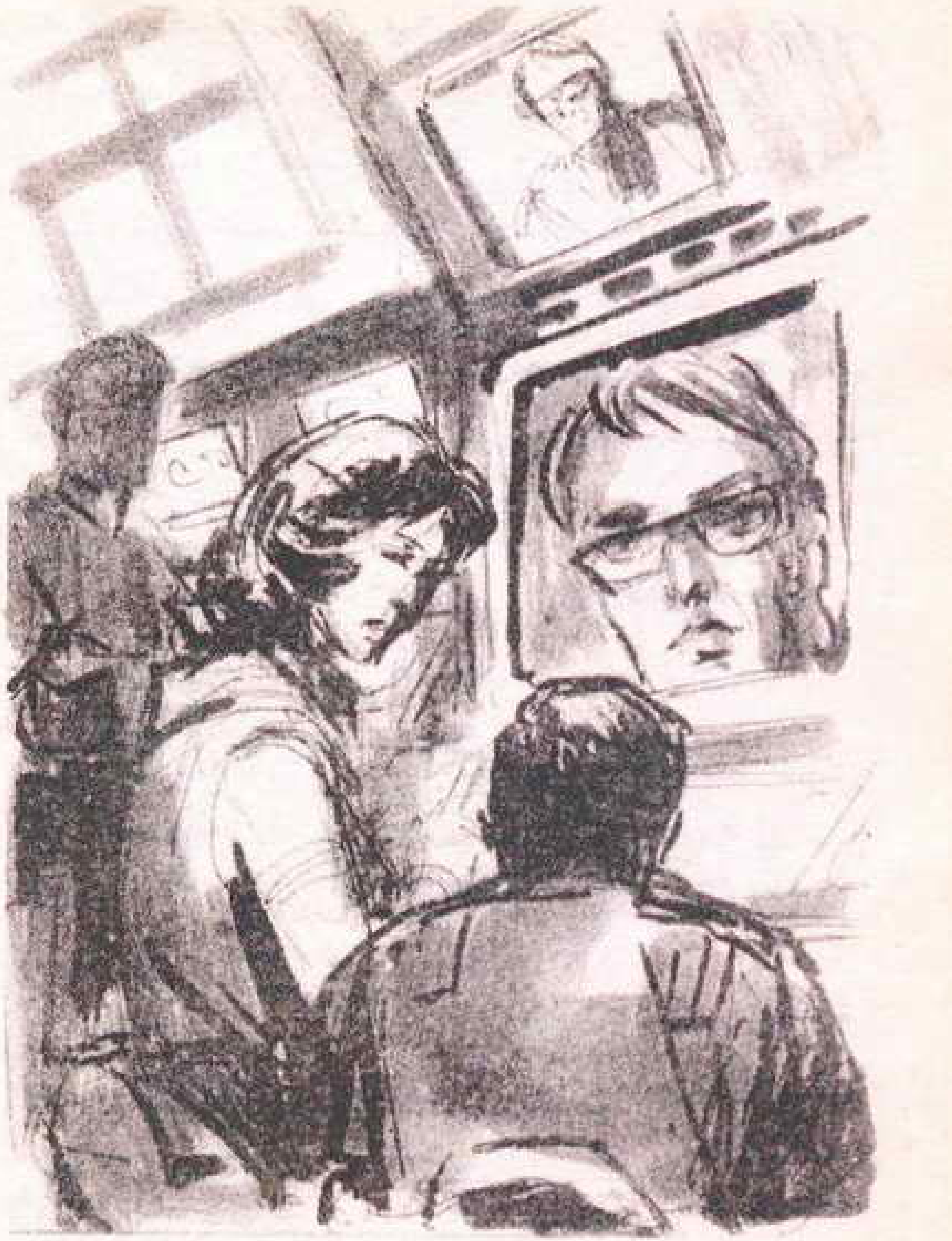

قاطعته فى حماس :

ـ نعم يا (نور) .. ذلك المنظار ، الذى يعدّ جزءًا من شخصية (طارق) ..

اعتدل (رمزى) فى مجلسه ، قائلاً فى حدة :

ـ الكثير جدًا .

نطقها ، فهوى على المكان صمت رهيب ..

صمت مشوب بالحيرة ..

والقلق ..

والتوتر ..

و ... الخوف ..

★ ★ ★

لثوان ، وقفت (نشوى) تحدّق فى وجه (طارق) ، فى دهشة عارمة ، وهى تتساءل : كيف لم يحذّرها (أكرم) أو الدكتور (ناظم) من قدومه !

ثم انتبهت فجأة إلى أن الزاوية ، التى يقف فيها ، تشير إلى أنه قادم من خلف المنزل ، وليس من أمامه ..

يا له من داهية !

لقد فعل هذا عمدًا بالتأكيد ..

فعلها ، ليكشف أية محاولة للتسلُّل إلى منزله ..

أية محاولة ..

ومن بعيد ، تحرّك (أكرم) فى عصبية ، على نحو يوحى بأنه سينقضّ على (طارق) فى عنف ،

فأسرعت تشير إليه إشارة خفية ، أن يظلَ فى مكانه ، وهى تهتف بضحكة عصبية :

- (طارق) .. لقد أفزعتنى .

لم يجب (طارق) ، أو يعلق على عبارتها ، وإنما ظلَ صامتًا ، يتطلع إلى عينيها مباشرة ، فتابعت فى شىء من الارتباك :

- الواقع أننى أتيت لأعتذر .

مضت لحظة من الصمت ، بدت لها أشبه بدهر كامل ، قبل أن يقول فى بطء :

- حقًا ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، قائلة :

- بالطبع يا (طارق) ، فالتقرير الذى قدَّمته هو الذى أثار حولك تلك الشكوك ، و ...

قاطعها فجأة ، وهو يضغط أزرار جهاز الأمن :

- لِمَ لا نتحدَّث بالداخل ؟!

كان يضغط الأزرار فى بطء ، وكأنما يسمح لها بمتابعة الشفرة جيِّدًا ، ثم قال فى هدوء !

- ضغط أزرار الشفرة الصحيحة من المحاولة الأولى ، هو الوسيلة الوحيدة لإيقاف عمل شبكة من

خيوط الليزر الداخلية الخفية ، وإلا فسينطلق الإنذار فى أقرب مركز للشرطة ، معلنًا حدوث محاولة اقتحام للمنزل .

غمغمت فى حذر :

- حقًا ؟!

ارتسمت على ركن شفتيه ابتسامة لم ترق لها ، وهو يقول :

- هل تجهلين هذا بالفعل ؟!

قال عبارته ، وهو يدعوها للدخول ، فأشارت إشارة خفية أخرى لـ (أكرم) ، وهى تدلف إلى المكان ، فغمغم (أكرم) فى عصبية :

- ما الذى تفعله هذه المجنونة ؟!

لم يكد يتمَ عبارته ، حتى أتاه صوت الدكتور (ناظم) ، عَبْر جهاز الاتصال المحدود ، وهو يقول فى انفعال :

- يا إلهى !! هل رأيت هذا ؟! تلك المجنونة دخلت المنزل بإرادتها .

أجابه (أكرم) فى عصبية :

- لابد أن لديها خطة ما .

هتف الدكتور (ناظم) معترضًا فى غضب :

ـ أية خطة تلك ، التى تدفعها لدخول عرين الأسد بقدميها ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وكاد يشرح الأمر للدكتور (ناظم) ، إلا أن موجة عارمة من الغضب لم تلبث أن سرت فى عروقه ، فوجد نفسه يقول فى صرامة :

ـ ارحل يا دكتور (ناظم) .

هتف الرجل فى دهشة :

ـ ماذا ؟!

أجابه فى صرامة شديدة :

ـ ارحل يا رجل .. ابتعد عن هنا .. إنك تفسد كل شىء .

هتف الدكتور (ناظم) فى عصبية :

ـ أنا .. أنا أفسد كل شىء ؟! إننى ..

قاطعه (أكرم) فى صرامة أكثر :

ـ كلنا نعلم أنك رئيس مركز الأبحاث العلمية ، وأنك عالم عظيم ، تنحنى أمامه نظرية النسبية نفسها ، ولكن هذا لا يعنى أنك يمكن أن تصلح كرجل مخابرات ..

هيا .. ارحل من هنا ، قبل أن تفسد العملية كلها .. هيا .

احتقن وجه الدكتور (ناظم) ، وارتجفت شفتاه ، وكأنه يهم بنطق شىء ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبقهما ، وأدار محركَ سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فغمغم (أكرم) فى صرامة :

ـ هذا أفضل كثيرًا .

ثم انتزع مسدسه من حزامه ، واندفع فى خفة نحو منزل (طارق) ، متابعًا :

ـ صحيح أنك أنقذت حياتى ذات مرة يا (طارق) ، ولكننى أقسم ، لو أنك مسست شعرة واحدة من رأس (نشوى) ، لأدقنّ عنقك بلا رحمة .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته هذه ، كانت (نشوى) تدير عينيها فى منزل (طارق) ، قائلة فى توتر ملحوظ :

ـ منزل أنيق للغاية يا (طارق) .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ أهذا ما أردت رؤيته حقًا ؟!

امتقع وجهها ، وهى تسأله منكمشة :

ـ ماذا تعنى ؟!

اتسعت ابتسامته الغامضة ، وهو يقودها فى رفق إلى حجرة جانبية ، قائلاً :

ـ أراهن على أنك تميلين أكثر للتعامل مع أجهزة الكمبيوتر .. أليس كذلك ؟!

مع آخر حروف كلماته ، وجدت نفسها داخل حجرة واسعة ، احتشدت داخلها كل الأجهزة التكنولوجية الحديثة ، التى تتعلق بأجهزة الكمبيوتر ، وشبكات المعلومات الدولية ..

وفى انبهار تام ، غمغمت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! إنه مركز كمبيوتر متكامل .

أجابها فى هدوء شديد :

ـ هذه هى ثانى هواياتى .. الكمبيوتر وشبكات المعلومات .. يمكنك أن تقولى إننى متصل بكل شبكات المعلومات فى عالمكم .

قال فى دهشة تحمل لمحة انزعاج :

ـ عالمنا ؟!

ابتسم مرة أخرى تلك الابتسامة الغامضة ، وهو يقول :

ـ لا عليك .. ربما خاننى التعبير .

تطلعت إليه فى مزيج من الشك والخوف ، ولكنه تقدَّم فى هدوء إلى جهاز الكمبيوتر الرئيسى ، وضغط أزراره ، قائلاً :

ـ ألا ترغبين فى مشاهدة ما أحتفظ به ، داخل جهاز الكمبيوتر الخاص بى ؟

أجابته فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

ثم استدركت مرتبكة :

ـ لو أن هذا لا يزعجك .

اتسعت ابتسامته ، وبدت لها أكثر غموضًا ، وهو يقول :

ـ مطلقًا .

تعلَّقت عيناها بشاشة الكمبيوتر فى لهفة ، فأفسح لها الطريق ، قائلاً :

ـ هيا .. افعلى ما يحلو لك .

وتراجع فى هدوء ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يحمل على شفتيه نفس الابتسامة الغامضة ، فتردَّدت لحظة ، ثم غلبها فضولها العلمى ، فاندفعت

نحو الكمبيوتر ، وراحت أصابعها تجرى على أزراره فى لهفة ، وعيناها تلتهمان ذلك الفيض من المعلومات ، الذى راح يتدفق أمامها على شاشته ..

ولم يعترض (طارق) لحظة واحدة على ما تفعله ..

بل ولم ينبس ببنت شفة ..

أما هى ، فقد غرقت حتى أذنيها فى التهام كل تلك المعلومات ..

معلومات شتى ، فى عدة اتجاهات ، ترتبط كلها بفرعين كبيرين من فروع العلم ..

الفلك ..

والفضاء ..

وبينما انهمكت بكيانها كله مع تلك المعلومات ، قال (طارق) فجأة :

- هل وجدت ما يهمك ؟!

انتفض جسدها فى عنف ، وكأنها قد نسيت وجوده تمامًا ، والتفتت إليه فى حركة حادة ، وقالت وقلبها يخفق فى قوة :

- ماذا تعنى ؟! إننى أتصفح ما لديك من معلومات فحسب !

أطلق ضحكة قصيرة ، ثم أخرج من جيبه قرصًا ليزريًا صغيرًا ، وهو يقول :

- ما أردت أن أقوله هو أن كل معلوماتى الخاصة أحتفظ بها هنا .. على هذا القرص ، الذى يسع مائة جيجابيت من المعلومات المركزة .

تعلق بصرها بالقرص الليزرى فى لهفة ، و(طارق) يتابع فى صوت عميق :

- انظرى إليه جيدًا .. إنه يحوى كل ما تسعين إلى معرفته .. انظرى إليه بكل تركيز .

تألق القرص فجأة ، وانعكس الضوء على عينيها ، فشهقت فى قوة ، وقفزت إلى الخلف ، و ....

ولكن مهلاً ..

إن الشهقة لم تنطلق من بين شفتيها ، وجسدها لم يتحرك قيد أنمله ، إلى الأمام أو إلى الخلف ..

لقد شهقت فى أعماقها ، ووثبت داخل جسدها ..

شىء ما ، جعل خلاياها كلها تتجمد داخلها ..

شىء ما يجعلها تهوى فى بئر عميقة ..

عميقة ..

عميقة ..

شيء ما يخترق عقلها ..

وذهنها ..

وكيانها كله ..

ومرة أخرى ، انتفض جسدها في عنف شديد ..

واتسعت عيناها في رعب ..

رعب جعلها تطلق صرخة ..

صرخة ارتجَّ لها جسدها ..

بل وجودها ..

كله ..

★ ★ ★

عندما انطلقت صرخة (نشوى) ، كان (أكرم) على مسافة عشرة أمتار فحسب من المنزل ..

ولقد اخترقت الصرخة أذنيه ..

وعقله ..

ومشاعره ..

وبكل الانفعالات ، التي تموج بها نفسه ، صرخ :

ـ يا للوغد ! لقد جرؤ .. لقد جرؤ ..

واندفع نحو المنزل ، وصوَّب مسدسه إلى رتاجه الإليكتروني ، و ....

وفجأة ، فتح (طارق) باب المنزل ، وبدا هادئًا ساخرًا ، وهو يلقي نظرة لا مبالية على المسدس ، قائلاً :

ـ (أكرم)؟! يا لها من مفاجأة !

باغتت تلك المبادرة الجريئة (أكرم) ، وأربكته لحظة ، حدَّق خلالها في وجه (طارق) ذاهلاً ، ثم لم يلبث أن استعاد حدة طباعه ، وانقضَّ على هذا الأخير ، ملوِّحًا بالمسدس في وجهه ، وصائحًا في غضب صارم :

ـ أين (نشوى) ؟

ارتفع حاجبا (طارق) في دهشة ساخرة ، وهو يقول :

ـ (نشوى) ؟!

صاح (أكرم) في غضب هادر :

ـ نعم .. (نشوى) أيها الوغد .. أين هي ؟! لقد رأيتها بنفسي ، وهي تدخل إلى منزلك ، و ...

« أنا هنا يا (أكرم) .. »

اخترق صوتها أذنيه بغتة ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يدير عينيه إلى خلف كتف (طارق) ،

حيث بدت (نشوى) هادئة مبتسمة ، تقول فى شىء من المرح :

- ما الداعى لكل هذا ؟! هل أصبحت زيارة (طارق) محظورة أم ماذا ؟!

حدّق فى وجهها لحظة فى ذهول ، ثم أزاح (طارق) عن طريقه ، واندفع نحو (نشوى) ، وأمسك كتفيها ، يسألها فى توتر :

- (نشوى) .. أأنت بخير ؟!

أبعدت يده عن كتفها ، مجيبة :

- بالطبع يا (أكرم) .. مسدسك فقط يؤلمنى ، ولكننى بخير حال بالتأكيد .. لماذا تلقى هذا السؤال ؟!

نطقت سؤالها الأخير فى حيرة حقيقية ، وكأنها لا تدرى بالفعل ماذا أتى بـ (أكرم) ، الذى تطلّع إليها فى دهشة واستنكار ، ثم التفت إلى (طارق) ، وعاد يلوّح بمسدسه فى وجهه ، صائحًا :

- ماذا فعلت بها أيها الوغد ؟!

انعقد حاجبا (طارق) ، وهو يشير إليها ، قائلاً :

- ها هى ذى أمامك .. يمكنك أن تسألها بنفسك .

هتفت (نشوى) فى استنكار :

- (أكرم) .. ماذا أصابك ؟!

صاح بها فى حدة :

- بل ماذا أصابك أنت يا (نشوى) ؟! ما الذى فعله بك هذا الوغد ؟!

انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تقول :

- (أكرم) .. لقد تجاوزت حدودك بالفعل .

وعدّل (طارق) منظاره فوق عينيه ، قائلاً فى برود مستفز :

- هذا ما أردت قوله أنا أيضًا ..

استدار إليه (أكرم) مرة أخرى كأسد ثائر ، وصاح ، وهو يلصق فوهة مسدسه بعنقه ، صائحًا :

- لا تحاول يا (طارق) .. لا تحاول .. لست أدرى ما الذى فعلته بها ، ولكنك لن تنجح أبدًا فى فعل الشىء نفسه معى ، فعند أوّل شعور بالشك ، سأطلق النار على رأسك مباشرة ، و ....

قبل أن يكمل عبارته ، تحرّك (طارق) فجأة بسرعة مدهشة ، فمال جانبًا ، وارتفعت يده لتقبض على معصم (أكرم) بأصابع من فولاذ ، ثم لواه فى سرعة وقوة مدهشتين ، جعلتا (أكرم) يطلق شهقة

قوية ، ويفلت مسدسه مضطرًا ، فركله (طارق) فى مهارة ، قبل أن يبلغ الأرض ، ثم وثب يلتقطه فى الهواء ، ويغرس فوهته فى عنق (أكرم) ، قائلاً فى سخرية هادئة :

ـ معذرة .. لم أنتبه جيدًا إلى حديثك .. ماذا كنت تقول بالضبط يا عزيزى (أكرم) .

احتقن وجه (أكرم) فى شدة ، فى حين هتفت (نشوى) :

ـ ماذا أصابك يا (أكرم) ؟! لماذا تفعل كل هذا ؟!

هتف بها فى حدة :

ـ بل ماذا أصابك أنت يا (نشوى) ؟! هل نسيت لماذا أتينا إلى هنا ، وما الذى كنا نفعله ؟!

ارتجَّ جسدها فى عنف ، واتسعت عيناها على نحو عجيب ، وهى تقول :

ـ ماذا كنا نفعل هنا ؟!

ثم أدارت عينيها فى المكان فى شرود ، مغمغمة :

ـ نعم .. ماذا كنا نفعل هنا ؟!

تقارب حاجبا (طارق) فى شىء من القلق ، وهو يتطلَّع إليها فى توتر ، فى حين انتهز (أكرم)

الفرصة ، فدفع قدمه إلى الخلف بكل قوته ، وركل قصبة ساق (طارق) فى عنف ، ثم أفلت معصمه من يده ، وانحنى فى خفة ، وهو يدور حول نفسه ، ليلكم (طارق) فى معدته لكمة كالقنبلة ، ثم يعتدل بحركة سريعة ، ويهوى على فكه بلكمة أخرى ساحقة ، تراجع معها (طارق) فى عنف ، حتى ارتطم ظهره بالباب ، وطار منظاره من فوق أنفه ، وسقط أرضًا ، فسحقه (أكرم) بقدمه وهو ينقضّ عليه مرة أخرى ، ويهوى على فكه بلكمة ثالثة ، صائحًا :

ـ لن تربح أبدًا أيها الـ ...

استقبل (طارق) قبضة (أكرم) فى راحته ، وهو يعتدل ، قائلاً فى صرامة :

ـ هذا ما تتصوَّره .

شعر (أكرم) بألم شديد فى قبضته ، وكأنما سقطت بين كلابتين من الصلب ، وسرت تلك الآلام فى جسده كله ، عندما ضغط (طارق) قبضته ، ولواها فى قوة ، وهو يواصل بنفس الصرامة :

ـ قتال الشوارع الذى تجيده هذا ، قد يصلح فى مواجهة وحشية ، مع بعض المجرمين أو حثالة اللصوص ، ولكنه لن يصلح لقتال شخص مثلى .

هتف (أكرم) فى ألم :

ـ هناك أمر نسيت أن أبلغك إياه .

وانزلق بجسده فجأة ، بين ساقى (طارق) ، ثم وثبت قدمه اليسرى ، تركل هذا الأخير فى عموده الفقرى مباشرة ، وتدفعه إلى الأمام ، لتستقبله قبضة (أكرم) اليسرى ، وهو يهتف مكملاً :

ـ لقد تلقيت بعض التدريبات الإضافية ، عندما التحقت بالمخابرات العلمية .

اتسعت عينا (نشوى) فى ارتياع ، وهى تتابع قتالهما العنيف ..

وراحت عشرات المشاهد تتصارع فى عقلها المرتبك ، على نحو فجّر فى أعماقها رغبة عارمة فى البكاء ، وهى تردّد :

ـ رباه ! ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

كانت لكمات وضربات (أكرم) عنيفة وقوية للغاية ، ولكن (طارق) كان يقاتل فى مهارة مدهشة ، وعلى نحو يؤكد أنه قد تلقى تدريبات ممتازة فى هذا المضمار ، لذا فقد احتمل كل ضربات (أكرم) ، وناور فى خفة ، ثم وثب جانبًا ، متفاديًا لكمة مباشرة ،

ودار حول (أكرم) دورة بارعة للغاية ، ليحيط عنقه بساعده فى قوة ، وهو يقول :

معذرة يا (أكرم) .. أنت أجبرتنى على هذا .

حاول (أكرم) أن يقاومه هذه المرة ، واستخدم ساعديه وقدميه ، فى كل الاتجاهات الممكنة ..

ولكن (طارق) كان يتخذ الوضع الصحيح تمامًا هذه المرة ..

وكان يضغط عنق (أكرم) بساعده ، فى قوة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ودارت عينا (أكرم) فى محجريهما ، وشعر بأنه يختنق ..

ويختنق ..

ويختنق ..

ولكن فجأة ، اندفعت (نشوى) إلى الأمام ، وهى تهتف :

ـ لا .. إلا (أكرم) .

قالتها ، وهى تختطف تمثالاً ثقيلاً ، وتنقضّ على (طارق) ، الذى التفت إليها فى دهشة ، وغمغم :

ـ عجبًا ! هل ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، هوت على رأسه بضربة قوية ، فجحظت عيناه لحظة ، حدَّق خلالها فى وجهها ، ثم سقط فاقد الوعى ، وسالت الدماء من موضع إصابة رأسه فى غزارة ..

وسعل (أكرم) فى قوة ، وهو يلتفت إلى (نشوى) ، التى زاغت عيناها ، وتركت التمثال الملوَّث بالدم يسقط من يدها ، وهى تقول بلهجة أقرب إلى البكاء :

ـ ماذا يحدث هنا ؟! ماذا يحدث ؟!

تردَّد سؤالها فى المكان ، حاملاً معه طنًا من الغموض ، الذى يحيط بالشاب ، الذى سقط فاقد الوعى أرضًا ، والدماء تحيط برأسه ..

ذلك الشاب ، الذى يحمل فى أعماقه الكثير من الأسرار ..

ومن الغموض .

★ ★ ★

قبل أن يتمَّ عبارته ، هوت على رأسه بضربة قوية ، فجحظت عيناه لحظة ، حدَّق خلالها فى وجهها ...

٤ ـ مَنْ ؟! ولمـــاذا ؟!

« لست أدرى ماذا حدث بالضبط !! »

بدت حيرة شديدة على وجه (نشوى) ، وهى تنطق العبارة ، فى مقر الفريق ، والجميع يتطلعون إليها فى اهتمام ، ثم هزَّت رأسها فى قوة ، قبل أن تستطرد بكلمات مرتجفة :

ـ كل شىء يبدو فى ذهنى غامضًا مرتبكًا .. إننى لا أذكر حتى أننى حاولت مع (أكرم) اقتحام منزل (طارق) فى غيابه .. حتى وجودى داخل منزله ، يبدو لى غريبًا ، غير مفهوم ..

وترقرقت عيناها بالدموع ، وهى تتطلَّع إليهم ، قائلة :

ـ ذهنى ، من هذه الناحية ، أشبه بصفحة بيضاء .. صدقونى .. لست أذكر شيئًا واحدًا مما حدث .

قالتها ، وانخرطت فى بكاء حار ، فاحتواها زوجها (رمزى) بين ذراعيه ، وربَّت عليها فى حنان ، فى حين قال (أكرم) فى غضب :

ـ يا للوغد !

أما (سلوى) ، فقد هتفت ملتاعة :

ـ ماذا أصابها يا (نور) ؟! ما الذى فعله بها (طارق) ؟!

تنهَّد (نور) فى توتر بالغ ، ثم التفت إلى (رمزى) ، يسأله :

ـ ألديك أى تفسير علمى ؟!

صمت (رمزى) لحظة ، وهو يحتويها بين ذراعيه ، ثم أجاب فى عصبية :

ـ الوقت الذى قضته (نشوى) ، داخل منزل (طارق) ، يكفى لتعرُّضها لنوع من أنواع التنويم المغنطيسى ، لمحو تلك الفترة من ذهنها تمامًا .

قالت (سلوى) فى حدة :

ـ ولكنكم أكدتم أن التنويم المغنطيسى لا يصلح ، إلا مع شخص يوافق بنفسه على الخضوع له ، وأنه من المستحيل أن يؤثِّر فى شخص ما ، على الرغم منه(*) .

أجابها فى حزم :

(*) حقيقة علمية .

- هذا ما نعرفه فى عالمنا .

هتفت به :

- إذن فأنت تؤمن مثلى بأنه ليس بشريًا ، وأنه ..

قاطعها (نور) فى صرامة :

- هذا ما ستحسمه نتائج الفحوص والاختبارات ، التى يتمَ إجراؤها عليه الآن ، داخل زنزانته الخاصة ، فى إدارة البحث العلمى .

قال (أكرم) فى عصبية :

- وهل سنجلس صامتين ، حتى ينتهى هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم صارم :

- كلاً بالطبع .

ثم التفت إلى (رمزى) ، يسأله :

- قل لى يا (رمزى) : ألا يمكنك تنويم (نشوى) مغنطيسيًا ، ودفعها إلى تذكُر تلك الدقائق ، التى امحت من ذاكرتها تمامًا ؟!

بدا الفزع على وجه (نشوى) ، وهى تقول :

- تنويم مغنطيسى ؟!

ربَت عليها (رمزى) فى حنان ، وهو يجيب (نور) :

- هذا ممكن بالطبع .. لو أنها تعاونت معنا فى هذا الشأن .

ارتجف جسدها بين ذراعيه فى قوة ، وهى تكررُ مذعورة :

- تنويم مغنطيسى ؟! ربَاه ! أأنا مضطرة لهذا ؟!

احتضنها (رمزى) فى حنان ، وهو يهمس فى أذنها :

- اطمئنى يا حبيبتى .. هذا لصالحك .. صدقينى .. هذا لصالحك بالتأكيد ..

تركت دموعها تنسكب على صدره فى صمت ، فربَت عليها مرة أخرى ، هامسًا :

- هيَا يا حبيبتى .. دعينا نتعاون معًا ؛ للوصول إلى الحقيقة ، فى هذا الأمر الغارق فى غموض الدنيا كلها ..

ظلَ جسدها يواصل ارتجافاته ، وهى تجلس فى مقعدها ، فى حين نهض هو يتطلَع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول بصوت عميق :

- استرخى يا (نشوى) .. قاومى ذلك التوتر ،

الذى يسرى فى عضلاتك كلها ، وادفعيها للاسترخاء .. لا شىء يستحق التوتر .. كل شىء على ما يرام .. كل شىء ..

ومع حديثه ، ضغط أزرار الكمبيوتر الخاص به ، فارتسمت على شاشته عدة دوائر متداخلة ، راحت تدور حول نفسها فى بطء ، وتتألق بإيقاع منتظم ، وهو يتابع بصوت يزداد عمقًا :

- إنك تشعرين الآن بتثاقل فى جفنيك ، وتراخ فى كل عضلاتك .. إنك الآن ترغبين فى النوم .. جسدك كله يسترخى ، ويسترخى ، ويسترخى ..

استرخى جسدها بالفعل ، مع كلماته الرقيقة الهامسة ، وتثاقل جفناها تدريجيًا ، ثم لم تلبث أن غرقت فى بحر من العدم ، انسابت فيه أفكارها ، وسبحت فى سماء صافية خاوية ، لا تسمع فيها سوى صوت (رمزى) العميق ، وهو يسألها :

- لقد خرجت صباح اليوم مع (أكرم) ، للقيام بمهمة خاصة محدودة .. هل تذكرين شيئًا عنها ؟!

ظلت صامتة بضع لحظات ، تطلع الجميع خلالها إليها فى لهفة وترقب ، حتى قالت بصوت خافت هادئ :

- نعم .. كان علينا أن نتسلل إلى منزل (طارق) ، بعد استدعاء أبى له ، حتى نبحث عن أى شىء ، يمكن أن يحلّ بعض الغموض ، الذى يحيط به .

هتف (أكرم) فى ارتياح :

- عظيم .. إنها تتذكر .

أشار إليه (رمزى) بالصمت ، وهو يسألها :

- وماذا حدث عند منزل (طارق) ؟

أجابته فى هدوء :

- لقد حللنا شفرة الدخول الرئيسية ، بعد أن تسللنا إليها من نافذة خلفية ، وكدنا نتجاوز شبكة خيوط الليزر ، ولكن دورية الشرطة لمحتنا ، وألقت القبض علينا ، متصورة أننا مجرد لصين ، يحاولان سرقة المنزل ، إلا أن الدكتور (ناظم) أخرجنا من هناك ، وعاد بنا إلى منزل (طارق) ، لكى نعيد تشغيل جهاز الإنذار ، قبل عودته .

تنهد (أكرم) ، مغمغمًا فى حماس :

- ألم أقل لكم ؟! لقد تجاوزنا ما فعله بها هذا الوغد .. لقد استعادت ذاكرتها .

قال (نور) فى صرامة :

- اصمت يا (أكرم) ، حتى يكتمل الأمر .

ورمقه (رمزى) بنظرة صارمة أخرى ، فلوّح بكفيه ، قائلاً فى عصبية :

- لا بأس .. لا بأس .. سألوذ بالصمت تمامًا .

عاد (رمزى) يلتفت إلى زوجته ، ويسألها فى اهتمام :

- وماذا حدث بعدها ؟!

صمتت طويلاً هذه المرة ، وبدا وكأنها تعتصر ذهنها فى صعوبة ، قبل أن تتمتم فى بطء :

- وصل (طارق) .

سألها فى لهفة :

- ثم ماذا ؟!

كانت غارقة تمامًا فى بحر التنويم المغنطيسى ، ولكن الحيرة والتوتر ارتسما على وجهها فى وضوح ، وهى تغمغم :

- هناك ضوء .. ضوء ساطع .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وبدا الاهتمام الشديد على وجه (نور) ، فى حين ضمّت (سلوى) قبضتها إلى بعضهما ، وهى تتمتم ببعض الآيات

القرآنية ، و (رمزى) يسأل (نشوى) فى عمق أكثر وأكثر :

- أى ضوء ساطع ؟!

ارتبكت ملامحها أكثر وأكثر ، وراحت تهزّ رأسها فى بطء ، قائلة فى صعوبة :

- الفضاء .. مواقع النجوم .. تمدّد الكون .. كل المعلومات على قرص واحد .. مائة جيجا بايت .. الضوء .. الضوء .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، ثم كرّر (رمزى) سؤاله فى حزم :

- أى ضوء يا (نشوى) ؟!

اهتزّ رأسها فى قوة أكبر ، وهى تهتف :

- الضوء يسطع بشدة .. إنه يؤذى عينىَّ ، ويخترق مخى ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، ثم أطلقت صرخة قوية ، انخلع لها قلب أمها ، فاندفعت نحوها ، هاتفة فى ارتياع :

- ابنتى ! ماذا أصابك ! ماذا فعل بك (طارق) ؟!

اعترض (رمزى) طريقها ، قائلاً فى صرامة :

- إياك أن تلمسيها .

تجمَّدت (سلوى) فى مكانها ، والارتياع يسرى فى كل خليةَ من جسدها ، فى حين التفت (رمزى) إلى (نشوى) ، قائلاً :

- لقد انتهى كل شىء يا (نشوى) .. لم يعد هناك ضوء أو ألم .. كل شىء على ما يرام .. هيَّا .. ستستيقظين عندما أطرقع سبَّابتى وإبهامى .. هيَّا .

قرن القول بالفعل ، فانتفض جسدها فى عنف ، واتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تديرهما فى وجوههم ، قائلة :

- ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

اندفعت (سلوى) تحتويها بين ذراعيها ، فى حين غمغم (أكرم) فى غضب :

- يا للوغد !

أما (نور) ، فقد زوى ما بين حاجبيه ، وهو يتمتم :

- تُرى من أنت بالضبط يا (طارق) ؟! وأيةَ أسرار تخفى فى جعبتك ؟!

نطقها ، وعقله يتبنى فكرة (سلوى) ، ويردِّد فى أعماقه سؤالاً آخر ، لم يجرؤ على نقله إلى لسانه ..

- تُرى أبَشَرى أنت يا (طارق) أم ...... ؟!

وسرت فى جسده قشعريرة باردة عنيفةَ مع السؤال ..

ولكن حتى مع تلك القشعريرة ، لم يتمكَّن عقله من العثور على جواب منطقى للسؤال ، يمكن أن يشبع به كيانه ..

وظلَّ السؤال يتردَّد فى أعماقه بمنتهى العنف ..

هل (طارق) مخلوق من كوكب آخر بالفعل ؟!

هل ؟!

* * *

« إنه بَشَرى يا (نور) .. »

نطق الدكتور (حجازى) العبارة فى ثقةَ حازمة ، وهو يلوِّح بالملف ، الذى يحوى كل التقارير الطبية ، ونتائج فحص واختبار (طارق) ، ثم ألقى الملف أمام (نور) ، مستطردًا :

- بَشَرى ، يسير كل شىء فيه على نحو طبيعى تمامًا ، وفصيلةَ دمه (و) سالب ، مثل أكثر من عشرين مليونًا من البَشَر ، فى كل أنحاء الأرض .

هتفت (سلوى) مبهوتة :

- ولكن هذا مستحيل !

التفت إليها الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، وهو يقول مستنكرًا :

- ولماذا مستحيل ! الشاب يبدو لى طبيعيًا للغاية ، ومتعاونًا أيضًا إلى حد كبير ، ولقد استغرق فى الضحك ، عندما أدرك أننا نحاول التأكُّد من بَشَريته ، ولم يعترض على أى اختبار نجريه !

سأله (أكرم) فى عصبية :

- هل تأكَّدتم من أنه بَشَرى عادى ؟!

تنهَّد الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

- الأمر ليس بالصعوبة التى تتصوَّرونها ، فيكفى أن نفحص ضفيرته الجينية ، لنتأكَّد من أنه بَشَرى ..

وأدار عينيه فى وجوههم ، قبل أن يستطرد فى حيرة :

- لست أدرى فى الواقع ، لماذا تصوَّرتم أنه ليس كذلك !!

غمغم (نور) فى حزم :

- كانت لدينا أسبابنا يا دكتور (حجازى) .

تطلَّع إليه الدكتور (حجازى) لحظة فى صمت ، ثم لوَّح بيده ، قائلاً :

- فليكن .. هذا شأنكم .

وأضاف فى صرامة :

- ولكن الشاب بَشَرى حتى النخاع ، وهذا ما اتفق عليه كل من شاركوا فى فحصه ، دون أدنى اعتراض أو شك .

قالت (سلوى) فى سرعة :

- ألا يمكن أن يكون قد جاء من كوكب مماثل للأرض ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، عندما نطقت عبارتها ، فى حين ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يجيب :

- وما الذى يمنع ، والحال هكذا ، أن يكون أيًا منا كذلك ؟!

ارتبكت ، قائلة :

- إنه مجرَّد اقتراح .

مال الدكتور (حجازى) نحوها ، وقال بابتسامة مشفقة :

- إنه بَشَرى يا (سلوى) .. بَشَرى .. ألقى عن نظرك أية احتمالات مضحكة أخرى ..

هزت (نشوى) رأسها ، مغمغمة فى حيرة متوترة :

- من يكون إذن ؟!

أجابها (أكرم) فى صرامة :

- أحد الأوغاد ، الذين يموج بهم عالمنا .

مط (رمزى) شفتيه ، على نحو يوحى بأن العبارة لم ترق له ، فى حين بدا (نور) مستغرقًا فى التفكير ، فى عمق شديد ، فاعتدل الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

- لست أدرى ما الذى يقلقكم بالضبط ، ولكننى أردت إبلاغكم الأمر بنفسى ، حتى أجيب أية أسئلة ، يمكن أن تخطر لكم .

وأدار عينيه فى وجوههم ، مستطردًا :

- هه .. ألديكم أية أسئلة ؟!

التفت إليه (نور) بغتة ، قائلاً فى حزم :

- ما الذى عثرتم عليه أيضًا ، بخلاف كونه بشريًا عاديًا ؟!

ارتسمت ابتسامة إعجاب على شفتى الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- كنت أترقب سؤالك هذا يا (نور) .

ثم تسلل إلى صوته حماس مباغت ، مع استطرادته :

- هناك أمران جديران بالاهتمام ، بالنسبة لعملية الفحص هذه .. أو ثلاثة أمور على وجه الدقة .. الأمر الأول هو أنه ليس بحاجة إلى منظار طبى بالفعل ، فهو يتمتع بنظر سليم حاد ، والأمر الثانى هو أنه قد أجرى عملية زرع لأحد ضروسه التالفة من قبل .

قال (أكرم) مستنكرًا :

- وما المثير فى هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- إن عملية الزرع هذه قد استخدمت ضرسًا طبيعيًا ، وليس مجرد تركيبة صناعية ، كما يحدث فى أيامنا هذه ، ولقد تم توصيل الأعصاب والأوعية الدموية الدقيقة إليه ، على نحو لا يمكن أن يحدث ، إلا لو استخدم جراح الأسنان أجهزة ميكروسكوبية بالغة الدقة .

سأله (نور) فى اهتمام :

- أليست لدينا مثل هذه الأجهزة .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- هذا صحيح ، ولكننا لم نعثر على سجل جراحى

لمثل هذه العملية ، فى أى مكان فى العالم أجمع ، بالإضافة إلى أن جراحاتنا الميكروسكوبية كلها تستطيع التعامل مع الأوعية الدقيقة ، إلا أنها غير قادرة على إعادة الحياة لعصب تالف .

هتف (رمزى) مبهورًا :

- هل تعنى أن .....

قاطعه الدكتور (حجازى) فى حماس :

- نعم .. يا (رمزى) .. لقد أجرى الشاب جراحة بالغة الدقة والبراعة ، لزرع ضرس طبيعى ، فى موضع ضرسه التالف ، وإعادة الحياة للعصب الخاص بالضرس القديم أيضًا .

هتفت (سلوى) :

- ألا يثبت هذا أنه قد جاء من كوكب آخر ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

- أو يثبت أنه يتعامل مع جرّاح أسنان عبقرى ، يجرى عليه بعض التجارب العلمية ، قبل طرح نظرية جراحية جديدة فحسب .

قالت فى إصرار :

- هذا لا يمكن أن يقنعنى أبدًا .

أشار إليها (نور) بالصمت ، وهو يقول للدكتور (حجازى) :

- وما الأمر الثالث ؟!

بدا الاهتمام الشديد على وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يجيب :

- عندما أجرينا فحصًا كاملاً لعينة دمه ، كان كل شىء طبيعيًا للغاية ، فيما عدا وجود مادة غير معروفة ، بنسبة ضئيلة للغاية .

جذبت العبارة اهتمامهم جميعًا ، وسأل (رمزى) :

- مادة غير معروفة ؟! أهى نوع من العقاقير المجهولة أم ماذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- بل هو شىء أشبه بالأمصال الواقية ؛ فهو يحفز جهاز المناعة ، ويساعد على سرعة التئام الجروح ، وامتصاص الكدمات والأورام .

ثم التفت إلى (نور) مستطردًا فى حماس :

- إنه يمكن أن يداوى إصابتك يا (نور) .

تبادل (نور) نظرة سريعة مع رفاقه ، قبل أن يقول :

- الواقع يا دكتور (حجازى) أن ما توصلتم إليه ، يزيد من غموض الموقف .

قالت (سلوى) فى عناد :

- مازلت أصرّ على أنه من كوكب آخر .

قال (رمزى) فى سرعة :

- أو من أحد العوالم الموازية .

هزّ (نور) رأسه فى قوة ، قائلاً فى صرامة :

- ليس بعد يا رفاق .. ليس بعد .. هناك أمران ينبغى فعلهما أولاً ، قبل أن نقفز إلى أى استنتاج .

سأله (أكرم) :

- وما هما ؟!

أجابه فى حزم :

- أولهما أن تعود أنت و (نشوى) ومعكما (سلوى) ، إلى منزل (طارق) ، لفحص كل ما يمكن فحصه هناك .. أريد منكم أن تستخلصوا كل النتائج الممكنة .

سألته (سلوى) فى قلق :

- وماذا عن الأمر الثانى ؟!

صمت لحظة ، ثم التقى حاجباه فى شدة ، وهو يجيب :

- أن ألتقى بـ (طارق) .. شخصيًا .

قالها ، فهوى على المكان صمت مطبق ..

صمت ثقيل ..

ومهيب ..

★ ★ ★

تهلّلت أسارير (طارق) ، وارتسمت على وجهه علامات سعادة حقيقية ، وهو يدلف إلى حجرة الاستجواب ، التى يجلس داخلها (نور) و(رمزى) ، وهتف مبتسمًا :

- (نور) .. (رمزى) .. لا يمكنكما أن تتصوّرا مدى سعادتى لرؤيتكما .

نهض (نور) يصافحه ، قائلاً بابتسامة هادئة :

- نحن أيضًا سعيدان برؤيتك يا (طارق) .

ارتفع حاجبا (طارق) ، وهو يقول :

- آه .. إنك تقف على قدميك أيها القائد .. رائع .. أراهن على أنهم قد عالجوك بمصل (التريبولا) ، الذى استخرجوه من دمى .. أليس كذلك ؟!

وأطلق ضحكة قصيرة ، مستطردًا :

- أنا الذى أرشدتهم إلى فوائده ، من أجلك فقط

أيها القائد ، ولولا أننى أخبرتهم ، لاحتاجوا إلى عام على الأقل ، قبل أن يتوصلوا إلى طبيعته .

تمتم (نور) :

ـ بالتأكيد .

جلس (طارق) على المقعد المقابل له ، وهو يسأل فى لهفة :

ـ كيف حال (أكرم) و(نشوى) ؟! كيف حال الفريق كله ؟!

سأله (رمزى) فى صرامة :

ـ ما الذى فعلته بـ (نشوى) يا (طارق) ؟!

تخضَّب وجه (طارق) بخجل طبيعى ، وهو يقول :

ـ معذرة يا (رمزى) .. لم أقصد الإساءة إليها بالتأكيد ، ولكنها أصيبت بالفزع ، ولست أدرى لماذا !

كرَّر (رمزى) فى حدة :

ـ ما الذى فعلته بها يا (طارق) ؟!

أشار إليه (طارق) بيده ، قائلاً :

ـ لا تجعل هذا يقلقك .. إنها مسألة وقت فحسب ، وستستعيد ذاكرتها كلها دفعة واحدة .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ ولماذا أفقدتها الذاكرة ؟!

التفت إليه (طارق) فى بطء ، وقال :

ـ كنت أعتقد أن الأمر قد انتهى ، وأننى مضطر للرحيل بأقصى سرعة .

وتنهَّد مستطردًا :

ـ صدقنى يا (نور) .. كل ما كنت أحتاج إليه هو الوقت .. الوقت فحسب .. إننى لم أحاول إيذاء أحد .. صدقنى .

تبادل (نور) و (رمزى) نظرة صامتة ، قبل أن يخرج الأخير من حقيبته الصورتين والرسوم الثلاثة ، ويضعها كلها أمام (طارق) ، قائلاً :

ـ هل يمكنك تفسير هذا ؟!

اعتدل (طارق) يتطلَّع إلى الصور فى اهتمام ، ثم تراجع ، قائلاً فى هدوء :

ـ هل يمكنك أنت ؟

لوَّح (رمزى) بسبَّابته فى وجهه ، قائلاً فى صرامة :

ـ اسمع يا (طارق) .. إما أن تتعاون معنا ، أو تبقى سجينًا إلى الأبد .

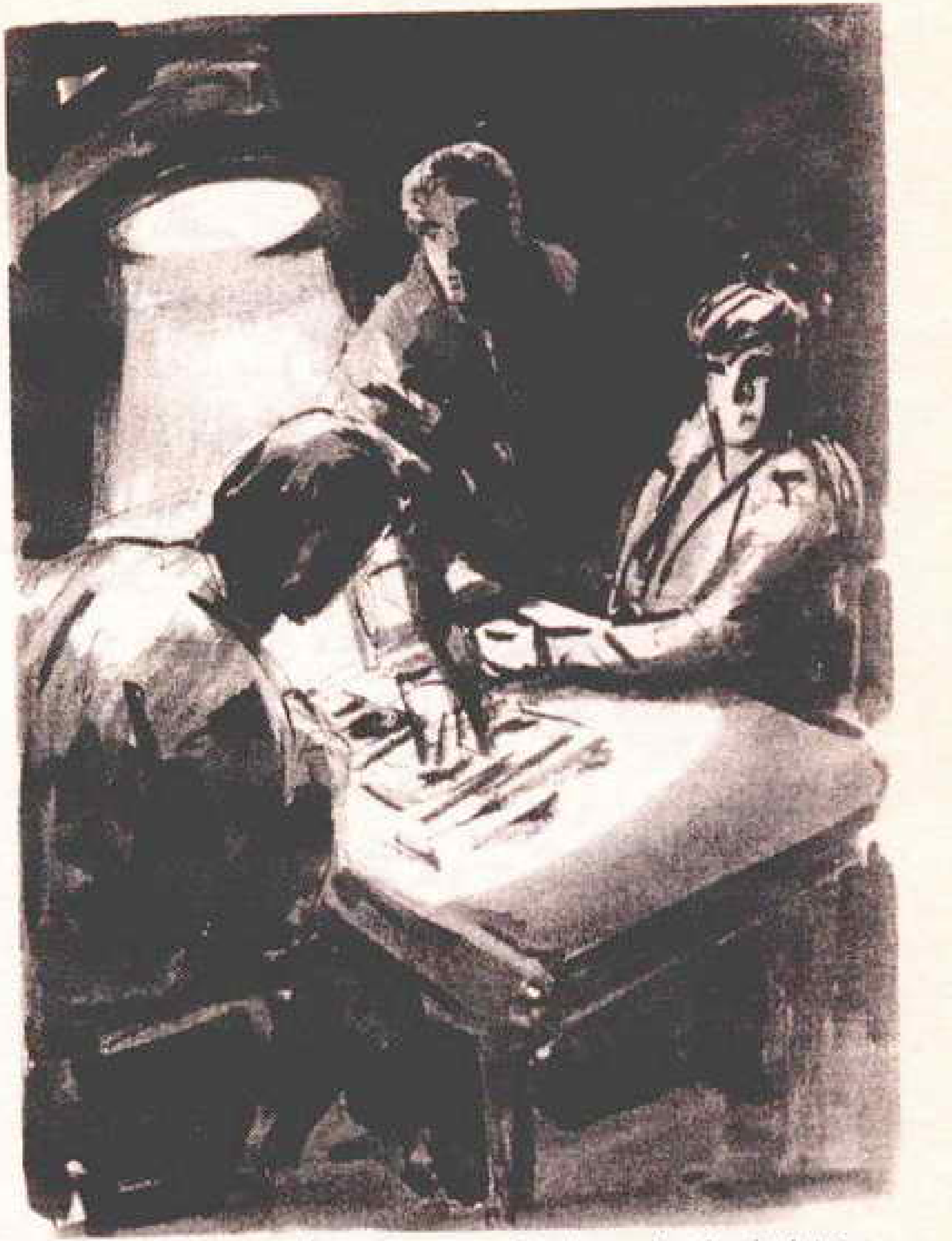

تبادل (نور) و (رمزى) نظرة صامتة ، قبل أن يخرج الأخير من حقيبته الصورتين والرسوم الثلاثة ، ويضعها كلها أمام (طارق) ..

سأله (طارق) فى سرعة :

- بأيةَ تهمةَ ؟!

تراجع (رمزى) ، مغمغمًا فى توتر :

- ماذا تعنى ؟!

قال (طارق) بابتسامة واثقة :

- إننى لم أرتكب أيةَ جريمةَ تستوجب العقاب لأكثر من عام واحد .. هذا لو اعتبرنا ما فعلته مع سجلات الكمبيوتر جريمةَ تزوير .

قال (نور) فى هدوء :

- إنه كذلك ؟!

أشار (طارق) بيده ، قائلاً :

- هذا لو أمكنكم إثبات حدوث التزوير أولاً .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى ثقة ساخرة :

- فسأصرّ على أننى (طارق) ، وعلى أن أوراقى وسجلاتى كلها سليمة ، وسيكون عليهم تقديم ما يثبت العكس .. أليس كذلك ؟!

قال (رمزى) فى حدة :

- سترشدهم بصماتك إلى هويتك الحقيقية .

هزّ (طارق) كتفيه ، قائلاً :

- سيدهشنى فى الواقع أن يحدث هذا .

سأله (رمزى) فى خبث :

- أتعنى أن بصمات أصابعك ، وسجلات أسنانك ، وحتى تركيبك الجينى ، لا يمكن أن تقودنا إلى شىء محدود ؟! قل لى يا رجل : ألا يعنى هذا أنه ليس لك وجود حقيقى هنا ؟!

تطلع إليه (طارق) لحظة بنظرة ساخرة ، ثم قال :

- اطمئن يا عزيزى (رمزى) .. إننى بشرى مثلك ، ولست كائنًا من عالم آخر ، أو ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

- أو من زمن آخر ؟!

التقى حاجبا (طارق) فى شدة ، وهو يلتفت إليه فى بطء ، حتى التقت عيونهما ، فقال (نور) فى حزم صارم :

- إلى أى زمن تنتمى يا (طارق) ؟!

تطلع (رمزى) إلى (نور) فى دهشة ، فى حين ظلّ (طارق) صامتًا لبعض الوقت ، قبل أن يقول فى بطء :

- أنت عبقرى بالفعل يا (نور) .. صدقنى .. أنا شديد الإعجاب بك .

تمتم (رمزى) مبهورًا :

- يا إلهى ! يا إلهى !

التفت إليه (طارق) ، قائلاً :

- لا تندهش كثيرًا يا عزيزى (رمزى) .. لهذا يستحق (نور) عن جدارة قيادة الفريق .. لقد توصل إلى الاستنتاج الصحيح بعبقرية فريدة .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

- أنا لا أنتمى بالفعل لزمنكم هذا .

حدّق (رمزى) فيه ذاهلاً ، قبل أن يهتف :

- ربّاه ! كيف أمكنك استنتاج هذا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى خفوت :

- كان هذا هو التفسير المنطقى الوحيد ، على الرغم من غرابته ، فموقف (طارق) ، والظروف المحيطة به ، كانت تطرح ثلاث احتمالات لا غير ، فإما أن يكون مخلوقًا من كوكب آخر ، يتمتّع بدورة حياة فائقة الطول ، تتيح له التواجد فى عالمنا ، منذ آلاف السنين ، أو أنه أحد سكان عالم مواز ، أو مماثل للأرض ، انتقل بوسيلة ما إلى عالمنا ، أو أنه بَشَرى مثلنا ، ينتمى إلى كوكب الأرض الذى نعرفه ، ولكنه

يمتلك القدرة على السفر عَبْر الزمن ، لتظهر صوره ورسومه فى أزمنة شتى عَبْر التاريخ .

مال (طارق) نحوه ، يسأله فى اهتمام بالغ :

ـ ولماذا استبعدت الاحتمالين ، الأوَّل والثانى ؟!

أجابه فى هدوء :

ـ تقارير الفحص أكَّدت أنك تتمتَّع بجسد بَشَرى مثلنا ، له نفس مواصفات وقدرات أجسادنا ، وهذا يعنى أنك تمتلك دورة حياة مماثلة لنا ، وهذا يجعل الأمر محصورًا بين الاحتمالين ، الثانى والثالث .. ولكن الصورتين والرسوم كانت تشير إلى تواجدك فى عصور مختلفة ، كما أن ذلك العقَّار ، الذى عثروا عليه فى دمك ، كان أشبه بأمصال التطعيم ضد الأمراض ، التى يحصل عليها أولئك الذين يسافرون إلى مناطق بعيدة وغير مألوفة ، لتقيهم من الإصابة بأية أمراض غير متوقَّعة ، ثم إن كونك من عالم موازٍ ، لا يفسر سفرك المستمر عَبْر عدة عصور ، تنتمى كلها إلى عالمنا .

وتراجع فى مقعده ، وهو يلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ باختصار ، لم يكن من الممكن أن تنطبق كل الأمور ، إلا مع احتمال واحد ، هو أنك مسافر عَبْر الزمن ، استقرَّ مؤقَّتًا فى زمننا هذا .

ران عليهم الصمت بضع لحظات ، عندما انتهى (نور) من عبارته ، ثم لم يلبث (طارق) أن قطع هذا الصمت ، وهو يصفق بكفيه فى بطء ، قائلاً :

ـ عظيم يا (نور) .. عظيم .

شهق (رمزى) ، مردِّدًا :

ـ يا إلهى ! من كان يتصوَّر هذا ؟! من كان يتصوَّر هذا ؟!

أشار (طارق) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ ولكن هناك خطأ واحد .

التقى حاجبا (نور) فى تساؤل ، فى حين قال (رمزى) فى دهشة :

ـ خطأ واحد ؟!

أجاب (طارق) فى حسم :

ـ نعم .. خطأ واحد فى استنتاج المقدَّم (نور) بأكمله ، وهو أننى ، عندما تم حقنى بالمصل ، وعندما بدأت رحلتى الطويلة ، لم يكن فى ذهنى ،

أو فى ذهن أى شخص آخر ، أننى سأنطلق عَبْر الزمن ، طوال كل هذه السنين .

سأله (نور) فى اهتمام حذر :

ـ ما الذى تعنيه بالضبط يا (طارق) ؟!

أجابه (طارق) فى حزم :

ـ أعنى أن رحلتى الطويلة عَبْر الزمن ، كانت مجرَّد خطأ .. خطأ لم يمكننى إصلاحه قط .

وكانت عبارته هذه تضيف إلى القضيةَ المزيد من الحيرة والتساؤلات ، و ...

والغموض .

★ ★ ★

٥ ـ الضيــاع ..

تحسَّست (نشوى) أزرار الكمبيوتر الخاص بـ (طارق) فى حذر ، وهى تغمغم فى توتر شديد :

ـ ربَّاه ! إننى أستعيد ذاكرتى .. إننى أتذكَّر ما حدث هنا .

التفت إليها (أكرم) و (سلوى) فى لهفة ، وسألها الأوَّل فى اهتمام :

ـ ماذا حدث يا (نشوى) ؟!

أجابت فى سرعة ، وهى تتعامل مع أزرار الكمبيوتر فى انفعال :

ـ لقد أحضرنى (طارق) إلى هنا ، وطلب منى أن أفعل كل ما يحلو لى ، بجهاز الكمبيوتر هذا .

سألتها (سلوى) فى اهتمام :

ـ وهل فعلت ؟!

صمتت (نشوى) لحظة ، وهى تتطلَّع إلى شاشة الكمبيوتر ، التى تتابعت فوقها معلومات شتى ، حول

مواضع النجوم ، وحركة الأرض ، ومشاريع الفضاء ، وغيرها ، ثم أجابت فى شرود :

- بالتأكيد ..

والتفتت إليهما ، متابعة :

- لقد تركنى أحصل على كل ما أريد ، دون أدنى تدخُّل .

تطلَّع إليها (أكرم) فى توتر ، ثم قال فى حزم :

- لا يمكن أن يكون هذا كل ما حدث .. إنك لم تفقدى ذاكرتك ، لمجرَّد أنك راجعت بعض المعلومات !

طالعت (سلوى) شاشة الكمبيوتر ، وهى تقول :

- إنها ليست معلومات عادية يا (أكرم) .. إنه يدرس حركة النجوم عَبْر السنوات الخمسين الأخيرة .

سألها فى عصبية :

- وفيم يهم هذا ؟! هل ينوى العمل كقارئ طالع ، فى إحدى الصحف الهزلية ؟!

هزَّت رأسها فى قوة ، قائلة :

- اللَّه (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، لماذا يجمع كل هذه المعلومات ؟!

هتفت (نشوى) فجأة :

- القرص .

سألها (أكرم) فى لهفة :

- أى قرص ؟! إنك تردَدين هذا القول للمرة الثالثة ؟!

أجابته فى توتر شديد :

- لقد أخرج من جيبه قرصًا ليزريًا صغيرًا ، من النوع الحديث للغاية ، وأخبرنى أنه يحوى كل ما يهمه من معلومات ، عَبْر مائة جيجا بايت(*) .

هتفت (سلوى) فى دهشة :

- مائة جيجا بايت دفعةً واحدةً ، على قرص مضغوط واحد ؟! من أين أتى بشىء كهذا ؟!

ثم عقدت حاجبيها ، مضيفة فى حدة :

- ألم أقل لكم إنه من عالم آخر .

لم يعلِّق (أكرم) على عبارتها ، وهو يسأل (نشوى) فى اهتمام :

- وماذا حدث ، بعد أن رأيت ذلك القرص ؟!

(*) الوحدة الأساسية للمعلومات فى الكمبيوتر يطلق عليها اسم (بايت) (Bit) ، وهى اختصار لكلمة (Binary digits) ، و(الكيلو بايت) حوالى ألف (بايت) ، و(الميجا بايت) حوالى ألف (كيلو بايت) أما (الجيجا بايت) . فهى ما يقرب من ألف (ميجابايت) .. أى حوالى مليار (بايت) .

بدأ جسدها يرتجف ، وهى تجيب :

- أخذ يتألَّق ، ويتألَّق ، حتى غشى بصرى كله ، واخترق عقلى ، على نحو أصابنى بالذعر ، فصرخت ، وصرخت .

وشهقت فى قوة ، وهى تستعيد تلك اللحظات ، قبل أن تتابع فى خفوت وشحوب :

- ثم انتهى كل شىء .

غمغم (أكرم) ، متراجعًا :

- يا إلهى !

وقالت (سلوى) ، وهى تحتوى ابنتها بين ذراعيها فى إشفاق :

- يا إلهى ! من الواضح أنه أسلوب عنيف ، من أساليب التنويم المغنطيسى .

تلفَّت (أكرم) حوله فى توتر ، قائلاً :

- لقد كان يحاول إخفاء شىء ما هنا .

أجابته (نشوى) فى سرعة :

- إنه ذلك القرص بالتأكيد ؛ فلم يعثر أحد عليه معه قط .. لا بد أنه يخفيه فى مكان ما هنا .

سألها (أكرم) :

- ولماذا هنا بالتحديد ؟!

أجابت فى حماس :

- لأننى رأيته فى يده ، قبل أن أفقد ذاكرتى ، ثم حضرت أنت بعدها مباشرة ، وأفقدته الوعى .. إذن فالقرص ما زال هنا .

بدا عليه الضيق ، عندما أشارت إلى أنه هو الذى أفقده الوعى ، وكأنها لا تحاول جرح مشاعره ، فأشاح بوجهه ، قائلاً :

- نعم .. لا بد أنه فى مكان ما هنا .

تركهما تنهمكان فى فحص الكمبيوتر ، وكل ما يحويه من معلومات ، وراح هو يفحص المكان بعين خبير ، بحثًا عن مكان يصلح لإخفاء مثل ذلك القرص ..

ولكن كل شىء بدا له عاديًا للغاية ..

المنزل كله يبدو أشبه بمنزل عادى بسيط للغاية ، يصلح لإقامة شخص منفرد ..

ولم تكن هناك أماكن عديدة ، لإخفاء أى شىء .. أى شىء ..

إلا أن (أكرم) راح يفحص كل سنتيمتر من المكان بلا كلل أو ملل ، و ...

وفجأة ، توقف عند نقش صغير ، يزين مدفئة وهمية فى الجدار ..

كان النقش يشبه تمامًا قرينه ، عند الزاوية المقابلة للمدفأة ، إلا أنه بدا لـ (أكرم) أكثر بروزًا إلى حد ما ، فانحنى يفحصه بمنتهى الدقة ، قبل أن يهتف فى حماس :

ـ لقد عثرت عليه .

اندفعت (نشوى) و (سلوى) إليه ، والأخيرة تسأله فى لهفة :

ـ أين هو ؟!

ضغط طرف النقش فى همة ، قائلاً :

ـ هنا .

ومع ضغطته ، دار النقش حول نفسه فى بطء ، كاشفًا فجوة صغيرة ..

ولكن القرص الليزرى المضغوط لم يكن هناك ..

فقط كان النقش يخفى زرًا أحمر ، استقر فى الجدار ، وكأنما يحمل أهمية هائلة ، أو أمرًا بالغ الخطورة ، فغمغمت (نشوى) :

ـ ترى ما الذى يمكن أن يحدث ، لو ضغطنا هذا الزر ؟!

دفع (أكرم) سبابته نحو الزر ، قائلاً :

ـ هناك وسيلة واحدة لمعرفة هذا .

هتفت به (سلوى) :

ـ لا .. احترس .

ولكن سبابته كانت قد سبقت لسانها ، وضغطت الزر بالفعل .

وانتفض جسد (سلوى) فى عنف ، فى حين أطلقت (نشوى) شهقة قوية ..

ولكن شيئًا لم يحدث ..

كل شىء ظل هادئًا ، صامتًا ، ساكنًا ، حتى إن (سلوى) غمغمت :

ـ عجبًا ! ما الذى يفعله هذا الزر إذن ؟!

هز (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

ـ لو أردتما رأيى ، فهى مجرد وسيلة خداعية ، لتشتيت انتباه الباحث فحسب .

قالها ، وراح يواصل بحثه عن مخبأ القرص المضغوط ، دون أن يدرى أنه ، بضغطه ذلك الزر الأحمر ، قد أشعل فتيل حرب عنيفة ..

حرب بدأ العد التنازلى لها على الفور ..

والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم متى يمكن أن تنتهى ؟!

وكيف ؟!

★ ★ ★

مضت دقيقة كاملة من الصمت التام ، داخل حجرة الاستجواب الصغيرة ، فى إدارة البحث العلمى ، و(نور) و(رمزى) يحدقان فى وجه (طارق) فى دهشة بالغة ، قبل أن يلتقط الأوّل أنفاسه ، ويقول فى بطء :

ـ يخيّل إلىّ أننى لم أفهم عبارتك جيدًا يا (طارق) .. ما الذى تعنيه بأنك لم تكن تقصد عملية السفر عَبْر الزمن ؟

رفع (طارق) سبّابته ، قائلاً :

ـ لست أنا فحسب أيها القائد .. الجميع لم يتوقّعوا ما حدث .

ثم ضحك قائلاً :

ـ ولا تحاول ربط هذا بالمصل الواقى فى دمى ، فكل الطيارين فى زمنى يتم تطعيمهم به ، كإجراء وقائى ، وهو يدوم لسبع سنوات كاملة .

رمقه (نور) بنظرة فاحصة ، وهو يسأله :

ـ أيعنى هذا أنك قد بدأت رحلتك ، منذ أقلّ من سبع سنوات .

ضحك (طارق) ، وهو يقول :

ـ ألا يمكن لعقلك أن يتوقّف عن الاستنتاج والتفكير لحظة واحدة يا (نور) .

مال (رمزى) نحوه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ألا تلاحظ أنك تتعامل مع الأمر بسخرية شديدة ، لا تناسب الموقف كله .

هزّ (طارق) كتفيه ، قائلاً :

ـ وما المفترض أن أفعله ؟! هل أبكى أم أنهار ، أم أجثو على ركبتىّ طالبًا العفو والسماح ؟!

انعقد حاجبا (رمزى) فى غضب ، فى حين أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ أنت تعلم أن أحدًا لم ولن يطالبك بهذا يا (طارق) .. كل ما نريده منك هو بعض الأجوبة فحسب .

تطلّع إليه (طارق) لحظة ، قبل أن يقول فى هدوء :

هل تعتقد أنكم ستكتفون بهذا أيها القائد ؟!

أجابه (نور) فى سرعة وحزم :

ـ بالتأكيد .

ابتسم (طارق) فى سخرية ، قائلاً :

ـ أنت لا تفهم طبيعة العقول العلمية إذن ، فى زمنك هذا .

سأله (نور) فى حذر :

ـ ماذا تعنى ؟!

انحنى إلى الأمام ، وتطلَّع إلى عينى (نور) مباشرة ، وهو يقول :

ـ أعنى أن العلماء فى زمنكم مجرَّد عقول مفكِّرة ، لا قلوب لها .. كل ما يهمهم هو العلم فحسب ، وفى سبيل هذا ، ينتزعون من أجسادهم كل ما يمكن أن يعترض طريقهم .. الخوف .. الرحمة .. العطف .. وكل المشاعر الأخرى .

قال (نور) فى صرامة :

ـ من الواضح أن فكرتك عن العلماء متعنِّتة للغاية .

تراجع (طارق) ، قائلاً :

ـ لا تنس أننى عملت معهم ، لأكثر من خمس سنوات كاملة ، سواء فى مؤسسة الرياسة ، أو فى مركز الأبحاث العلمية هنا .

قال (رمزى) فى صرامة :

ـ لقد فعلت هذا فقط لتستولى على تلك الأسرار الفلكية والفضائية .

هزَّ (طارق) كتفيه ، وهو يقول :

ـ ربما كان لى هدف آخر .

سأله فى قسوة :

ـ مثل ماذا ؟!

بدا لحظة وكأنه سيجيب سؤال (رمزى) ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه ، وتراجع فى مقعده أكثر ، ثم قال فى حزم :

ـ أخبرنى أنت .

تطلَّع إليه (نور) لحظات فى اهتمام ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ هل تعلم أننا انطلقنا ذات مرة عَبْر الزمن ، بسبب خطأ فى تقدير الوزن والسرعة ، فى أثناء تجربة طيران جديدة(*) .

اعتدل (طارق) فى حركة حادة ، قائلاً :

(*) راجع قصة (ثقب فى التاريخ) .. المغامرة رقم (٤٣) .

- حقًا ؟!

ارتسمت ابتسامة خبيثة ، على شفتى (نور) ، وهو يقول :

- ترى هل يشبه هذا ما حدث معك ؟

صمت (طارق) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

- إلى حد مدهش .

وصمت لحظة أخرى ، ثم تراجع فى مقعده فى بطء ، وبدت عليه علامات التفكير العميق لدقيقة أو يزيد ، قبل أن يرفع عينيه إلى (نور) ، قائلاً :

- لا بأس أيها القائد .. سأروى لك قصتى كلها .

اعتدل (رمزى) فى اهتمام بالغ ، فى حين قال (نور) فى هدوء شديد :

- كلى آذان مصغية .

التقط (طارق) نفسًا عميقًا ، وقال :

- الواقع أن فكرة السفر عَبْر الزمن هذه لم تراودنى مطلقًا ، طوال حياتى كلها .. بل ولم تلق قبولاً لدى العديدين ، منذ أشارت إليها نظرية التناسب الزمكانى و (أنوفيلور) ، و ...

قاطعه (رمزى) فى دهشة :

- أتقصد نظرية النسبية لـ (ألبرت أينشتين) ؟!

صمت (طارق) لحظة ، ثم أشار إليه بسبابته ، قائلاً فى حزم :

- لو انتظرت حتى أنتهى من روايتى ، لوجدت جوابًا لكل تساؤلاتك .

تخضب وجه (رمزى) بحمرة الخجل ، وهو يغمغم :

- معذرة .

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

- لا عليك .

ثم عاد يلتفت إلى (نور) ، متابعًا :

- كما أخبرتك .. لم تكن فكرة السفر عَبْر الزمن هذه تلقى قبولاً من أحد ، حتى إنها صارت مجرد جزء من النظرية ، يتم تدريسها للطلاب ، فى المرحلة الأساسية من التعليم الأولى ، دون أن يفكر عالم واحد فى دراستها ، أو يحاول تحويلها من نظرية إلى حقيقة واقعة ، لذا فلم يحاول العلماء حتى تطبيقها ، وهم يستعدون لإجراء تجاربهم على مقاتلة حربية جديدة ..

وتنهَّد فى عمق ، قبل أن يضيف :

- وكان هذا أكبر خطأ ارتكبوه .. فى حقى بالطبع .

وهزَّ رأسه فى أسى ، ثم تابع :

- لقد تم انتخابى للقيام بتجربة الطيران الأولى ، باعتبارى أحد أفضل المقاتلين الحربيين ، وأحد أوائل روَّاد الفضاء ، فى عصر المقاتلات الفضائية ، خاصة وأن المقاتلة الجديدة كنت معدَّة لاختراق الغلاف الجوى ، والقتال فى الفضاء الخارجى .

تمتم (رمزى) مبهوتًا :

- ربَّاه ! أعتقد أننى أستطيع تخمين ما حدث .

تابع (طارق) ، وكأنه لم يسمعه :

- وعندما انطلقت بالمقاتلة الجديدة ، كانت تملأ قلبى عشرات المخاوف ، وكان عقلى يدرس عشرات الاحتمالات والمخاطر ، إلا أننى لم أفكر قط فيما حدث ، بل ولم يخطر ببالى مطلقًا أن يحدث هذا .

قال (نور) فى اهتمام :

- لقد عبرت بك المقاتلة حاجز الزمن .. أليس كذلك ؟!

لوَّح (طارق) بكفيه ، قائلاً :

- كانت مفاجأة مذهلة بالنسبة لى ، فلقد اخترقت الغلاف الجوى بمقاتلتى ، بتلك السرعة الخرافية ، متصورًا أننى سأدور حول الأرض ، وفقًا للاختبارات التماثلية الأوَّلية ، إلا أننى فوجئت بكل شىء يتغيَّر أمامى بغتة ، عندما بلغت الفضاء .. كل شىء لم يعد كما كان .. حتى الفضاء نفسه ، لم يعد له المظهر المعتاد .. لا شمس ، ولا نجوم ، أو حتى ذلك الظلام الممتدّ إلى ما لا نهاية .. فقط وجدت أمامى ساحة بيضاء شاهقة ، امتلأت بثقوب عديدة سوداء ..

غمغم (رمزى) ، وقد جذبته القصة للغاية :

- لماذا لم تعد إلى الأرض ؟!

هزَّ (طارق) رأسه ، ولوَّح بكفه ، قائلاً :

- حتى الأرض لم تعد هناك .. لقد أحاط بى ذلك الفراغ من كل جانب ، ولم تعد هناك سوى تلك الثقوب السوداء .

قال (نور) :

- ربما كان أحد هذه الثقوب هو الأرض .

ابتسم (طارق) فى مرارة ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

- هذا ما تصوَّرته ، وما جعلنى أدور بالمقاتلة ، ثم أنطلق نحو أقرب ثقب أسود إلىَّ .

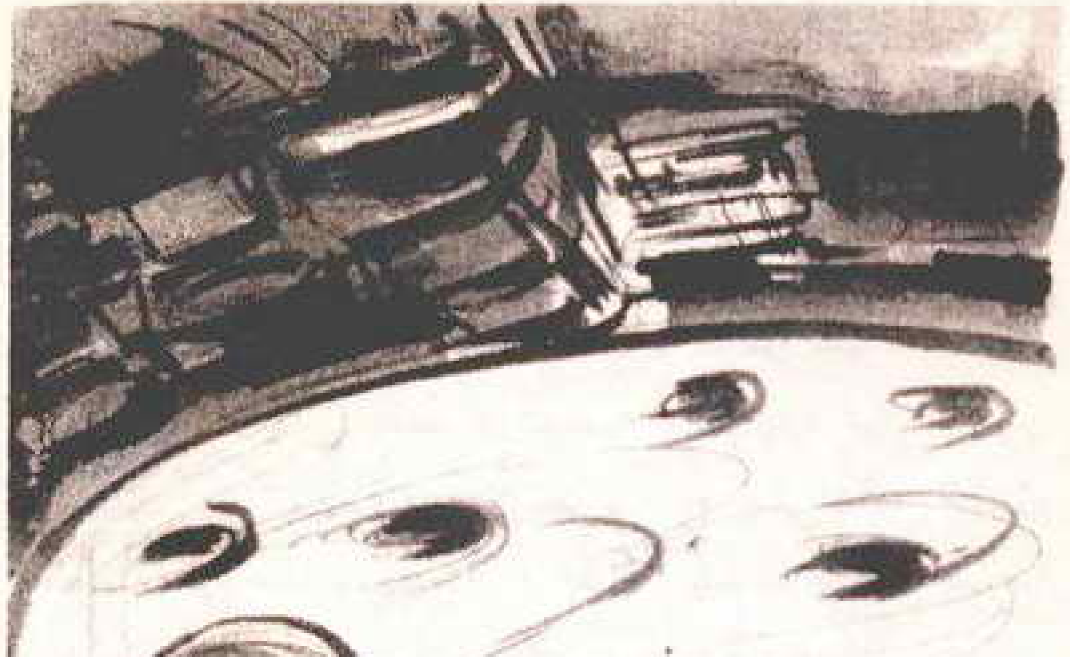

فقط وجدت أمامى ساحة بيضاء شاهقة ، امتلأت بثقوب عديدة سوداء

التقط نفسًا عميقًا آخر ، وكأنما يحاول السيطرة على أعصابه ، وهو يستعيد تلك الذكريات المؤلمة ، قبل أن يتابع :

ـ وما إن اخترقت ذلك الثقب الأسود ، حتى تفجَّرت حولى عاصفة عاتية من الألوان والأصوات ، ورأيت الشمس تشرق وتغيب فى تعاقب مدهش ، فائق السرعة ، مما أصابنى بالذعر ، وجعلنى أتساءل عما يحدث من حولى ، و ...

صمت بغتة ، ثم مسح شفتيه ، واستطرد فى انفعال :

ـ وفجأة ، وجدت الأرض أمامى ثانية .. نفس الأرض التى أعرفها ، ببحارها وقاراتها ، ووديانها .. وشعرت بالارتياح ، متصورًا أننى قد عدت إلى كوكبى وانتهى الأمر ، فانطلقت عائدًا إلى القاعدة .

والتقى حاجباه ، وهو يضيف بصوت مرتجف :

ـ وهنا واجهتنى الحقيقة المفزعة ..

غمغم (نور) :

ـ لم تكن القاعدة هناك .. أليس كذلك ؟!

لوَّح (طارق) بكفيه ، قائلاً :

ـ بل لم يكن أى شىء هنـاك !! لا مدن ، أو طرق ممهَّدة ، أو حتـى أكـواخ .. لـم أجد القـاعدة ، أو المدينة العلميـة الملحقة بها .. لم أجد شـيئًا علـى الإطلاق ، باسـتثناء بعض الحيوانـات ، التـى تطلقـون عليها اسم الديناصورات .

هتف (رمزى) :

ـ يا إلهى ! لقد انطلـقت بك المقـاتلة إلى المـاضى السحيق .

التفت إليه (طارق) ، مغمغمًا :

ـ الماضى السحيق ؟!

ثم هزَّ رأسه مرة أخرى فى قوة ، متابعًا :

ـ انتـابنى الفـزع بالتـأكيد ، وتسـاءلت عما أصاب الدنيا فى غيابى ، ورحت أضع عشرات الاحتمـالات ، التى لم يكن من بينها قط احتمال السفر عَبْر الزمـن ، فهبطت بالمقاتلة ، وأخفيتها جيِّدًا ، ورحت أكتشف ذلك المكان الجديد ، الذى بدا وكأننى البَشَرى الوحيد فيه ، وكان علىَّ أن أخوض معارك طاحنة ، فى سبيل البقاء ، وسط ذلك العالم المتوحِّش ، الـذى أصيب سـكانه بالجنون ، بعد الحرب الطاحنـة ، التـى أفنت الملايين منهم .

تراجع (رمزى) ، هاتفًا فى دهشة :

ـ أيَّة حـرب طاحنـة يا رجل ؟! المعروف علميًا أن الديناصورات قد اختفـت مـن الأرض ، قبـل ظهـور البَشَر عليها ، بأكثر من مليون عام .

أشار إليه (طارق) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ لا تصدِّق كـل مـا يخبرك بـه العلمـاء يا عزيـزى (رمـزى) ، فهـم لـم يعيشـوا تلـك الحقبـة ، وكـل ما يقولونه مجرَّد تخمين واستنتاج فحسب .

أشار (نور) لـ (رمزى) أن يصمت ، وهو يقول لـ (طارق) :

ـ ومتى أدركت أنك قد انتقلت عَبْر الزمـن ، إلـى عصر آخر ؟!

أجابه (طارق) :

ـ ليس على الفور .. لقد تصوَّرت فى البداية أننـى قد انتقلت إلى أرض أخرى .. عالم مواز أو متمـاثل ، ولكننى كنت مضطرًا للبقـاء فيه لثلاثـة أيام كاملـة ، حتى تقوم المقاتلة بشحن نفسها بالطاقة الشمسية ، وتحويلها إلى طاقة نووية ، تكفى للقيام برحلة ثانية ، تصوَّرت أنها يمكن أن تعيدنى إلى عالمى .

وتنهَّد مكملاً :

ـ وبعد مرور الأيام الثلاثة ، التى كدت ألقى مصرعى فيها أكثر من ثمان مرات ، انطلقت بالمقاتلة إلى الفضاء ، بالسرعة نفسها ، ووجدت نفسى مرة أخرى وسط ذلك الفراغ ، الملىء بالثقوب السوداء ..

وأشار بيده ، متابعًا فى انفعال :

ـ واخترقت ثقبًا ثانيًا ، انتقلت معه إلى زمن آخر .. ومنه بعد ثلاثة أيام إلى زمن ثالث ، ثم رابع ، فخامس ، فسادس .. هل يمكنكم أن تتصوَّروا مدى العذاب الذى شعرت به ، وأنا ضائع فى نهر الزمن ، أنتقل فيه من زمن إلى آخر ، دون أن يمكننى العودة إلى زمنى الأصلى قط .. ضائع إلى الأبد .

ران الصمت على الحجرة بضع لحظات ، وهو يعض شفتيه ، محاولاً كتمان رغبته فى البكاء ، ثم قال (رمزى) فى خفوت :

ـ ولكنك استقررت أخيرًا فى عالمنا .

أومأ (طارق) برأسه فى بطء ، وقال :

ـ هذا صحيح .. كل الأزمنة الأخرى كانت غارقة فى جهل وتخلف ، أو أن علومها وحضارتها كانت

بدائية للغاية ، بالنسبة لى ، وعندما وصلت إلى زمنكم هذا ، شعرت ، ولأوَّل مرة ، منذ بدأت رحلتى ، بالارتياح والألفة .. شعرت أنه أقرب عالم إلى زمنى ، فاستقررت فيه طويلاً ، محاولاً استغلال كل إمكانياته العلمية المتطوِّرة ، لدراسة موقفى ، والبحث عن سبيل للعودة إلى زمنى .

وتطلَّع إلى (نور) لحظة ، قائلاً :

ـ وصدِّقنى أيها القائد .. لقد أحببت العمل فى فريقك .. أحببته للغاية ، وكنت أتمنى أن أستمر فيه للأبد .

قال (نور) فى حزم :

ـ لم يفت الوقت بعد .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا :

ـ ولكنك رويت قصتك كلها ، دون أن تجيب سؤالى يا (طارق) .

سأله (طارق) فى اهتمام :

ـ أى سؤال ؟!

تطلَّع (نور) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

ـ إلى أى زمن تنتمى ؟!

تراجع (طارق) فى بطء ، وظلَّ يتطلَّع إلى عينى (نور) بضع لحظات ، قبل أن ينهض من مقعده ، ويسير فى الحجرة بضع لحظات ، ثم يلتفت إليه ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .. صدقنى أيها القائد .. لست أدرى أين موقع زمنى من زمنكم .

وكان الجواب مفاجأة ..

مفاجأة جديدة ..

ومحيِّرة ..

★ ★ ★

« من دورية الصحراء السابعة إلى القيادة .. الطقس معتدل اليوم ، وكل شىء على ما يرام .. »

ردَّدت أجهزة اللاسلكى لدوريات حرس الحدود تلك العبارة ، من الدورية السابعة ، التى انطلقت تشقّ صحراء (مصر) الغربية ، فى خط سيرها اليومى المعتاد ، وهى تدور فى قوس واسع ، متفقدة تلك المنطقة الصحراوية الخاوية ، قبل أن تبدأ رحلة العودة إلى قاعدتها الرئيسية ، فى مدينة (أسيوط) ، وبداخلها طاقمها المكوَّن من ضابط وجنديين ، غمغم

أحدهما فى شىء من الضجر ، وهو يتابع شاشة الرصد :

ـ منذ رحل الغزاة ، وعادت الحياة على الأرض إلى طبيعتها(*) ، ونحن نردِّد العبارة نفسها كل مرة ، وعلى الرغم من هذا ، فما زال المسئولون يرتجفون خوفًا من حدوث غزو آخر .

قال الضابط فى حزم :

ـ التجربة السابقة كانت مريرة للغاية يا رجل ، وليس من السهل أن ينساها أحد .

أشار الجندى الثانى إلى أعلى ، قائلاً :

ـ الغزاة أيضًا لن يمكنهم نسيانها يا سيِّدى .

أجابه الضابط :

ـ ولكن غيرهم لن يذكرها .

تبادل الجنديان نظرة متوترة ، ثم قال أحدهما فى قلق :

ـ هل تعتقد يا سيِّدى أنه من الممكن أن يحاول آخرون غزو الأرض ؟!

هزَّ الضابط كتفيه ، قائلاً فى صرامة :

(*) راجع قصة (رمز القوة) .. المغامرة رقم (٨١) .

ـ وما الذى يمنع هذا .

تبادلا نظرة متوترة أخرى ، ثم قال الجندى الثانى فى خفوت :

ـ سيِّدى .. لقد نجحت فى إثارة مخاوفنا بالفعل .. سأنضمَ إلى المذعورين ، منذ هذه اللحظة ، و ...

قبل أن يتمَ عبارته ، اعتدل الجندى الثانى فجأة ، هاتفًا :

ـ مهلاً .

التفت إليه زميله والضابط ، وسأله الأخير :

ـ ماذا حدث ؟!

أشار الجندى إلى شاشة الرصد ، قائلاً :

ـ انظر يا سيِّدى .. هناك جسم ما ، ظهر فجأة ، على مسافة ثلاثة كيلومترات إلى الشمال الشرقى .

انعقد حاجبا الضابط ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ماذا تعنى بأنه قد ظهر فجأة يا رجل ؟!

ارتجف صوت الجندى ، وهو يقول :

ـ هذا ما حدث بالفعل يا سيِّدى .. لقد كان الرادار يعمل بصورة طبيعية ، ثم فجأة التقط ذلك الجسم المجهول .

تطلَّع الضابط لحظة إلى الشاشة ، ثم قال فى صرامة متوترة :

ـ لا شىء يظهر هكذا من العدم أيها الجندى .

سأله الجندى الآخر قلقًا :

ـ سيِّدى .. من الممكن أن .....

قاطعه الضابط فى صرامة :

ـ ليس من حقنا إصدار قرارات مسبقة يا رجل .. سنتجه أوَّلاً إلى ذلك الجسم المجهول ، ثم نضع استنتاجاتنا فيما بعد .

استدار جندى القيادة بالحوَّامة الصحراوية بالفعل ، منطلقًا نحو موضع ظهور ذلك الجسم المجهول ، فى حين التقط الضابط جهاز الاتصال اللاسلكى ، قائلاً :

ـ من الدورية الصحراوية السابعة إلى القيادة .. تم رصد جسم مجهول ، فى المنطقة (س ٣٠ ـ ص ٢٨) .. سنتجه إليه مباشرة ، وسنوافيكم بالنتائج أوَّلاً فأوَّلاً .

أتاه صوت رئيسه ، من مركز القيادة ، يقول فى قلق :

ـ ماذا تعنى بقولك (جسم مجهول) ؟! ما طبيعة ذلك الجسم بالضبط ؟!

أجابه الضابط فى حزم :

ـ لا توجد أية معلومات كافية .. سنوافيكم بالنتائج ، فور الحصول عليها .

ساد الصمت بضع لحظات ، عَبْر أجهزة اللاسلكى ، ثم أتى صوت الرئيس ، وهو يقول :

ـ احترسوا جيدًا ، وتقدَّموا نحو ذلك الجسم المجهول بمنتهى الحذر ، وعند أوَّل شعور بالخطر ، تراجعوا على الفور .

أجابه الضابط فى اقتضاب :

ـ عُلِمَ وسينفَّذ .

لم ينطق أحد الثلاثة بحرف واحد ، والحوَّامة الأرضية تواصل رحلتها ، نحو موقع ذلك الجسم المجهول ، مثيرة خلفها عاصفة من الرمال ، حتى قال جندى المراقبة فى توتر :

ـ إننا نتلقَّى ذبذبة قوية للغاية يا سيِّدى ، تكاد تفسد إشارات الرادار .

سأله الضابط فى قلق :

ـ من أين تأتى هذه الذبذبة ؟!

التفت إليه الجندى ، مجيبًا :

ـ من موضع ذلك الجسم المجهول .

التقى حاجبا الضابط فى شدة ، وهو يتابع شاشة الرادار ، التى بدت الشوشرة عليها واضحة ، وصورتها تهتزَ وتهتزَ فى عنف ، حتى تلاشت تمامًا ، فهتف الضابط :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه الجندى مذعورًا :

ـ الذبذبة تعاظمت ، حتى سيطرت على إشارات الرادار تمامًا .

هتف الجندى الآخر :

ـ ليس إشارات الرادار وحدها .. المحرِّك أيضًا يعانى من اضطراب واضح .

تراجع الضابط فى حركة حادة ، والحوَّامة ترتجَ فى خفوت ، ثم تتعاظم قوة ارتجاجها تدريجيًّا ، حتى تتحوَّل إلى ارتجافات عنيفة ، فى نفس الوقت الذى أصدر فيه المحرِّك قرقعة قوية ، انتفضت معها الحوَّامة فى شدة ، ثم توقَّفت تمامًا ..

ولثوانٍ ، لم ينطق أحد الرجال الثلاثة حرفًا وحدًا ، وهم يتطلَّع بعضهم إلى البعض فى شحوب ، ثم لم يلبث

الضابط أن التقط جهاز الاتصال ، وضغط زره ، قائلاً :

- من الدورية السابعة إلى القيادة ..

ولكن أذنه لم تستطع تمييز ذلك الأزيز المتصل ، الذى يعلن أن جهاز الاتصال يعمل بكفاءة ، فضغط زره مرة أخرى ، قائلاً :

- من الدورية السابعة إلى القيادة .. هل تسمعنى ؟!

كرَّر القول ثلاث مرات متتالية ، قبل أن يلقى جهاز الاتصال فى حدة ، هاتفًا :

- جهاز الاتصال أيضًا لا يعمل .

ارتجف صوت أحد الجنديين ، وهو يغمغم :

- كل هذا بسبب ذلك الجسم المجهول .

صاح به الضابط فى حدة :

- إنها مجرَّد مصادفة .

تبادل الجنديان نظرة عصبية ، قبل أن يهتف أحدهما مستنكرًا :

- مجرَّد مصادفة ؟!

صاح به الضابط :

- نعم .. مجرَّد مصادفة ، ولن ..

قاطعه الجندى الآخر ، وهو يقول بغتة فى عصبية :

- ها هو ذا .

التفت إليه الاثنان فى عصبية مماثلة ، فأشار بيده نحو الشمال الشرقى ، قائلاً :

- إنه يبدو واضحًا من هنا .

تطلع الاثنان إلى حيث يشير فى اهتمام بالغ ، ثم اتسعت عيونهما فى شدة ، وهما يحدقان فى جسم أشبه بطبق طائر تقليدى ، يخرج من جانبيه جناحان صغيران ، ومن مؤخرته ذيل قصير ..

وكان ذلك الجسم يسبح ، على ارتفاع متر واحد من رمال الصحراء ..

ولدقيقة كاملة ، لم ينطق أحد الرجال الثلاثة حرفًا واحدًا ..

ثم هتف الضابط :

- رباه ! إنه .. إنه جسم فضائى مجهول .

قالها ، واختطف منظارًا مقرِّبًا ، وراح يفحص به ذلك الجسم ، مستطردًا فى انفعال عصبى زائد :

- إنه طبق طائر .

ارتجف أحد الجنديين ، هاتفًا :

- يا إلهى ! إنه غزو .. غزو آخر .

قال القائد فى انفعال :

- لا بد أن نبلغ القيادة .. لا بد أن نبلغها بأى ثمن .

هتف الجندى الآخر :

- وكيف نفعل هذا ؟! هل نعدو من هنا إلى هناك ، عبْر الصحراء ؟!

صاح الضابط ، وهو يدفع باب الحوَّامة الصحراوية :

- نعم .. لا بد أن نبلغ القيادة ، حتى ولو اضطررنا للعدو عبر الصحراء ، إلى مقر القيادة .

قالها ، ووثب خارج الحوَّامة ، وبدأ يعدو بالفعل ، لولا أن صاح أحد الجنديين :

- سيِّدى .. انظر هناك .

استدار الضابط بكيانه كله إلى حيث يشير الجندى ، ورأى كرة ذهبية صغيرة ، فى حجم كرة السلة ، تنفصل عن الجسم المجهول ، وتطير متجهة نحوهم فى سرعة مخيفة ..

وتراجع الضابط فى سرعة ، وهو ينتزع مسدسه الليزرى من غمده ، هاتفًا :

- دافعوا عن أنفسكم .. إنهم يهاجموننا ..

رفع الجنديان فوهتى مدفعيهما الليزريين بدورهما ، و ...

ولكن الكرة الذهبية أطلقت أشعتها أولاً ..

ودوت ثلاث انفجارات قوية ، فى قلب الصحراء الغربية ..

ثم ساد الهدوء التام ..

ودون أدنى صوت ، استدارت الكرة الذهبية ، عائدة إلى ذلك الجسم المجهول ، الذى راحت أجهزته تواصل عدها التنازلى ..

وتواصل ..

وتواصل .

* * *

٦ - المجهـــول ..

هزَت (نشوى) رأسها فى قوة ، وهى تلوِّح بذراعيها ، هاتفة :

- أكاد أجن ، كلما فكرت فى هذا الأمر .. لقد رأيت ذلك القرص بنفسى ، بين أصابع (طارق) ، ولكننا فتشنا كل سنتيمتر من منزله ، دون أن نعثر على أدنى أثر له .

قال (أكرم) ، وهو ينظف مسدسه فى عصبية :

- ربما تخلص منه .

قالت بسرعة :

- كيف ومتى ؟!

أجابها فى حدة :

- بعد أن أفقدك وعيك .

دارت حول جهاز الكمبيوتر الخاص بـ (طارق) ، وهى تقول فى توتر :

- طبقًا لروايتك ، لم يكن أمامه سوى ثوان معدودة

ليفعل ، فلقد انقضضت على المنزل ، فور سماعك صرختى ، فكيف أمكنه التخلص من القرص ، فى تلك الثوانى ؟!

غمغمت (سلوى) ، وهى تلقى جسدها المجهد ، على أقرب مقعد إليها :

- لقد سئمت مجرد التفكير فى هذا الأمر .. كل شىء يحيط بـ (طارق) هذا يتحول إلى معضلة غامضة ، كلما حاولت الاقتراب منه .

هزَّ (أكرم) رأسه فى قوة ، وقال :

- أشاركك هذا السأم ، ولكننى مصر على كشف هذا الغموض ، مهما كلفنى الأمر ، ومهما ..

هتفت (نشوى) فجأة :

- ما هذا ؟!

سألها (أكرم) فى توتر ، و (سلوى) تهبّ من مقعدها فى انفعال :

- ماذا أصابك ؟!

أشارت بأصابع مرتجفة إلى ذلك النقش ، عند المدفأة الوهمية ، هاتفة :

- انظرا .

التفت الاثنان فى آن واحد إلى ذلك النقش ، وشهقت (سلوى) ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (أكرم) ، فقد عقد حاجبيه فى شدة ، وحدّق فى ذلك النقش ، الذى راح يتألّق ويخبو فى إيقاع منتظم ، وبضوء أحمر باهت ، جعله يغمغم :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟!

هتفت (سلوى) بصوت مرتجف :

ـ ما كان ينبغى أن تضغط ذلك الزر ، دون أن ندرس ما يمكن أن ينشأ من ضغطه .. ما كان لك أن تفعل هذا أبدًا يا (أكرم) .

صاح بها فى حدة :

ـ وماذا حدث ؟! مجرّد ضوء يتألّق ويخبو .. لماذا يخيفكم هذا هكذا ؟!

ثم رفع مسدسه ، يصوّبه إلى النقش المتألّق ، وهو يستطرد :

ـ يمكننى أن أوقف هذا برصاصة واحدة .

قفزت (سلوى) تمسك معصمه ، هاتفة :

ـ إياك أن تفعل .

التفت إليها فى حدة ، فتابعت فى صرامة :

ـ يكفيك ما فعلته ، حتى هذه اللحظة .

همّ بالهتاف معترضًا ، ولكن (سلوى) استدارت فى سرعة إلى (نشوى) ، قائلة :

ـ دعينا نحضر كل الأجهزة المطلوبة ، لمعرفة ما يحدث هنا .

سألتها (نشوى) ، وهى تسرع إلى الخارج :

ـ هل تعتقدين أن هذا قد يعنى شيئًا ؟!

استدارت (سلوى) تتطلّع مرة أخرى إلى النقش المتألّق ، قبل أن تجيب فى حزم :

ـ بالتأكيد .

التقى حاجبا (أكرم) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ فليكن .. إبذلا كل جهدكما وقوتكما ؛ لمعرفة طبيعة ذلك التألّق ، أما أنا ، فسأتوصّل إلى الأمر بوسيلة أكثر سرعة وسهولة .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

اتجه بدوره نحو الباب ، قائلاً فى حزم :

ـ أن ألقى السؤال على صاحب الأمر نفسه .. على (طارق) .

قالها ، وهو يغادر المكان ، ويغلق الباب خلفه فى عنف ، تاركًا (سلوى) و (نشوى) ، وهما تحيطان المكان بأجهزتهما الحديثة ، والنقش البارز يتألَّق ..

ويتألَّق ..

ويتألَّق ..

وبمنتهى الدقة ..

★ ★ ★

« عندما بدأت رحلتى الزمنية ، كان الأمر مربكًا للغاية بالنسبة لى .. »

ألقى (طارق) عبارته هذه ، وهو يلوِّح بأصابعه ، على نحو يشفَّ عن مدى توتره واضطرابه ، قبل أن يتابع فى توتر زائد :

- فى البداية تصورت أننى أدفع ثمن عدم اهتمامى بالدراسات التاريخية منذ حداثتى ، وأن حيرتى وارتباكى يعودان إلى جهلى بالوقائع التاريخية ، التى أعيشها من عصر إلى عصر ، ومن زمن إلى زمن ، إلا أننى لم ألبث أن انتبهت إلى حقيقة عجيبة ، وهى أننى أستطيع فى سهولة فائقة ، أن أستوعب ما يدور فى زمن ما ، وأستطيع ربطه بالفترة التى أتيت منها ،

قالها ، وهو يغادر المكان ، ويغلق الباب خلفه فى عنف ، تاركًا (سلوى) و (نشوى) ، وهما تحيطان بأجهزتهما الحديثة ، والنقش البارز يتألق . . .

ثم يصيبنى الارتباك التام فى زمن آخر ، وأجد أن كل ما يحدث فيه لا يتفق قط مع كل ما أعرفه فى زمنى ، وعجزت تمامًا عن تفسير هذا الأمر .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى عصبية :

- حتى بلغت زمنكم هذا .

صمت بضع لحظات ، كأنما يستجمع أفكاره وذكرياته ، ثم تابع :

- زمنكم كان يختلف عن كل الأزمنة التى زرتها من قبل ، وهو أكثرها تقدمًا ، وأقربها إلى زمنى وعالمى ، ولكن العجيب أن كل شىء فيه كان يختلف عما أعرفه .. النظريات العلمية واحدة بالطبع ، والتقدم التكنولوجى يسير على المنهج نفسه ، وعلى الوتيرة ذاتها ، ولكن بأسلوب مختلف .. أسماء العلماء ، الذين وضعوا القواعد الرئيسية للعلوم ، تختلف تمامًا عما تعلمته فى حداثتى ..

هتف (رمزى) :

- هل يعنى هذا أنك بالفعل من أرض موازية ؟!

أشار إليه (نور) أن يصمت ، وهو يقول فى حزم :

- تابع يا (طارق) .. هات ما لديك .

أومأ (طارق) برأسه متفهمًا ، وقال متابعًا :

- لم أفهم هذا فى البداية ، وتصورت مثلما تصور (رمزى) ، أننى فى عالم مواز للأرض ، وخاصة عندما قرأت تاريخكم ، الذى يختلف تمام الاختلاف عن التاريخ الذى أعرفه .. إلا أن بعض الأمور استوقفتنى طويلاً ، فالتاريخ الجيولوجى للأرض يشبه ذلك الذى أعرفه تمامًا ، مع بعض الفروق البسيطة ، فالديناصورات مثلاً ، التى تتصورون أنها قد ظهرت واندثرت على الأرض ، قبل ظهور الإنسان بملايين السنين ، كانت تملأ حدائق الحيوان لدينا ، وكنا نستخدم بعضها كما تستخدمون الأفيال الآن ، مثل (الأباتوساورس) و (البراكيوساورس) ، وكان البعض ينظم رحلات لصيد (الآلوساورس) و (التيرانوساورس) ، وغيرها .. بالطبع كانت لها حينذاك أسماء أخرى فى عالمى ، ولكنها نفس الحيوانات ، التى تعرفونها والتى تشاهدون هياكلها العظمية الآن .

غمغم (رمزى) مبهورًا :

ـ رباه ! هذا لا يصدَق .

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

ـ بالطبع يا (رمزى) .. أنا نفسى عجزت عن تصديقه ، على الرغم من كل هذا ، لذا فقد كان علىَّ أن أعثر على دليل آخر ، ولهذا السبب بالذات ، جاهدت لصنع تاريخ زائف لى ، ساعدنى على الالتحاق بمؤسسة الرياسة ، ثم بإدارة البحث العلمى ، حتى يمكننى جمع كل المعلومات اللازمة ، لإثبات أننى أنتمى إلى حضارة أخرى .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ هل تقصد تلك المعلومات الفلكية والفضائية ؟!

أشار إليه (طارق) ، مجيبًا :

ـ بالضبط .. لقد اعتمدت على نظرية علمية ، اتفقت عليها حضارتانا ، وهى أن الكون يتمدَّد باستمرار مما يعنى أن مواقع النجوم تتباعد طوال الوقت(*) .. ربما لا يبدو هذا ملحوظًا ، بالنسبة لرصد مواقعها خلال قرن أو قرنين من الزمان ، أما

(*) نظرية علمية صحيحة .

عندما أقارن هذه المعلومات ، بتلك التى درستها منذ ملايين السنين ، فسيمكننى التأكد تمامًا من أن مواقع النجوم قد تغيَّرت كثيرًا .

وصمت لحظة ، ثم تابع فى حماس :

ـ ثم إن هذه المعلومات كانت تكفى لحسم أمر بالغ الأهمية .

سأله (نور) :

ـ وما هو ؟!

أجاب على الفور :

ـ هل أنتمى إلى حضارة سابقة ، أم حضارة قادمة ؟! ودراسة مواقع النجوم كانت تكفى لحسم هذا ، فلو أنها كانت فى موقع أبعد كثيرًا مما كانت عليه فى زمنى ، فسيعنى هذا ، طبقًا لنظرية تمدُّد الكون ، أننى فى زمن مستقبلى ، أما لو كانت فى موقع أكثر قربًا ، فسيعنى هذا .. أننى فى زمن يسبق زمنى بعدة قرون .. وحتى لا ينشغل عقلاكما بالتفكير ، دعانى أخبركما أن النتائج جاءت لصالح الزمن المستقبلى ، مما يعنى أننى آت من حضارة سبقتكم بملايين السنين بالفعل .

حدَّق (رمزى) فى وجهه لحظة ، ثم قال فى توتر :

ـ لا يمكننى استيعاب ما يعنيه هذا .

غمغم (نور) :

ـ أما أنا ، فأشعر بانبهار شديد ، عندما أفكِّر فى الاحتمال الوحيد ، الذى يشير إليه حديث (طارق) .

ابتسم (طارق) فى ارتباك ، وهو يقول :

ـ أنا واثق من أنك قد توصَّلت إليه بالفعل أيها القائد .

ثم تراجع بنصفه العلوى ، وعقد ساعديه أمام صدره ، مضيفًا فى حزم :

ـ نعم يا (نور) .. أنا من زمن يسبق زمنكم بملايين السنين .. من حضارة أخرى ، ظهرت واندثرت ، قبل أن تبدأ حضارتكم بملايين السنين .

هتف (رمزى) مبهورًا :

ـ يا إلهى ! هذا مستحيل !

أجابه (طارق) فى سرعة :

ـ ربما يبدو كذلك ، ولكنه التفسير الوحيد لكل ما حدث .

وشدَّ قامته ، ليستطرد فى حزم متوتر :

ـ إننا ننتمى لعالمين مختلفين تمامًا .. لحضارتين لا يجمعهما سوى وجودهما على كوكب واحد ..

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يهتف :

ـ هذا أمر مذهل .. مذهل للغاية .

التفت إليه (نور) ، وعيناه تحملان تساؤلاً مهمًا ، فهتف :

ـ نعم يا (رمزى) .. إنه صادق فى كل حرف نطق به ، وهذا ما يذهلنى .. إنه بالفعل من حضارة أخرى ، اندثرت قبل منشأ حضارتنا بملايين السنين .. هذا يقلب كل قوانين الجيولوجيا رأسًا على عقب .. هل تفهم ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

انبعث صوت صارم ، يجيب :

ـ يعنى أن (طارق) هو الدليل الوحيد الحى ، على وجود حضارة تسبق حضارتنا .

التفت الجميع إلى باب حجرة الاستجواب ، حيث انبعث الصوت ، وهتف (نور) فى دهشة :

ـ دكتور (ناظم) ؟! هل كنت تتنصَّت على حديثنا ؟

انعقد حاجبا (طارق) فى عصبية ، فى حين أجاب الدكتور (ناظم) فى حزم :

ـ بالطبع يا (نور) ، هذا إجراء طبيعى ، بالنسبة لكل استجواب يتمّ هنا ، حتى لا يدَّعى البعض فيما بعد أن أقوالهم جاءت نتيجة للعنف أو القسوة .

ثم لوَّح بكفه ، مستطردًا فى حماس :

- ولكن هذا لا يهمَّ الآن ، المهم أن لدينا (طارق) بكل ذكرياته ومعلوماته ، عن تلك الحضارة السابقة ، وبكل ما يعرفه عن الأسباب ، التى أدَّت إلى انهيارها فى النهاية .

قال (طارق) فى عصبية :

- ومن أخبرك أننى أعرف أسباب اندثار حضارتى ؟

لوَّح بكفه ، هاتفًا :

- ليس المهم أن تعرفها .. نحن سنستنتج كل شىء ، مما ستمنحنا إياه من معلومات .. إنها فرصة نادرة ، لا يمكن أن تتكرَّر مرتين فى الزمان كله ، ولا يمكننا أن نضيعها بهذه البساطة .

قال (نور) فى صرامة :

- معذرة يا دكتور (ناظم) ، ولكن الإجراء الوحيد ، الذى يمكن أن تقوم به إدارة البحث العلمى ، بشأن (طارق) ، هو أن تعاونه على العودة إلى زمنه ، و ...

صاح الدكتور (ناظم) مقاطعًا :

- توقَّف عن هذه المثالية الساذجة يا (نور) .. إننا لا نستطيع إعادة (طارق) إلى زمنه بالتأكيد .

قال (نور) فى حدة :

- ولِمَ لا ؟! يمكننا أن نفحص مقاتلته ، و ...

قاطعه الدكتور (ناظم) فى صرامة :

- حتى لو كان بإمكاننا أن نعيده ، فلن نفعل يا (نور) .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، فتابع الدكتور (ناظم) بنفس الصرامة :

- ألا تدرك أن عودته إلى زمنه ، قد تهدِّد وجودنا كله بالفناء ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وبدا التوتر على وجه (طارق) ، فى حين قال (رمزى) فى حدة :

- ولماذا هذا ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى حزم :

- من أدراك أنه ، عندما يعود إلى زمنه ، لن يبذل قصارى جهده ، لمنع اندثار حضارته ، مما يعنى أن تمتدَّ ، فلا يصبح لنا وجود فعلى ، فى مجرى الزمن .

قال (طارق) فى حدة :

- يا للسخافة !

انتفض (نور) مع كلمته ، وقال فى حزم وصرامة :

- لن أسمح لكم بفعل هذا يا دكتور (ناظم) .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه فى بطء ، وقال فى صرامة :

- للأسف يا (نور) .. لم يعد الأمر بيدك .

وبإشارة من يده ، اندفع خمسة من الجنود المسلحين بمدافع الليزر ، داخل الحجرة الصغيرة ، وأحاطوا بـ (طارق) فى حزم ، والدكتور (ناظم) يتابع بنفس الصرامة :

- لقد صدر الأمر بالفعل ، بالتحفّظ على (طارق) ، وأى تدخّل منك ، أو من أحد رفاقك الآن ، سيندرج تحت بند الخيانة العظمى .

قال (نور) فى صرامة :

- دكتور (ناظم) .. إنك لا تدع لى الخيار فى الـ ...

قاطعه (طارق) فجأة :

- لا .. إياك أن تفعلها أيها القائد .

التفت إليه (نور) فى حدة ، فارتسمت على شفتيه ابتسامة شاحبة ، وهو يتابع :

- كل شىء سيسير على ما يرام .. صدقنى .

تجمّد (نور) فى مكانه ، وهو يتطلّع إلى الرجال الخمسة ، الذين دفعوا (طارق) أمامهم إلى الخارج ، وقبل أن يغادروا المكان تماماً ، التفت إليه (طارق) ، بنفس الابتسامة الشاحبة ، وهو يقول :

- هل صدقتنى الآن أيها القائد ؟! إنهم عقول مفكرة ، ولكن دون قلوب نابضة .

نطقها ، وغادر الحجرة الصغيرة مع حراسه ، تاركاً (نور) خلفه ، وقبضة باردة تعتصر قلبه بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

* * *

حلّقت ثلاث طائرات هليوكوبتر حربية ، تابعة لقوات حرس الحدود ، فوق الموقع (س٣٠ - ص٢٨) ، فى الصحراء الغربية المصرية ، وألقى قائدها نظرة شاملة على المكان ، قبل أن يضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- من الدورية الجوية إلى القاعدة .. تم رصد الجسم المجهول .. إنه أشبه بطبق طائر ، يبرز منه جناحان قصيران وذيل صغير .. إنه يسبح على ارتفاع

ما بين متر وثلاثة أمتار من الأرض ، وعلى مسافة ثلاثمائة متر منه ، تقف سيارة دورية الصحراء ، ولا يوجد أى أثر للحياة داخلها أو حولها .

أتاه صوت القائد ، عَبْر جهاز الاتصال اللاسلكى ، يقول فى توتر :

- أين ذهب رجال الدورية إذن ؟! إنهم لم يختفوا حتمًا !

دارت الطائرات الثلاث حول الموقع مرتين ، قبل أن يهتف قائدها :

- يا إلهى ! لقد عثرنا على الرجال ، ولكن ..

ارتج عليه ، مع بشاعة المشهد ، واختنقت الكلمات فى حلقه ، فصاح به قائد القاعدة فى توتر شديد :

- ولكن ماذا يا رجل ؟! أفصح .. أفصح باللّه عليك .

هزَّ الرجل رأسه فى قوة ، لينفض عن نفسه الانفعال ، وهو يجيب :

- إنها مجرَّد أشلاء متناثرة ، على مسافة واسعة للغاية ، حتى إننا لم ننتبه إليها فى البداية ، لولا أن رصدنا بقعة دم كبيرة ، و ...

لم يستطع إكمال عبارته ، مع ذلك الغثيان ، الذى سيطر على مشاعره ، فهتف :

- يا للبشاعة ! يا للبشاعة !

ساد الصمت بضع لحظات ، عَبْر أجهزة الاتصال ، وكأنما نقل الطيَّار مشاعره وانفعالاته إلى الجميع ، فى مركز القيادة ، ثم لم يلبث القائد أن قال فى توتر :

- وماذا عن ذلك الجسم المجهول ؟!

أجابه الطيَّار ، وهو يقوم بدورة إضافية مع رفيقيه :

- إنه ثابت فى موقعه ، ولكننا نتلقى إشارات منتظمة دقيقة ، يبدو أنها تصدر منه .

قال القائد فى انفعال :

- هل حاولتم تحليل تلك الإشارات بوساطة الكمبيوتر ؟! ربما كانت رسالة ما !

هزَّ الطيَّار رأسه نفيًا ، وقال :

- الكمبيوتر أعلن أنها مجرَّد إشارات تناقصية منتظمة فحسب .

ثم انعقد حاجباه ، مستطردًا فى حزم :

- ولكننا سنحاول إلقاء نظرة أقرب ، على ذلك الجسم المجهول ، فربما أمكننا تحديد هويته أكثر .

قال القائد فى توتر :

ـ احترس جيدًا يا (نسر ـ ١) .. إننا لا ندرى بعد ماذا أصاب دورية الصحراء .

أجابه الطيّار فى صرامة :

ـ اطمئن يا سيِّدى .

ثم نقل موجة الاتصال إلى الدائرة الداخلية المحدودة ، وقال لأحد رفيقيه :

ـ من (نسر ـ ١) إلى (نسر ـ ٣) .. انخفض إلى ارتفاع عشرين مترًا ، ودر حول ذلك الجسم المجهول ، لتفحصه عن قرب .

أتاه الجواب ، والهليوكوبتر الثالثة تنخفض بالفعل .

ـ من (نسر ـ ٣) إلى (نسر ـ ١) .. علم وسينفذ .

انخفضت الهليوكوبتر الثالثة إلى ارتفاع عشرين مترًا ، وانطلقت نحو الجسم المجهول ، وقائدها يقول :

ـ الصورة لم تختلف كثيرًا عن قرب .. الجسم أشبه بطبق طائر معدَل ، وهو يسبح على ارتفاع متر تقريبًا من الأرض ، وأنا أستقبل تلك الإشارة بوضوح أكثر هنا ، و ...

فجأة ، تداخلت موجة قوية مع الإشارة ، محدثة شوشرة عنيفة فى الاتصال ، فهتف (نسر ـ ١) :

ـ من (نسر ـ ١) إلى (نسر ـ ٣) .. ماذا يحدث عندك ؟!

بدت له الهليوكوبتر الثالثة ، وهى تدور حول نفسها على نحو مخيف ، وكأنما فقد قائدها السيطرة على محركها تمامًا ، وميَّز صوته فى صعوبة ، عبْر جهاز الاتصال ، وهو يقول :

ـ من .... المحرك توق .... السيط .....

ثم هوت الهليوكوبتر فجأة ، على مسافة عشرة أمتار من الجسم المجهول ، وخيِّل لـ (نسر ـ ١) و(نسر ـ ٢) أنها قد تلقَّت ركلة خفية ، دفعتها عشرة أمتار أخرى إلى الخلف ، لترتطم بالرمال فى عنف ، وتتحطَّم مروحتها على نحو مخيف ..

ثم انفجرت فى عنف ..

وفى غضب وانفعال ، صاح (نسر ـ ١) ، وهو يضغط زر الاتصال بالقاعدة :

ـ اللعنة ! لقد هاجمها ذلك الجسم المجهول .. هاجمها ونسفها .

صاح به القائد :

ـ تراجع يا (نسرُ ـ ١) .. لا تحاول الاشتباك مع ذلك الجسم المجهول .

ولكن الغضب الذى يتدفَّق فى عروق (نسر ـ ١) ، جعله ينقضّ على الجسم المجهول فى غضب ، وهو يضغط زر إطلاق صواريخه ، هاتفًا :

ـ فات الوقت يا سيِّدى .. فات الوقت .

انطلق صاروخ من الهليوكوبتر الأولى ، نحو الجسم المجهول مباشرة ، وقائدها يصرخ :

ـ هيَّا .. اذهب إلى الجحيم أيها الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى الانفجار ..

انفجار الصاروخ بعنف شديد ، ولكن ..

على مسافة عشرة أمتار من الجسم المجهول ..

وفى ذهول ، هتف (نسر ـ ١) :

ـ ربَّاه ! إنه يحيط نفسه بدرع واق ، تحطَّمت فوقه صواريخنا .

صاح قائد القاعدة فى توتر :

ـ من القاعدة إلى (نسر ـ ١) .. تراجع بأقصى سرعة .. لا تحاول الاشتباك مع ذلك الجسم ثانية .. عُد إلى القاعدة على الفور .

لم يكد القائد يتمّ عبارته ، حتى انفصلت تلك الكرة الذهبية عن الجسم المجهول ، واندفعت نحو طائرتى الهليوكوبتر بسرعة مخيفة ، فصاح (نسر ـ ١) :

ـ ربَّاه ! إننا نتعرَّض للهجوم يا سيِّدى .. كرة ذهبية دَ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت فى أذنيه ذبذبة رهيبة ، جعلته يطلق صرخة ألم قوية ، وهو يتخلى عن عصا القيادة ، ويمسك أذنيه فى قوة ، و ...

ودوى الانفجار ..

وانتفض جسد (نسر ـ ٢) فى عنف ، أمام ذلك المشهد الرهيب ، ورأى هليوكوبتر قائده تهوى لتنفجر على رمال الصحراء ، والكرة الذهبية تندفع نحوه ، فأشعل جهاز التصويب الليزرى ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

وضغط زر الإطلاق بكل قوته ، فانطلقت حزمتان من أشعة الليزر نحو الكرة الذهبية ، بدقة تصويب مذهلة ، تنخفض احتمالات الخطأ فيها إلى واحد فى كل مائة مليون ..

وأصابت الحزمتان الكرة مباشرة ..

ولكنها لم تتوقَّف ..

لقد واصلت اندفاعها نحو الهليوكوبتر الثانية ، وكأنها لم تتأثَّر لحظة واحدة بحزمتى الليزر ، اللتين تكفيان لنسف قلعة كاملة ، فجذب (نسر ـ ٢) عصا القيادة فى قوة ، محاولاً الفرار منها ، ولكن تلك الذبذبة تفجَّرت فجأة فى أذنيه ، فأطلق صرخة مماثلة ، ودارت به الهليوكوبتر ، وهى تميل على نحو مخيف ..

ثم دوى الانفجار ..

وتطاير حطام الهليوكوبتر الأخيرة على مساحة واسعة للغاية .

وتساقطت فوق رمال الصحراء ..

وفى هدوء ، عادت الكرة الذهبية إلى ذلك الجسم المجهول ، الذى واصل إطلاق ذبذباته المتناقصة المنتظمة ..

وبمنتهى الدقة ..

والهدوء ..

★ ★ ★

راجعت (نشوى) نتائج أجهزة الفحص للمرة الرابعة ، قبل أن تهزَّ رأسها ، قائلة :

ـ إنها مجرَّد إشارات منتظمة متناقصة ، لا تعنى شيئًا على الإطلاق .

أجابتها أمها فى حزم :

ـ ما دامت تتواصل ، فهى تعنى شيئًا ما حتمًا ، وإلا ما تم إخفاء هذا الزر الأحمر ، على هذا النحو .

سألتها (نشوى) فى اهتمام :

ـ ألم تتوصَّل أجهزتك إلى شىء ما ؟!

أجابتها فى اقتضاب :

ـ بلى .

وضغطت أزرار الجهاز بضع لحظات ، قبل أن تتابع :

ـ لقد توصَّلت إلى نتيجة عجيبة فى الواقع ، فعلى الرغم من أن ضغط (أكرم) لهذا الزر ، هو الذى أشعل تلك الذبذبة المنتظمة ، إلا أن كل ما توصَّلت إليه يؤكِّد أننا نستقبلها ولا نرسلها .

تراجعت (نشوى) فى دهشة ، قائلة :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابتها فى سرعة :

- أعنى أن كل ما نرصده هنا هو إشارة تناقصية منتظمة مستقبلة ، وليست مرسلة ..

ثم أشارت إلى الزر الأحمر ، الذى يتألق ويخبو فى انتظام ، مستطردة فى حزم :

- عندما ضغط (أكرم) هذا الزر ، أشعل شيئًا ما ، فى مكان ما ، وهذا الشىء يعلن عن وجوده الآن بإشارة منتظمة ، تتناقص بمعدل ثابت ، حتى تبلغ الصفر .

سألتها (نشوى) فى اهتمام :

- هل يمكنك تحديد الموقع ، الذى تصدر منه تلك الإشارة ؟!

أجابتها (سلوى) ، وهى تضرب أزرار جهازها :

- بالتأكيد .

ارتسمت على شاشة الكمبيوتر خريطة للعالم ، تعاظمت بسرعة ، حتى احتلت قارة (أفريقيا) المساحة كلها ، وبعدها تركز المشهد على (مصر) ، ثم تحرك مع خطوط الطول والعرض ، حتى توقف عند خط الطول (٣٠°) ، وخط العرض (٢٨°) ، وراحت الشاشة كلها تتألق بضوء أحمر ، فهتفت (سلوى) فى حماس :

- ها هو ذا .

قالت (نشوى) فى حماس مماثل :

- عظيم .. عظيم .. لا بد أن نخبر أبى على الفور .

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تتطلع إلى الشاشة فى اهتمام بالغ ، فسألتها (نشوى) فى قلق :

- أهناك أمر آخر ؟!

أشارت (سلوى) بسبابتها ، قائلة :

- تلك الإشارة المنتظمة .

نطقتها ، وصمتت بعض الوقت ، فهتفت (نشوى) :

- ماذا عنها ؟!

لوحت (سلوى) بسبابتها بضع لحظات فى صمت ، قبل أن تلتفت إلى ابنتها ، قائلة فى حزم :

- إنها نوع من العد التنازلى .

تراجعت (نشوى) مرة أخرى ، هاتفة :

- عد تنازلى ؟!

أجابتها (سلوى) فى حزم :

- نعم يا (نشوى) .. ذلك الجسم ، القابع فى المنطقة (س ٣٠ ـ ص ٢٨) ، يرسل عدًا تنازليًا ،

سوف يبلغ الصفر ، طبقًا لمعدل التناقص المستمر ، بعد ثلاث ساعات وسبع دقائق بالضبط .

وامتقع وجهها ، وهى تضيف بصوت مرتجف :

- وعندئذ ، يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، ما الذى يمكن أن يحدث ؟!

امتقع وجه (نشوى) بدورها ، وحاولت أن تقول شيئًا ، ولكن الكلمات اختنقت فى حلقها ، وهوت مع قلبها بين قدميها ، وعقلها يطلق عشرات الأسئلة ، التى تجمعت كلها حول نقطة واحدة ..

ترى ما الذى يمكن أن يحدث ، عندما يبلغ ذلك العد التنازلى نقطة الصفر ؟!

وعلى الرغم من عشرات الاحتمالات المخيفة فى ذهنها ، لم يستقر عقلها عند جواب واضح ..

أى جواب ..

★ ★ ★

« معذرة يا (أكرم) .. لم تعد زيارة (طارق) متاحة الآن .. »

نطق الدكتور (ناظم) العبارة فى صرامة ، وهو يواجه (أكرم) ، داخل مكتبه ، فى إدارة البحث

العلمى ، فانعقد حاجبا الأخير فى غضب ، وهو يقول فى حدة :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

أجابه الدكتور (ناظم) ، فى صرامة أكثر :

- ما سمعته جيدًا يا (أكرم) .. الأوامر صدرت ، منذ نصف ساعة فحسب ، بمنع أى مخلوق من الاتصال بـ (طارق) ، باستثناء القيادة العليا ، وفريق محدود من العلماء ، تم اختيارهم بدقة بالغة .

قال (أكرم) فى حدة :

- مازلت أسأل : ما الذى يعنيه هذا يا دكتور (ناظم) ؟! آخر ما لدى من معلومات ، يؤكد أن (نور) و(رمزى) كانا يستجوبان (طارق) منذ قليل ، فما الذى استدعى منع الاتصال به بغتة .

بدا الضيق والغضب على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول فى صرامة :

- ليس هذا من شأنك يا (أكرم) .. إنها أوامر عليا ، لا تجوز مناقشتها .

لوح (أكرم) بكفه ، قائلاً فى غضب :

- أى أسلوب هذا يا دكتور (ناظم) .. إنك لا تدرى

حتى لماذا أرغب فى مقابلته .. ألا يحتمل أن يكون لدى سبب مهم للغاية ؟!

تراجع الدكتور (ناظم) فى مقعده ، وقال :

ـ يمكنك أن تخبرنى به .

قال (أكرم) فى عناد :

ـ وماذا لو أننى أصرّ على إبلاغ (طارق) به شخصيًّا ؟!

اعتدل الدكتور (ناظم) بحركة حادة ، قائلاً فى صرامة :

ـ سيعنى هذا أنك لا تصلح للعمل فى جهاز مثل المخابرات العلمية ، فأوّل قواعد العمل فيه أن تطيع رؤساءك ، وتنفذ كل ما يطلب منك دون مناقشة ، ودون حتى معرفة الأسباب ، حتى لا تتسبَّب يومًا فى تدمير العالم كله ، وأنت تتصوَّر أنك تنتزع فتيل قنبلة محدودة .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وتراجع فى مقعده فى بطء ، فتابع الدكتور (ناظم) ، وهو يضرب سطح مكتبه بقبضته :

ـ ألم تقسم على مراعاة ذلك فى عملك ، عندما التحقت به ؟!

شعر (أكرم) بغصة فى حلقه ، وهو يغمغم :

ـ بلى .

والتقط نفسًا طويلاً عميقًا ، وكأنما يحاول السيطرة على أعصابه الثائرة ، قبل أن يقول فى مرارة :

ـ لا بأس .. يبدو أننى مضطر لهذا .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يتابع :

ـ عندما كنا فى منزل (طارق) ، عثرنا على زر أحمر ، يختفى خلف أحد نقوش الجدار ، ولقد ضغطت عليه ، فى محاولة لمعرفة ما يمكن أن يحدث ، و ...

قاطعه الدكتور (ناظم) فى استنكار :

ـ ضغطت عليه ، دون أن تعرف ما الذى يمكن أن يحدث ؟!

قال (أكرم) فى ضيق :

ـ ليس هذا وقت العتاب والمحاسبة ، فالمهم أن ذلك الزر راح يتألّق بضوء متقطِّع ، ولست أدرى ما الذى .....

قاطعه الدكتور (ناظم) ، مكررًا فى غضب مستنكر :

ـ ضغطت زرًا مختفيًا ، دون أن تدرى ما الذى يمكن أن يؤدى إليه هذا ؟! يا للتهوّر !

قال (أكرم) فى حدة :

ـ دكتور (ناظم) .. لست أسمح لك بـ ..

قاطعه الدكتور (ناظم) للمرة الثالثة فى حدة :

ـ لا تسمح بماذا يا (أكرم) ؟! ألا تدرك ما الذى فعلته ، وأية حماقة متهوِّرة أقدمت عليها ؟! ألم يكن من المحتمل أن يشعل هذا الزر قنبلة ما ، فتنسف المنزل كله ؟!

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ هذا لم يحدث على أية حال .

صاح الدكتور (ناظم) :

ـ ربما حدث ما هو أسوأ .. من يدرى ؟!

وانقلبت سحنته على نحو عجيب ، من فرط الغضب والثورة ، وهو يلوِّح بيده ، مستطردًا :

ـ إنه خطأ بشع يا سيِّد (أكرم) ، وحماقة تستوجب أشد أنواع العقاب .. سأرفع تقريرًا فوريًا بهذا إلى القيادة ، وسأطالب بتطبيق أقصى عقوبة عليك ، و ...

قاطعه (أكرم) هذه المرة فى صرامة غاضبة :

ـ كفى .. أذنى تملَّ فى سرعة سماع تلك التهديدات

الجوفاء .. ارفع تقاريرك إلى أية جهة تشاء ، ولكن اعفنى من محاضرة التأنيب السخيفة هذه .

نطقها ، واندفع يغادر الحجرة فى حنق ، تاركًا الدكتور (ناظم) ، وقد احتقن وجهه فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ سنرى أيها الهمجى .. سنرى .

وغادر مكتبه بدوره ، وهو يحاول السيطرة على أعصابه الثائرة ، وعبر ممرًا طويلاً ، انتهى به إلى منطقة محظورة ، فأخرج من جيبه بطاقة مغنطيسية خاصة ، دسَّها فى تجويف رفيع ، فانفتح باب خاص ، لا يعبره فى المعتاد إلا عدد محدود من القادة ، والعلماء الذين يصرَّح لهم بهذا مؤقتًا ، وسار فى ممر آخر قصير ، حتى بلغ بابًا آخر ، وقف على بابه اثنان من رجال الحرس الخاص ، بمدفعيهما الليزريين ، فأشار إليهما ، قائلاً :

ـ هل تناول طعامه ؟!

أومأ أحدهما برأسه إيجابًا ، وشدَّ قامته ، قائلاً فى احترام :

ـ كل شىء على ما يرام يا سيِّدى .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه متفهمًا ، ثم قال :

ـ افتح الباب .

أسرع أحد الجنديين يعالج رتاجًا إليكترونيًا خاصًا ، مزوّدًا بشفرة شديدة التعقيد ، فانفتح ذلك الباب ، كاشفًا جناحًا أنيقًا ، يجلس فيه (طارق) ، الذى التفت إلى الدكتور (ناظم) فى هدوء ، وقال ساخرًا :

ـ مرحبًا يا دكتور (ناظم) .. هل أتيت لتربت على حيوانك الأليف ، القادم من الماضى السحيق .

صمت الدكتور (ناظم) ، وانتظر حتى تم إغلاق الباب من خلفه ، ثم قال فى صرامة :

ـ الحيوانات الأليفة لا تحظى بجناح فاخر كهذا .

أدار (طارق) يده فى الهواء ، وهو يقول ساخرًا :

ـ أتعنى أن وضع العصفور فى قفص من الذهب يمكن أن ينسيه أنه سجين ، لا يتمتع بنفس الحرية ، التى تتمتع بها الطيور الطليقة ؟!

تنهّد الدكتور (ناظم) ، وجلس على مقعد قريب ، وهو يقول :

ـ لسنا هنا لمناقشة تلك الفلسفة .. أنت تعلم أنك هنا لهدف علمى بحت .

هتف (طارق) فى سخرية :

ـ آه .. بالطبع .. والأهداف العلمية تتعامل مع العقول وحدها ، ولا صلة لها بالقلوب .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى شدة ، وشعر بالضيق والحنق ، مع ذلك الأسلوب فى المناقشة ، خاصة وأن تأثير حديثه مع (أكرم) لم يتلاش بعد ، فقال فى صرامة ، محاولاً تغيير دفة الحوار إلى جانب آخر :

ـ ما ذلك الزر الأحمر ، الذى تخفيه خلف نقش الجدار فى منزلك ؟!

كان من الواضح أنه قد أصاب هدفًا مباشرًا بسؤاله هذا ، فقد تلاشت سخرية (طارق) على الفور ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يردّد بلهجة مذعورة :

ـ الزر الأحمر ؟! هل عثرتم عليه ؟!

اعتدل الدكتور (ناظم) فى مجلسه ، وهو يقول :

ـ نعم .. (سلوى) و(أكرم) و(نشوى) عثروا عليه ، ولقد ضغطه (أكرم) ، و ...

قاطعه (طارق) ، وهو يقفز من مقعده فى ارتياع :

ـ ضغط الزر الأحمر ؟! يا إلهى ! ومتى حدث هذا ؟! متى ؟!

لوى (طارق) ذراعه خلف ظهره بحركة عنيفة ، أطلق لها الدكتور (ناظم) صرخة ألم قوية ...

لم يكن الدكتور (ناظم) يتوقَّع رد الفعل العنيف هذا ، لذا فقد ارتبك بشدة ، وهو يجيب :

- منذ حوالى نصف الساعة ، و ...

احتقن وجه (طارق) ، وهو يهتف :

- ربّاه ! هذا يعنى أن أمامى ثلاث ساعات على الأكثر .

حدَّق الدكتور (ناظم) فى وجهه بدهشة ، قائلاً :

- ثلاث ساعات ؟! ما الذى ..

قاطعه (طارق) مرة أخرى ، وهو يجذبه من سترته فى عنف ، قائلاً فى شراسة مباغتة :

- لا بد أن أخرج من هنا بأقصى سرعة .. لا بد .

ارتجف جسد الدكتور (ناظم) فى ارتياع ، وهو يهتف :

- هذا مستحيل ! أنت تعلم أنه مستحيل !

لوى (طارق) ذراعه خلف ظهره بحركة عنيفة ، أطلق لها الدكتور (ناظم) صرخة ألم قوية ، لم يبال بها (طارق) ، وهو يحيط عنقه بساعده ، قائلاً :

- لا بد أن أخرج من هنا الآن ، وبأى ثمن .

قبل حتى أن يتمّ عبارته ، كانت أجهزة الرصد

الداخلية قد نقلت ما يحدث ، إلى طاقم الحراسة ، الذى اندفع داخل الجناح ، وصوَّب الجنديان مدفعيهما الليزريين إلى (طارق) ، وأحدهما يهتف فى صرامة :

ـ اترك الدكتور (ناظم) ، وإلا أطلقنا النار .

صاح (طارق) فى صرامة ، وهو يضغط عنق الدكتور (ناظم) أكثر وأكثر :

ـ سأحطم عنقه ، لو تقدَّم أحدكما خطوة واحدة .. أفسحا الطريق على الفور .

تبادل الجنديان نظرة متوترة ، قبل أن يقول أحدهما بصرامة شديدة :

ـ الأوامر لدينا محدودة .. لا يمكن السماح لك بمغادرة هذا المكان ، مهما كان الثمن .

صاح (طارق) ، وهو يدفع الدكتور (ناظم) أمامه نحو المخرج :

ـ لن يمكنكم المجازفة بقتلى .. أنتم تحتاجون إلى وجودى على قيد الحياة بشدة .

قال الدكتور (ناظم) بصوت مختنق ، يفوح بالألم :

ـ أنت مخطئ فى هذا الأمر .

صاح به (طارق) ، وهو يضغط عنقه أكثر :

ـ هل تراهن بحياتك ؟!

تأوَّه الدكتور (ناظم) فى ألم ، وقال بصوت أكثر اختناقا :

ـ إننا سنحاول الحفاظ على حياتك ما أمكننا هذا ، ولكننا سنبذل جهدًا أكبر للحفاظ على وجودنا ، الذى يهدده خروجك من هنا .. وهذا يعنى أننا لو فشلنا فى الاحتفاظ بك داخل هذا المكان ، فلن يكون أمامنا سوى سبيل واحد .

واختنق صوته أكثر وأكثر ، وهو يكمل :

ـ قتلك .

انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، وهو يقول فى عصبية زائدة :

ـ إنكم لا تفهمون شيئًا .. لهفتكم إلى المعرفة أعمت قلوبكم .. إننى سأخرج من هنا حتمًا ، إن عاجلاً أو آجلاً .. إننى أحاول حمايتكم مما سيحدث ، خلال تلك الساعات الثلاث أيها الأغبياء .

جحظت عينا الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ـ لن تنطلى هذه الخدعة على أحد .

صرخ (طارق) فى ثورة :

ـ ليست خدعة .. ليست خدعةَ أيها الأغبياء .

شهق الدكتور (ناظم) ، وبدا كأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ، و (طارق) يصيح :

ـ أفسحوا الطريق .. أفسحوا الطريق وإلا ...

قَبل أن يتمَ عبارته ، لمح اثنان من رجال القَوات الخاصة يندفعان نحو الجناح ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وصاح :

ـ لو اقترب أحدكما ، فسوف ..

تحرَك الرجلان فجأة ، قبل أن يتمَ تهديده ، فأطلق أحدهما مسدسه نحو الدكتور (ناظم) ، الذى شعر بسهم صغير ينغرس فى صدره ، فشهق فى قوة ، ثم تراخى جسده دفعةً واحدة ..

وفى اللحظة نفسها ، أطلق الرجل الثانى مسدسه ..

وأطلق (طارق) صرخةً عصبية ، عندما انغرس السهم المخدِّر الثانى فى عنقه ، وانتزعه بيده فى حدة ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لا ينبغى أن تفعلوا هذا .. لا ..

ثم أظلمت الدنيا أمام عينيه ، فهوى ، مردفًا :

ـ إننى أحاول حمايتكم أيها الـ ...

ولم تكتمل عبارته أبدًا ..

لقد سقط فاقد الوعى ، تاركًا مقاتلته الفضائية تواصل عدَها التنازلى بلا هوادة ..

نحو نقطة الصفر .

★ ★ ★

٧ - عـدّ تنـازلى ..

« من السرب (نصر) إلى القاعدة .. الجسم المجهول يبدو أسفلنا فى وضوح ، ونحن نحلّق على ارتفاع كبير ، طبقًا للأوامر .. »

انطلق ذلك النداء عبر الأثير ، من طائرة قائد السرب (نصر) إلى القاعدة الجوية الحربية فى مدينة (أسيوط) ، واستقبله قائد القاعدة ، فضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- من القاعدة إلى (نصر - ١) .. حافظوا على ارتفاعكم ، وواصلوا التحليق فوق ذلك الجسم المجهول .. المشاة وقوات المدرعات فى الطريق .. سيتم الهجوم من كل الجبهات فى آن واحد ، مع كلمة السر ..

أجابه قائد السرب (نصر) :

- علِمْ .

أنهى قائد القاعدة الجوية الاتصال ، وأدار عينيه

إلى العسكريين الثلاثة ، الذين يقفون أمامه ، قائلاً :

- إنها محاولتنا الأخيرة أيها السادة .. لقد حاولنا الاتصال بذلك الجسم المجهول بشتى الطرق ، ولكنه يتجاهل إشاراتنا تمامًا ، ويواصل إرسال تلك الذبذبة التناقصية المنتظمة ، وكأنه يستعد للقيام بعمل ما .

هزّ قائد قوات المشاة رأسه ، قائلاً فى حزم :

- لا يمكننا الانتظار ، حتى يقوم بذلك العمل ، الذى نجهل هدفه ومرماه تمامًا ، ويكفينا أنه قد أظهر روحًا عدائية ، فى تعامله مع رجالنا من قبل ، لنتخذ نحن أيضًا موقفًا عنيفًا منه ، ونواجهه بمثل ما واجهنا .

غمغم قائد المدرعات :

- هذا لو أمكننا أن نفعل .

التفت إليه قائد المشاة فى حدة ، قائلاً :

- ماذا تعنى ؟!

أشار قائد المدرعات بيده ، وهو يقول فى حزم :

- النتائج الأوَّلية تؤكد أن ذلك الجسم يمتلك قوى عديدة ، وقدرات تعجز أمامها وسائلنا التقليدية أيها السادة ، والتسجيلات الصوتية تؤكد لكم فى وضوح أن ثلاث طائرات هليوكوبتر حربية ، مزوّدة بالصواريخ

ومدافع الليزر ، لم يمكنها الصمود أمامه .. أليس كذلك ؟!

قال قائد المشاة فى عصبية :

ـ هذه المرة سيختلف الأمر كثيرًا .

ثم اتجه إلى الخريطة الكبيرة على الجدار ، متابعًا فى حماس متوتر :

ـ خطتنا تعتمد على تشتيت انتباهه ، ومهاجمته من ثلاثة اتجاهات فى آن واحد .. المقاتلات السبع ستبدأ بقصف مركز بالصواريخ ، وعندما يبدأ فى صد الهجوم ، ستنقضّ عليه المدرعات ، وتنهال عليه بالقنابل الموجّهة ، وفى هذه الأثناء ، سيهاجم رجالى من هنا ، بمدافع الليزر المحمولة ، وسيقتربون منه ، ويحاولون تسلّقه ، والسيطرة عليه من الداخل .

ثم لوّح بذراعيه ، مستطردًا :

ـ وعندئذ يمكننا القيام بفحصه ، وتحديد هويته .

هزّ قائد سلاح الحدود رأسه ، وهو يقول متنهدًا :

ـ أتعشّم أن يمضى الأمر ، بنفس السهولة التى تتحدّث بها .

لوّح قائد المشاة بسبّابته ، قائلاً فى صرامة :

ـ هذا ما سيحدث بالتأكيد .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انبعث من جهاز الاتصال صوت يقول :

ـ قوات المشاة والمدرعات فى مواقعها يا سادة .

فرك قائد المشاة كفيه ، قائلاً فى حماس :

ـ عظيم .. كل شىء على ما يرام .. دعونا نبدأ هجومنا أيها السادة .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، ثم غمغم قائد القاعدة الجوية :

ـ على بركة اللّه .

التقط قائد المشاة بوق جهاز الاتصال ، والتقط نفسًا عميقًا ، ثم قال فى حزم :

ـ النسر الغامض .

وما إن تلقّت كل الوحدات كلمة السر ، حتى بدأ الهجوم على الفور .

وفى آن واحد ، انخفضت المقاتلات الحربية السبع ، وهتف قائدها :

ـ حافظوا على المسافة بيننا وبينه ، وأطلقوا صواريخكم فى تتابع زمنى .. خمس ثوان بين كل

صاروخ والآخر .. ثلاثة .. اثنان .. واحد .. صفر .

ومع آخر كلماته ، بدأ إطلاق النار ..

سبع صواريخ قوية ، انقضّت على المقاتلة ، فى تتابع زمنى سريع .

ودوت سبع انفجارات عنيفة ، فى قلب الصحراء ..

وارتفعت المقاتلات مرة أخرى ، استعدادًا لهجوم ثان ، تاركة ذلك الجسم المجهول خلفها ، وسط سحابة كثيفة من الرمال والدخان ، حجبته تمامًا عن الأنظار ..

وفى حزم ، قال قائد السرب ، وهو يدور بطائرة القيادة ، ليعاود الهجوم :

- هذه المرة سنطلق صواريخنا كلها فى آن واحد ، وبعد انفجارها مباشرة ، ستبدأ قوات المدرعات هجومها .. استعدوا .. ثلاثة .. اثنان . وا ..

قبل أن يتمّ كلمته ، برزت تلك الكرة الذهبية بغتة ، من وسط الرمال والدخان ، وهى تنطلق نحو طائرات السرب بسرعة خرافية ..

وانفرجت شفتا (نصر - ١) ، ليهتف بشىء ما .. أو عبارة ما ..

ولكن تلك العبارة لم تتجاوز شفتيه قط ..

لقد اختلّت أجهزة مقاتلته بغتة ، مع دوى هائل ، اخترق أذنيه ، وجعله يطلق صرخة ألم رهيبة ..

ومع نهاية الصرخة ، انفجرت مقاتله فى عنف ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، انفجرت مقاتلة ثانية .. وثالثة ..

ورابعة ..

ولم يدر الطيارون الثلاثة المتبقّون كيف ومتى فعلت تلك الكرة الذهبية هذا ، ولكنهم استداروا بمقاتلاتهم فى سرعة ، فى محاولة للفرار منها ، فى نفس اللحظة التى بدأت فيها المدرعات هجومها ..

وانهالت عشرات القنابل الموجّهة على المقاتلة الزمنية ، وراحت تتفجّر وسط عاصفة عاتية ، من الدخان والرمال ..

ودارت الكرة الذهبية حول نفسها ، ثم هبطت تنقضّ على المدرعات ..

وهنا ، عاودت المقاتلات الثلاث هجومها ..

وفى الوقت ذاته ، اندفع المشاة بمدافع الليزر المحمولة نحو المقاتلة الزمنية ، وراح بعضهم

يمطرها بحزم الليزر القوية ، فى حين دار البعض الآخر حولها ، فى انتظار توقُّف انهمار الصواريخ والقنابل ، للتسلُّل إليها ، واقتحامها ، و ...

ولكن فجأة ، حدث أمر مدهش للغاية ..

لقد توقَّفت الكرة الذهبية فى الهواء ، لثانية أو أقل ، ثم انتفضت فى عنف ، وانفصلت عنها كرتان متماثلتان لها تمامًا ، فى الشكل ، والحجم ، واللون الذهبى البرَّاق ..

وبعيون اتسعت ، حتى بلغت أقصاها ، حدَّق الجميع فى تلك الظاهرة المذهلة لحظة واحدة ، راحت الكرات الثلاث تتألَّق بعدها فى شدة ، وانطلق منها ضوء ساطع مبهر ، أغشى عيون الجميع ، وكأنها قد تحولَّت بغتة إلى ثلاث شموس صغيرة ، انفصلت عن بعضها ، وانطلقت كل منها نحو إحدى الجبهات الثلاث ، التى تشكِّل خطرًا على المقاتلة الزمنية ..

كرة منها انقضت على المدرَّعات ، التى راحت تنفجر ، واحدة بعد الأخرى ، وقائدها يصرخ ، عبر جهاز الاتصال :

ـ ربَّاه ! إنها تهاجمنا فى شراسة .. لقد تحولَّت

إلى ثلاث كرات متماثلة .. إننا لا نستطيع التصدِّى لها .. سنحاول الانسحاب بأقصى سرعة .. إنها ..

نقلت أجهزة الاتصال دويًا عنيفًا ، انقطع بعده صوت قائد كتيبة المدرعات تمامًا ، فامتقعت وجوه القادة الأربعة ، فى القاعدة الجوية الحربية ، وتمتم قائد المدرعات :

ـ يا إلهى ! لا يمكننى أن أصدِّق هذا .

صاح به قائد المشاة ، فى عصبية زائدة :

ـ لا تقفز إلى استنتاج متشائم يا رجل .. ربما انقطعت الاتصالات فحسب ، أو ..

قبل أن يتم عبارته ، انبعث صوت عبر أجهزة الاتصال للقاعدة الجوية ، يهتف :

ـ من (نصر ـ ٦) إلى القاعدة .. إنها مصيبة .. كارثة .. أنا الوحيد المتبقى على قيد الحياة .. تلك الكرات الذهبية سحقت الجميع بلا رحمة .. هناك اثنتان منها فى أسفل ، تطاردان جنود المشاة المساكين .. إنها تنسف أجسادهم بلا رحمة ، والكرة الثالثة تطاردنى فى إصرار ، وأنا أحاول الفرار منها عبثًا .. اللعنة ؟ يبدو أنه لا فائدة .. لا فائدة .

صاح به قائد القاعدة :

ـ استخدم قاذف المقعد يا (نصر ـ ٦) .. غادر الطائرة على الفور .. هل تسمعنى ؟! استخدم قاذف المقعد على الفور .

ولكن الطيَّار أطلق صرخة رهيبة ، ارتجفت لها أجساد القادة الأربعة ، قبل أن ينقطع الاتصال تمامًا ..

وهناك ، فى ساحة المعركة ، استدارت الكرة الذهبية ، عائدة إلى المقاتلة ، التى تحيط نفسها بغلاف واق بالغ القوة ، والتقت بها الكرتان الأخريان ، بعد أن سحقتا آخر رجل من رجال المشاة ، ثم عادت الكرات الثلاث تتألق بشدة ، قبل أن تندمج مع بعضها ، وتتحوَّل مرة أخرى إلى كرة واحدة ، اتجهت نحو المقاتلة الزمنية ، والتحمت بها ثانية ، وسط تلك المذبحة الرهيبة ، التى أريق فيها نهر من الدم ..

أما فى القاعدة الجوية ، فقد ساد الوجوم حجرة القيادة ، التى تضمَّ القادة الأربعة ، الذين راحوا يتبادلون نظرات صامتة محبطة لبعض الوقت ، قبل أن يغمغم قائد القاعدة فى مرارة وأسى :

ـ يبدو أنه لم يعد أمامنا سوى سبيل واحد يا سادة ..

من الواضح أن القوة ليست السبيل المناسب لمواجهة ، هذا الشىء ..

سأله قائد المشاة فى إحباط مرير :

ـ ماذا تقترح بالضبط ؟

ازدرد قائد القاعدة لعابه فى صعوبة ، ولوَّح بأصابعه فى الهواء بضع لحظات ، وكأنه يعجز عن النطق ، ثم لم يلبث أن تجاوز غصة حلقه ، ليقول :

ـ المخابرات العلمية .

وكان هذا القول المقتضب يعنى أن الكرة قد عادت إلى ملعبها الأصلى ..

إلى الفريق ..

فريق (نور) ..

★ ★ ★

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يستمع إلى كل التفاصيل ، على لسان القائد الأعلى ، ثم قال فى توتر :

ـ يا إلهى ! الأمر يبدو واضحًا للغاية يا سيِّدى .. إنها تلك المقاتلة الفضائية ، التى عبر بها (طارق) حاجز الزمن إلينا .

بدا الدكتور (ناظم) عصبيًا للغاية ، وهو يقول :

ـ (نور) .. لا تتسرَّع فى الاستنتاج ، من أجل ..

قاطعه (نور) فى انفعال :

ـ من أجل ماذا يا دكتور (ناظم) .. إن الأمر أكثر وضوحًا مما ينبغى ، حتى إنها لا تحتاج إلى أى استنتاج .. لقد عثر (أكرم) و(سلوى) و(نشوى) على زر سرى ، أخفاه (طارق) فى مهارة ، خلف بعض نقوش الجدران فى منزله ، وعندما ضغطه (أكرم) ، بدأ يتلقَى إشارات تناقصيةً منتظمة ، قرَّرت (سلوى) ، كخبيرة فى الصوتيات والاتصالات ، أنها نوع من العد التنازلى ، يتمّ استقباله من نقطة ، حدَّدتها بخط الطول (٣٠°) ، وخط العرض (٢٨°) ، فى الصحراء الغربية ، وهذا قبل أن يعلم أحدنا أن الجيش يواجه جسمًا مجهولاً ، فى النقطة نفسها ، يرسل نفس الإشارات التناقصية المنتظمة ، ويمكنه حماية نفسه من أى هجوم ، مهما بلغت قوته ، كما أنه يمتلك جهازًا قتاليًا رهيبًا ، يتمثَّل فى تلك الكرة الذهبية .. الأمر بسيط للغاية كما ترى يا سيِّدى .. ما الشىء الذى تنطبق عليه كل هذه المواصفات ، والذى

يحرص (طارق) على إخفائه بهذه الدقة ؟! بل ويخفيه طوال خمس سنوات كاملة ، قضاها فى زمننا هذا ، دون أن ترصده دورية واحدة من دوريات الحدود أو حرس الصحارى ؟! الجواب سهل للغاية .. إنها تلك المقاتلة ، التى لا يمكنه بدونها أن يغادر زمننا ، أو يجد الفرصة للعودة إلى زمنه .

همَّ الدكتور (ناظم) بقول شىء ما ، والحدة تطلّ من كل خلجة ، من خلجاته ، ولكن القائد الأعلى استوقفه بإشارة صارمة من يده ، وهو يسأل (نور) فى اهتمام :

ـ وماذا عن تلك الإشارة التناقصية المنتظمة ؟!

أجابه (نور) فى سرعة ، وكأنما كان يتوقَّع السؤال :

ـ إنها عد تنازلى بالفعل .. عد تنازلى سينتهى بعد ساعتين وأربع وأربعين دقيقة بالضبط من الآن .

سأله القائد الأعلى :

ـ وما الذى سيحدث حينذاك ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، وهو يعقد حاجبيه فى تفكير عميق ، قبل أن يقول فى حزم :

- التفكير المنطقى البسيط ، يشير إلى أن تلك المقاتلة ستنطلق مغادرة زمننا ، عندما ينتهى العد التنازلى ، ولكن الذعر الذى استقبل به (طارق) خبر الضغط على الزر الأحمر ، وتحوّله بعدها إلى منتهى العنف والشراسة ، ثم تأكيده بأنه يحاول إنقاذنا ، يقودنى إلى احتمال آخر مخيف :

ارتجفت الكلمات على شفتى الدكتور (ناظم) ، وهو يسأل :

- وما هو ؟!

أشار (نور) بسبَّابته ، مجيبًا :

- أن ينتهى ذلك العد التنازلى بانفجار .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده بحركة حادة ، مكررًا :

- انفجار ؟!

أجاب (نور) فى سرعة :

- نعم يا سيِّدى .. إنه مجرَّد احتمال ، أن يكون هذا الزر الأحمر مجرَّد وسيلة للتخلُّص من المقاتلة ، أو الانتقام من زمن ما ، أساء إليه بشدة .. باختصار قد يكون انفجارًا محدودًا ، يقضى على المقاتلة وحدها ، حتى لا تقع فى يد ، يمكن أن تسىء استخدامها ،

أو انفجارًا شاملاً ، يمكن أن يقضى على مدينة بأكملها ، أو ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

- أو على زمن بأسره .

هتف القائد الأعلى :

- يا إلهى ! إنك تجعل الصورة قاتمة للغاية يا (نور) .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- إنما أطرح الصورة ، بكل احتمالاتها يا سيِّدى ، حتى تبدو واضحة للأذهان ، بكل زواياها .

تبادل القائد الأعلى نظرة شديدة التوتر ، مع الدكتور (ناظم) ، قبل أن يقول الأخير فى عصبية :

- وما الذى يمكن فعله الآن فى رأيك ؟!

اعتدل (نور) ، وشدّ قامته ، قائلاً :

- أن نستعين بـ (طارق) نفسه .

تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة سريعة ، على نحو يوحى بأن هذا الأمر قد نوقش بينهما ، قبل وصول (نور) ، ثم قال الدكتور (ناظم) فى توتر :

- بغض النظر عن اقتناعى بهذا الرأى من عدمه ، فما تطلبه ليس متاحًا فى الوقت الحالى يا (نور) .

بدا مزيج من الغضب والضيق ، على وجه (نور) ، وفى نبرات صوته ، وهو يقول :

ـ دكتور (ناظم) .. الموقف لا يحتمل هذه الإجراءات المتعسفة ، و ..

قاطعه الدكتور (ناظم) فى حدة :

ـ لا شأن للأمر بأية إجراءات تعسفية هذه المرة يا (نور) .

ثم تراجع عن حدته ، وهو يزفر فى حرارة ، متابعًا :

ـ الواقع أن (طارق) الآن تحت تأثير مخدِّر قوى ، ولا يمكن إيقاظه ، بأى حال من الأحوال ، قبل ساعة ونصف على الأقل .

هتف (نور) :

ـ يا إلهى ! ولكن كيف هذا ؟! لقد أطلق رجال الحراسة الخاصة تلك الأسهم المخدِّرة عليكما معًا ، وهأنتذا تقف أمامى سليمًا معافى .

قال الدكتور (ناظم) فى عصبية :

ـ إنها ليست تلك الأسهم المخدِّرة .. لقد رأى أحد العلماء أن أعصابه ثائرة للغاية ، ويحتاج إلى عقار

مهدِّئ قوى ، حتى يمكننا أن نأمن شر ثورته القادمة .

تراجع (نور) فى حنق ، قائلاً :

ـ يا إلهى ! ساعة ونصف الساعة ، فى مثل هذه الظروف !!

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى توتر ، وهو يلتفت إلى الدكتور (ناظم) ، ويسأله .

ـ ألا توجد أية وسيلة لعلاج هذا الأمر ؟!

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلاَّ للأسف .. لقد استخدمنا عقَّارًا جديدًا قويًا ، لم يتم ابتكار مضاد له بعد .

ثم استطرد فى عصبية :

ـ ولكن الأمر ليس سيئًا إلى هذا الحد .. إنها ساعة ونصف الساعة فحسب ، ويمكننا أن نتفادى استفزاز تلك المقاتلة الزمنية ، حتى يستعيد (طارق) وعيه ، وسيكون لدينا أكثر من ساعة كاملة لتفادى الموقف ، و ...

قاطعه (نور) فى سخط واضح :

ـ هذا ما لم تستفزَّنا هى .

التفت إليه الاثنان فى آن واحد ، وقال الدكتور (ناظم) فى شحوب :

- ماذا تعنى يا (نور) ؟!

تنهَّد (نور) ، وهو يقول :

- لست أعنى شيئًا فى الوقت الحالى يا دكتور (ناظم) ، ولكننى أتساءل فى قلق : كم من الأشياء يمكن حدوثها ، خلال ساعة ونصف ؟!

هوى سؤاله على رأسيهما كالصاعقة ، فانتفضت عروقهما فى أجسادهما بمنتهى العنف والقوة ..

نعم .. كم يمكن أن يحدث ، فى ساعة ونصف الساعة ؟!

كم ؟!

★ ★ ★

« يمكنك أن تستبعد تمامًا الجزء الأخير ، من الاحتمال الثانى يا (نور) .. »

ألقى (رمزى) عبارته ، بمنتهى الحزم والثقة ، فسأله (نور) فى اهتمام :

- أتعتقد هذا حقًا يا (رمزى) .

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا فى ثقة ، وقال :

- إنه ليس رأيًا علميًا نفسيًا فحسب يا (نور) .. لقد قضيت فترة من الزمن مع (طارق) .. تحدثنا ، وتحاورنا ، وتناقشنا .. بل وقاتلنا جنبًا إلى جنب .. ثم إننى قد استمعت لكل كلمة نطق بها ، وهو يشرح لنا أمره ، ويمكننى أن أجزم تمامًا بأن هذا الشاب لا يمكنه ارتكاب مذبحة بشعة كهذه ، مهما كانت الأسباب .

تنهَّد (نور) فى ارتياح ، وهو يتراجع فى مقعده ، مغمغمًا :

- حمدًا للّه .. حمدًا للّه .. لا يمكنك أن تتصوَّر كم أرحتنى بحديثك هذا يا (رمزى) .

ثم اعتدل فى مجلسه ، مستطردًا فى حزم :

- إذن فالأمر يقتصر على احتمالين ، لا ثالث لهما ، فإما أن ينتهى العد التنازلى بانفجار المقاتلة ، أو بانطلاقها خارج زمننا هذا .

ألقت (سلوى) نظرة على ساعتها ، قائلة :

- وسيحدث هذا بعد ساعتين وثلاث عشرة دقيقة بالتحديد .

ثم رفعت عينيها إلى (نور) ، مستطردة :

ـ فماذا سنفعل ، فى هذه الفترة ؟!

التقى حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ (طارق) لن يستعيد وعيه قبل ساعة كاملة على الأقل ، وهذا يعنى أنه لابد أن نستغل ما تبقى لننجز شيئًا .

قال (أكرم) فى توتر :

ـ لقد أوقف الجيش كل تحركاته العدوانية ، تجاه تلك المقاتلة ، واكتفى بحصارها من مسافة بعيدة ، يبلغ نصف قطرها ثلاثمائة متر .

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً ، بلهجة من استغرق فى تفكير عميق :

ـ الغريب أن المقاتلة لم تقم بأية تحركات عدوانية أيضًا ، ولم تطلق تلك الكرة الذهبية خلف فريق الرجال ، الذى حضر لانتشال جثث الضحايا وأشلائهم .

قالت (نشوى) فى اهتمام :

ـ ربما لأنهم لم يبدوا أية ميول عدوانية بدورهم .

اعتدل فى مقعده ، قائلاً فى حماس :

ـ بالضبط .

ثم استطرد فى حماس أكبر :

ـ هذا مالم ينتبه إليه الجميع .. تلك المقاتلة ليست هجومية ، ولم تضمر شرًا لأحد .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ لم تضمر شرًا لأحد ؟! بعد كل ما فعلته ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ إنها مجرَّد آلة يا (أكرم) ، وهذه هى مشكلة الآلات دائمًا .. إنها تطيع ما لديها من أوامر ، دون تقدير للظروف أو الملابسات .

غمغم (أكرم) :

ـ ولهذا أبغضها .

تابع (نور) ، دون أن يتوقَّف عند عبارته :

ـ إن تلك المقاتلة تستعد لأداء عمل ما ، عندما ينتهى عدّها التنازلى ، وحتى ذلك الحين ، يحوى برنامجها برنامجًا فرعيًا لحمايتها ، من أية محاولة اعتداء ، حتى تتمَّ عملها ، وفى كل الأحوال ، كان رجالنا هم البادئون بالهجوم ، أو باللمحات العدوانية على الأقل ، وكانت المقاتلة تدافع عن نفسها فحسب .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ لقد سحقت أكثر من مائة رجل يا (نور) .

قال (نور) فى حماس :

ـ ولكنها لم تمس أولئك ، الذين اقتربوا مسالمين .

تطلعت إليه (سلوى) لحظة ، بنظرة امرأة تفهم زوجها جيدًا ، وقالت :

ـ (نور) .. فيم تفكر بالضبط ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلا فى حماس :

ـ إن كل ما لدينا من معلومات ، حول تلك المقاتلة ، يقتصر على مشاهدات محدودة ، لمن تبقى على قيد الحياة ، من رجال الجيش ، واستنتاجات من تلقوا رسائل الضحايا قبل مصرعهم ، ولكن ما نحتاج إليه بالفعل هو أن نرى ونشاهد بأنفسنا عن قرب .

سألته (نشوى) فى دهشة بالغة :

ـ أبى .. هل تفكر فى ..

قاطعها فى حزم :

ـ بالتأكيد يا (نشوى) .. لابد أن نتجه فورًا إلى حيث تقبع تلك المقاتلة الزمنية ..

همّ (أكرم) بقول شىء ما ، ولكن (نور) استوقفه بإشارة صارمة من يده ، قائلا :

ـ ليس كلنا بالطبع .

هتف (رمزى) :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ ما زلنا نحتاج إلى أقوال (طارق) ، عندما يستعيد وعيه ، وربما يرشدنا هذا إلى ما ينبغى فعله ، عندما نواجه مقاتلته ، أو إلى الهدف من هذا العد التنازلى ؛ لذا فستبقى أنت و (نشوى) هنا يا (رمزى) .

هتفت (نشوى) معترضة :

ـ أبى .. إننى ..

قاطعها (نور) فى صرامة :

ـ إنه قرار عملى بحت يا (نشوى) ، فأنت خبيرة الكمبيوتر الوحيدة بيننا ، التى يمكنها التسلل إلى أية شبكة معلومات ، يمكن أن يشير إليها (طارق) عند استجوابه ، وتذكرى أنه أخبرك أنه متصل بكل شبكة معلومات على الأرض ، أما (رمزى) ، فهو ، بحكم خبرته كطبيب نفسى ، أكثر شخص يمكنه إقناع (طارق) بالإدلاء بما لديه ، فى هذه الظروف الدقيقة المعقدة ، وعلى الجانب الآخر ، فـ (سلوى) هى

خبيرة الاتصالات هنا ، وهى الوحيدة التى يمكنها التعامل مع الذبذبات ، التى تصدر عن المقاتلة ، كما يمكنها تأمين عملية دخولنا إليها .

ارتجف جسد (سلوى) ، وهى تهتف :

ـ دخولكم ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالطبع يا زوجتى العزيزة .. إننا نحتاج بشدة إلى معرفة ما يدور داخل تلك الآلة ، وهذا يحتم دخولنا إليها ، أنا و .. و (أكرم) .

ثم التفت إلى (أكرم) ، يسأله :

ـ هل تمانع ؟!

تألقت عينا(أكرم) فى حماس ، وهو يربت على مسدسه ، قائلاً :

ـ هل تسألنى ؟!

أشار (نور) إلى المسدس ، قائلاً فى حزم صارم :

ـ الأمر الذى ينبغى أن تدركه جيدًا ، هو أنك لن تحمل سلاحك هذا معك .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ ولكننى أشعر أننى عار بدونه يا (نور) .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ ولو شعرت المقاتلة بوجوده ، ستسحقك سحقًا يا (أكرم) .

عضَّ (أكرم) شفته ، وهزَّ رأسه لحظة ، ثم تنهَّد ، وانتزع مسدسه من حزامه ، ووضعه فى حرص على سطح المكتب ، قائلاً فى أسى :

ـ كم يؤلمنى أن أفترق عنك يا صديقى .

ابتسم (رمزى) ، قائلاً :

ـ ربما كانت فرصة مناسبة ، لتعتاد الحياة بدونه يا (أكرم) .

هزَّ (أكرم) رأسه ، مغمغمًا :

ـ للأسف ..

ثم شدَّ قامته ، مستطردًا فى حزم :

ـ والآن هيا بنا يا (نور) .. الوقت ليس فى صالحنا قط .

نهض (نور) بدوره ، وبدا جمَّ النشاط والحيوية ، على نحو يؤكد كفاءة المصل ، الذى تم استخراجه من دماء (طارق) ، وهو يقول :

ـ نعم يا (أكرم) .. الوقت ليس فى صالحنا ،

فأمامنا نصف ساعة ، قبل أن تصل بنا الحوّامة إلى (س ٣٠ ـ ص ٢٨) .

ألقت (سلوى) نظرة أخرى على ساعتها ، وقالت :

ـ وعندما نصل إلى هناك ، ستتبقّى أمامنا ساعة ونصف الساعة تقريبًا يا (نور) .

تنهّد (نور) ، قائلاً :

ـ فلندع الله (سبحانه وتعالى) أن يكفينا هذا الوقت يا (سلوى) ..

نعم يا (نور) .. أنت على حق ..

فلتدع الله (سبحانه وتعالى) ، أن يكفيكم هذا الوقت ..

وأن يمكنكم إتمام مهمتكم بنجاح ..

وفى الوقت المناسب ..

* * *

ارتجف جفنا (طارق) ارتجافة سريعة ، سجّلتها أجهزة الرصد الدقيقة ، وهو يرقد فى جناحه المغلق ، فى مبنى إدارة البحث العلمى ، فقال أحد العلماء ، الذين يتابعون الموقف :

ـ لقد بدأ مرحلة الخروج من الغيبوبة .. إنه يحلم الآن .

هزّ زميله رأسه ، قائلاً :

ـ كم أتمنى لو أمكننا قراءة أحلامه .

تنهّد الأوّل ، وهو يقول :

ـ إنه حلم العلماء ، منذ زمن طويل للغاية ، ولقد تصوّروا ، فى فترة ما ، من نهاية تسعينات القرن العشرين ، أنهم يستطيعون معرفة نوع الأحلام ، عن طريق دراسة منحنيات وخطوط رسّام المخ الكهربى ، فى أثناء النوم ، ولكن هذه التجربة لم توصلهم إلى نتائج مؤكّدة قط(*) .. يبدو أن الأحلام ستظلّ دومًا ملكًا لصاحبها .

صمت زميله بضع لحظات ، ثم قال فى بطء :

ـ لحسن الحظ .

التفت إليه زميله فى دهشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، مردّدًا فى استنكار :

ـ لحسن الحظ ؟!

وعاد يتطلّع إلى الشاشة ، التى تنقل إليه ما يدور فى جناح (طارق) ، متابعًا :

(*) حقيقة ..

ـ إننى مستعد لدفع نصف عمرى ، مقابل معرفة ما يدور فى أحلامه الآن ..

كانا يتحدثان ، دون أن يدرى أحدهما أن أحلام (طارق) كانت أشبه بعاصفة عاتية من الذكريات والانفعالات ..

« تذكَّر أن مهمتك بالغة الحساسية والخطورة أيها المقدام .. »

تسللت عبارة قائده إلى ذهنه ، الذى استعاد الصورة كاملة ..

القاعدة الكبيرة ..

أجهزة العد التنازلى ..

الخرائط الكبيرة ، التى تملأ كل الجدران ..

خرائط المسارات الجوية ..

والفضائية ..

والفلكية ..

و ..

والزمنية ..

« إنك ستواجه ما لم يواجهه بشرى من قبل .. »

كم كان قائده صادقًا ، عندما نطق عبارته هذه ..

كم كان بعيد النظر ..

ثاقب الفكر ..

ثم بدأ العد التنازلى ..

وراح قلبه يخفق فى سرعة ..

وأخذ ذهنه يسترجع تاريخ حياته كله ..

وارتجفت كل خلية فى جسده ..

وارتجفت ..

وارتجفت ..

ثم انطلقت المقاتلة ..

وبدأت المهمة ..

أخطر مهمة ، فى تاريخ الكون كله ..

وعند هذه النقطة ، راحت الذكريات يمتزج بعضها بالبعض ..

فراغ هائل ..

ثقوب سوداء ..

عاصفة من الألوان والأصوات ..

ثم زمن تلو زمنٍ ..

وقتال يعقب قتالاً ..

ولم تتحقَّق المهمة ..

لم تتحقَق أبدًا ..

كان هناك انفجار هائل ..

هائل ..

و ..

انتفض جسده فجأة فى عنف ، وفتح عينيه عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى سقف الحجرة ..

وفى حجرة المراقبة ، هتف العالم الأوَّل :

- رباه ! لقد استعاد وعيه بسرعة مدهشة .. كان المفترض أن يستيقظ بعد عشرين دقيقة من الآن .

قال الآخر فى انفعال :

- أراهن على أنه ذلك المصل .

كان (طارق) ينهض فى حركة حادة ، فى تلك اللحظة ، وينتزع فى عنف كل الأسلاك ، التى تتصل بجسده ، وهو يقول فى عصبية :

- اللعنة ! إنهم يفسدون كل شىء .. كل شىء .

وثب من فراشه كليث ثائر ، وراح يدور فى المكان فى حدة ، وهو يصرخ :

- أخرجونى من هنا أيها الأغبياء .. إننى أحاول حمايتكم .. أنتم لا تدركون ما سيصيبكم ، لو أصررتم

كان (طارق) ينهض فى حركة حادة ، فى تلك اللحظة ، وينتزع فى عنف كل الأسلاك التى تتصل بجسده ..

على الاحتفاظ بى هنا .. أخرجونى قبل فوات الأوان .

انعقد حاجبا العالم الثانى فى شدة ، وهو يستمع إلى هذا ، والتقط جهاز الاتصال الخاص ، قائلاً فى توتر :

ـ أريد الاتصال بالدكتور (ناظم) على الفور .. أخبروه أن الأمر عاجل للغاية .. لقد استيقظ الشاب قبل موعده ، وهو ثائر للغاية .. أكرِّر : إن الأمر عاجل للغاية ..

تلقى الدكتور (ناظم) النداء فى مكتبه ، فبدا عليه التوتر الشديد ، وهو يقول :

ـ رباه ! ألن ينتهى هذا الأمر أبدًا ؟!

أجابه (رمزى) ، محاولاً امتصاص غضبه :

ـ دعنا نلتق به يا دكتور (ناظم) .. أنا واثق من أننا نستطيع التفاهم معه جيدًا .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ إنه ليس نفس الشاب الهادئ ، الذى تعاملتم معه من قبل يا (رمزى) .. لقد أصابه جنون عنيف مخيف .. لقد كاد يقتلنى .. هل تفهم هذا ؟! كاد يقتلنى ؛ ليخرج من هنا ؟!

هزَّ (رمزى) رأسه ، قائلاً :

ـ هذا لا يتفق أبدًا مع طبيعته يا دكتور (ناظم) ، مما يعنى أنه واقع تحت ضغط هائل ، يجبره على اللجوء إلى كل هذا العنف .

لوَّح الدكتور (ناظم) بقبضته فى حدة ، قائلاً :

ـ خطأ .. خطأ .. كلكم تتعاملون مع هذا الشاب ، وكأنه ملاك وديع ، سقط من الجنة إلى أرضنا الشريرة ، ولكننى واثق من أن العكس هو الصحيح تمامًا .. هذا الشاب مدرَّب على أعلى مستوى ، ولقد نجح فى خداعكم جميعًا .

أشار (رمزى) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ لا تنس أننى الخبير النفسى هنا يا دكتور (ناظم) .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ هو أيضًا خبير نفسى .. هل نسيت هذا(*) ؟!

التقى حاجبا (رمزى) ، وكأنه ينتبه إلى هذه الحقيقة لأوَّل مرة ، ولكنه قال فى حزم :

ـ إنه لن ينجح فى خداعى يا دكتور (ناظم) .

(*) راجع قصة (العدو الخارق) .. المغامرة رقم (١١٥) .

ثم نهض من مقعده ، مستطردًا فى صرامة :

ـ كما أننا نحمل تصريحًا من القائد الأعلى شخصيًّا بمقابلته .

احتقن وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول فى حدة :

ـ أعلم هذا .. أعلم هذا .

ثم ضغط أحد الأزرار العديدة فوق مكتبه ، مستطردًا :

ـ سيصحبكما رجال الأمن إليه على الفور .

وشدّ قامته ، مستطردًا فى صرامة عصبية :

ـ ولتكشف الساعات القادمة من منّا كان على حق .

لم يفارق هذا القول رأس (رمزى) لحظة واحدة ، طوال الطريق الذى قطعه مع (نشوى) ، حتى جناح (طارق) ، الذى لم يكد يلمحهما حتى اندفع نحوهما ، هاتفًا :

ـ (رمزى) .. (نشوى) .. حمدًا لله أن أتيتما .. أخيرا هؤلاء الأشخاص أنهم يرتكبون أكبر خطأ ، فى حياتهم كلها .. لو لم أخرج من هنا الآن ، ستحدث كارثة .. كارثة رهيبة .

ربَت (رمزى) على كتفه فى حنان ، قائلاً :

ـ اهدأ يا (طارق) .. اهدأ وأخبرنى ، ما الذى سيحدث بالضبط ؟!

تطلّعت إليه (نشوى) فى ترقّب واهتمام ، وهو يدير بصره بينهما ، قبل أن يقول فى عصبية زائدة :

ـ لقد أشعل (أكرم) برنامج الانطلاق فى مقاتلتى ، عندما ضغط ذلك الزر الأحمر .

قالت (نشوى) فى انفعال :

ـ أهذا ما حدث ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ المشكلة أنه لا شىء فى الوجود يمكنه منع أو إيقاف برنامج الانطلاق هذا ، مهما كانت الأسباب ، ففى اللحظة المحدَّدة تمامًا ، وعندما يبلغ العد التنازلى نهايته ، ستنطلق المقاتلة ، وستعبر أحد الثقوب الزمنية ، فى طريقها إلى زمن آخر ، فى الماضى أو المستقبل .

سألته (نشوى) فى شىء من الحذر :

ـ وما الكارثة فى هذا ؟!

بدا وكأن سؤالها فاجأه ، فالتفت إليها فى بطء ، مردِّدًا :

ـ ما الكارثة فى هذا ؟!

أثار رد الفعل هذا انتباه واهتمام وقلق (رمزى) ، فكرَّر فى حزم :

ـ نعم .. ما الكارثة فى هذا ؟!

تطلَّع (طارق) إليهما بضع لحظات فى صمت ، وكأنما يزن الأمر فى رأسه جيِّدًا ، أو يبحث عن جواب شاف ، فكرَّر (رمزى) فى صرامة :

ـ أين الكارثة من كل هذا يا (طارق) ؟!

هتف (طارق) فى حدة :

ـ اللعنة ! هؤلاء الأوغاد يتنصَّتون علينا ، ويستمعون إلى كل كلمة ننطق بها هنا ، وعلى الرغم من هذا ، فأنا مضطر لشرح الأمر كله لكما .

قال (رمزى) فى حسم :

ـ أعتقد أن هذا أفضل ما يمكنك فعله .

صمت (طارق) بضع لحظات أخرى ، ثم أجاب فى حزم :

ـ الواقع أنهما كارثتان ، لا كارثة واحدة .. هناك كارثة على المستوى الشخصى لى ، وكارثة على المستوى العام لكم .

غمغم الدكتور (ناظم) ، وهو ينصت إلى هذا الحديث فى حجرة المراقبة :

ـ محاولة خداع أخرى .

أجابه أحد العلماء فى حذر :

ـ دعنا نستمع إليه أولًا يا سيِّدى .

مط شفتيه فى ازدراء ، وهو يعقد حاجبيه فى غضب ، فى حين لاذ الباقون بالصمت ، وهم يستمعون إلى (طارق) ، الذى تابع :

ـ الكارثة التى تخصنى شخصيًا هى أن المقاتلة يمكن أن ترحل دونى ، فيعنى هذا أن أفقد فرصة العودة إلى زمنى تمامًا .

سألته (نشوى) :

ـ وماذا عن كارثتنا نحن ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ المقاتلة مزوَّدة بجهاز دفاع آلى متطوِّر للغاية ، يتولَّى عدة مهام مختلفة ، تتلاقى كلها عند حماية المقاتلة ، والذود عنها ، ضد أى محاولة للاعتداء ، ثم الإبقاء علىَّ شخصيًا .

قال (رمزى) فى دهشة :

ـ عليك أنت ؟!

أجابه فى حزم :

- بالطبع .. صحيح أن الطيَّار الآلى يمكنه أن يقود المقاتلة ، ولكن ..

بتَر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وكأنه انتبه فجأة إلى خطورة ما سيتفوّه به ، فانعقد حاجبا (رمزى) ، وتبادل نظرة متوترة مع (نشوى) ، ثم مال نحوه ، قائلاً :

- ما الذى تخفيه بالضبط يا (طارق) ؟!

اكتسى وجه (طارق) فجأة بذلك القناع البارد ، وهو يقول :

- ولماذا تتصوَّر أننى أخفى شيئًا ؟!

تطلّع (رمزى) إلى عينيه مباشرة ، وقال :

- لست أتصوَّر هذا يا (طارق) .

ثم استدرك فى صرامة مباغتة :

- أنا واثق منه .

ظلّ وجه (طارق) جامدًا باردًا كالثلج ، وهو يقول :

- واثق منه ؟!

أجابه (رمزى) فى حدة :

- نعم يا (طارق) .. يبدو أنك نسيت أننى أحد الخبراء المعدودين فى الطب النفسى ، وأننى أستطيع

إدراك محاولات الخداع ، والمراوغة على الفور .

أطلق الدكتور (ناظم) ضحكة عصبية ، فى حجرة المراقبة ، وقال :

- أخيرًا استوعب خبيرنا النفسى الأمر .

أما (طارق) ، فقد لاذ بالصمت لثوان ، قبل أن يقول فى صرامة :

- المعرفة الكاملة لا تؤدى للارتياح دائمًا يا (رمزى) .. كثيرًا ما يكون من الأفضل أن نجهل جزءًا من الحقيقة .

أجابه (رمزى) فى صرامة مماثلة :

- ولكنك لن تحصل على تعاوننا ، دون أن تخبرنا بالحقيقة الكاملة يا (طارق) .

التقى حاجبا (طارق) ؛ وهو يقول فى صرامة :

- الحقيقة الوحيدة ، التى ينبغى أن تعرفها ، هى أنه ما لم أغادر هذا المكان ، قبْل انطلاق مقاتلتى ، فسيكون الثمن غاليًا .. غاليًا للغاية ..

نطقها على نحو يوحى بأن تلك الكارثة ، التى تحدَّث عنها آتية لا ريب .

وبأقصى سرعة .

* * *

٨ - الرحيـــــل ..

ازدرد (أكرم) لعابه في توتر ، وهو يتطلع إلى المقاتلة ، التى بدت هادئة ساكنة ، على ارتفاع متر واحد من رمال الصحراء ، وغمغم وهـو يتحسس حزامه ، فى نفسه الموضع ، الذى كان يحتله مسدسه :

- هذا الشىء يبعث فى نفسى قشعريرة سخيفة .

قال (نور) ، وهو يراقب المقاتلة بمنظار خاص :

- هذا أمر طبيعى يا صديقى .. إنك تواجه شيئًا مجهولًا ، والناس أعداء ما يجهلون فى المعتاد .

غمغم (أكرم) فى سخرية عصبية :

- وخاصة عندما يفتقدون أسلحتهم .

رمقه (نـور) بنظرة خاوية ، ثـم التفت إلـى (سلوى) ، يسألها :

- أما زالت الذبذبة تتواصل ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، قائلة :

- نعم يا (نـور) .. ما زالت تتـواصل بمعـدل

تناقص ثابت ، وستبلغ الصفر بعد ساعة وست دقائق من الآن .

تنهد ، قائلًا :

- الأفضل إذن أن نتحرك فى سرعة .

أدار (أكرم) عينيه ، فى رمال الصحراء ، التى ارتوت بدماء عشرات الشهداء ، وغمغم :

- أأنت واثق من أنها لن تهاجمنا يا (نور) ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- لن يمكننا أن نتأكد إلا عندما نقترب منها بالفعل .

أجابه (أكرم) فى توتر :

- عظيم .. حديثك هذا يطمئننى كثيرًا .

ابتسم (نور) ابتسامة عصبية ، ثم قال لـ(سلوى) فى اهتمام :

- الأمر كله سيعتمد عليك يا (سلوى) .. سنقترب من المقاتلة فى حذر ، وعندما نصبح على مسافة عشرة أمتار منها ، عليك بإطلاق الذبذبة المناسبة ، لإيقاف عمل الحاجز الواقى .

زفرت فى توتر ، قائلة :

- سأبذل قصارى جهدى يا (نـور) ، ولكننى

لا أستطيع أن أعد بشىء فى الوقت الحالى ، فجهازى ما زال يحاول تحليل ذبذبة الغلاف الواقى للمقاتلة ، ومن الواضح أنه شديد التعقيد للغاية .

ألقى نظرة على ساعته ، وهو يسألها فى توتر :

- كم يحتاج الأمر فى رأيك ؟!

هزَّت رأسها ، قائلة :

- لا يمكن الجزم بهذا الآن يا (نور) ، ففك شفرة رقمية شديدة التعقيد كهذه ، يخضع لعوامل شتَّى ، وربما يتم خلال نصف الساعة ، أو يمتَد الأمر إلى عشر ساعات كاملة :

هتف (أكرم) فى انزعاج .

- عشر ساعات ؟!

أجابته فى سرعة :

- هذا الجهاز الحديث يتعامل مع الأمر بصورة أفضل كثيرًا ، ويمكنه إجراء أكثر من ألفى عملية تحليل عشوائية ، فى الثانية الواحدة ، وربما يمكنه فك الشفرة بالسرعة الكافية .

لوَّح بكفيه ، قائلاً فى توتر :

- وهل سننتظره حتى يفعل ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- بل سنستغل الوقت ، فيما يمكن أن نطلق عليه اسم (اختبار رد فعل الخصم) .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

تطلَّع (نور) لحظة إلى المقاتلة الزمنية ، قبل أن يتقدَّم نحوها ، مجيبًا :

- يعنى أن نقترب أكثر .

امتقع وجه (سلوى) ، وهى تمسك يده فى قوة ، قائلة :

- (نور) .. احترس لخطواتك جيِّدًا .

ربَت على وجهها ، وحاول أن يبتسم فى صعوبة ، مغمغمًا :

- اطمئنى .

تنهَّد (أكرم) ، وهو يتقدَّم بدوره نحو المقاتلة ، قائلاً :

- يا إلهى ! لماذا اختارت (مشيرة) هذا الوقت بالذات ، لتسافر إلى (سنغافورة) ؟! إننى أفتقدها بشدة الآن .

ابتسم (نور) ، وهو يسير إلى جواره ، قائلاً :

- كم سيسعدها أن تسمع كلماتك هذه ؟!

ضحك (أكرم) ، وقال :

- أتعشّم ألا يخبروها أنها كانت كلماتى الأخيرة .

أما (سلوى) ، فقد ضمّت قبضتيها إلى صدرها ، هاتفة :

- ساعدهما يا إلهى ! ساعدهما ..

ومن بعيد ، ارتفع حاجبا قائد المشاة فى دهشة ، وهو يراقب المشهد ، عبر منظاره المقرّب ، وقال :

- من أى شىء صُنِعَ هذان الرجلان .. إنهما يتداعبان ، وهما يتجهان نحو ذلك الوحش الآلى ، كما لو أنهما فى نزهة لطيفة .

غمغم مساعده :

- إنهما ينتميان إلى المخابرات العلمية .

التفت إليه القائد فى حركة حادة ، وهمّ بقول شىء ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه ، وعاد يراقب (نور) و (أكرم) ، مغمغمًا :

- نعم .. إنهما ينتميان إلى المخابرات العلمية .

كان (نور) يقول لرفيقه ، فى تلك اللحظة ، وهو يراقب المقاتلة فى حذر :

- أربعون مترًا ، وكل شىء على ما يرام .

ازدرد (أكرم) لعابه ، فى صعوبة ، وعاد يتحسس موضع مسدسه الخالى ، وهو يغمغم :

- أشعر أن تلك الكرة الذهبية تراقبنا .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وقال :

- إنها تفعل بالتأكيد .. وبمنتهى التحفز .

قال (أكرم) متوترًا :

- أتعنى أنها قد تنقضّ علينا ، عند أول لمحة شك ؟

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وقال :

- لست أعتقد هذا .. إنها واحدة من مميزات الآلات ، فهى لا تتعامل بالشكّ والريبة ، بل تواجه الأمور بأبجديات واضحة مباشرة ، وما لم تبدو منك أية حركة عدوانية ، أو ترصد أجهزتها سلاحًا ما فى جعبتك ، فإنها لن تهاجمك قط .

تمتم (أكرم) ، وهو يواصل تقدّمه .

- أتعشّم هذا .

أتاهما صوت (سلوى) ، فى تلك اللحظة ، وهى تقول ، عبْر جهاز اتصال محدود ، يلتصق بأذنيهما :

- الجهاز حقّق تقدمًا ملحوظًا .. أظنه سيتمكن من فك الشفرة فى الوقت المناسب .

غمغم (نور) :

- عظيم .. كم من الوقت سيمكنه إيقاف عمل الغلاف الواقى فى اعتقادك ؟

تنهّدت ، مجيبة :

- ليس أكثر من خمس ثوان للأسف .

صمت (نور) و (أكرم) بضع لحظات ، ثم أجاب الأخير فى حزم :

- أظنها تكفى .

لاذت (سلوى) بالصمت بدورها لبعض الوقت ، ثم قالت :

- وفّقكما الله ورعاكما .

لم ينطق أحدهم بعدها بحرف واحد ، و (نور) و (أكرم) يواصلان تقدُّمهما نحو المقاتلة الزمنية ، حتى قال (نور) :

- عشرون مترًا ، ومازال كل شىء على ما يرام .

لوّح (أكرم) بيده ، قائلاً :

- كم أتمنى أن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انفصلت تلك الكرة الذهبية عن المقاتلة بغتة ، فأمسك (نور) يد (أكرم) ، هاتفًا :

- يا إلهى .. أخشى أن ..

لم يكن قد أتمّ عبارته بدوره ، عندما ارتجّت الكرة الذهبية فى قوة ، ثم انفصلت فجأة إلى جسمين متماثلين ، عاد أحدهما يلتصق بالمقاتلة ، فى حين انطلق الثانى بغتة ..

نحو (أكرم) و(نور) ..

مباشرة ..

* * *

« إنك تخفى شيئًا يا (طارق) .. »

ألقى (رمزى) العبارة فى وجه (طارق) فى غضب ، ولكن ملامح هذا الأخير ظلّت تحتفظ بجمودها ، وهو يقول :

- لكل امرئٍ الحق فى الاحتفاظ ببعض أسراره يا (رمزى) .

قالت (نشوى) فى صرامة :

- ليس إذا كانت هذه الأسرار من الخطورة ، بحيث تهدّد زمنا بأكمله .

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- هذا رأيك .

تطلَّع إليه (رمزى) بضع لحظات فى حنق ، ثم تراجع قائلاً :

- لست أدرى لماذا تصرَ على إحاطة نفسك بكل هذا القدر ، من التوتر والغموض ، على نحو يفقدك أقرب الأصدقاء .

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

- الصديق الحق لا يتخلَى عن صديقه فى وقت الشدة .

همَّ (رمزى) بقول شىء ما ، ولكن (طارق) لوَّح بسبَّابته فى وجهه ، مضيفًا :

- ويوليه ثقته ، فى الوقت ذاته .

أشار إليه (رمزى) ، قائلاً :

- هذا ينطبق على الطرفين .

أطلق (طارق) ضحكة متوترة ، وقال ملوحًا بسبَّابته :

- ليس فى وجود كل هؤلاء المراقبين .

ثم استعاد صرامته بغتة ، وهو يستطرد :

- ولكن لا تنسوا أننى قد حذَّرتكم .

سأله (رمزى) فى حدة :

- حذَّرتنا من ماذا ؟!

أجاب فى اقتضاب :

- من الكارثة .

هزَّ (رمزى) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- (طارق) .. إنك تصرَ على ..

قاطعته (نشوى) ، وهى تسأله فجأة :

- أين القرص الليزرى المدمج يا (طارق) ؟

التفت إليها (طارق) فى بطء ، وسألها :

- أى قرص ؟!

سألته فى صرامة :

- القرص الذى يحوى مائة جيجابايت من المعلومات .. ذلك القرص ، الذى أريتنى إياه فى منزلك .

صمت لحظة ، وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة فى ثبات ، قبل أن يقول :

- ذلك القرص لا يوجد سوى فى خيالك .

هتفت محتدَة :

- لقد رأيته بين أصابعك .

ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

- رأيت قرصًا ليزريًا مدمجًا ، يمكن أن يحوى بعض

السيمفونيات الموسيقية ، أو مجموعة من أفلام الفيديو ، أو حتى مجرَّد برامج لرسوم الأطفال ، وأنا أخبرتك لحظتها أنه يحوى مائة ميجابايت من المعلومات ، فقط لأجذب انتباهك إليه ، وأستخدم سطحه اللامع لتنويمك مغنطيسيًا ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حزم :

ـ لا يمكنك أن تنوِّم أحدًا مغنطيسيًا ، على الرغم منه .

التفت إليه بنفس السخرية ، قائلاً :

ـ أتؤمن بهذا حقًا .

انعقد حاجبا (رمزى) ، دون أن يجيب السؤال ، فى حين قالت (نشوى) فى صرامة :

ـ لن يمكنك خداعى يا (طارق) .. أنا واثقة من أن ذلك القرص حقيقى ، وأنك تخفيه فى مكان ما .

هزَّ كتفيه فى هدوء ، قائلاً :

ـ هذا شأنك .

رمقه (رمزى) بنظرة صارمة ، ثم أشار إلى باب الجناح ، قائلاً :

ـ هل تعلم يا (طارق) ؟ لقد عبرت هذا الباب ،

وأنا من أشدّ المؤيدين لك ، والمدافعين عن موقفك أما الآن ، فقد انضممت إلى قائمة المتشككين فى أمرك .

تطلَّع إليه (طارق) لحظة فى صمت ، قبل أن يقول فى أسى حقيقى :

ـ لن يمكنك أن تتصوَّر كم يؤسفنى ويؤلمنى هذا .

ثم وضع يده على كتف (رمزى) ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، بنظرة بدت له مخلصة للغاية ، وهو يتابع :

ـ صدقنى يا (رمزى) .. أنا لم أقصد شرًّا بزمنكم قط .

تفجَّرت حيرة هائلة فى أعماق (رمزى) ، وهو يتطلَّع إليه ..

لقد بدا له صادقًا ..

وإلى أقصى حد ..

ولكنه مازال يخفى أمرًا ما فى أعماقه ..

ومازال يقف وسط بحر متلاطم الأمواج من الغموض ..

و ...

قبل أن يتمادى فى أفكاره ، تسلَّل إلى مسامعه بغتة

دوى انفجارات عنيفة ، وشعر بيد (طارق) ترتجف على كتفه ، فهتف :

ـ ما هذا ؟!

عضّ (طارق) شفتيه فى مرارة ، وهو يقول :

ـ ما حذّرتكم منه ... الكارثة .

وهوى قلب (نشوى) بين قدميها ..

★ ★ ★

انطلقت صرخة رعب هائلة من حلق (سلوى) ، وانتفض جسدها كله فى عنف ، عندما اندفعت الكرة الذهبية نحو (نور) و (أكرم) ، وقفز قائد المشاة من مكانه ، صائحًا :

ـ يا إلهى ! إنها تهاجمهما .

أما (نور) و (أكرم) ، فقد انحنيا بحركة حادة ، والأخير يهتف :

ـ اللعنة ! لقد فعلتها .

كان الجميع يتوقّعون أن تنقضّ تلك الكرة الذهبية على (نور) و (أكرم) ، وتسحقهما سحقًا ، مثلما فعلت بما يقرب من مائة رجل من قبل ، و ...

ولكن الكرة تجاوزتهما بسرعة خرافية ، واصلت

انطلاقها بها ، حتى غابت فى الأفق ، فدار قائد المشاة بجسده كله معها ، وهو يهتف :

ـ رباه ! أين ذهبت ؟!

مع آخر حروف كلماته ، دوت فى المكان فرقعة قوية ، فهتف (نور) :

ـ يا إلهى ! لقد اخترقت حاجز الصوت(*) .

كررت (سلوى) فى انفعال ، عبر أجهزة الاتصال المحدودة :

ـ أين ذهبت ؟!

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى ، ولكن يبدو أنها مهمة عاجلة للغاية .

أطلق (أكرم) زفرة قوية ملتهبة ، وهو يقول :

ـ لقد تصوّرت لحظة أنها ..

قاطعه (نور) :

ـ وأنا أيضًا .

ثم تطلّع إلى المقاتلة لحظة ، وأضاف :

ـ ولكن من الواضح أن نظريتى ما زالت صالحة .

(*) سرعة الصوت : ٣٤٠ م/ث .

أومأ (أكرم) برأسه متفهمًا ، وغمغم :

- نظرياتك تصلح دائمًا .

غمغم (نور) ، وهو يتقدَّم مرة أخرى نحو المقاتلة :

- من حسن الحظ .

هزَّ (أكرم) رأسه نفيًا ، وقال وهو يتبعه :

- بل من حسن تفكيرك .

تنهَّد (نور) ، قائلاً :

- إنه توفيق من اللَّه (سبحانه وتعالى) .

ثم قال ، عبر جهاز الاتصال المحدود :

- سبعة عشر مترًا ، وكل شىء على ما يرام .

أجابته (سلوى) فى لهفة :

- يبدو أن جهازى سيحقق نجاحًا أيضًا .

تمتم (أكرم) :

- عظيم .. هناك شىء يمكن أن يحقق نجاحًا فى هذا العالم .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- لا تكن متشائمًا هكذا .

هزَّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

- هل تعتقد أن ..

قاطعه صوت (سلوى) فجأة ، وهى تهتف :

- فعلها يا (نور) .. الجهاز فعلها .. لقد توصَّل إلى الشفرة .

انتفض جسد (نور) و (أكرم) فى انفعال ، عندما أطلقت هتافها ، وقال (نور) فى توتر :

- متى يمكنك إلغاء مفعول الغلاف الواقى ؟!

أجابته منفعلة :

- فى أية لحظة الآن يا (نور) .. سأطلق ذبذبة ، يمكنها إيقاف الغلاف الواقى لمدة ما بين ثلاث إلى خمس ثوان .

غمغم (نور) :

- سيكفينا هذا بإذن اللَّه .

سأل (أكرم) فى عصبية :

- وماذا عن تلك الكرة الذهبية ؟!

أجابته (سلوى) فى حماس :

- المفترض أن يتوقَّف مفعولها لثانية أو ثانيتين ، مع إزالة الغلاف الواقى ، ولكنها ستستعيد نشاطها على الفور بالتأكيد .

هزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً فى عصبية :

ـ رائع .. عظيم .. كل شىء مطمئن ويبشِّر بالخير للغاية .. هذا يعنى أن أمامنا عمليًّا ثانيتين فحسب ، وإلا ..

قاطعه (نور) في حزم :

ـ ستكفى بإذن الله .

راقبهما قائد المشاة من بعيد فى اهتمام متوتر ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! لقد أصبحا على مسافة عشرة أمتار منها ، دون أن تحركَ ساكنًا .

هزَّ مساعده رأسه ، قائلاً :

ـ هذا يثبت أن القوة ليست الوسيلة المثالية دائمًا ، لعلاج كل المشكلات .

قال القائد فى صرامة :

ـ هراء .. سترى الآن أن ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، كانت (سلوى) تهتف فى انفعال :

ـ الآن يا (نور) .

ومع هتافها ، انطلق (نور) و(أكرم) يعدوان

نحو المقاتلة ، فبتر قائد المشاة عبارته ، وهتف فى انفعال جارف :

ـ ربّاه ! إنهما ينقضَّان عليها .

وقفت الكرة الذهبية جامدة ، طوال الثانيتين ، اللتين استغرقهما (نور) و(أكرم) ؛ ليبلغا المقاتلة ، فوثب الأخير يتعلَّق بها ، ثم دفع بابها جانبًا ، وقفز داخلها ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! لم أتصوَّر أن الأمر سيتمَّ بهذه البساطة !

قفز (نور) خلفه ، وهو يلهث ، قائلاً :

ـ لقد عدونا وكأن شياطين الأرض كلها تطاردنا .

لهث (أكرم) بدوره ، قائلاً :

ـ المهم أننا تجاوزنا ذلك الشيطان الذهبى .

ثم هتف فى حماس :

ـ ولكن الباب كان مفتوحًا .. هل لاحظت هذا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) :

ـ كنت أتوقَّع هذا .. الذين صمَّموا هذه المقاتلة ، كانوا يثقون تمامًا بقوة غلافها الواقى ، وحارسها الآلى ، حتى إنهم لم يتصوَّروا أن أحدًا يمكن أن يتجاوزهما .

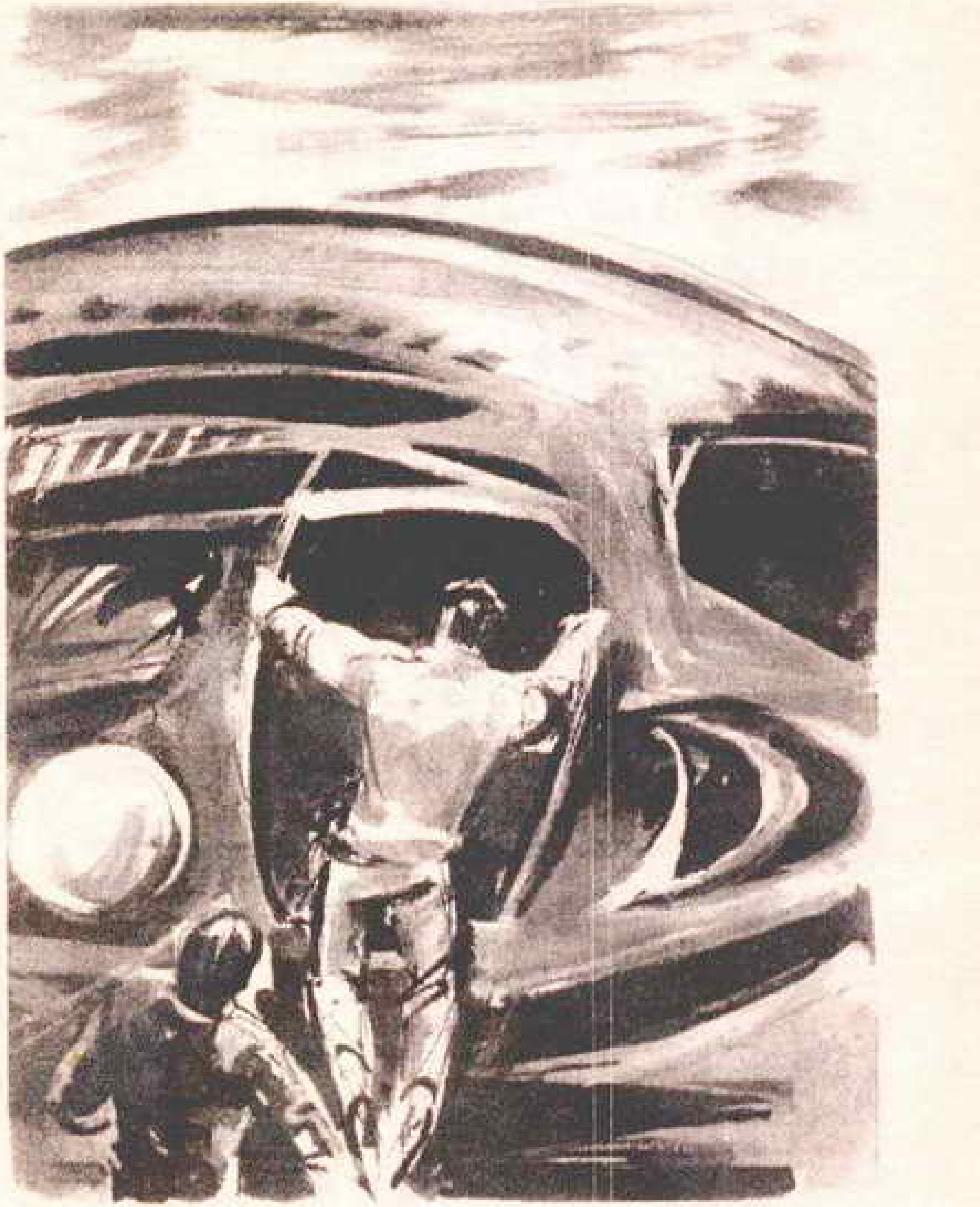

فوثب الأخير يتعلَّق بها ، ثم دفع بابها جانبًا ، وقفز داخلها ...

هزَّ (أكرم) رأسه ، قائلاً :

ـ ولكننا فعلنا يا (نور) ، وكان من الممكن أن يفعل غيرنا ، و ....

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى المقاتلة من الداخل ، وقال مبهورًا :

ـ ربَّاه ! إننا داخلها بالفعل يا (نور) .

أدار (نور) عينيه فيما حوله فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ إنها فسيحة من الداخل ، ويبدو أنها تتسع لأربعة أشخاص ، وليس لطيَّار واحد .. هناك مقعدان للقيادة ، وآخران لراكبين إضافيين .. عجبًا ! أى نوع من المقاتلات هذه ؟!

التقى حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ هل تعلم يا (نور) ؟ إننى أعتقد أن (طارق) هذا لم يصدقنا القول تمامًا !

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وقال فى اقتضاب :

ـ هذا صحيح .

وأشار إلى بعض الأجهزة داخل المقاتلة ، مستطردًا :

ـ انظر .. كل شىء هنا يشبه تقريبًا ما نستخدمه

فى عالمنا .. ربما كانت الأشياء أصغر حجمًا ، ولكنها تحمل خطوط التصميمات المعتادة .

قال (أكرم) فى حيرة :

- وماذا فى هذا ؟!

مطّ (نور) شفتيه ، قائلاً :

- لست أدرى .. المفترض أنه جاء من الماضى السحيق ، وهذا لا ..

« (نور) .. هل تسمعنى ؟! »

قاطعه صوت (سلوى) بغتة ، فبتر عبارته ، ليقول فى اهتمام :

- نعم .. أسمعك يا (سلوى) .. ماذا هناك ؟!

أجابته بتوتر بالغ :

- المقاتلة غيّرت شفرة الغلاف الواقى ، بأخرى أكثر تعقيدًا .

هتف (أكرم) :

- يا إلهى ! أيعنى هذا أننا صرنا سجينين هنا ؟!

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، وقال :

- ما زالت أمامنا ساعة كاملة ، لحل هذه المشكلة .. هل تسمعيننى يا (سلوى) .. سنجد وسيلة داخل

المقاتلة حتمًا ، لإيقاف العد التنازلى ، وإزالة الغلاف الواقى .

هتفت ملتاعة :

- أتعشَم هذا يا (نور) .. أتعشَم هذا .

فحص الأجهزة التى أمامه فى سرعة ، ثم قال :

- أعتقد أننى عثرت على كمبيوتر المقاتلة ، الذى يحوى كل سجلاتها .. هل يمكنك استقبال تلك السجلات وتخزينها ، لو أوصلت الكمبيوتر بجهاز الاتصال اللاسلكى المحدود ؟!

أجابته فى توتر :

- بالتأكيد يا (نور) ، ولكننى أفكر فى ...

قاطعها فى حزم :

- قومى بواجبك ، وسنقوم نحن بواجبنا .

صمتت لحظة ، ثم غمغمت :

- فليكن يا (نور) .. فليكن .

لم ينطق أحدهم بعدها بحرف واحد ، و (نور) يوصل جهاز الاتصال بالكمبيوتر ، وإن دار فى رءوس ثلاثتهم سؤال واحد ..

كيف يمكن الخروج من هذا الموقف ؟!
كيف ؟!

★ ★ ★

فجأة ، ظهرت الكرة الذهبية ، فى سماء (القاهرة) ، وهى تنطلق بسرعة خرافية ، قبل حتى أن ترصدها أجهزة الرادار والكشف ، كانت تدور دورة واسعة ، وكل آلاتها وأجهزتها الداخلية الخفية تبحث عن شخص واحد بالتحديد ..

عن (طارق) ..

قائد المقاتلة ، الذى لم يرسل إشارة واحدة ، تفيد استعداده للإقلاع ، منذ بداية العد التنازلى ..

وكان هذا جزءًا من برنامج الدفاع والحماية الرئيسى ..

أن يتم إحضار القائد ..

وبأى ثمن ..

ومع الدورة الثانية ، التقطت الأجهزة البصمة الجينية للقائد ..

وحدَدت موقعه ..

وانطلقت الكرة الذهبية نحوه مباشرة ..

وفى إدارة البحث العلمى ، هتف طاقم الحراسة والمراقبة :

- جسم مجهول ، يندفع نحو المركز مباشرة ..

وبسرعة مدهشة ، ومهارة بالغة ، تحرَك رجال الحراسة لصد الهجوم ..

وانطلقت مدافع الليزر نحو الهدف ..

وأصابته بمنتهى الدقة ، على مسافة كيلو متر كامل من المركز ..

ودوت انفجارات عنيفة ، فى سماء (القاهرة) ..

تلك الانفجارات ، التى بلغت مسامعهم ، فى جناح (طارق) ، الذى قال فى توتر :

- إنه الحارس الآلى للمقاتلة .. هذا ما كنت أخشاه .

هتفت به (نشوى) :

- ولماذا أتى إلى هنا ؟!

أجابها فى انفعال :

- هذا جزء من مهمته .. إما أن أذهب أنا إليه ، أو يحضر هو إلىَ .

ثم أمسك كتفى (رمزى) فى قوة ، قائلاً :

- حاول أن تنقذ الأرواح العديدة ، التى سيزهقها

الحارس الآلى ، حتى يصل إلىَّ .. اقنعهم بالتوقُّف عن القتال ، وإطلاق سراحى ، وسينتهى كل شىء بسلام .

انفرجت شفتا (رمزى) ، لينطق بشىء ما ، لولا أن اقتحم الدكتور (ناظم) الجناح فجأة ، على رأس فريق من الجنود ، وهو يهتف :

- مستحيل ! لن تنطلى خدعتك هذه على أحد .. لن تخرج من هنا قط .

التفت إليه (طارق) فى شراسة ، قائلاً :

- سأخرج من هنا ، على الرغم من أنوف الجميع ، سواء شئت أم أبيت .

قال الدكتور (ناظم) ، وهو يشير إلى الجنود :

- بل سيتمّ نقلك على الفور إلى المخبأ النووى ، حتى نسحق سلاحك هذا ، ثم ...

صاح به (طارق) :

- لا فائدة .. صدقنى .. جيوشكم كلها لا قبل لها به .. ألغ عنادك هذا ، واستمع إلى صوت العقل مرة واحدة .. أطلق سراحى ، قبل أن يتفاقم الأمر ، ويسقط العشرات ، وتراق أنهار الدماء ، و ...

قاطعه الدكتور (ناظم) ، وهو يهتف بالجنود :

- اقبضوا عليه .

انقضَّ الجنود على (طارق) ، و(رمزى) يهتف :

- استمع إليه يا دكتور (ناظم) .. الشواهد كلها تؤكِّد أنه على حق .. أطلقوا سراحه قبل فوات الأوان .

كان (طارق) يقاوم فى شراسة وعنف ، حتى إن (نشوى) تراجعت فى ذعر ، وحجبت وجهها بيدها ، هاتفة :

- يا إلهى ! لماذا يحدث كل هذا ؟! لماذا ؟!

لكَمَ (طارق) أحد الجنود فى فكه ، ثم ركل الآخر فى معدته ، صارخًا :

- أيها الأغبياء .. إننى أحاول حمايتكم .. أيها الـ ..

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى انفجار أكثر عنفًا ، ارتجّ له الجناح بأكمله ، وانطلق بعده صوت جهاز الأمن الآلى ، يقول :

- طوارئ قصوى .. هجوم شامل .. يتم تنفيذ الخطة (صفر) .. أكرِّر .. الطوارئ قصوى .. إخلاء المبنى خلال دقيقة واحدة .

امتقع وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يهتف :

- ربَّاه ! الخطة (صفر) ؟!

كان يعلم أن اللجوء إلى الخطة (صفر) يعنى أن الخصم ، الذى يهاجم المبنى ، بالغ القوة والعنف ، ولا قبل لنظمه الأمنية بمواجهته ؟!

وهذا يعنى أن (طارق) على حق ..

وأنه سيغادر المكان حتمًا ؟!

ولكن هذا مستحيل !

الدراسات كلها تؤكد أن نجاحه فى العودة إلى زمنه ، قد يهدد العالم كله بالفناء ..

لذا فلا يوجد سوى حل واحد ..

حل لا بديل له ..

وبكل قوته ، صرخ فى الجنود :

ـ اقتلوه .. اقتلوا (طارق) .

ومع صرخته ، ارتفعت فوهات المدافع الليزرية كلها نحو (طارق) ، فصرخت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! لا .

واتسعت عينا (رمزى) فى ارتياع ، و ...

وفجأة ، اندفعت تلك الكرة الذهبية داخل الجناح ..

وقبل حتى أن يلتفت الجنود إليها ، بدأت هجومها الشرس فى عنف ..

لقد رصدت أسلحتهم ، المصوبة إلى قائد المقاتلة ، فاندفعت تنفذ الأولوية المطلقة فى برنامجها ..

حماية القائد ..

وصرخت (نشوى) فى ارتياع ، عندما انفجر جسد أحد الجنود ، وانسحق جسد الثانى ، وأطلق الثالث صرخة ألم وذعر هائلة ، وهو يمسك رأسه ، والدماء تتفجر من أنفه وفمه وأذنيه ..

وفى رعب هائل ، ألقى باقى الجنود أسلحتهم ، وانطلقوا يفرون بحياتهم ، فصاح بهم الدكتور (ناظم) :

ـ أيها الجبناء .. اقتلوه !! لا بد أن يموت .

صاح بها ، وهو يقفز نحو أحد الأسلحة الملقاة أرضًا ، فاستدارت نحوه الكرة الذهبية ، و ...

« لا ... »

انطلقت الصيحة ، من بين شفتى (طارق) ، فتجمدت الكرة الذهبية فى هواء الجناح ، وهو يتابع فى ذعر :

ـ لا تقتله .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ذهول ، وهو يحدق فيه ، غير مصدق أنه قد أنقذ حياته ، وهو

الذى أمر الجنود بقتله منذ لحظات ، وانتفض قلبه بين ضلوعه ، عندما قال (طارق) فى مرارة :

- كفى إراقة للدماء .

استدارت الكرة الذهبية إليه فى بطء ، فهزَّ رأسه فى أسى ، قائلاً :

- لقد حذّرتكم .

تجمّدت مشاعرهم جميعًا ، وهم يحدقون فيه ، فى حين راحت الكرة الذهبية تتعاظم وتتعاظم ، وهو يقف ساكنًا ، مغمض العينين ، حتى احتوته الكرة فجأة ، وأحاطت به بسرعة مدهشة ، جعلت (نشوى) تطلق شهقة قوية ، وتقفز إلى الخلف مذعورة ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، انطلقت الكرة الذهبية ..

ودوت فرقعة مخيفة فى المكان ، وهى تبتعد وتبتعد بسرعة خرافية ، حتى غابت فى الأفق ، واختفت ..

اختفت تمامًا ، تاركة الجميع خلفها فى حيرة ، وخوف ، و ...

وذهول ..

★ ★ ★

« هل استوعب جهازك المخزون كله يا (سلوى) .. »

نقل جهاز الاتصال المحدود العبارة إلى (سلوى) ، فأجابت فى توتر ، وهى تضغط أزرار جهازها فى سرعة :

- نعم يا (نور) .. لقد حصلت على سجلات المقاتلة كلها .. إنها لغة غير مألوفة يا (نور) ، ولكننى سأعمل على تحليلها بأقصى سرعة .

سألها فى قلق :

- وماذا عن الغلاف الواقى ؟!

زفرت فى توتر بالغ ، قبل أن تجيب :

- إننى أبذل قصارى جهدى يا (نور) ، ولكن الشفرة الجديدة أكثر تعقيدًا وصعوبة .

قال (أكرم) فى حنق :

- إننى أفضّل الموت ، على البقاء داخل تلك المقاتلة اللعينة !

أجابته (سلوى) فى انفعال :

- حاول أن تحتمل قليلاً يا (أكرم) .. ما زال أمامنا أربعون دقيقة كاملة ، وربما أمكننا التوصّل إلى الشفرة قبلها .

قال (نور) فى تفكير عميق :

- ربما كان هناك حل آخر .

سأله (أكرم) فى لهفة :

- وما هو ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، وكأنما يدرس الفكرة فى عقله جيدًا ، قبل أن يقول :

- كل الأسلحة الدفاعية هنا مصممة ، بحيث تمنع اقتراب أى خصم من المقاتلة ، وتمنعه من دخولها ، ولكن هل ينطبق هذا على محاولات الخروج منها أيضًا ؟!

هتفت (نشوى) :

- يا إلهى ! فكرة عبقرية يا (نور) .

قال (أكرم) فى عصبية :

- هل يفهم الجميع كل شىء فيما عداى ؟!

أجابه (نور) فى حماس :

- ما أقصده هو أن كل الأجهزة الدفاعية فى المقاتلة ، لن تحاول منعنا من الخروج منها .

سأله (أكرم) فى عصبية :

- وماذا عن الغلاف الواقى ؟!

أجابه فى سرعة :

- فى كثير من الأحوال ، يمكن للأغلفة الواقية منع المرور فى اتجاه واحد ، وذلك لحماية الجسم المحاط بالغلاف الواقى ، وعدم منعه من إطلاق قذائفه فى الوقت ذاته ..

استغرق (أكرم) فى التفكير بضع لحظات ، ثم سأل فى قلق :

- تُرى هل ينطبق هذا على الكرة الذهبية أيضًا ؟!

قبل أن يجيب (نور) ، صدرت فجأة فرقعة رهيبة فى المنطقة ، فهتف :

- يا إلهى ! لقد عادت الكرة الذهبية الثانية .

ضرب (أكرم) راحته اليسرى بقبضته اليمنى ، قائلاً :

- اللعنة ! كنت أعلم أن الأمور لن تسير إلى الأمام دائمًا .

لم يسمع (نور) ما قاله (أكرم) ، وهو يتطلع عبر واجهة المقاتلة ، إلى الكرة الذهبية الثانية ، التى

بدت ضخمة للغاية ، وهى تقترب من المقاتلة فى سرعة مخيفة ..

ثم دارت فى الهواء ، لتنقضّ على بابها مباشرة ، فتراجع (أكرم) هاتفًا :

- ربّاه ! ماذا يحدث هنا ؟!

لم يكد يتمّ سؤاله ، حتى رأى (طارق) يندفع ، من داخل الكرة الذهبية ، إلى المقاتلة ، وهو يرتدى حلة فضية رقيقة ، ولم يكد يلمحهما حتى تجمّد فى مكانه ، وهتف فى ذهول :

- (نور) ؟! (أكرم) ؟! كيف وصلتما إلى هنا ؟!

تراجعت الكرة الذهبية ، وانكمشت فى سرعة ، ثم امتزجت بقرينتها ، و (نور) يقول :

- (طارق) ؟! كيف خرجت من إدارة الأبحاث العلمية ؟!

هتف به (طارق) فى عصبية :

- لا وقت لإجابة أية تساؤلات يا (نور) .. غادرا المقاتلة بسرعة .. ليس لديكما وقت كاف .

أجابه (نور) فى صرامة :

- طبقًا للعد التنازلى ، ما زالت أمامنا نصف ساعة على الأقل يا (طارق) ، وهى تكفى لـ ...

قاطعه (طارق) فى انفعال شديد :

- أية نصف ساعة ، وأى عد تنازلى يا (نور) ؟! إنكم لا تفهمون شيئًا .. العد التنازلى كان يستمر ، عندما كنت بعيدًا ، أما بعد وصولى ، فالأمر يختلف تمامًا .

كان يلقى عبارته ، عندما انتفض جسد (سلوى) ، وهى تحدّق فى شاشة جهازها ، هاتفة عبر جهاز الاتصال المحدود ، بصوت ملؤه الذعر والفزع :

- يا إلهى ! (نور) .. لقد توقّف العد التنازلى بغتة .. اهرب يا (نور) .. اهرب .

ومع آخر حروف كلماتها ، أغلقت المقاتلة الفضائية الزمنية بابها ، واشتعلت محركاتها ، فهتف (أكرم) :

- يا إلهى ! لقد فعلتها .

لم تكد عبارته تكتمل ، حتى دوت فرقعة جديدة فى المنطقة ..

وانطلقت المقاتلة الزمنية بغتة ، فى سرعة مذهلة ، لتخترق الغلاف الجوى كسهم من نار ، فى رحلة عشوائية جديدة ..

عبر الفضاء ..

وعبر الزمن ..

★ ★ ★

[انتهى الجزء الأول بحمد الله]

[ويليه الجزء الثانى بإذن الله]

(ألف عصر)

فارس الزمن

- ياسر (طارق) .. العضو الجديد فى فريق (نور) ، والذى يحيط به الغموض من كل جانب ؟
- كيف يواجه رجال الجيش ذلك الجسم المجهول ، الذى ظهر بغتة .. فى الصحراء الغربية ؟!
- ترى من يربح المعركة هذه المرة ؟ (نور) وفريقه ، أم (فارس الزمن) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل البقاء .

العدد القادم : ألف عصر

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

117

د. نبيل فاروق

الثمن فى مصر ٢٠٠
- وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

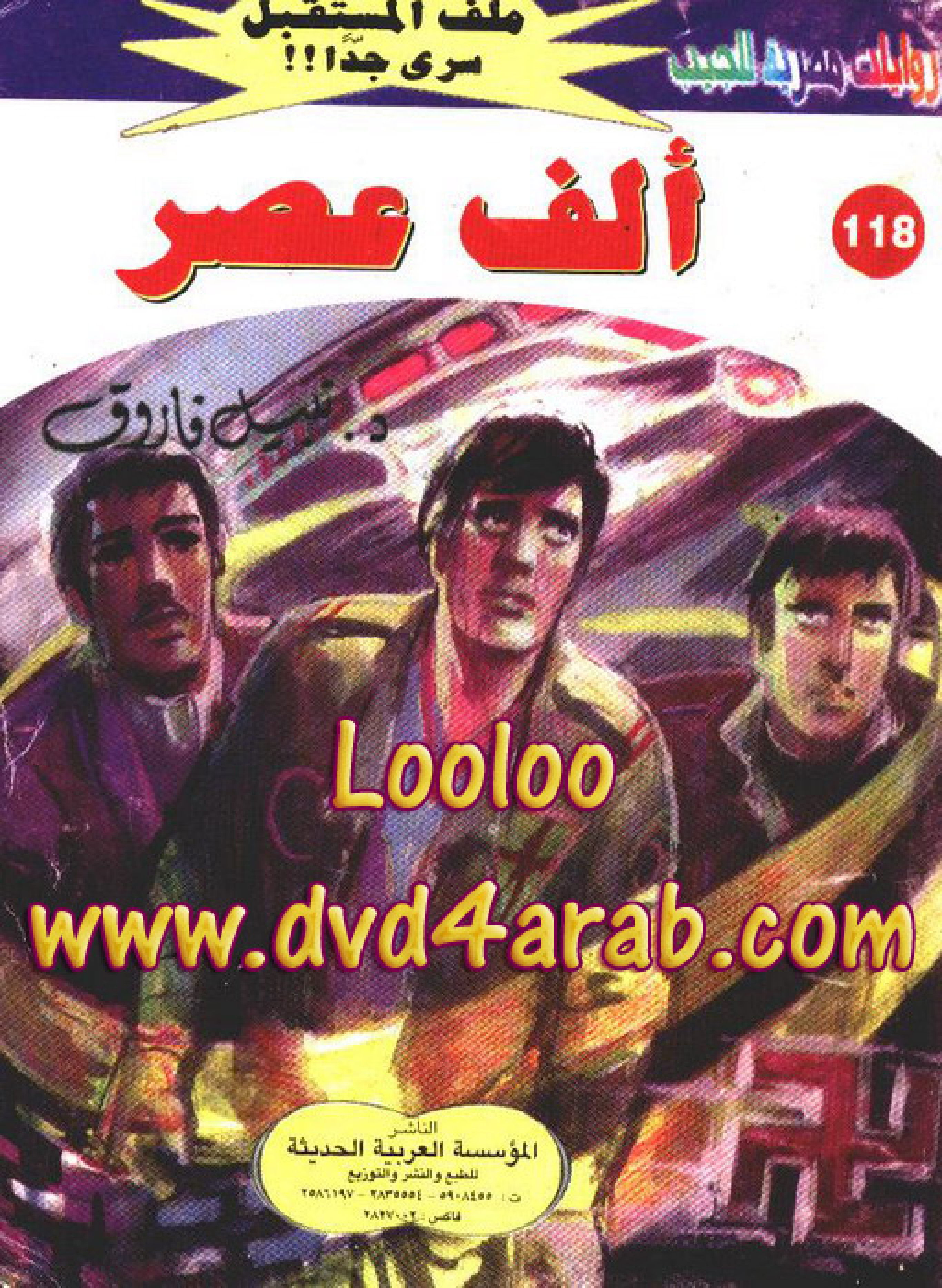
روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جدا!!
ألف عصر
118
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٤٧٠٠٣

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الزمــــن ..

ردّدت ممرات مبنى المخابرات العلمية المصرية وقع قدمى الدكتور (ناظم) ، رئيس مركز الأبحاث ، والرجل الثانى فى الإدارة ، وهو يعدو بانفعال واضح ، نحو المصعد الخاص ، الذى يقود إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، حيث مكتب القائد الأعلى ، وتصبَّب العرق على وجهه فى غزارة ، وهو يهتف عبْر جهاز التحليل الصوتى فى المصعد :

ـ الدكتور (ناظم) .. أطلب الإذن بالهبوط .

انبعث خيط رفيع من الضوء الأحمر ، من ثقب صغير ، فى إطار المصعد ، وتحرَّك بسرعة فوق قزحية عينه اليسرى ، قبل أن يرتفع صوت آلى ، يقول :

ـ تم التحقُّق من الشخصية .. يسمح بالهبوط .

كان الدكتور (ناظم) يفرك كفيه فى عصبية ، وهو ينتظر فتح باب المصعد ، وقبل أن يكمل الباب

رحلته ، كان الرجل يدلف إلى المصعد فى توتر شديد ، وكل خلجة من خلجاته تحمل انفعالاً جارفًا ، يفرز ما تموج به أعماقه من حمم ملتهبة ، ومشاعر متضاربة مشتعلة ..

وانبعث ذلك الضوء البنفسجى الهادئ داخل المصعد ، وهو يبدأ رحلته ، إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، والدكتور (ناظم) داخله ، شديد التوتّر ، وعقله ينطلق فى رحلة سريعة ، مع ذكريات قريبة ، أدَّت إلى كل ما حدث حتى الآن ..

إلى تلك اللحظة ، التى تم استدعاء (رمزى) فيها ، باعتباره قائد الفريق بالنيابة(*) ؛ ليعلنه القائد الأعلى والدكتور (ناظم) بشكوكهما فى عضو الفريق الجديد (طارق) ، بعد أن أسفرت الأبحاث عن أنه شخصية مجهولة ، انتحل هوية (طارق) هذا بعبقرية مدهشة ، بحيث أمكنه خداع شبكات الكمبيوتر والمعلومات ..

بل والحصول على عمل فى مؤسسة الرياسة ..

ثم فى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ..

(*) راجع قصة (العاصفة النووية) .. المغامرة رقم (١١٦) .

واجتمع الفريق ، ليدرس هذه القضية الجديدة ..

وبدأ الأمر بمحاولة لفحص منزل (طارق) ..

ولكنه انتهى بمواجهة مباشرة ..

وقتال عنيف ..

وتمَّ إلقاء القبض على (طارق) ؛ لاستجوابه بشأن بعض الأدلة ، التى أحاطت موقفه بغموض أكثر وأكثر ..

ثم توالت المفاجآت ..

والكوارث ..

فبخطأ غير مقصود ، ضغط (أكرم) زرًا أحمر ، فى منزل (طارق) ، فاشتعل الموقف كله دفعة واحدة ..

وفى الوقت الذى اعترف فيه (طارق) بأنه مقاتل من زمن آخر ، ألقت به تجربة فاشلة إلى زمنهم ، كان خطأ (أكرم) قد أشعل مقاتلة (طارق) ، التى بدأت العد التنازلى ، للانطلاق فى رحلة جديدة ، عَبْر نهر الزمن ..

ولكن برنامج المقاتلة كان يحوى خطوة أوَّلية ، لها الأولوية فوق أى أمر آخر ..

أن تحمى وجودها ..

وقائدها ..

وبأى ثمن ..

ومن هنا نشبت حرب طاحنة ، بين قوات الجيش المصرية ، والحارس الآلى للمقاتلة ..

ثم جاء دور (نور) وفريقه ..

ومع تطوّر الأمور ، بلغ (نور) و (أكرم) تلك المقاتلة ، وأمكنهما دخولها ..

ووصل (طارق) فى اللحظة الأخيرة ، و ..

« الطابق الثالث تحت الأرض .. »

انطلق الصوت الآلى ، يقطع تواصل أفكار الدكتور (ناظم) ، فاندفع خارج المصعد ، وعَبَر باب حجرة القائد الأعلى ، بعد تجاوز إجراءات الأمن المعتادة ، وهو يهتف بكل ما يملأ نفسه من انفعال :

ـ لقد انطلقت المقاتلة .

انتفض القائد الأعلى ، هاتفًا فى انزعاج :

ـ كيف ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) ، وهو يلوّح بذراعيه :

ـ تلك الكرة الذهبية اقتحمت إدارة البحث العلمى ،

وانتزعت (طارق) عنوة ، وحملته إلى المقاتلة ، التى انطلقت على الفور .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! لقد فقدنا الشاب إذن .

قال الدكتور (ناظم) فى انفعال :

ـ وأصبح كياننا كله معرّضًا للخطر ؛ فلو بلغ ذلك الشاب زمنه ، وأبلغهم بما علمه عن فناء حضارته ، قد ينجح قومه فى تفادى ما سبَّب اندثارهم ، فتستمر حضارتهم ، ولا يصبح لنا وجود ، فى مجرى الزمن .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يقول :

ـ رباه ! كيف يمكن تفادى أمر كهذا ؟!

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ هناك أمر واحد ، قد يحمل إلينا الأمل ، فى تفادى تلك الكارثة الزمنية ، على الرغم من أننا قد نعتبره ، فى حد ذاته ، كارثة حالية .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى توتر ، وهو يسأل فى حذر :

ـ وما هو ؟!

التقط الدكتور (ناظم) نفسًا عميقًا ، وأجاب :

ـ لقد انطلقت المقاتلة ، وبداخلها (نور) و(أكرم) أيضًا .

وانتفض جسد القائد الأعلى فى عنف ، وعيناه تتسعان عن آخرهما ، وترتفعان إلى سقف الحجرة بحركة غريزية ، هاتفًا فى ارتياع :

ـ يا إلهى .. (نور) و (أكرم) !!

نطقها ، فى نفس اللحظة التى كانت فيها المقاتلة الزمنية تشقَ طريقها ، فى رحلة جديدة من رحلاتها العشوائية ، عبْر الفضاء ، و ..

وعبْر الزمن(*) ..

★ ★ ★

كانت الانطلاقة عنيفة بحق ، حتى إن (نور) و(أكرم) شعرا وكأنهما ينسحقان تحت ضغط هائل ، وهما يجلسان على مقعديهما ، داخل المقاتلة الزمنية ، التى تشق الغلاف الجوى للأرض ، فى سرعة مذهلة ، فى طريقها إلى الفضاء الخارجى ..

وبكل ألمه وحنقه وثورته ، صرخ (أكرم) :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (فارس الزمن) .. المغامرة رقم (١١٧) .

ـ اللعنة ! كيف أوقعنا أنفسنا فى هذا الفخ ؟!

هتف به (نور) ، وهو يخرج الكلمات من بين شفتيه فى صعوبة :

ـ لا فائدة من الصراخ يا (أكرم) .. لقد قضى الأمر .

صاح (طارق) فى توتر بالغ :

ـ خطأ أيها القائد .. إنه لم يبدأ بعد .

توقَّف كل شىء بغتة ، مع آخر كلمة من كلمات (طارق) ، وبدا وكأن سرعة المقاتلة قد انخفضت إلى الصفر ، دون سابق إنذار ، وعلى الرغم من هذا ، لم يشعر أحدهم بتلك الاندفاعة الارتدادية ، التى تحدث فى المعتاد ، مع التوقف المفاجئ لأية مركبة مسرعة ، بفعل القصور الذاتى ..

بل على العكس تمامًا ، لقد شملهم شعور عجيب بارتياح غامر ، جعل (أكرم) يقول مبهورًا :

ـ رباه ! ماذا حدث ؟!

أشار (طارق) بسبَّابته ، مجيبًا فى توتر :

ـ لقد بلغنا الفراغ .

نطقها وهو يتطلَّع إلى الفراغ الأبيض الهائل ، الذى

يحيط بهم من كل جانب ، وتنتشر فيه ثقوب سوداء متناثرة ، مختلفة الأحجام والأبعاد ، فمال (أكرم) يحدِّق فيه ، عَبْر الواجهة الزجاجية للمقاتلة ، وهو يغمغم :

- ما هذا بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- منطقة العدم يا (أكرم) .. المنطقة التى يهبط كل شىء فيها إلى درجة الصفر .. الصوت .. الضوء .. وحتى الزمن .

تمتم (طارق) :

- بالضبط .

نقل (أكرم) بصره بينهما فى توتر ، قبل أن يهتف :

- ولكن هذا مستحيل ! لقد عبرنا نهر الزمن ذات مرة ، وهو يختلف تمامًا عما أراه الآن .

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلا :

- هذا صحيح يا (أكرم) ، ولكن هذا الاختلاف يعنى أمرًا واحدًا ، وهو أنه لا توجد وسيلة واحدة لعبور الزمن ، بل توجد عدة وسائل مختلفة ، وكما توجد عدة وسائل لعبور المكان مثل السيارات ،

والسفن ، والطائرات ، توجد أيضًا عدة سبل لاجتياز حاجز الزمن .

ابتسم (طارق) فى عصبية ، وهو يقول :

- لو أردت الدقة ، ففى موقفنا هذا ، نقول : إنه توجد عدة سبل ، لعبور ثقوب الزمن .

ثم لوَّح بكفيه ، مستطردًا :

- والآن أخبرانى .. أى ثقب ترغبون فى عبوره بالضبط ؟!

هتف به (أكرم) فى حدة :

- ذلك الذى يمكن أن يعيدنا إلى زمننا .

أطلق (طارق) ضحكة شديدة العصبية ، قبل أن يقول :

- يا للعبقرية ! أتتصوَّر أن الأمر بهذه البساطة ؟! لو أنه كذلك ، لما كان كل هذا يا رجل .

وعاد يشير إلى الفراغ والثقوب أمامه ، مردفًا :

- هيا .. أرنا عبقريتك ، وأخبرنى .. أى ثقب من هذه نجتاز ، حتى نعود إلى زمنك ؟!

أجابه (أكرم) فى غضب :

- الثقب الذى أتينا منه أيها المتحذلق .

هتف (طارق) :

- وأين هو ؟! راقب ذلك الفراغ المحيط بنا ، وستدرك أن كل شىء من حولنا يدور .. أو أننا نحن ندور فى اتجاه ما .. لا شىء يبقى فى موضعه .. لا إحداثيات ، أو اتجاهات ، أو نجوم يمكن الاسترشاد بها .. إنك لا تدرك حتى من أين أتينا ، ولا أين سنذهب .

وانعقد حاجباه فى شراسة ، وهو يضيف :

- باختصار .. لا توجد وسيلة واحدة ، للعودة إلى زمن ما بالتحديد .. لا توجد أية وسيلة على الإطلاق .

« خطأ .. »

نطق (نور) الكلمة فى صرامة شديدة ، جعلتهما يلتفتان إليه فى دهشة ، فأكمل بنفس الصرامة ، التى تطلَ واضحة من عينيه :

- هناك حتمًا وسيلة للعودة إلى زمننا ، ولكننا لم نتوصَل إليها بعد .

انعقد حاجبا (طارق) ، وهو يغمغم :

- ليس حسب علمى .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يلتفت إليه ، هاتفًا بحدة :

- اصمت .

ثم استطرد فى عصبية :

- فى مثل هذه الظروف ، أفضَل أسلوب (نور) فى التفكير .

صفَق (طارق) بكفيه فى بطء ، قبل أن يقول فى سخرية عصبية :

- عظيم .. السيِّد (أكرم) ، الذى وضعتنا حماقته فى هذا الموقف العصيب ، يفضَل الأسلوب الحالم فى التفكير ، عندما تتعقَد الأمور .. دعونى أحيِّى هذا بكل حماس .

أمسك (أكرم) ياقته ، هاتفًا :

- أيها الـ ..

وارتفعت قبضة (طارق) فى سرعة ، و ..

« كفى .. »

أطلق (نور) صيحته الصارمة ، فتوقَف الاثنان دفعة واحدة ، ليستطرد فى حدة :

- ما بالكما تتصرفان كمراهقين لم ينضجا بعد ؟! لم يعد يهم الآن كيف بلغت الأمور هذا الحد .. المهم أننا هنا .. نواجه موقفًا رهيبًا ، وعلينا أن نفكر جيِّدًا ؛ حتى نجد وسيلة للخروج منه .

صمت الاثنان بضع لحظات ، وهما يتطلَّعان إلى بعضهما ، ثم لم يلبث (طارق) أن أرخى قبضته ، وهو يقول :

- الوسيلة الوحيدة هى أن نمضى فى رحلتنا ، عَبْر العصور .

ترك (أكرم) ياقته ، وهو يتساءل فى توتر :

- وماذا لو بقينا هنا ؟! ربما حاول الرفاق فى زمننا ، إيجاد وسيلة لإعادتنا إليه .

تنهَّد (طارق) ، وهزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لا شىء يمكن أن يبقى طويلاً فى الفراغ .. إنه ليس الوسط المناسب لوجود البشر ، أو حتى الجماد ، ولو بقينا داخله طويلاً ، ستتحلَّل ذراتنا تدريجيًّا ، ولن نلبث أن نتشتَّت ونضيع فى الفراغ إلى الأبد .

هزَّ (أكرم) رأسه فى قوة وحدَّة ، هاتفًا :

- عظيم .. هذا يعنى أن أمرنا قد انتهى .. أليس كذلك ؟!

رفع (طارق) سبَّابته أمام وجهه ، مجيبًا :

- ليس إذا واصلنا رحلتنا .

ثم أشار بيده أمامه ، مستطردًا :

- هيا .. فليقع اختياركما على الثقب المناسب .

نطقها ، فران على المكان صمت رهيب ، وكل منهم يتطلَّع إلى الفراغ اللانهائى ، المحيط بالمقاتلة من كل صوب ، وإلى الثقوب السوداء العديدة ، ثم لم يلبث (نور) أن قطع ذلك الصمت ، قائلاً فى حزم :

- أقصر الطرق من نقطة إلى أخرى ، هو الخط المستقيم .

ارتسمت على شفتى (طارق) ابتسامة باهتة ، وهو يعتدل فى مقعد القيادة ، ويمسك أداة التوجيه فى حزم ، قائلاً :

- فهمت .

وضغط زر الانطلاق ، فاندفعت المقاتلة بسرعتها المدهشة ، نحو الثقب الأسود ، المواجه لها تمامًا ، و .. واخترقته ..

ومع الاختراق ، انتفض جسدا (نور) و (أكرم) فى عنف ، وهتف الأخير مبهورًا مبهوتًا :

- رباه !

فمن حولهم ، تداخلت مئات الألوان والأضواء ، وراحت شموس تشرق وتغرب ، وسحب تنتشر وتنقشع ..

ثم فجأة ، اختفى كل هذا التداخل ، وسطع ضوء الشمس الطبيعى ، على مشهد ريفى ، يمتدّ إلى مسافة واسعة ..

وانخفضت سرعة المقاتلة ، وهى تنطلق فى سماء ذلك الزمن الجديد ..

ثم هتف (أكرم) فجأة :

ـ احترس .

انتبه (طارق) ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أنه يكاد يرتطم بطائرة حربية قديمة ، فارتفع بالمقاتلة فى سرعة ، على نحو أذهل قائد الطائرة القديمة ، وأربكه ، فمالت طائرته على نحو حاد ، وهوت فى اتجاه الأرض ، ولكن الرجل لم يلبث أن استعاد سيطرته عليها ، ودار بها دورة كاملة فى الهواء ، وكأنه يحاول رصد تلك المقاتلة ، التى كادت تسقطه ، فى حين هتف (أكرم) داخلها فى انفعال .

ـ رباه ! هل رأيتما طراز هذه الطائرة ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ نعم .. (ميسر شميت ـ ب ف ـ ١٠٩ ف) .. إنها مقاتلة ألمانية ، ذات مقعد واحد .

التقى حاجبا (طارق) فى شدة ، وهو يهبط بالمقاتلة الزمنية فى منطقة منعزلة ، وسط الريف الممتدّ إلى مدى البصر ، فى حين هتف (أكرم) :

ـ ألمانية ؟! هذا يعنى أننا قد عدنا إلى زمن ماض .

لم يعلّق أحدهما على عبارته ، حتى هبطت المقاتلة وسط الريف ، فغادرها ثلاثتهم ، وضغط (طارق) زر جهاز صغير فى يده ، وهو يقول :

ـ حاولا أن تستمتعا بهذا الزمن ، فنحن مضطرون لقضاء ثلاثة أيام كاملة فيه ، حتى تصبح المقاتلة قادرة على الانطلاق فى رحلة زمنية أخرى .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ ما لم ينكشف أمرها قبل هذا .

ارتسمت ابتسامة ساخرة عصبية ، على ركن شفتى (طارق) ، وهو يقول :

ـ اطمئن .

لم تكد كلمته تنتهى ، حتى تألّقت المقاتلة على نحو عجيب ، ثم تلاشت دفعة واحدة ، فاتسعت عينا (أكرم) فى ذهول ، وهو يهتف :

ـ أين ذهبت ؟! هل اختفت ؟!

هزَّ (طارق) رأسه نفيًا ، وأجاب :

- الاختفاء العادى يحجبها عن الرؤية ، ولكنها تظلّ ملموسة ، وتحتل مكانًا من الفراغ يسهل كشفه ، أما هذه التقنية ، التى لم تبلغها علومكم بعد ، فهى تخفيها من الناحية المرئية والمادية أيضًا .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتطلَّع إليه فى صمت ، فى حين سأله (أكرم) فى دهشة بالغة :

- وكيف هذا ؟!

صمت (طارق) بضع لحظات ، ثم قال فى حزم :

- لن يمكنك استيعاب هذا .

سأله (نور) فى اهتمام حذر :

- أهى عملية انتقال بين الأبعاد ؟!

هزَّ (طارق) رأسه فى قوة ، مجيبًا :

- مطلقًا .

لم يحاول أن يضيف المزيد ..

ولم يحاول (نور) أن يسأله المزيد ..

حتى (أكرم) ، لاذ بالصمت التام ، وهم يسيرون فى حذر وسط الحقول ، ويحاولون دراسة المنطقة المحيطة بهم ، حتى غمغم (طارق) :

- إنها (فرنسا) على الأرجح .

ألقى (نور) نظرة على منزل ريفى ، يبدو من بعيد ، وقال :

- نعم .. فى النصف الأوَّل من القرن العشرين .

نقل (أكرم) بصره بينهما ، قبل أن يقول فى عصبية :

- عجبًا ! لماذا أشعر وكأننى الجاهل الوحيد هنا ؟!

لم يعلِّق أحدهما على عبارته ، وإنما بدا وكأن شيئًا ما يشدَّ انتباههما فى الأفق ، فقد أشار (نور) إلى نقطة بعيدة ، قائلاً :

- هل ترى هذا ؟ هناك .. خلف تلك التبة !

أخرج (طارق) من جيبه منظارًا مقرَّبًا صغيرًا ، وهو يقول :

- هناك وسيلة للرؤية ، بشكل أفضل .

وضع المنظار على عينيه ، وراح يتطلَّع إلى ذلك المشهد البعيد بضع لحظات ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، ويناول (نور) المنظار ، قائلاً :

- أعتقد أنه من الأفضل أن ترى بنفسك .

التقط (نور) المنظار ، ووضعه على عينيه ، فانعقد حاجباه على نحو أكثر شدة ، وهتف بصوت حمل انفعالاً جارفًا :

- يا إلهى !

اقترب منه (أكرم) فى فضول متوتر ، وسمعه يتابع :

- من بين كل عصور التاريخ ، كنت أدعو اللّه (سبحانه وتعالى) ، ألا نكون قد هبطنا فى هذا العصر بالذات .

هتف (أكرم) :

- ماذا حدث ؟! أين هبطنا بالضبط ؟! دعنى أر يا (نور) !

اختطف المنظار فى توتر ، ووضعه على عينيه بدوره ، وراح يتحرك به ، قائلاً :

- لست أرى سوى حقول عديدة ، وعدة مبان قديمة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانطلقت من حلقه شهقة قوية ، عندما توقف بصره عند علم يرفرف فوق تلك المبانى القديمة ..

علم أحمر قان ، تتوسطه دائرة بيضاء ، بداخلها صليب أسود معقوف ..

علم (ألمانيا) ..

النازية .

★ ★ ★

٢ - عصر الدم ..

« مستحيل ! مستحيل أن يكون (نور) و (أكرم) قد انتهيا على هذا النحو .. »

صرخت (سلوى) بالعبارة فى انهيار ، ودموعها تنهمر على وجهها كالسيل ، وشاركتها (نشوى) و (مشيرة) بكاءها ، والأخيرة تهتف :

- لماذا يا إلهى ! لماذا ؟!

أمسك (رمزى) كتفى (سلوى) فى قوة ، صائحًا :

- لا تنهارى أو تفقدى الأمل قط يا (سلوى) .. إياك أن تفعلى .

صاحت به (نشوى) :

- من السهل أن تقول هذا ؛ لأن (نور) ليس والدك أنت .

التفت إليها ، قائلاً فى صرامة :

- هذا صحيح .. إنه ليس والدى ، ولكنه قائدى وصديقى ، ولقد عملنا معًا ما يكفى من الوقت ،

لأشعر نحوه بمشاعر قوية ، لا تقلَ أبدًا عما تشعرين به تجاهه .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ ولكننى أدرك أن البكاء ليس الوسيلة المناسبة لاسترجاعه ، أو استرجاع (أكرم) و (طارق) .

صاحت (سلوى) منهارة :

ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟! أنت تدرك مثلنا أن (طارق) ، بكل علومه المتقدِّمة ، لم يجد وسيلة للعودة إلى عالمه .

أجابها فى صرامة :

ـ من يدرى ؟! ربما نجد نحن هذه الوسيلة .

هتفت فى انهيار :

ـ كيف يا (رمزى) ؟! كيف ؟!

أجاب فى سرعة وحزم :

ـ لست أدرى كيف ، فأنا طبيب نفسى ، ولست عالم اتصالات مثلك ، أو خبير كمبيوتر مثل (نشوى) ، ولكن سنوات العمل مع (نور) علمتنى أمرًا واحدًا .. ألا أيأس أبدًا ، مهما كانت الأسباب .

صاحت (مشيرة) فى حدة :

ـ حكمة عظيمة يا (رمزى) ، ولكنها لن تعيد (نور) و (أكرم) .

قال فى سرعة :

ـ والبكاء والنحيب أيضًا لن يعيداهما .

ثم أشار إلى أجهزة (سلوى) ، الملقاة فى ركن الحجرة ، مستطردًا :

ـ طبقًا لروايتك يا (سلوى) ، فقد نقل إليك (نور) لاسلكيًّا ، كل سجلات وملفات كمبيوتر المقاتلة ، وهذا يعنى أنه باستطاعتك تحليل كل خطوة ، قامت بها فى رحلتها ، ويمكننا الاستعانة بعلماء فضاء ، أو قادة طيران ، أو حتى بالقوات الفضائية نفسها ، لو اقتضى الأمر ، لنعرف كيف سارت رحلة المقاتلة عَبْر الزمن ، ومن المحتمل أن يقودنا هذا إلى وسيلة ، لإعادة (نور) و (أكرم) .. و (طارق) أيضًا إلى عالمنا .

توقَّفت (سلوى) عن البكاء ، وأدارت عينيها إلى (نشوى) بنظرة طويلة ، اتفقت خلالها أفكارهما على نقطة واحدة ، فى حين هتفت (مشيرة) فى مرارة :

ـ تفاؤل مدهش يا خبير الطب النفسى ، ولكن أحدًا لا يمكنه إعادة الموتى إلى الحياة .

التفت إليها فى حركة حادة ، هاتفًا فى غضب :

- إنهم ليسوا موتى يا (مشيرة) .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وعيناه تشردان ، وهو يتابع فى حزم :

- إنهم هناك .. فى مكان ما .. عَبْر الزمن .

وتوقفت دموع (مشيرة) بدورها ..

والتقت عيون الجميع بنظرة واحدة ..

وفكرة واحدة ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا الكلونيل (شتوتجارت) ، قائد القاعدة الجويةِ الألمانيةِ فى (باريس) ، وهو يتطلَّع إلى أحد طياريه ، قائلاً فى صرامة غاضبة :

- هل جننت يا رجل ؟! أية قصة حمقاء تلك التى ترويها ؟! العالم كله يعلم أن المقاتلات الألمانية هى الأكثر قوة ، بين كل الدول المتحاربة على الجانبين ، ولدينا هنا كل المعلومات ، عن آخر ما وصل إليه الحلفاء من تطورات ، وهم لم يتوصَّلوا حتمًا إلى مقاتلة ، يمكن أن تنطلق ، بالسرعة الخرافية التى تصفها .

أجابه الطيَّار فى إصرار :

- ولكننى واجهت تلك المقاتلة بالفعل يا سيِّدى الكولونيل .

لوَّح الكولونيل بذراعه كلها ، هاتفًا فى حدة :

- مستحيل يا رجل ! مستحيل !

ولكن الطيَّار تابع ، وكأنه لم يسمعه :

- إنها لم تكن تحمل أى شعار ، يمكن أن يشير إلى منشئها ، ولكننى رأيتها فى وضوح .. بل وكدت أرتطم بها أيضًا ، وهذا أمر لا يمكن تخيُّله أو افتعاله ، بأى حال من الأحوال .

احتقن وجه الكولونيل ، وهو يدق سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً :

- فليكن أيها الطيَّار .. سأمضى معك إلى نهاية الطريق .. تعال نفترض ، مجرَّد افتراض ، أن الحلفاء قد أمكنهم صنع مقاتلة كهذه بالفعل ، وسيفرض السؤال التالى نفسه على الفور .

ومال ناحيته ، مستطردًا فى صرامة حادة :

- لماذا لم يحاولوا شن هجوم علينا ، بسرب من تلك المقاتلات المذهلة ، على الرغم من أن هذا يضمن لهم النصر ، دون أدنى شك ؟!

صمت الطيَّار بضع لحظات فى حيرة ، وكأنما أربكه السؤال ، ثم لم يلبث أن استعاد إصراره ، وهو يجيب فى حزم :

ـ ربما كانت هذه مجرَّد تجربة ، أو اختبار طيران ومواجهة ، قبل الهجوم الفعلى ؟!

ارتدّ السهم إلى الكولونيل (شتوتجارت) ، الذى انتفض جسده ، واتسعت عيناه ، وهو يتراجع فى مقعده ، وقد بدا له الجواب منطقيًا ، إلى حد مخيف ، جعله يغمغم :

ـ وما الذى يمكن فعله ، فى موقف كهذا ؟!

جاء دور الطيَّار ، ليميل نحوه ، ويستند براحتيه إلى سطح مكتبه ، قائلاً :

ـ ما تقتضيه الأوامر يا سيِّدى الكولونيل .. أن نجمع كل المعلومات الممكنة عن الأمر ، ونمشّط المنطقة كلها ، بحثًا عن أى جواسيس ، من المحتمل أن تكون تلك المقاتلة الخرافية قد أسقطتهم ، ثم ..

نطقها ، وتراجع ليقف معتدلا ، ويشدّ قامته فى قوة ، فرفع الكولونيل عينيه إليه ، وسأله فى توتر ملحوظ :

ـ ثم ماذا ؟!

تطلّع الطيَّار إلى عينيه مباشرة ، وأجاب فى حزم :

ـ نبلغ الجهات المختصة يا كولونيل .. (الجستابو)(*) ، وجهاز المخابرات النازى .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها الطيَّار عبارته ، كان (نور) يقول لرفيقيه فى توتر :

ـ الواقع أن هذا العصر هو أحد أبشع العصور ، التى شهدها التاريخ ، ويدهشنى كثيرًا أن تحملنا إليه آلات الزمن مرتين .

التفت إليه (طارق) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ هل أتيتم إلى هذا العصر من قبل ؟!

أجابه (نور) ، وهو يومئ برأسه :

ـ نعم .. لقد أتينا هنا ذات مرة ، فى مهمة عجيبة ، سأرويها لكما يومًا .. ولقد كان هذا قبل انضمام (أكرم) إلينا بسنوات طوال(**) .

(*) الجستابو : هو جهاز الشرطة الخاص للحزب النازى ، فى عهد الرايخ الثالث ، ولقد اشتهر هذا الجهاز بالقسوة والصرامة الشديدتين ، وبوسائله العنيفة الوحشية ، لانتزاع المعلومات واستجواب المتهمين ، فى عهد قائده (هملر) .

(**) راجع الأجزاء الثلاثة : (عبر العصور) .. (أسرى الزمن) .. (شيطان الأجيال) .. المغامرات أرقام (٥٤) ، و(٥٥) ، و(٥٦) .

سأله (طارق) فى اهتمام :
- أيعنى هذا أنك تستطيع تحدُث الألمانية ؟!
أجابه (نور) فى سرعة :
- والفرنسية أيضًا ، فعندما انطلقنا فى تلك المهمة ، تم زرع كل اللغات المطلوبة فى عقولنا .
تنهَّد (طارق) ، قائلاً :
- أنا أيضًا أجيد الألمانية والفرنسية ، ضمن بعض اللغات ، التى تم زرعها فى عقلى أيضًا .
هتف (أكرم) فى عصبية :
- عظيم .. عظيم .. هذا يجعلنى الوحيد ، الذى لا يجيد سوى العربية هنا .
التفت إليه (طارق) فى هدوء ، وقال :
- هذه ليست مشكلة .
قال (أكرم) فى سخرية منفعلة :
- كيف أيها العبقرى ؟! هل ستزرع اللغات فى عقلى أيضًا .
أخرج (طارق) من جيبه قرصًا صغيرًا ، أشبه بعملة معدنية عادية ، وهو يقول بابتسامة باهتة :
- ولِمَ لا ؟!

تطلَّع (نور) إلى ذلك القرص فى اهتمام ، فى حين تراجع (أكرم) بحركة آلية ، وهو يقول فى حدة :
- ما هذا بالضبط ؟!
أداره (طارق) فى هدوء ، وألصق القرص بمؤخرة عنقه ، وهو يقول :
- جهاز زرع اللغات .
توتَّر (أكرم) بشدة ، وحاول أن يدير رأسه إليه ، وهو يقول :
- اسمع يا (طارق) .. إننى ..
أمسك (طارق) رأسه من الخلف فى قوة ، وهو يقول :
- لا تتحرَّك .
ومع قوله ، شعر (أكرم) بإبرة رفيعة تنغرس فى مؤخرة عنقه ، فهتف :
- اللعنة ! إنها تؤلم .
صاح به (طارق) مرة أخرى :
- إياك أن تتحرَّك .. لقد بدأ الجهاز عمله .
راقب (نور) الموقف ، فى اهتمام شديد ، فى حين قال (أكرم) فى عصبية :

أمسك (طارق) رأسه من الخلف فى قوة ، وهو يقول :
ـ لا تتحرّك . . .

ـ حذار يا (طارق) ، لو أن هذا الـ ..
قاطعه (طارق) فى صرامة :
ـ اصمت .
ثم مال نحو الجهاز ، المزروع فى مؤخرة عنق (أكرم) ، وهمس :
ـ الألمانية والفرنسية .. منتصف القرن العشرين .
لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى شعر (أكرم) وكأن تيارًا كهربيًا محدودًا قد انطلق ، من موضع القرص ، ليسرى فى رأسه كله ، فانتفض جسده فى عنف ، وصرخ :
ـ اللعنة !
انتزع (طارق) القرص ، من مؤخرة عنقه ، فى هدوء ، وهو يسأله فى خبث :
ـ هل آلمك .
هتف فى حنق :
ـ بالتأكيد .. إنه ..
ثم بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يقول فى انفعال :
ـ رباه ! لقد فهمت كلمتك ، على الرغم .. على الرغم من أنك قد نطقتها بالفرنسية .

ابتسم (طارق) ، وربَّت على كتفه ، قائلاً :

ـ ليس هذا فحسب يا صديقى ، ولكنك أجبت بالفرنسية أيضًا .

اتسعت عينا (أكرم) أكثر ، وهتف فى حماس :

ـ يا إلهى ! هذا صحيح .. إننى أفهم الفرنسية ، وأتحدثها أيضًا .. يا للروعة !

قالها ، وأطلق ضحكة عالية مجلجلة ، و ..

وفجأة ، عبرت تلك الطائرة الألمانية فوق رءوسهم ..

كانت منخفضة بشدة ، حتى إن ثلاثتهم خفضوا رءوسهم بحركة غريزية ، وهتف (نور) :

ـ لقد رأونا .

أدار (طارق) رأسه بحركة حادة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ إنهم يحاصرون المكان .

رأى (نور) و (أكرم) فريق الجنود ، الذى يشير إليه (طارق) ، والذى يقترب من موقعهم ، على نحو سريع منظم ، فعضَّ (أكرم) شفتيه ، وقال فى حنق :

ـ كان ينبغى أن أحضر معى مسدسى .

انطلق (طارق) يعدو ، هاتفًا :

ـ سنناقش هذا الأمر ، عندما نخرج من الموقف سالمين .

انخفضت الطائرة الألمانية مرة أخرى ، لتعبر فوق رءوسهم ، ومن داخلها قال الطيَّار ، عَبْر جهازه اللاسلكى :

ـ هناك ثلاثة رجال بالفعل فى المنطقة .. إنهم يعدون هاربين ، فى اتجاه الشمال الشرقى .

أتاه صوت الكولونيل (شتوتجارت) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ حاول منعهم من تجاوز المنطقة ، حتى يطبق عليهم رجالنا من كل جانب .

سأله الطيَّار ، وهو يدور بالطائرة مرة أخرى ، ليتجه نحوهم :

ـ هل نطلق النار ؟!

جاوبه الصمت لبعض الوقت ، قبل أن يأتيه صوت قائده الصارم ، قائلاً :

ـ موتهم أفضل من فرارهم .

تنهَّد الطيَّار ، قائلاً :

ـ فهمت يا كولونيل .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (نور) و(أكرم) و(طارق) يعدون وسط الحقول ، و(أكرم) يهتف :

ـ أين كرتك الذهبية ؟! لماذا لا تنطلق للدفاع عنك الآن ؟!

أجابه (طارق) ، وهو يلهث :

ـ الحارس الآلى جزء من المقاتلة ، ولن يمكنه بدء عمله ، قبل ثلاثة أيام ، عندما يعيد شحن طاقته بالكامل .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، هاتفًا فى حنق :

ـ لست أظن هؤلاء الأوغاد ينتظرون ثلاثة أيام كاملة .

مع آخر حروف كلماته ، انهالت حولهم رصاصات الطائرة ، فصاح (أكرم) :

ـ ألم أقل لكما ؟!

هتف به (نور) :

ـ إنه لا يسعى لقتلنا .. إنه يحاول إيقافنا فحسب .

هتف (طارق) :

ـ ومن أدراك ؟!

أجابه (نور) فى سرعة ، وهو يواصل العدو :

ـ لقد تعمَّد عدم إصابتنا .. رصاصاته كانت بعيدة أكثر مما ينبغى .

صاح (أكرم) :

ـ ولكننا لن نستطيع مواصلة العدو هكذا إلى الأبد .

أشار (نور) إلى مجموعة من الأشجار القريبة ، قائلاً :

ـ هذا سيساعدنا على الاختباء أكثر .

استدار رفيقاه إلى مجموعة الأشجار على الفور ، و (طارق) يهتف :

ـ هذا صحيح .

انخفض الطيَّار نحوهم مرة أخرى ، وهو يبلغ القيادة لاسلكيًّا :

ـ الجواسيس الثلاثة يتجهون نحو الأشجار .

أتاه جواب مقتضب للغاية ، من الكولونيل (شتوتجارت) :

ـ عظيم .

اندفع (نور) و(أكرم) و(طارق) وسط الأشجار ، والأوَّل يقول فى حزم :

- دعونا نتفرَّق هنا ، فهذا يرهقهم أكثر ، ثم إنه قد يمنح أحدنـا فرصـة للنجـاة ، حتـى يمكنـه العودة إلـى المقاتلة فيما بعد ، وتشغيل الحارس الآلى ، و ...

قاطعه (طارق) فى صرامة :

- المقاتلة لن تطيع أحدًا سواى .

زفر (أكرم) فى عصبية ، قائلاً :

- أخشى أن هذا يعنى أنه من المحتم أن نظلّ معًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أمسك (طارق) معصمه فى قوة ، قائلاً :

- مهلاً .

التفت إليه (أكرم) و(نور) فى آن واحد ، فوضع سبَّابته على شفتيه ، مشيرًا إليهما بالصمت ، وهو يهمس :

- بعضهم هنا .

قبل حتى أن يتمّ عبارته ، كان الاثنان قد لمحا بالفعل أشباحًا تتحرَّك فى حذر بين الأشجار ، فغمغم (أكرم) :

- اللعنة ! لقد حاصرنا هؤلاء الأوغاد بالفعل .

قال (نور) فى توتر :

- ربما لو تراجعنا إلى الـ ..

لم يحاول إتمام عبارته ، وهو يتطلَّع فى يأس إلى المدرعات الثلاث ، التى راحت تشقّ الحقول ، وسط فريق مسلَّح من الجنود ..

لقد حاصرتهم القوات النازية بالفعل ..

ولم يعد هناك مهرب واحد ..

وفى حزم ، قال (طارق) :

- هل تريدان رأيى ؟!

أجابه (نور) بسرعة :

- بالتأكيد .

التقط (طارق) نفسًا عميقًا ، وشدّ قامته ، وهو يقول فى حزم :

- الواقع أننى أرى أن أفضل ما يمكننا فعله ، فى مثل هذه الظروف ، هو أن ... نستسلم .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم فى دهشة :

- نستسلم ؟!

أما (أكرم) ، فقد هتف مستنكرًا :

- أى قول هذا يا (طارق) ؟! هل جننت ، أم أن هذه أسخف مزحة سمعتها ، فى حياتى كلها ؟!

أشار (طارق) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ بل هى أحكم خطوة ، يمكن القيام بها الآن ، فنحن فى وضح النهار ، والألمان يحيطون بنا من كل جانب ، وبأعداد كبيرة ، لن تمنحنا فرصة واحدة للفرار ، والمقاومة قد تدفعهم إلى قتلنا بلا رحمة .

مال (نور) نحوه ، يسأله :

ـ هل تعلم ما الذى يمكن أن يفعلوه بنا ، لو وقعنا فى أيديهم ؟!

أومأ (طارق) برأسه فى حزم ، قائلاً :

ـ بالتأكيد ، ولكن الأمر سيصبح أكثر عنفًا وشراسة ، لو أننا وقعنا فى أيديهم ، بعد قتال ومقاومة .. على الأقل ، عندما نستسلم بإرادتنا ، يمكننا أن نقنعهم أننا مجرَّد ثلاثة فرنسيين مذعورين فحسب .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ بعد أن رأوا تلك المقاتلة ؟!

هزَّ (طارق) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ إنهم لن يعثروا عليها أبدًا ، ولن يتمكَّن أحدهم قط من الجزم بأنها حقيقة .. بل ستبدو رواياتهم أقرب إلى الهذيان ، وهذا سيفيد موقفنا كثيرًا .

صمت (نور) و (أكرم) بضع لحظات ، تبادلا خلالها نظرة سريعة ، قبل أن يقول (نور) فى حسم :

ـ من الواضح أنك لا تفهم هؤلاء القوم جيِّدًا يا (طارق) .. إنهم لا يضيعون وقتهم فى البحث عن أسباب ومبررات البراءة ، بل يفترضون أنك مذنب وجاسوس ، حتى يثبت العكس ، ولأن إثبات هذا العكس ليس بالأمر اليسير ، ولأنهم لا يقيمون وزنًا على الإطلاق لحياة أى مخلوق ، من خارج جنسهم الألمانى ، فإنهم يفضلون حسم هذا الشك بأسرع وأبسط ، وأضمن وسيلة ممكنة .

ثم مال نحوه ، وفرد سبَّابته ، ورفع إبهامه ، وضمَّ الأصابع الثلاثة الأخرى ، على نحو يشبه المسدس ، وصوَّب السبَّابة إلى رأسه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ رصاصة فى الرأس .

تطلَّع إليه (طارق) فى صمت ، فى حين هتف (أكرم) فى انفعال :

ـ ما دام لا مفرَّ من الموت ، فأنا أفضِّل أن أموت مقاتلاً .

لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى قال (طارق) فى حزم :

- وأنا أيضًا .

تطلّع إليه الاثنان فى دهشة ، فأضاف فى سرعة :

- (نور) تعامل معهم من قبل ، وهو أعلم بهم بالتأكيد .

ثم ابتسم فى هدوء ، مستطردًا :

- كما أن ثلاثتنا لن نقف مكتوفى الأيدى بالتأكيد .

قال (أكرم) فى توتر :

- هذا صحيح ، ولكننا سنبدأ القتال بالأيدى العارية ، و ...

قاطعه (طارق) فى حزم :

- خطأ .

ثم دسّ يده فى جيبه ، وأخرجها ليفردها أمامهم ، وهى تحوى خمس كرات صغيرة ، لكل منها لون مختلف ، وهو يضيف :

- إننا نملك بعض الأسلحة ، التى تكفى للمواجهة .

تطلّع إليه (أكرم) فى دهشة ، وقال :

- ولكن مقاتلتك كانت تمنع الاقتراب منها ، مع الـ ..

قاطعه مرة أخرى ، بابتسامة خبيثة :

- إننى قائدها ، وهذا يعنى أننى مستثنى من هذا الإجراء .

قال (نور) فى ضيق صارم :

- وما كل هذا الحديث حول الاستسلام إذن ؟!

هزّ (طارق) كتفيه ، قائلاً :

- يمكنك أن تعتبره مجرّد اختبار لرد الفعل .

بدا الغضب على وجه (أكرم) ، وهمّ بقول شىء ما ، ولكن (نور) استوقفه بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول فى حزم :

- فى هذه الحالة ، أظننا نستطيع مواجهة هؤلاء الجنود بهجوم غير متوقّع على الإطلاق .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف ، على نحو أدهش رفيقيه بشدة :

- هجوم جوى .

★ ★ ★

عقد الكولونيل (شتوتجارت) كفيه خلف ظهره ، وهو يقف على سطح مبنى القيادة ، متطلّعًا إلى الحقول الممتدّة أمامه ، والتى تنتهى من بعيد بمنطقة الأشجار الكثيفة ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ،

وتضاعفت تلك الصرامة المحفورة فى ملامحه ألف مرة ، فى حين راح أحد رجاله ينقل إليه اتصالات فريق المطاردة ، قائلاً :

ـ الحصار تام الآن يا كولونيل .. رجالنا يلتفون حول منطقة الأشجار تمامًا ، ويتوغلون داخلها فى نطاق دائرى ، طبقًا لأوامرك .

هزَّ الكولونيل رأسه ، وسأل فى صرامة :

ـ وماذا عن الباقين ؟!

أجابه الضابط فى سرعة :

ـ هناك أربع مدرعات تحيط بالمكان ، وما زالت طائرتنا تحوم حوله طوال الوقت ، وترصد أية تحركات داخله .

مطَّ الكولونيل شفتيه ، وقال :

ـ الأشجار هناك كثيفة ، والطائرة لن يمكنها رصد شىء .

سأله الضابط فى اهتمام :

ـ هل نأمرها بالعودة يا سيِّدى الكولونيل ؟

صمت الكولونيل بضع لحظات ، فى تفكير عميق ، ثم أجاب فى صرامة :

ـ ليس بعد .

صمت الضابط بدوره بعض الوقت ، ثم قال فى حذر :

ـ معذرة يا كولونيل ، ولكن ألسنا نبالغ بعض الشىء ، فى التعامل مع ثلاثة من المشتبه فيهم فحسب ؟!

صاح به الكولونيل (شتوتجارت) فى صرامة غاضبة :

ـ لا شأن لك بهذا .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف :

ـ إن لدى أسبابى .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الجنود النازيون يضيقون الحصار أكثر وأكثر ، وضابطهم يشير بيده ، قائلاً :

ـ تقاربوا أكثر ، ولا تطلقوا النار إلا للضرورة القصوى .. نريدهم أحياء بقدر الإمكان .. لابد أن نعلم إلى أية جهة ينتمون .

ثم التفت إلى ضابط الاتصال ، مستطردًا :

ـ مر المدرعات باقتحام الغابة ، من الجهات الأربع .. لن نمنحهم أدنى فرصة للفرار .

بدأت المدرعات تحركها بين الأشجار ، فى حين أخذ الجنود يضيقون الحصار أكثر وأكثر ، وراحت الطائرة تحوم حول المكان ، وقائدها يبلغ ملاحظاته إلى القيادة ، عبْر جهاز الاتصال اللاسلكى ، قائلاً :

- الأشجار العالية تحجب الرؤية إلى حد كبير .. سأحاول الانخفاض حتى قمم الأشجار .. ربما أمكننى رؤية شىء ما .

كانت الحيرة تسيطر على الجنود ، فى تلك اللحظة ، بعد أن ضاقت دائرة الحصار ، إلى أدنى حد ممكن ، حتى إن كل جانب أصبح يرى الجانب الآخر فى وضوح ، دون أن يظهر أثر للجواسيس الثلاثة ، فتوقَّف الضابط ، وتلفَّت حوله فى حذر ، قبل أن يقول فى صرامة :

- انتشروا مرة أخرى فى المنطقة .. لا ريب فى أننا قد تجاوزناهم ، دون أن ندرى .. أطلقوا النار هذه المرة دون إنذار .

اقترب الطيَّار فى تلك اللحظة من قمم الأشجار ، وهو يواصل إبلاغ ملاحظاته ، قائلاً :

- كل شىء يبدو هادئًا ، ولست أسمع طلقات

رصاصات ، مما يعنى أن رجالنا لم يتمكَّنوا بعد من الـ ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى نقطة ما بين الأشجار ، برز منها (أكرم) فجأة ، وألقاه بواحدة من الكرات الخمس ، هاتفًا :

- إلى الجحيم أيها الوغد .

انعقد حاجبا الطيَّار بشدة ، وقفزت يده بحركة غريزية إلى ذراع إطلاق النار ، و ...

ولكن الكرة ارتطمت بذيل طائرته ، قبل أن يجذب الذراع ..

وانفجرت ..

وأطاح انفجارها بذيل الطائرة ، التى ارتجَّت فى عنف ، ثم هوت نحو الحقول ، فى نفس اللحظة التى ألقى (طارق) فيها كرة ثانية ، وسط الجنود تمامًا ، فى حين ألقى (نور) الكرة الثالثة بطول ذراعه ، لتسقط فى تلك المسافة ، بين الجنود وإحدى المدرعات الأربع ..

وانفجرت الكرة الثانية بدوى مكتوم ، وسط الجنود ، واندفعت منها سحب من الدخان الكثيف ، فى نفس

اللحظة ، التى انفجرت فيها القنبلة الثالثة ، أمام المدرَّعة ، وانبعث منها ضوء ساطع ، أغشى عيون طاقمها تمامًا ..

وقفز (نور) و (أكرم) و (طارق) ، من فوق الأشجار ، وهم يغلقون عيونهم ، ويحيطون أنوفهم بقطع صغيرة من ثيابهم ..

وبدا الأمر أشبه بمعركة بين العميان ..

الرصاصات تنطلق فى كل مكان ، والقبضات والركلات تصيب كل من تبلغه ، دون تحديد أو تمييز ..

ولأنهم يعرفون هدفهم جيدًا ، فقد انطلق الثلاثة نحو المدرعة مباشرة ، مسترشدين بالضوء الساطع ، الذى ما زال يواصل الانطلاق ، من موضع القنبلة الثالثة ..

وقبل أن يستعيد طاقم المدرَّعة بصره ، كان الثلاثة ينقضّون عليها من ثلاث جهات مختلفة ، بخطة تم إعدادها مسبقًا ، فوثب (طارق) على مقدمتها ، واندفعت قدمه عَبْر نافذتها الأمامية الصغيرة ، لتركل جندى المدفع الآلى فى قوة ، وقفز (أكرم) ، ليلكم جندى المدفع الخلفى ، فى أنفه مباشرة ، فى حين انقضّ

(نور) على طاقم القيادة ، فحطَّم أنف أولهم بلكمة ساحقة ، وانتزع الثانى من مكانه ، ليلقى به خارج المدرَّعة ، ثم ارتفعت قدمه لتنسف فك الثالث بركلة مدهشة ..

وبسرعة رائعة ، أخلى الثلاثة المدرَّعة من طاقمها ، وهتف (طارق) :

- هل يستطيع أحدكم قيادة هذا الشىء ؟!

قفز (أكرم) إلى مقعد القيادة ، وهو يجيب :

- أعتقد أن هذه المهمة تناسبنى .

كان الدخان ينقشع ، والضوء الساطع يخفت ، والضابط الألمانى يصيح فى جنوده ، فى صرامة عصبيَّة متوترة ، عندما انتبه فجأة إلى أن المدرَّعة الرابعة تبتعد عن الموقع ، فى حين سقط طاقمها كله خارجها ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وصرخ :

- الجواسيس استولوا على إحدى مدرعاتنا ، ويحاولون الفرار بها .. امنعوهم بأى ثمن .

انطلقت الرصاصات خلف المدرَّعة كالمطر ، ولكن (أكرم) انطلق بها بأقصى سرعة ، وهو يهتف :

- هل تعتقدون أن لدينا أملاً فى الفرار ؟!

صاح به (نور) فى صرامة :

- انطلق على بركة الله ، وامض فى طريقك ، وليصنع الله (سبحانه وتعالى) بنا ما يشاء .

كان (أكرم) ينطلق بلا هدى ، والمدرعات الثلاث تنطلق خلفه فى إصرار ، فى حين يهتف ضابط فريق المطاردة ، عَبْر جهاز الاتصال اللاسلكى :

- هؤلاء الجواسيس يستخدمون أسلحة عجيبة ، لا قبل لنا بها يا سيِّدى الكولونيل ، لقد أطلقوا سحبًا كثيفة من الدخان ، وضوءًا مبهرًا ، أغشى عيون الجميع ، ثم استولوا على واحدة من مدرعاتنا ، وانطلقوا بها هاربين .

استقبل الكولونيل (شتوتجارت) الرسالة ، فى دهشة بالغة ، وانعقد حاجباه أكثر وأكثر ، وهو يغمغم :

- أسلحة عجيبة .. سحب .. ضوء مبهر ؟! يبدو أن الأمر شديد الخطورة بالفعل .

ارتفعت سبَّابته تداعب ذقنه بضع لحظات ، فى تفكير عميق ، قبل أن يقول فى صرامة :

- فلتنطلق أربع من طائراتنا ، خلف تلك المدرَّعة ، وعندما يتم رصدها ، دعهم يتعاملون معها مباشرة .

سأله ضابطه فى اهتمام ، وهو يستعد لنقل الأمر إلى ممر الإقلاع :

- هل تعنى يا سيِّدى أن ..

قاطعه الجنرال ، فى صرامة أكثر :

- نعم أيهَا الضابط .. أريدهم أن ينسفوها بركابها على الفور .

وانعقد حاجباه فى شدة ، مستطردًا :

- وبلا إنذار ..

★ ★ ★

« ثلاث مدرعات تطاردنا يا رفاق .. »

نطق (أكرم) العبارة ، فى توتر شديد ، وهو ينطلق بالمدرَّعة ، بأقصى سرعة تسمح بها محركاتها ، نحو مجموعة أخرى من الأشجار ، تبدو واضحة من بعيد ، فالتفت (نور) و (طارق) إلى المدرعات الثلاث ، وقال الأوَّل فى حزم :

- إنهم يقودونها فى براعة أيضًا ، ولا ريب فى أن قادتهم قد أجروا عشرات الاتصالات أيضًا ، لإغلاق كل المسارات فى وجوهنا ، ولسنا نملك سوى قنبلتين يدويتين ، ومدفع آلى واحد ، كانوا داخل المدرَّعة .

قال (طارق) فى سرعة :

- والكرتين المتبقيتين .

قال (أكرم) فى عصبية :

- ترى ما الذى ستفعله كراتك هذه المرة ؟! هل ستصنع فيضانًا ، أم تطلق بركانًا من أعماق الأرض ؟!

ابتسم (طارق) فى سخرية ، وأخرج الكرتين من جيبه ، والتقط واحدة منهما ، قبل أن يعيد الكرة الفضية الأخيرة إلى جيبه ، قائلاً :

- هذا ليس سحرًا يا عزيزى (أكرم) .

ثم ألقى الكرة فى الهواء ، مستطردًا فى حزم :

- إنها تقنية متقدمة فحسب .

انطلقت الكرة نحو المدرعة الأولى ، وتضخمت فجأة فى الهواء ، حتى صارت بحجم كرة قدم كبيرة ، فاتسعت عينا قائد المدرعة ، وهو يهتف فى توتر :

- ما هذا الشىء ؟!

قبل أن يتم عبارته ، كان جندى المدفع الأمامى يطلق رصاصاته نحو الكرة ، فى انفعال بالغ ..

وأصابت رصاصاته كلها تلك الكرة ..

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف رهيب ، انبعثت معه كرة هائلة من النار ، اندفعت نحو المدرعات الثلاثة ، وهى تتعاظم بسرعة مخيفة ، حتى صارت فى حجم منزل من طابقين ، فى مشهد تزلزلت له قلوب الرجال فى مدرعاتهم ، فصرخوا فى رعب ..

ولكن كرة النار جرفتهم أمامها فى عنف ..

وبلا رحمة ..

ودوت ثلاثة انفجارات قوية ، داخل كرة النار ، التى تحولت فى لحظة إلى سحب من الدخان الأسود ، مخلفة بقايا وحطام المدرعات الثلاث ..

وانتفض جسد (نور) فى عنف ، وهو يهتف :

- يا للبشاعة !

كانت كل ذرة فى كيانه ترتجف ، مع ذلك العنف الرهيب ، الذى يبغضه ، وترفضه أعماقه منذ مولده ، حتى إنه صاح فى غضب :

- ألم تكن هناك وسيلة أقل بشاعة ؟!

أجابه (طارق) فى برود :

- إنها الحرب يا (نور) ، وأنت قلتها بنفسك ، إنهم ما كانوا ليرحمونا لو أننا وقعنا فى قبضتهم .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى صرامة :
- ثم إنه لم يكن لدى سلاح آخر .
سأله (أكرم) ، وهو يواصل الانطلاق بالمدرَّعـة ، نحو مجموعة الأشجار الأخرى ، التى تقترب فى سرعة :
- وماذا عن الكرة الفضية ؟!
التقى حاجبا (طارق) ، وهو يقول :
- لها وظيفة أخرى تختلف .
لم يكد يتمّ قوله ، حتى أشار (نور) إلى السماء ، قائلاً :
- يبدو أننا نواجه هجومًا جويًا آخر يا رفاق .
فى نفس اللحظة ، التـى نطق فيهـا عبارتـه ، كـان قـائد الطـائرات الألمانيـة الأربـع يقـول : عَبْر جهـاز الاتصال اللاسلكى :
- من السـرب إلـى القـاعدة .. تـم رصـد الهـدف .. نريد تأكيدًا لأمر إطلاق النار المباشر .
أتاه صوت الكولونيل (شتوتجارت) بنفسه ، وهـو يهتف :
- أى تأكيد يا رجل .. نفذ ما لديك من أوامر علـى الفور .
جـذب الطيَّـار حـزام خوذتـه ؛ ليحكم وضعهـا فـوق رأسه ، وهو يقول فى صرامة :

- علِم ، وسينفِّذ .
قالها ، وأشار إلى رفاقه الثلاثة ، ثم انقضَّ الجميـع على المدرَّعة ، التى تنطلق بأقصى سرعتها ، فى خط مستقيم ، نحو مجموعة الأشجار مباشرة ، وهو يقـول فى حزم :
- إطلاق النار فـى آن واحد ، عنـد الرقـم صفـر .. خمسة .. أربعة .. ثلاثة .. اثنان .. واحد .. صفر .
ومع نطقه للرقم الأخير ، انقضت المقـاتلات الأربـع على المدرَّعة ..
وانطلقت نيرانها فى آن واحد ..
وارتطمت الرصاصات بكل موضـع فـى المدرَّعـة ، التى ظلَّت تواصل طريقها نحو الأشجار لثوان ، فـارتفع الطيَّار فوقها ، وألقى إحدى قنابله نحوها ، مغمغمًا :
- نهاية الرحلة أيها السادة .
ومع آخر حروف كلماته ، ارتطمت القنبلة بالمدرَّعة ..
ودوى الانفجار ..
انفجار عنيف رهيب ، أطاح بالمدرَّعة ، ونسفها .. بل سحقها ..
سحقها سحقًا .

★ ★ ★

ثم انقضَّ الجميع على المدرَّعة ، التى تنطلق بأقصى سرعتها ، فى خط مستقيم ..

٢ - المحـــاولة ..

« عجبًا .. »

تمتمت (نشوى) بالكلمـة ، فى حيرة واضحـة ، وهى تراجع سجلات المقاتلة الزمنيـة ، على جهاز الكمبيوتـر الخاص بها ، فى مقر الفريق ، فـالتفتت إليها أمها ، تسألها فى قلق :

- ماذا هناك ؟!

أشارت إلى الشاشة ، قائلة :

- الكمبيوتر لم يجد أية صعوبة ، فى قراءة سجلات المقاتلة .

جذبت العبارة انتباه (رمزى) ، فسألها فى اهتمام :

- وماذا فى هذا ؟!

هزَّت رأسها لحظة ، قبل أن تجيب :

- المفتـرض أن تلك المقـاتلة آتيـة من حضـارة ماضية ، حسبما أكَّد (طـارق) ، ومن الطبيعـى أن تتبع تلك الحضارة نفس القـواعد العلمية ، التى تتبعها

حضارتنا ، ولكن أساليب التعامل معها ستختلف بالتأكيد ، وهذا يعنى أنهم سيستخدمون لغة كمبيوتر ، تختلف عن اللغة التى ابتكرتها عقول العلماء ، فى زمننا نحن .

سألها فى اهتمام أكثر :

- ألا يحتمل أن تتشابه اللغات ، مع السير عَبْر الخطوات نفسها ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وقالت فى حزم :

- هذا الاحتمال يبلغ من الندرة ، ما يمكن أن نعتبره مستحيلاً ، فحتى فى عالمنا هذا ، ومع سير الجميع فى خط علمى واحد ، توجد عدة لغات للتعامل مع أجهزة الكمبيوتر ، التى تنتمى إلى شركات مختلفة .

التقى حاجباه فى شدة ، وهو يغمغم :

- هذا صحيح .

سألتها (سلوى) فى لهفة :

- وما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

تنهَّدت (نشوى) ، وعادت تتطلَّع إلى شاشة الكمبيوتر فى صمت ، قبل أن تهزَّ رأسها ثانية ، وتجيب :

- لمَّا يمكننى تكوين رأى قاطع بعد ، فمن المحتمل أن (طارق) قد استبدل بلغة الكمبيوتر فى مقاتلته ، لغة الكمبيوتر التى نستخدمها فى زمننا ، حتى يمكنه ربط معلوماته بها ، وكأنها واحدة من شبكات المعلومات العديدة ، التى ربط الكمبيوتر الخاص به معها ، أو ...

بترت عبارتها بغتة ، فسألها (رمزى) فى لهفة :

- أو ماذا ؟!

صمتت بضع لحظات ، ثم هزَّت رأسها فى قوة ، مجيبة فى حزم :

- لست أدرى .. حقيقة لست أدرى .. ليس لدى شىء واضح ، فى هذه اللحظة .

تبادل (رمزى) و (سلوى) نظرة متوتِّرة ، قبل أن تقول الأخيرة فى بطء :

- أما أنا ، فلدى شىء ما .

سألتها (نشوى) بسرعة :

- وما هو ؟!

أشارت بدورها إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، مجيبة :

- عندما راجعت الخرائط ، التى تم تزويد المقاتلة بها ، قبل أن تبدأ رحلتها ، وجدت الخرائط الفلكية والفضائية التقليدية ، وبينها خريطة ، لم يمكننى فهمها قط ، وكأنها خريطة لمسار ما ، لا نعلم أى شىء بشأنه .

سألتها (نشوى) :

- هل يمكننا رؤيته ؟!

ضغطت (سلوى) أحد أزرار الكمبيوتر ، قائلة :

- بالطبع .

ومع ضغطتها ، ظهرت على الشاشة خريطة كبيرة ، بيضاء اللون ، انتشرت فيها عدة دوائر سوداء ، مع خطوط حمراء ، تربط تلك الدوائر بعضها بالبعض ..

وإلى جوار الثقوب ، كانت هناك مجموعة من الأرقام والرموز ، تبدو وكأنها تعبِّر عن الصفة الخاصة بكل ثقب ..

وفى اهتمام بالغ ، قالت (سلوى) :

- أخبرانى .. ألا يبدو لكم هذا أشبه بالوصف ، الذى أدلى به (طارق) ، لمنطقة ثقوب الزمن .

هتفت (نشوى) :

- بالضبط .. الفراغ الأبيض ، والثقوب السوداء .. ولكن ما الذى تعنيه المسارات الحمراء والرموز ؟!

أشارت (سلوى) إلى أحد هذه الخطوط والمسارات الحمراء ، قائلة :

- هذه على ما يبدو تحدِّد الاتجاهات ، أو الترتيب الزمنى لتلك الثقوب ، فى محاولة لفهم طبيعتها ، ومعرفة النسق التى تنتظم به .

انعقد حاجبا (رمزى) فى حدة ، وهو يقول :

- رباه ! هل تعلمان ما الذى يعنيه هذا ؟!

أتاه صوت من خلفه ، يقول فى صرامة :

- يعنى ببساطة أن هذه المقاتلة قد بدأت رحلتها ، وهى تعلم جيِّدًا أنها ستعبر حاجز الزمن .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، ووقع بصرهم على الدكتور (ناظم) ، الذى يدلف إلى المكان ، مستطردًا فى حدة :

- إننى لم أثق بذلك الشاب لحظة واحدة ، منذ البداية .

قال (رمزى) فى ضيق :

- هذا الأمر سابق لأوانه يا دكتور (ناظم) .

عَبر الدكتور (ناظم) الحجرة ، وأشار إلى الخريطة على الشاشة ، قائلاً فى صرامة :

ـ حقًّا ؟! بمَ تفسِّر هذا إذن ؟!

أجابته (سلوى) :

ـ إننا لم نتيقَّن بعد من أنها خريطة زمنية .. ربما كانت رسمًا لشىء آخر ، لم ندركه بعد .

التفت إليها الدكتور (ناظم) فى حدة ، ورمقها بنظرة غاضبة لحظة ، قبل أن يعود ببصره إلى الشاشة ، قائلاً :

ـ وماذا عن هذه الرموز والأرقام .. ألم ينتبه أحدكم إلى أنها مكتوبة باللغة العربية .

أجابته (سلوى) فى حزم :

ـ كل الخرائط كذلك ، ولكننا نعتقد أن (طارق) قد أعاد برمجة أجهزة المقاتلة ، بعد استقراره فى زمننا ، وربما كانت اللغة العربية ، المستخدمة فى كل الخرائط ، جزءًا من هذا التطوير .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه فى قوة ، وهو يقول :

ـ إنكم تحاولون افتراض حسن النية ، فى كل ما تجدونه .

قالت (نشوى) فى حذر :

ـ بل أنت الذى يسىء الظن ، فى كل ما يواجهه .

أجابها فى حدة :

ـ أظن أنه من واجبنا أن نفعل ، وإلا فكيف سيمكننا حماية الوطن ، وضمان أمنه وسلامته ؟! ألم تروا ما فعله الحارس الآلى لذلك الشاب ، بمركز الأبحاث .. لقد دمَّر ثلثه على الأقل ؟!

قال (رمزى) فى صرامة :

ـ كان هذا بسبب سوء تقديركم للموقف يا دكتور (ناظم) ، ولقد حاول (طارق) تحذيركم من مغبة ما تفعلونه طوال الوقت .

وازداد صوته ونظراته صرامة ، وهو يضيف :

ـ ولا تنس أنه ، عندما كاد ذلك الآلى أن ينسفك ، تدخَّل (طارق) ليمنعه من هذا .. لقد أنقذ حياتك .. أليس كذلك ؟!

ازداد انعقاد حاجبى الدكتور (ناظم) ، وهو يصمت بضع لحظات ، ثم يقول فى حدة :

ـ ما زلت لا أثق به .

وشرد ببصره بضع لحظات أخرى ، قبل أن يضيف :

- والله (سبحانه وتعالى) يعلم ، ما الذى يمكن أن يفعله بـ (نور) و (أكرم) .. عبْر الزمن .

هوت عبارته الأخيرة على رءوسهم كالصاعقة ، وانتفضت قلوبهم فى صدورهم ، وعقولهم تردِّد السؤال ذاته ..

ترى ما الذى يمكن أن يفعله (طارق) بـ (نوَر) و (أكرم) ؟!..

عبْر الزمن ..

* * *

كانت الشمس تميل إلى الغروب ، خلف الأشجار والحقول ، فى تلك البقعة ، على مشارف (باريس) ، والعلم النازى يرفرف على قمة القاعدة الجوية الألمانية ، عندما توقَّفت سيارة عسكرية سوداء ، تحمل شعار (الجستابو) ، أمام مبنى القيادة ، وهبط منها شاب أشقر ، أزرق العينين ، باردهما ، تطلَّع إليه الكولونيل ، (شتوتجارت) ، من خلف زجاج حجرة مكتبه ، وهو يغمغم فى توتر :

- هذا ما كنت أخشاه .. لقد أبلغنا (الجستابو) بالأمر ، فأرسلوا إلينا كبير شياطينهم بنفسه .

تطلَّع مساعده فى توتر مماثل ، إلى ضابط الجستابو ، الذى يعبر ساحة القاعدة ، فى خطوات واسعة صارمة قوية ، فى طريقه إلى مكتب الكولونيل ، ثم سأل فى قلق :

- هل تعرفه شخصيًّا يا سيِّدى الكولونيل ؟!

أومأ (شتوتجارت) برأسه إيجابًا ، وقال :

- ومن ذا الذى يجهله ؟!

ثم التفت إلى مساعده ، مستطردًا :

- إنه (كارل مانهايم) .. الجزَّار .. أخطر ضباط الجستابو ، وأكثرهم وحشية وشراسة .. ولقد عاد من فوره من الجبهة السوفيتية ، التى تم نقله إليها لمدة شهر كامل ، بسبب خطأ بسيط ، ارتكبه فى أثناء مطاردته لرجال المقاومة الفرنسية ، ومن المؤكد أن الأيام التى قضاها هناك ، قد ضاعفت من نقمته وشراسته ، حتى إن الشيطان نفسه سيغار من وحشيته وقسوته .

غمغم مساعده مبهورًا مبهوتًا :

- يا إلهى !

شدَّ الكولونيل قامته ، وعدَّل ثيابه العسكرية ، وضبط قبعته فوق رأسه ، وهو يتجه نحو الباب ، قائلاً :

ـ لا تفقد تماسك أعصابك الآن يا رجل ، فما دام الجزَّار هنا ، ستحتاج إلى كل ذرة منها .

لم يكد يتمَ عبارته ، حتى انفتح الباب ، قبل أن يبلغه ، وظهر على عتبته (كارل مانهايم) بذلك البرود الثلجى ، المطلّ من عينيه ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! كنت أظنني سأجدك فى انتظارى يا (كولونيل) .

رفع الكولونيل ذراعه بسرعة ، وهتف بملء حنجرته :

ـ هايل (هتلر)(*) .

رفع (كارل) ذراعه بدوره ، مرددًا :

ـ هايل (هتلر) .

ثم خفضها ، مستطردًا ببرود مستفز :

ـ ما زلت أصرّ على أنه كان ينبغى أن أجدك فى انتظارى .

تنحنح الكولونيل فى حرج ، وهو يقول :

ـ الواقع أننى كنت فى طريقى لاستقبالك ، عندما ..

(*) هايل (هتلر) : التحية الألمانية ، فى زمن الرايخ الثالث ، وهى تعنى يحيا (هتلر) .

قاطعه (كارل) بإشارة من يده ، وقال فى صرامة ، وهو يخلع قفازيه الجلديين :

ـ لا بأس .. لا بأس .. هيا .. قصّ على ما واجهتموه هنا ، فالقصة التى أبلغونى إياها ، كانت أعجب من أن تصدَّق .

تنهَّد الكولونيل ، قائلاً :

ـ أظن قصتى لن تختلف عنها كثيرًا .

وفى سرعة ودقة ، راح يشرح له كل ما حدث منذ البداية ..

تلك المقاتلة العجيبة ، التى ظهرت فجأة فى الجو ، دون سابق إنذار ..

الأسلحة العجيبة ، التى استخدمها الغرباء ، الذين ظهروا فى المكان ، بعد اختفاء تلك المقاتلة ..

وفرارهم بالسيَّارة المدرَّعة ..

ومطاردة الطائرات لها ..

وانفجارها ..

و ...

« ولكننا لم نعثر على جثثهم داخلها .. »

أنهى الكولونيل قصته بهذه العبارة ، فانعقد حاجبا

(كارل) فى شدة ، وهو يرمقه بنظرة غاضبة ، قائلاً :

ـ ماذا تعنى بأنكم لم تعثروا على جثثهم داخلها ؟! هل احترقت عن آخرها ، حتى لم تتبقَّ منها عظمة واحدة ؟!

هزَّ الكولونيل رأسه نفيًا ، وقال :

ـ أنت تعلم أن هذا لا يحدث أبدًا يا فون (كارل) .. حتى الانفجارات الهائلة لا يمكنها سحق الجسد البشرى تمامًا .. هناك حتمًا بقايا أو أشلاء ، مهما بلغ صغرها ، ولكن فى حالتنا هذه ، لم يكن هناك أدنى أثر .

سأله (كارل) فى حدة :

ـ أين ذهب الجواسيس إذن ؟!

تنهَّد الكولونيل ، قائلاً :

ـ لسنا ندرى فى الواقع ، فلقد تصورَّنا بعد نسف المدرَّعة ، أنهم قد لقوا مصرعهم داخلها ، ولقد دفعنا هذا إلى إيقاف عمليات المطاردة والبحث ، ولكن ما إن أصبح بإمكاننا الاقتراب من المدرَّعة ، بعد أن خبت نيرانها ، وبردت بقاياها ، حتى فوجئنا بأنها خالية تمامًا ، ولا يوجد بها أدنى أثر لبقايا أو أشلاء ، أو حتى ..

قاطعه (كارل) فى حدة :

ـ هذا أمر طبيعى ؛ لأنهم قفزوا خارجها ، قبل أن تبلغها الطائرات ، وتركوا طياريك الحمقى يطاردون مدرَّعة فارغة ، ويمطرونها برصاصات ، يساوى ثمنها أضعاف أضعاف ما تساويه عقولهم .

قال الكولونيل فى غضب :

ـ سيِّد (كارل) .. طيارونا من أفضل الـ ..

قاطعه (كارل) فى غضب صارم :

ـ اصمت .

لم يكن فارق الرتب بينهما يسمح لـ (كارل) بمثل هذا القول الجارح ، إلا أن الامتيازات ، التى يتمتع بها ضباط الجستابو ، جعلت الكولونيل يطبق شفتيه ، ووجهه يحتقن فى غضب مكتوم ، و (كارل) يتابع :

ـ كان ينبغى ألا توقف أعمال البحث والمطاردة ، إلا بعد حسم الموقف ، على نحو لا يقبل الشك .

غمغم الكولونيل فى عصبية :

ـ ما يحدث فى المعتاد أن ..

قاطعه (كارل) مرة أخرى ، فى صرامة أكبر :

ـ قلت لك : اصمت .. دعنى أفكر فى عمق .

والتقى حاجباه ، وهو يدور فى الحجرة ، فى توتر شديد ، قبل أن يلتفت إلى (كارل) ، ويسأله فى صرامة :

ـ متى انتهت عمليات البحث والمطاردة ؟!

كان وجه الكولونيل شديد الاحتقان ، وهو يجيب :

ـ منذ ما يقرب من ثلاث ساعات .

مطَّ (كارل) شفتيه فى ازدراء ، قائلاً .

ـ ثلاث ساعات كاملة !! يا للسخافة !

وعاد يدور فى الحجرة بضع لحظات ، وهو يحكّ ذقنه بأصابعه ، فى تفكير عميق ، ثم لم يلبث أن توقَّف ، ليسأل فى اهتمام :

ـ أين خريطة المنطقة ؟!

أشار (شتوتجارت) إلى مساعده ، قائلاً :

ـ احضر خريطة (باريس) ، و ..

قاطعه (كارل) فى صرامة :

ـ إننى أحفظ خريطة (باريس) عن ظهر قلب يا كولونيل .. أريد خريطة لهذه المنطقة .

كتم الكولونيل حنقه وغضبه ، وهو يقول لمساعده .

ـ لا بأس .. أحضر خريطة المنطقة فقط .

لم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان (كارل) يفرد خريطة المنطقة أمامه ، ويفحصها فى اهتمام بالغ ، قبل أن يقول :

ـ كما توقَّعت تمامًا .. لا يوجد مكان آخر ، يمكن اللجوء إليه .

ثم طوى الخريطة ، مستطردًا :

ـ ليس أمامهم مكان آخر ، يمكنهم الذهاب إليه .. كل الطرقات تمرّ بمعسكرات ، أو قواعد جوية ، وليس هناك سوى الطريق إلى (باريس) .

سأله الكولونيل :

ـ هل تعتقد أنهم سيتجهون إليها ؟!

عقد (كارل) كفيه خلف ظهره ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنها المكان الوحيد ، الذى يمكنهم بلوغه ، والاختفاء وسط زحامه ، خلال تلك الساعات الثلاث .. يمكننى أن أراهن بحياتى كلها على أنهم هناك الآن .

صمت الكولونيل بضع لحظات ، ثم سأل فى حذر :

ـ هل تعتقد أنهم ينتمون إلى الحلفاء يا سيِّد (كارل) ؟!

صمت (كـارل) بضـع لحظـات ، انعقـد حاجبـاه خلالهما ، حتى كادا يلتحمان ، قبل أن يجيب :

ـ ستكون كارثة ، لو أنهما كذلك .

وعاد إلى صمتـه لثانيـة أو ثـانيتين ، ثم تـابع فـى حزم :

ـ ولكن هذه الحوادث العجيبة تذكّرنى بحوادث أخرى ، شهدتها (باريس) ، منذ شهر أو يزيد .. ولو أنـه هناك صلة بالفعل ، بين هذه وتلك ، فهناك من ينبغى إبلاغه بكل ما حدث هنا .

سأله (شتوتجارت) ، فى فضول حذر :

ـ من تقصد ؟!

شدَ (كارل مانهايم) قامته ، وهو يجيب فى حزم صارم :

ـ مدير المخابرات الألمانية فى (أوروبا) .. الجنرال (هولدشتاين) .. (فريدريش هولدشتاين) .

وكان هذا يعنى أن الصراع سينتقل إلى منطقة جديدة .. وخطيرة ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

« هل لى أن أعلم ، إلى أين نذهب بالضبط ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال فى عصبية ، وهو يسير مع (نور) و (طـارق) ، وسـط شـوارع (بـاريس) القديمة ، التى ارتفعت على مبانيها الأعلام النازيـة ، وانتشر فى شوارعها الجنود الألمان ، بزيِّهم المميَّز ، على نحو يشف عن حالة الطوارئ ، التى تـم إعلانهـا ، فى المدينة كلها ، فالتفت إليه (نور) ، قائلا ، وهو يحثّ الخطى .

ـ إلى المكان الوحيد الآمن ، فى مثل هذه الظروف .

تلفّت (طارق) حوله فى قلق ، قائلاً :

ـ مما يبدو حولنا ، أعتقد أنه لا يوجد مكان واحد آمن من هنا .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بل يوجد مكان آمن .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى صرامة :

ـ ولكنه ليس على سطح الأرض .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة ، وهو يسأله :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع من خلفهم صوت ، يقول بالألمانية فى صرامة :

ـ أنتم هناك .

سرت فى جسد (أكرم) قشعريرة باردة ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! لقد كشفوا أمرنا .

أجابه (نور) فى صرامة ، وهو يزيد من سرعته :

ـ تجاهله تمامًا .. سنتظاهر بأننا نجهل الألمانية ، ونواصل طريقنا ، حتى مدخل مترو الأنفاق هناك .. لابد أن نبلغه بأقصى سرعة .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ هل سنستقل المترو ؛ للفرار من الألمان ؟!

قبل أن يجيب (نور) ، ارتفع ذلك الصوت الصارم ، يهتف بالفرنسية هذه المرة :

ـ أنت هناك .. قفوا ..

تنهَّد (طارق) ، مغمغمًا :

ـ يبدو أنه لا مفرّ من المواجهة .

كان هناك جنديان ألمانيان ، يندفعان نحوهم ، من جانب الطريق ، وهما يحملان مدفعيهما الآليين ، فاضطروا للتوقف ، واستداروا لمواجهة رجل طويل أشقر ، يرتدى معطفًا مدنيًا أسود اللون ، ويشير إليهم ، قائلاً فى غضب :

ـ لماذا رفضتم التوقُّف ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ لم نرفض شيئًا ، ولكننا لم نفهم عبارتك الألمانية الأولى .

مسح وجوههم بنظرة صارمة ، تفيض شكًّا وريبة ، قبل أن يسأل :

ـ هل تحملون أوراقًا تشفّ عن هويتكم ؟!

صمت الثلاثة ، وهم يتبادلون نظرة متوترة ، فمطَّ الألمانى شفتيه ، وقال :

ـ آه .. فهمت .. لستم تحملون أوراق هوية ، أو تصاريح سير .

أشار (أكرم) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ ولكن لدينا تفسير منطقى لهذا .

سأله الرجل فى صرامة ، وهو يعقد كفيه أمام جسده :

ـ هات ما لديك .

تحرَّك (نور) بغتة ، فى سرعة مدهشة ، ومال بجسده إلى الأمام ، لتقفز قدمه إلى الخلف ، وتغوص فى معدة أحد الجنديين ، هاتفًا :

- ها هو ذا .

شهق الجندى فى دهشة وألم ، وقبل أن تكتمل شهقته ، كان (أكرم) يدور حول نفسه ، ويلكمه فى أنفه لكمةً كالقنبلة ، أطاحت به ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ..

وفى نفس اللحظة ، كان (طارق) يدور حول نفسه فى الهواء ، ويركل الجندى الآخر فى فكه مباشرة ، ركلتين متتابعتين ، أسقطتاه فاقد الوعى فى لحظةٍ واحدة ..

وبسرعة مذهلة ، انتزع صاحب المعطف من جيبه مسدسًا ضخمًا ، صوَّبه إلى (نور) ، وهو يهتف :

- اللعنة ! إذن فأنتم الـ ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، كان (نور) ينقضَّ عليه كالليث ، ويقبض على معصم يده الممسكة بالمسدس ، ليزيحه بعيدًا ، فى حين انطلقت قبضته كالصاعقة ، تحطم فكه ، وتلقى به أرضًا ..

وكان من الطبيعى أن يثير هذا كل فرق الجنود ، فى الساحة الكبيرة ..

وأن يثير موجة هائلة من الهرج والمرج والفوضى فى المكان ..

ولكن (نور) هتف بالعربية :

- إلى المترو .

اختطف (أكرم) أحد المدافع الآلية ، وهو يعدو هاتفًا :

- لست أدرى ما الذى يمكن أن نفعله هناك ، ولكننى سأتبعك فى كل ما تمضى إليه يا (نور)

انطلق ثلاثتهم نحو فتحة مترو الأنفاق الباريسى ، وانطلق الجنود الألمان خلفهم ، ورصاصاتهم تدوى فى الساحة ، وسط صراخ المارة ، الذين راحوا يعدون فى كل اتجاه ، للنجاة بأرواحهم ، وشعر (أكرم) بالرصاصات ترتطم بالأرض حوله وخلفه ، فصاح :

- يا إلهى ! لقد فتحنا أبواب الجحيم يا رفاق .

صاح به (نور) :

- لو بلغنا النفق ، سينتهى كل شىء .

غمغم (طارق) :

- أتعشَّم هذا .

لم يكد يتمَّ عبارته ، حتى اخترقت رصاصة فخذه الأيمن ، فانطلقت منه صرخة ألم ، وهو يفقد توازنه ، ويسقط أرضًا ، فصرخ (أكرم) :

ـ لا .. (طارق) .

ثم استدار يطلق رصاصات المدفع الآلى ، نحو الجنود الألمان ، صارخًا :

ـ أيها الأوغاد .. أيها الوحوش .

أصابت رصاصاته أحدهم ، وأطاحت به فى عنف ، إلا أن هذا لم يوقف الآخرين ، الذين واصلوا إطلاق النار فى شراسة ، فهتف (نور) ، وهو ينحنى ليعاون (طارق) على النهوض :

ـ تراجع يا (أكرم) .. أسرع .. نحو نفق المترو .

قالها ، وراح يجذب (طارق) نحو النفق ، و(طارق) يهتف :

ـ اتركنى وانج بحياتك يا (نور) .. اتركنى بالله عليك .

صاح به (نور) فى صرامة :

ـ اصمت .

أما (أكرم) ، فراح يتراجع فى بطء ، وهو يواصل تبادل إطلاق النار ، مع الجنود الألمان ، و ..

واخترقت رصاصة ذراعه اليسرى ، فتفجَّرت منها الدماء ، وهو يهتف :

ـ اللعنة ! اللعنة !

بلغ (نور) النفق مع (طارق) ، وهتف به :

ـ هيا يا (أكرم) .. أسرع .. أسرع ..

صرخ (أكرم) ، وهو يطلق رصاصاته فى غضب :

ـ وماذا تظننى أحاول أن أفعل ؟

أطاحت رصاصاته بجنديين آخرين ، قبل أن يدور على عقبيه ، ويعدو بأقصى سرعته نحو النفق ، و (نور) يهتف به :

ـ هيا يا (أكرم) .. هيا .. ستنجح ـ بإذن الله ـ هيا .

أطلق (أكرم) صرخة قوية ، وكأنما يستعين بها ؛ ليشحذ كل ما تبقى من قوة ، وهو يعدو بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

وأكبر ..

ومن خلفه ، انطلقت رصاصات الجنود الألمان كالمطر ، و ..

واخترقت إحدى رصاصاتهم ظهر (أكرم) ، ودفعته فى عنف إلى الأمام ، وهو يطلق شهقة ألم غاضبة قوية ، قبل أن يسقط أرضًا ، فصرخ (نور) :

- لا يا (أكرم) .. لا ..

وعضَّ (طارق) شفتيه ، هاتفًا :

- اللعنة !

حاول (أكرم) أن ينهض ، وهو يحمل مدفعه الآلى فى صعوبة ، هاتفًا :

- لقد ظفر بى الأوغاد .. اللعنة !

ثم رفع عينيه إلى (نور) ، وصاح ، بكل ما تبقَّى له من قوة :

- اهرب يا (نور) .. اهرب .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى لحق به اثنان من الجنود الألمان ، فاستدار ليواجههم بمدفعه فى شراسة ، إلا أن أحدهم ركل المدفع من يده فى قسوة ، فصرخ :

- أيها الـ ..

قبل أن يتمّ صرخته ، هوى الجندى الآخر بكعب مدفعه على رأسه ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وتفجَّرت من رأسه نافورة من الدم ، قبل أن يهوى كالحجر ..

وبكل المرارة واللَّوعة فى أعماقه ، هتف (نور) :

- (أكرم) .. يا إلهى ! (أكرم) .

قالها ، وجذب (طارق) إلى داخل النفق ، مواصلاً رحلة الهروب ، فصاح به (طارق) فى توتر :

- هل سنترك (أكرم) خلفنا ؟!

قاوم (نور) دموعه فى صعوبة ، وهو يقول :

- لم يعد بيدنا ما نفعله .

تعالى وقع أقدام الجنود ، وهم يهبطون خلفهما إلى النفق ، فهتف (طارق) :

- ولم يعد أمامنا مكان نذهب إليه أيضًا .

قال (نور) فى حزم :

- هذا ما يتصوَّره الجميع .

كان يندفع نحو نفق المترو نفسه ، فسأله (طارق) :

- إلى أين تذهب ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

- سترى .

قالها ، ووثب إلى الممر ، الذى ينطلق فيه المترو ، فاتسعت عينا (طارق) فى دهشة ، وهو يقول :

- هل تدرى إلى أين تذهب بالضبط ؟!

أشار إليه (نور) أن يتبعه ، وهو يجيب فى حزم :

- بالتأكيد .

انطلق الاثنان عَبْر ممر المترو ، الذى تعالى صوته ، وهو يقترب عَبْر النفق ، فغمغم (طارق) فى توتر :

- لو لم نبلغ الهدف ، خلال دقيقة واحدة ، سيسحقنا المترو سحقًا ، تحت إطاراته الفولاذية .

اعتصر (نور) عقله ، محاولاً استعادة ذكرى بعيدة ، وهو يجيب :

- اطمئن .. سنبلغ الهدف قبلها .

كان صوتِ المترو يقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وهما ينطلقان فى محاذاة جدار الممر بأقصى سرعة ، تسمح بها إصابة (طارق) ..

وأخيرًا بلغا بابًا معدنيًا ، يغوص فى جدار الممر ، فهتف (نور) :

- ها هو ذا ..

كان المترو قد لاح فى الأفق ، فهتف (طارق) :

- أسرع باللّه عليك يا (نور) .. أسرع .

أجابه (نور) فى توتر :

- اطمئن يا صديقى .. هذا هو المدخل ، الذى كنت أبحث عنه .

قالها ، ودفع رتاج الباب المعدنى بكل قوته ، و .. ولكن الباب لم ينفتح ..

لقد بدا أنه مغلق من الداخل ، فى إحكام شديد ، فامتقع وجه (نور) ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! إنه مغلق .

اتسعت عينا (طارق) ، وهو يحدِّق فى المترو ، الذى لم يعد يفصله عنهما سوى عدة أمتار قليلة ، والذى انطلق نحوهما بأقصى سرعة ، وكأنه يستعدَ لسحقهما ..

بلا هوادة .

* * *

ـ اطمئن ياصديقى . . هذا هو المدخل ، الذى كنت أبحث عنه . . قالها ، ودفع رتاج الباب المعدنى بكل قوته ، و . . .

٤ ـ الجنـــــــرال ..

فركت (سلوى) عينيها فى إرهاق ، وهى تجلس أمام الكمبيوتر ، وتنهَّدت فى توتر ، قائلة :

ـ يبدو أن الدكتور (ناظم) محقٌّ فى شكوكه .

سألها (رمزى) فى اهتمام :

ـ هل عثرت على شىء ما ؟!

رفعت سبَّابتها فى صمت لبعض الوقـت ، وهـى تراجع بيانات الكمبيوتر لمرة أخيرة ، قبل أن تقول :

ـ تلك المقاتلة لم تعبر حاجز الزمن مصادفةً .

انعقد حاجبا (نشوى) ، وهى تنهض من الأريكـة ، التى استلقت فوقها ، هاتفة :

ـ هل عثرت على ما يثبت هذا ؟!

أشـارت (سلـوى) إلى بعـض المعـادلات ، علـى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

ـ إلى حـد مـا ، فالبرنـامج معدّ بحيث يتعامل مع الاختلال الخلوى ، الذى ينشأ عن القفز من زمـن إلى آخر .

نهض إليها (رمزى) ، وهو يسأل متوترًا :

ـ ألا يمكن أن ينشأ هذا الاختلال الخلوى ، فى أية ظروف أخرى ؟! أعنى من الانطلاق بسرعات كبيرة مثلاً ، أو اختراق الغلاف الجوى !

هزَّت رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

ـ كلاَّ .. كل هذه العوامل يمكن أن تسبِّب ارتجاجات عنيفة ، أو زيادة كبيرة فى درجات الحرارة ، ولكنها لن تؤدى قط إلى أى نوع من أنواع الاختلال الخلوى .

بدا التوتر الشديد على وجه (رمزى) ، وهو يقول :

ـ إذن فقد انطلق (طارق) فى رحلته ، وهو يدرك جيِّدًا أنه سينطلق عبر الزمن .

أومأت (سلوى) برأسها ، مجيبة :

ـ بالضبط .

هتفت (نشوى) فى دهشة :

ـ ياإلهى ! لقد بدا لى صادقًا للغاية .

زفر (رمزى) فى عصبية ، قائلاً :

ـ وماذا أقول أنا ؟! لقد استمعت إليه كخبير فى الطب النفسى ، وصدَّقت كل كلمة نطق بها .

هزَّت (سلوى) رأسها ، قائلة :

ـ من الواضح أنه قد تلقَى تدريبات مكثَّفة ، لمواجهة خبراء الطب النفسى .

غمغم فى حنق :

ـ إلى هذا الحد ؟!

وصمت لحظة ، ليفكِّر فى الأمر بعمق ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ـ هل حدَّدت السجلات الأزمنة ، التى ولجتها المقاتلة ؟!

هزَّت (سلوى) رأسها ، قائلة :

ـ لم أنجح فى فتح كل الملفَّات بعد .

ارتفعت دقَّات عالية على الباب ، فى تلك اللحظة ، فالتفت إليه الجميع ، وقال (رمزى) بسرعة :

ـ ادخل يا من بالباب .

فتحت (مشيرة) باب الحجرة ، واندفعت إلى الداخل ، هاتفة :

ـ لقد توصَّلت إلى أمر بالغ الأهمية .

سألتها (نشوى) فى دهشة :

ـ كيف أمكنك دخول المقرّ ؟!

أجابتها (مشيرة) فى انفعال :

ـ لقد منحنى الدكتور (ناظم) تصريحًا بهذا ، بعد أن علم ما لدى ، ولكن هذا ليس مهمًّا الآن .. المهم ما أمكننى التوصُّل إليه .

قالت (سلوى) فى حيرة :

ـ وما الذى يمكنك التوصُّل إليه ؟!

هتفت (مشيرة) :

ـ الكثير .

ثم أخرجت من حقيبتها أسطوانة ليزرية مضغوطة ، ودسَّتها فى كمبيوتر (نشوى) ، وهى تتابع بنفس الانفعال :

ـ لقد غذَّيت كمبيوتر الأخبار ، والفهرس الصحفى الشامل ، بصورتى (نور) و(أكرم) ، وكل المعلومات الخاصة بهما ، وطلبت منه البحث عن أى خبر ، أو أية معلومات تخصُّهما ، منذ فجر الصحافة المطبوعة والمرئية ، وحتى بداية القرن الحادى والعشرين ، ولقد حصلت على صورة واحدة ، ولكنها أثارت ذعرى بشدة .

ضغطت زر تشغيل الأسطوانات المضغوطة ، فظهرت على الشاشة صفحة من جريدة فرنسية قديمة ، تعود

إلى عهد الاحتلال النازى ، أشارت (مشيرة) إلى صورة فى جانبها الأيسر ، قائلة :

ـ هذه الصورة .

قالتها ، وأسرعت تكبِّر الصورة ، لتملأ بها الشاشة كلها ، قائلة بصوت مرتجف :

ـ صورة (أكرم) .

اتسعت عيونهم فى شدة ، وهم يحدِّقون فى الصورة ، التى بدا فيها (أكرم) فاقد الوعى ، فوق فراش صغير ، داخل مستشفى قديم ، وإلى جواره ضابط ألمانى كبير ، برتبة جنرال ، وتحت الصورة خبر يشير إلى وقوع أحد زعماء المقاومة الفرنسية فى أيدى السلطات الألمانية ، التى قرَّرت محاكمته و ...

وإعدامه ..

وفى ذعر ، هتفت (نشوى) :

ـ رباه ! إنه هو بالفعل .. لقد نقلتهم المقاتلة إلى (باريس) أيام الحرب العالمية الثانية .. يا إلهى ! يا إلهى !

وسأل (رمزى) فى توتر :

- هل تابعت الخبر ؟! أعنى هل .. هل ..

قاطعته (مشيرة) ، وقد أدركت طبيعة السؤال ، الذى يخشى إلقاءه :

- نعم .. لقد طالعت كل الأعداد التالية للصحيفة ، ولكنها لم تشر إلى الخبر مرة أخرى قط .. حتى الصحف الألمانية ، التى صدرت فى الفترة نفسها ، لم تنشر خبرًا واحدًا عن الأمر ، وكأن إعدام أحد زعماء المقاومة لا يعنيهم ، فى كثير أو قليل .

قالت (نشوى) فى ارتياع :

- ربما يعنى هذا أنهم لم ينجحوا فى إعدامه .

ارتجفت (مشيرة) ، وهى تقول فى مرارة :

- أو أن أمر إعدامه لم يكن يهم أحدًا .

كانت (سلوى) تتطلع فى اهتمام شديد إلى الصورة ، وعيناها تتركزان على وجه الجنرال ، الذى يقف إلى جوار (أكرم) ، ثم لم تلبث أن سألت (نشوى) فى اهتمام ، يحمل الكثير من القلق :

- هل يمكنك تكبير صورة ذلك الجنرال ؟

أجابتها (نشوى) ، وهى تبدأ عملية التكبير بالفعل :

- بالتأكيد .

ومع ضغطة الزر الأخيرة ، تضاعف حجم وجه الجنرال ، ليملأ الشاشة كلها ..

وهنا ، اتسعت عينا (رمزى) فى ذهول ، وهو يهتف :

- رباه ! لا يمكن أن يحدث هذا .

أما (سلوى) ، فغمغمت فى انهيار :

- لماذا يا إلهى ! لماذا ؟!

حدَّقت (نشوى) و (مشيرة) فى صورة الجنرال فى دهشة بالغة ، قبل أن تسأل الأخيرة فى قلق شديد :

- هل تعرفون هذا الرجل ؟!

تبادلت (سلوى) نظرة متوترة مع (رمزى) ، الذى أجاب :

- لا نعرفه فحسب ، ولكننا واجهناه من قبل أيضًا .

وأضافت (سلوى) ، فى صوت يشفّ عن ذعرها البالغ :

- ولو أن تلك المقاتلة قد عادت بوالدك ورفيقيه ، إلى زمن هذا الرجل بالتحديد ، فهذا يعنى أنهم يواجهون خطرًا رهيبًا .. خطرًا لا قبل لهم به قط .

وانتقلت ارتجافتها المذعورة إلى الجميع ..
بلا استثناء ..

★ ★ ★

كان المترو ينطلق بأقصى سرعته ، ولا يوجد مكان واحد ، يصلح للاحتماء به ، و ..

وفجأة ، انفتح ذلك الباب المعدنى ، وامتدّت منه يد قوية ، جذبت (طارق) داخله ، وصاحبها يهتف بـ (نور) :

ـ أسرع يا هذا .

وثب (نور) عبر الباب ، فى نفس اللحظة التى بلغ فيها المترو المكان ، وارتفع دويّه داخل النفق ، بصوت يصمّ الآذان ، حتى تجاوز المنطقة إلى محطته ، التى اكتظّت بالجنود الألمان الغاضبين ، الذين راحوا يفحصون أوراق الجميع فى قسوة ، ويفحصونهم ويفتشونهم بعصبية بالغة ، فى حين كان صاحب اليد القوية يضىء مصباحًا كبيرًا ، فى وجهى (نور) و(طارق) ، وهو يصوّب إليهما مدفعًا آليًّا قصيرًا ، ويسألهما فى صرامة :

ـ من أنتما ؟! ولماذا فعلتما ما فعلتماه ؟!

سأله (طارق) فى توتر :

ـ أتقصد دخولنا إلى نفق المترو ؟!

أجابه الرجل فى خشونة :

ـ بل أقصد ما فعلتموه مع الألمان .

تبادل (نور) و(طارق) نظرة سريعة ، قبل أن يجيب الأوّل :

ـ لم نكن نحمل أوراقًا .

سأله الرجل ، فى سرعة وصرامة :

ـ لماذا ؟!

هزّ (طارق) كتفيه ، قائلاً :

ـ هذا ما حدث .

نقل الرجل الضوء إلى وجهه ، وهو يقول فى صرامة شرسة :

ـ ماذا تعنى بأن هذا ما حدث ؟! الجميع يحملون أوراقًا ، حتى نحن .

بدا مزيج من الضيق والتوتّر ، على وجه (نور) ، الذى سأل الرجل بغتة :

ـ أين يمكننا أن نجد (برجيت) و (آلان) ؟!

انعقد حاجبا الرجل فى شدة ، وأضاء وجهيهما ، دون أن يجيب ، فتابع (نور) :

- أنت تعمل فى صفوف المقاومة الفرنسية .. أليس كذلك ؟!

مال الرجل نحوه ، وقال فى صرامة شديدة ، وهو يلكزه بفوهة مدفعه الآلى القصير :

- من أنت يا هذا ؟! كيف تعرف (برجيت) و(آلان) ؟! أجب بصدق ، وإلا .

تطلع (نور) إلى عينيه مباشرة ، دون أدنى خوف أو وجل ، وقال :

- لو أننى أجبتك بصدق ، لما صدَّقت كلمة واحدة مما أقول يا رجل ، ولكن كل ما تعنيك معرفته ، فى هذه اللحظة ، هو أننى لست جاسوسًا ، ولست أحاول خداعك .

ظلّ الرجل يتطلَّع إليه بضع لحظات ، فى صرامة شديدة ، قبل أن يلتفت إلى (طارق) ، ويقول فى خشونة :

- وماذا عنك ؟!

هزَّ (طارق) كتفيه ، وقال فى هدوء :

- كل ما قاله ينطبق علىَّ أيضًا .

نقل الرجل بصره بينهما بضع لحظات ، ثم قال فى خشونة :

- توجد وسيلة واحدة ، للتيقُّن من هذا .

ثم أحكم إغلاق الباب المعدنى من الداخل ، ودفعهما فى قسوة ، مستطردًا :

- أن تواجها (برجيت) مباشرة .

سار الثلاثة عبر شبكة معقَّدة من الأنفاق والممرات ، على نحو يوحى بأن دليلهما يحفظ طريقه عن ظهر قلب ، فمال (طارق) على أذن (نور) ، هامسًا :

- هل تعرف (برجيت) هذه حقًا ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم ، ولكننى أخشى أنها لن تذكر وجهى قط .

سأله فى قلق :

- وكيف هذا ؟!

أجابه (نور) :

- لقد التقيت بها فى مغامرة سابقة ، جاءت بالفريق كله إلى هذا الزمن بالتحديد ، ولكن الظروف حتَّمت أن نمحو كل ما يتعلَّق بنا من ذاكرة الجميع ، قبل أن نعود إلى عصرنا .

سأله فى توتر :

- وكيف فعلتم هذا ؟!

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب :
ـ بالتنويم المغنطيسى(*) .
انعقد حاجبا (طـارق) بضـع لحظـات ، قبـل أن يغمغم :
ـ فهمت .
قال مرافقهما فى صرامة :
ـ اصمتا .
ابتسم (طارق) فى سخرية ، قائلاً :
ـ حتى الألمان يسمحون لأسراهم بالتحدُث .
زمجر الرجل ، وقال فى خشونة :
ـ إننى لست ألمانيًا .
ثم أضاف فى حدة :
ـ وأنتما لستما فرنسيين .. لقد سمعتكما تتحدثـان بلغة غريبة منذ قليل .
قال (نور) فى هدوء :
ـ إنها ليست الألمانية على الأقل .
دفعه الرجل أمامه فى غلظة ، قائلاً :

(*) راجع قصة (شيطان الأجيال) .. المغامرة رقم (٥٦) .

ـ ومن أدرانى ؟! ربمـا كنتمـا عدوين ، تحـاولان كشف أسرارنا .
تبادل (نور) و (طارق) نظرة سـريعة ، قبل أن يقول الأخير فى برود :
ـ نعم .. من أدراه .
لم يكد يتمّ قوله ، حتى دار على عقبيه فى سرعة مدهشة ، وركل المدفع الآلى القصير من يد الرجل ، مستطردًا :
ـ لا بد أن نمنحك دليلاً إذنَ .
وفى نفـس اللحظـة ، انحنـى (نـور) ، ودار حـول نفسه ، ثم اعتدل يلكم الرجل فى فكه بكل قوته ، وهو يلتقط المدفع من الهواء ..
وسقط الرجل أرضـًا ، وطـار مصباحـه اليدوى مـن يده ، فانحنى (طارق) يلتقطه ، وهو يقول ساخرًا :
ـ هل يكفيك هذا الدليل ؟!
هتف الرجل ، وهو ينهض فى عصبية :
ـ إنه يثبت أنكما ..
ألقى إليه (نـور) مدفعـه ، قبـل أن يتمّ عبارتـه ، وهو يقاطعه ، قائلاً :

ـ أننا ماذا ؟!

التقط الرجل المدفع ، فى دهشة بالغة ، وأمسك المصباح فى قوة ، وهو ينقل بصره بينهما ، فى حذر شديد ، فقال (طارق) :

ـ والآن ، دعنا نكمل رحلتنا ، دون أن تصوِّب إلينا هذا المدفع السخيف .

رفع الرجل فوهة مدفعه نحوهما فى توتر ، وانفرجت شفتاه ؛ ليقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبقهما ، وخفض فوهة المدفع فى بطء ، ثم قال فى غلظة :

ـ تقدَّما .

لم يتبادلوا كلمة أخرى ، وهم يكملون طريقهم ، عَبْر شبكة الأنفاق المعقَّدة ، التى عجز الألمان طويلاً عن كشفها ، حتى بدا بصيص من الضوء من بعيد ، فغمغم الرجل فى خشونة :

ـ لقد وصلنا .

راح الضوء يزداد وضوحًا ، وهم يقتربون منه ، حتى بدت لهم قاعة كبيرة ، تضمّ عددًا من الرجال والنساء ، نهضوا كلهم يتطلَّعون إليهم فى توتر

ملحوظ ، قبل أن تسأل واحدة منهم مرافقهما فى صرامة :

ـ من هذان ؟!

أجابها الرجل ، فى احترام واضح :

ـ إنهما اللذان اشتبكا مع الألمان فى الخارج .. لقد حاولا الفرار عَبْر الأنفاق ، وكأنهم يعلمون طريقهم جيِّدًا .

قالت المرأة فى حدة :

ـ فأحضرتهم أنت إلى هنا .. أليس كذلك ؟!

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

ـ لو أنهما جاسوسان ، يمكننا قتلهما هنا ، و ..

قاطعه (نور) ، وهو يقول للمرأة فجأة :

ـ مرحبًا يا (برجيت) .

انعقد حاجبا المرأة فى شدة ، وهى تتطلَّع إليه فى عصبية ، قبل أن تسأله فى حدة :

ـ هل تعرفنى ؟!

اتسعت عينا المرافق فى ذعر ، وهو يقول :

ـ لقد .. لقد أخبرنى أنه يعرفك ، أنت و (آلان) ، و ..

أشارت إليه المرأة بالصمت فى صرامة ، وهى تكرُر سؤالها ، فى حدة أكثر :

ـ قل لى يا هذا : هل تعرفنى ؟!

تنهّد (نور) ، وهو يجيب :

ـ الواقع أننى لست أعرفك فحسب يا (برجيت) ، ولكننا قاتلنا جنبًا إلى جنب أيضًا ، منذ بضعة أشهر ، من زمنك هذا .

تبادل الجميع نظرة حائرة قلقة ، فى حين مالت (برجيت) إلى الأمام ، وكأنها تلقى نظرة أكثر قربًا على وجه (نور) ، قبل أن تقول ، فى صرامة عصبية :

ـ أنت كاذب .. إننى لم أرك فى حياتى قط .

قال (نور) :

ـ هذا ما تتصوَّرينه ، فقد خضعت للتنويم المغنطيسى ، و ..

قاطعته بإشارة صارمة أخرى ، قائلة :

ـ كفى .

ثم التفتت إلى رفاقها ، مستطردة :

ـ لقد كشفتهما محاولة الكذب الرديئة هذه .

وعادت تستدير إلى (نور) و (طارق) ، مضيفة فى صرامة :

ـ إنهما جاسوسان .

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، فى حين عقد (طارق) ساعديه أمام صدره ، وهو يغمغم :

ـ كنت أعلم أنها لن تصدّق هذا .

رمقته (برجيت) بنظرة صارمة ، ثم أدارت عينيها إلى مرافقهما ، وقالت بلهجة آمرة :

ـ اقتلهما يا (جولفيه) .

وبلا أدنى تردُّد ، رفع (جولفيه) فوهة مدفعه الآلى ، و ..

ودوت الرصاصات ، وسط الأنفاق ..

★ ★ ★

لم تكد سيارة الجنرال (فريدريش هولدشتاين) تتوقَّف ، أمام ذلك المستشفى الصغير ، فى قلب (باريس) ، حتى سادت المكان موجة من التوتر ، مع طاقم حراسته الخاص ، الذى انتشر فى كل مكان ، والإجراءات الأمنية الصارمة ، التى اجتاحت المستشفى كله ، دون أن يبالى الجنود بالمرضى وأحوالهم ..

وفى رصانة قاسية ، صارمة ، غادر الجنرال سيارته ، وأدار عينيه فيما حوله بنظرة مخيفة ، قبل أن يدلف إلى المستشفى ..

كان طويل القامة ، ممشوق القوام ، واضح القوة والصرامة ، كثيف الشعر ، ناعمه ، أشيب الفودين ، عريض الفك ، ضيق العينين ، أزرقهما ، وكانت خطواته الواسعة القوية تشفّ عن طبيعته الواثقة القاسية ، وهو يدقّ الأرض بقدميه ، متجهًا نحو حجرة فى نهاية الممر ، وقف على بابها ثلاثة من الجنود ، ما إن لمحوا الجنرال ، حتى ضربوا الأرض بأقدامهم فى قوة ، ورفعوا أذرعتهم فى آن واحد ، ليهتفوا :

- هايل (هتلر) .

تجاهلهم الجنرال تمامًا ، وهو يدفع الباب بيده ، ويدلف إلى الحجرة ، فالتفت إليه(كارل مانهايم) ، وهتف بدوره :

- هايل (هتلر) .

رمقه الجنرال بنظرة صارمة قاسية ؛ وهو يقول :

- أتعشّم أن يستحق الأمر قدومى شخصيًا

يا (كارل) ، فسيؤسفنى أن أوقّع قرارًا بعودتك إلى الجبهة السوفيتية ، بعد أن أعدتك منها ، منذ أيام قلائل .

شدّ (كارل) قامته ، وهو يقول فى اعتداد :

- أنا واثق من أن سيّدى الجنرال لن يندم أبدًا ، على إعادتى إلى (باريس) .

تطلّع إليه الجنرال بضع لحظات ، فى برود قاس ، قبل أن يقول :

- الأمر يستحق إذن .

أجابه (كارل) فى سرعة :

- بالتأكيد .

ثم أشار إلى (أكرم) ، الفاقد الوعى على فراش صغير ، مستطردًا :

- هذا الرجل أحد ثلاثة ، اشتبكوا مع رجالنا ، منذ أقل من ساعة ، عندما طالبوهم بإبراز أوراقهم وهوياتهم .

انتزع (هولدشتاين) قفازيه ، وهو يقول :

- لست أعتقد أنك قد أحضرتنى شخصيًا ، من أجل أمر كهذا .

أومأ (كارل) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالطبع يا جنرال ، فاعتداء تقليدى كهذا لا يعنى أحدًا ، ولا يدفعنا بالتأكيد إلى نقل مصاب ما إلى المستشفى ، بأقصى سرعة ممكنة ، أو إجراء جراحة عاجلة له ، فى محاولة لإنقاذه .

وعاد يشدّ قامته ، قبل أن يتابع فى حزم :

ـ ولكن هذا الرجل ليس عاديًا بالتأكيد .

سأله الجنرال فى اهتمام :

ـ كيف ؟!

ابتسم (كارل ماتهايم) ، وقال :

ـ سأروى لك القصة كلها يا جنرال .

وطوال ربع ساعة كاملة ، روى له ما حدث ، منذ ظهرت تلك المقاتلة فجأة فى السماء ، وكادت ترتطم بطائرة ألمانية ، وحتى وقع ذلك الاشتباك ، الذى أسفر عن سقوط (أكرم) ، وفرار (نور) و(طارق) ، ثم تابع :

ـ كان من الممكن ألا نربط أبدًا ، بين الرجال الثلاثة ، الذين اشتبكوا مع إحدى فرق التفتيش ، لولا أمرين .. أولهما هذيان ذلك الرجل ، وهو فاقد الوعى ،

واللغة غير المألوفة ، التى يتحدّث بها ، والتى أشار أحد مترجمينا إلى أنها لغة شرقية على الأرجح .

تطلّع الجنرال إلى (أكرم) بضع لحظات ، ثم سأل فى اهتمام :

ـ وثانيهما ؟!

أخرج (كارل) من جيبه ساعة صغيرة ، وهو يجيب فى حزم :

ـ ساعته .

كرّر الجنرال ، وهو يتطلّع إلى الساعة :

ـ ساعته ؟!

ناوله (كارل) إياها ، قائلاً بلهجة خاصة :

ـ هل سبق لك أن رأيت شيئًا كهذا ؟!

التقط (هولدشتاين) الساعة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى شاشتها الصغيرة ، التى تظهر فوقها الأرقام السوداء ، ذات البلّورات السائلة ، وغمغم فى توتر شديد :

ـ أى شىء هذا ؟!

كانت شاشة البلّورات السائلة هذه أمرًا تستحيل رؤيته ، فى ذلك العصر ، أو حتى بعد ربع قرن آخر ..

ولكن شيئًا ما فى أعماق (هولدشتاين) ، جعل المشهد مألوفًا ..

وإلى حد مذهل ..

بل لقد انطلق عقله بغتة ، يربط الأمر بعشرات الأشياء الأخرى ..

وتفجَّرت آلاف الصور ، المختزنة فى عقله الباطن ..

صور لعصور أخرى ، وأزمان مختلفة ، امتزجت كلها ببعضها ، على نحو أربكه وأزعجه ، وجعله يغمغم مكررًا :

ـ أى شىء هذا ؟!

لم يكد ينطق عبارته هذه ، حتى تأوَّه (أكرم) ..

تأوَّه ، وهو يهذى بكلمات محدودة ..

كلمات نطقها بالعربية ..

ومعها اسم ..

اسم أقرب الناس إليه ..

(نور) ..

وما إن اخترقت تلك الكلمات القليلة ، المصحوبة باسم (نور) ، أذنى (هولدشتاين) ، حتى انتفض جسده فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ..

وفى أعماقه ، انفجرت قنبلة هائلة ..

قنبلة من الأحداث والذكريات ، انطلقت فجأة من بقعة مظلمة فى عقله ، لتغمر كيانه كله ..

وتسرى فى عروقه ..

وأعصابه ..

وخلاياه ..

قنبلة ، جعلته يثب من مقعده ، ويهتف فى قوة ، جعلت (كارل) يتراجع فى دهشة وحدة :

ـ اللعنة !

ارتبك (كارل) ، وهو يقول :

ـ هل .. هل أخطأت يا سيِّدى الجنرال ؟!

استدار إليه (هولدشتاين) بحركة حادة للغاية ، وتألَّقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يحدِّق فيه ، وكأنه يراه لأوَّل مرة فى حياته ، وطال صمته لنصف دقيقة كاملة ، وكأنما تعجزه تلك الذكريات المتدفقة عن النطق بحرف واحد ..

وأخيرًا ، انتفض جسده مرة أخرى فى عنف ، قبل أن يجيب فى انفعال :

ـ مطلقًا يا (كارل) .

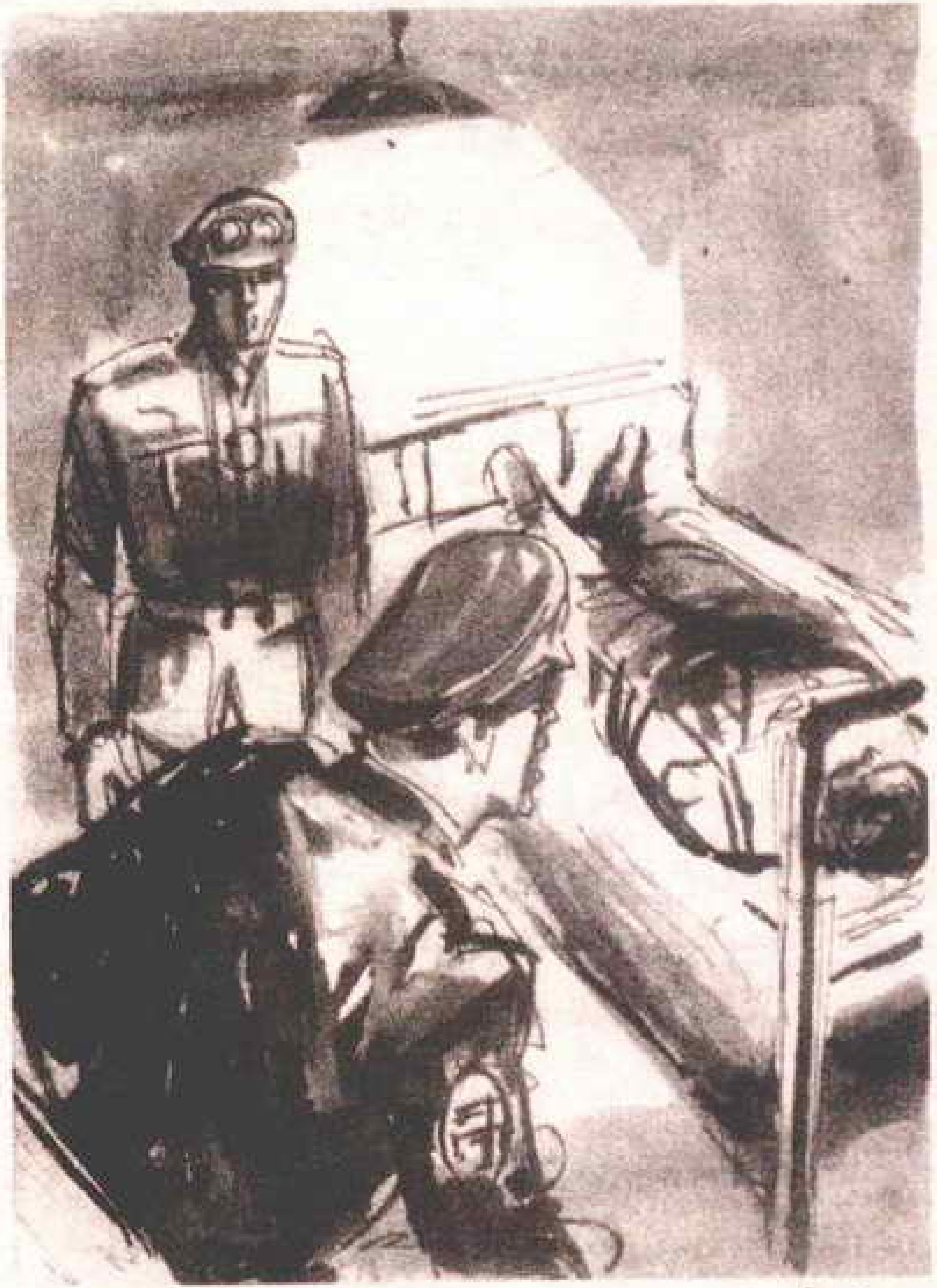

وفى أعماقه ، انفجرت قنبلة هائلة .. قنبلة من الأحداث والذكريات ، انطلقت فجأة من بقعة مظلمة فى عقله ..

وعاد يلتفت إلـى (أكرم) ، مستطردًا فى حماس شديد :

ـ أريدكم أن تمنحوا ذلك الرجل كل عناية طبية ممكنة .. أريده أن يسترد صحته وعافيته ، بأسرع وقت ممكن .

ثم شدَ قامته ، وأضاف فى صرامة مخيفة :

ـ وعندما يفتح عينيه ، أريد أن استجوبه بنفسى .

وتألَّقت عيناه مرة أخرى ، وهو يكرِّر :

ـ بنفسى يا (كارل) .

ارتجف كيان (كارل) كله ، وهو يتطلَّع إليه مبهوتًا ، ومَغمغمًا :

ـ كما تأمر يا جنرال... كما تأمر .

وتضاعفت ارتجافته ، مع مرأى عينى الجنرال (هولدشتاين) ، اللتين بدتا ، فى تلك اللحظة بالذات ، أشبه بعينى شيطان ..

شيطان يمتلك كل القوة ..

وكل الزمن .

★ ★ ★

٥ - الشيطـــــان ..

اعتدل القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فى توتر ملحوظ ، وهو يستمع إلى ما يرويه الدكتور (ناظم) حول ما توصل إليه أفراد الفريق ، ثم لم يلبث أن نهض من خلف مكتبه ، وهو يقول :

- يا إلهى ! يا لها من مصادفة ! أمن بين كل عصور الدنيا ، لا تذهب بهم المقاتلة الزمنية إلا إلى ذلك العصر بالذات .

تنهَّد الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- إنها مصادفة مذهلة بحق يا سيِّدتى ، حتى إن خبراءنا يؤكِّدون أن احتمال هبوطهم فى ذلك العصر بالتحديد ، لم يكن يتجاوز الواحد فى المليون .

عقد القائد الأعلى كفيه خلف ظهره ، وهو يدور فى المكان ، قائلاً :

- ولكنهم سيواجهون خطرًا داهمًا ، فى ذلك الزمن ، وخاصة مع وجود ذلك الشيطان هناك .

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، ثم قال فى حزم :

- لا أحد يدرى يا سيِّدى القائد .

التفت إليه القائد بنظرة متسائلة ، فتابع بسرعة :

- إننا لا نمتلك سوى صورة واحدة لـ (أكرم) ، أو لشخص يشبه (أكرم) ، فى (باريس) ، إبان زمن الاحتلال النازى ، وإلى جواره الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، أو الدكتور (خالد رضوان) ، رجل المستقبل ، الذى انطلق فى رحلته عَبْر الزمن ، كمحاولة للسيطرة على التاريخ ، وتطويعه لإرادته .. ولقد واجه (نور) وفريقه ذلك الشيطان قديمًا ، فى عدة عصور من التاريخ ، وحسموا الأمر فى (باريس) إبان الحرب العالمية الثانية ، وانتصروا على الرجل ، وأفقدوه ذاكرته ، بوساطة التنويم المغنطيسى[*] .

أشار القائد الأعلى بسبَّابته ، قائلاً :

- هم أيضًا فقدوا ذاكرتهم ، بعد عودتهم من تلك المغامرة .

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة :

(*) راجع قصة (شيطان الأجيال) .. المغامرة رقم (٥٦) .

- ولكن عند أوّل مواجهة تالية ، للسفر عبر الزمن ، انتعش عقلهم الباطن ، واستعاد كل ذكرياته السابقة .

قال القائد الأعلى فى حزم :

- هو أيضًا يمكن أن يستعيد ذاكرته .

لوّح الدكتور (ناظم) بسبّابته ، قائلاً :

- لو واجه المؤثّر المناسب .

أشار القائد الأعلى إلى الصورة ، قائلاً :

- أتعتقد أنه لم يواجهه بعد ؟!

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وقال :

- من يدرى ؟! الصورة تجمعه مع (أكرم) ، وليس مع (نور) ، وهو لم ير (أكرم) فى حياته قط ، ثم ..

صمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- ثم إننا لا ندرى فى أى عصرهم الآن .. هذا لو أن كلمة الآن هذه يمكن أن تعنى شيئًا ، فى أمر كهذا .

تطلّع إليه القائد الأعلى فى اهتمام ، وهو يسأله :

- ما الذى تشير إليه بالضبط ؟!

لوّح الدكتور (ناظم) بذراعيه ، قائلاً :

- لقد انطلقت بهم المقاتلة ، فى رحلة ، أو عدة رحلات عشوائية ، ربما بدأت بذلك العصر ، أو انتهت إليه ، وربما كانت رحلة واحدة ، أو ألف رحلة .. من يدرى !

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

- باختصار ، ما دمنا لا نملك العودة إلى أى زمن كان ، وإرسال قوّات لإعادتهم ، فهذا يعنى أننا لا نملك لهم شيئًا .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يشير إليه ، قائلاً :

- ماذا قلت يا رجل ؟!

ارتبك الدكتور (ناظم) ، لهذا الانفعال المفاجئ ، وقال :

- كنت أقول إننا لا نستطيع أن نفعل ..

هتف به القائد الأعلى مقاطعًا :

- ليس هذا ما أعنيه .. إنما كنت أقصد حديثك عن عدم امتلاكنا لأية وسيلة ، للسفر عبر الزمن .

تنحنح الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- نعم .. كنت أقول : إنه ما دمنا لا نمتلك الـ ..

قاطعه القائد الأعلى للمرة الثانية ، قائلاً :

ـ ولماذا لا نمتلك تلك الوسيلة ؟!

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ لماذا لا نمتلكها ؟! أى سؤال هذا يا سيِّدى ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ـ إنه السؤال الصحيح ، فى الموقف الصحيح يا دكتور (ناظم) .. لقد حصلنا على كل سجلات المقاتلة الزمنية ، متضمَّنة خرائط السير والملاحة ، وما اتفق الجميع على أنه خريطة للثقوب الزمنية ، فلماذا لا نبدأ من الآن ، فى صنع أوَّل آلة زمن .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) ؛ انبهارًا بالفكرة ، وقال :

ـ رباه ! هذا صحيح .. بوجود كل هذه الوثائق ، يمكننا أن نبدأ على الأقل .

ثم استدرك فى توتر :

ـ ولكن هذا سيحتاج إلى الوقت .. الكثير من الوقت .

لوَّح القائد الأعلى بذراعيه ، هاتفًا :

ـ وفيم يهمّ الوقت ، فى أمر كهذا ؟!

ومال نحوه ، مستطردًا فى حماس :

ـ عندما نمتلك فى النهاية آلة زمن حقيقية ، سيصبح الزمان كله ملك يميننا .

واعتدل ، وعيناه تتألّقان فى حزم ، وهو يكرِّر :

ـ الزمان كله .

★ ★ ★

« مهلاً .. »

انطلق هتاف (طارق) فجأة ، وهو يدور حول نفسه ، ويمسك معصم (جولفيه) ، ليرفع فوهة مدفعه الآلى عاليًا ..

وانطلقت رصاصات المدفع ، تدوى وسط الأنفاق .. وتخترق سقف المكان ..

وبسرعة ، قفز الجميع إلى مدافعهم الآلية ، وصاحت (برجيت) :

ـ خيانة .. اقتلوهما على الفور .. اقتلوهما .

ولكن (نور) صاح بدوره :

ـ توقَّفوا .. لا تفسدوا كل شىء بانفعال طارئ .. أين (آلان) ؟! أريد أن أتحدَّث إليه شخصيًا .. أين هو ؟!

صاحت (برجيت) فى غضب :

ـ لا تستمعوا إلى الجاسوس .. أطلقوا النار .

« قفوا .. » ..

انطلقت الصيحة الصارمة ، داخل القاعة الواسعة ، فتجمَّد الجميع دفعة واحدة ، وبدا المشهد ، لثانية أو يزيد ، كما لو أنه صورة ثابتة قديمة ، قبل أن يشقَ (آلان) طريقه وسط الصفوف ، قائلاً فى صرامة :

ـ ماذا يحدث هنا ؟! هل انتقلت المعركة ، من الخارج إلى الداخل ؟!

هتف (نور) فى ارتياح :

ـ (آلان) .. حمدًا لله أنك وصلت ، فى الوقت المناسب .

التفت إليه (آلان) فى حركة حادة ، قائلاً :

ـ من أنت يا هذا ؟!

صاحت (برجيت) :

ـ هل رأيتم ؟! هل سمعتم بأنفسكم ؟! (آلان) نفسه لا يعرفه .

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ هل تتصوَّرون أنكم ستستطيعون هزيمة الألمان ،

بهذا الأسلوب الانفعالى العدوانى ، الذى يرفض الاستماع ، لحظة واحدة ، لصوت العقل ؟!

دوت عبارته فى القاعة كقنبلة عنيفة ، ران بعدها صمت تام ، على نحو جعل (برجيت) تغمغم فى عصبية :

ـ لقد نجح فى استمالتكم .. أليس كذلك ؟!

تابع (نور) فى صرامة ، وكأنه لم يسمعها :

ـ ماذا يضيركم ، لو استمعتم إلينا لدقيقة واحدة ؟! إننا هنا بين أيديكم ، ويمكنكم قتلنا وقتما تشاءون .. استمعوا إلينا أولاً ، وفكِّروا فى كل ما نقول ، وبعدها اقتلونا ، لو أيقنتم من أننا كاذبان ، أو نعمل لحساب النازيين .

دام الصمت لبضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول (آلان) فى حسم :

ـ منطق معقول .

هتفت (برجيت) فى حدة :

ـ ماذا تقول يا (آلان) ؟! إنهما جاسوسان دون شك .. اقتلهما على الفور .. اقتلهما قبل أن ..

قاطعها فى صرامة :

ـ بل ماذا دهاك أنت يا (برجيت) ؟! لماذا أصبحت شديدة العصبية ، فى الآونة الأخيرة .

احتقن وجهها ، وهى تقول :

ـ أنت تعلم ما يفعله بنا الألمان طوال الوقت .. إنهم مستعدون لدفع نصف أعمارهم ، فى سبيل التوصّل إلى وكرنا هذا .. وأنتم تعلمون ماذا سيفعلون بنا ، لو توصّلوا إليه .

قال (آلان) فى صرامة :

ـ هذا لا يمنعنا من الاستماع إليهم يا (برجيت) .

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

ـ هذا صحيح يا (آلان) .

التفت إليه (آلان) فى صرامة ، وقال :

ـ لا تتدخّل يا هذا .. إنك لست ..

بتر (آلان) عبارته بغتة ، وهو يتطلّع إلى عينى (طارق) مباشرة ، وخيّل إليه أنه سيهوى فيهما ، كما يهوى فى بئر واسعة عميقة ، و (طارق) يقول فى صوت ، بدا وكأنه ينبعث من أعماقه هو :

ـ انظر جيّدًا إلى (نور) يا (آلان) .. انظر إليه ، واسترجع كل ذكرياتك السابقة معه .

اتسعت عينا (برجيت) عن آخرهما ، وهى تردّد :

ـ (نور) .. يا إلهى ! هذا الاسم .

أما (آلان) ، فقد اشتعلت ذاكرته بغتة ، وهو يغمغم .

ـ نعم .. إننى أذكر هذا .. (نور) المستقبل وفريقه .. نعم أذكره .

انتفض جسد (برجيت) فى عنف ، وهتفت :

ـ رباه ! (نور) .

استعاد عقلها كل ذكرياته الدفينة فجأة ، ووجدت نفسها تندفع نحو (نور) ، وتقفز متعلّقة بعنقه ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! إنه أنت حقًّا يا (نور) .. كيف أمكننى نسيانك ؟! أين الباقون ؟! أين (سلوى) و(محمود) ، و(رمزى) ؟! رباه ! إنك تبدو أكبر عمرًا ، على الرغم من أنه لم يمض سوى شهر أو يزيد ، منذ آخر لقاء لنا .

وهتف (آلان) بدوره ، وهو ينتزع عينيه من عينى (طارق) ، ويندفع نحو (نور) بدوره :

ـ إنه (نور) بالفعل ..

بدت دهشة عارمة على وجوه الجميع ، وهم يحدقون فى زعيميهما ، اللذين راحا يصافحان (نور) و(طارق) فى حرارة ، بعد أن أمرت (برجيت) بقتلهما منذ دقائق ..

وانخفضت فوهات المدافع الآلية كلها فى حيرة ، و(آلان) يهتف :

ـ ولكن ماذا تفعل هنا يا (نور) ؟! ألم تعد مع رفاقك إلى زمنكم ؟!

تنهَّد (نور) ، وقال :

ـ لقد عدت إلى زمنكم مرة أخرى ، مع رفيقين آخرين ، (طارق) هذا ، وزميلنا الثالث ، الذى لقى مصرعه فى الخارج .

اندفع (جولفيه) يقول فى خشونة :

ـ إنه لم يمت .

تألَّقت عينا (نور) فى لهفة ، فى حين هتف (طارق) :

ـ حقًا ؟!

أجابه (آلان) فى حزم :

ـ هذا صحيح .. رفيقكما لم يلق مصرعه .. لست

أدرى لماذا اهتم الألمان بحياته ، على غير عادتهم ، ولكنهم نقلوه إلى المستشفى بأقصى سرعة ، ويجرون له الآن جراحة عاجلة ، لإخراج الرصاصات من جسده .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد :

ـ ولقد أتى خصمكم لرؤيته بنفسه .

ردَّد (طارق) فى تساؤل حذر :

ـ خصمنا ؟!

رفع (آلان) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ نعم .. خصمكم اللدود .. الجنرال (فريدريش هولدشتاين) .. لقد عدتم من أجله .. أليس كذلك ؟!

تبادل (نور) و (طارق) نظرة متوترة ، قبل أن يقول الأوَّل فى انفعال :

ـ (هولدشتاين) حضر بنفسه لرؤية (أكرم) ؟! هذا يعنى أن الأمور تتطوَّر ، من سيئ إلى أسوأ .

قال (طارق) :

ـ إنه لن يتعرَّفه حتمًا ، فهو لم يره من قبل قط .

أجابه (نور) :

- هذا صحيح ، ولكن هناك عشرة أشياء على الأقل ، يمكن أن تعيد إليه ذاكرته ، مع وجود (أكرم) .. أية قطع من ثيابه أو أدواته ، تنتمى إلى عصرنا ، تكفى لإيقاظ كل الكامن فى أعماق (هولدشتاين) .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- وإذا ما استيقظ ذلك الوحش ، الكامن فى أعماق (هولدشتاين) ، فسيعنى هذا أن الجحيم قد فتح بابه فى وجوهنا .

وازداد انعقاد حاجبيه ، مع استطرادته الصارمة .

- أبشع أبوابه ..

★ ★ ★

سطع المصباح البدائى لآلة تصوير قديمة ، داخل حجرة المستشفى ، حيث يرقد (أكرم) فاقد الوعى ، وإلى جواره يقف الجنرال (هولدشتاين) ، الذى تألقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يقول :

- عظيم .. أريد أن تنشر هذه الصورة فى صحيفة الغد ، مع خبر يؤكد أننا قد ألقينا القبض على أحد قادة المقاومة ، وأننا فى سبيلنا لإعدامه .

أومأ الصحفى برأسه فى خضوع ، وقال :

- كما تأمر يا جنرال (هولدشتاين) .. سننشر الصورة فى صدر الصفحة الأولى ، و ..

قاطعه (هولدشتاين) فى صرامة :

- كلاً .. ليس فى الصفحة الأولى إننا لا ننشر تلك الأخبار قط فى الصفحة الأولى .. انشرها فى أية صفحة داخلية ، كما يحدث فى المعتاد .

بدا مزيج من الدهشة والاضطراب على وجه الرجل ، وهو يتساءل فى حيرة : ما دام الجنرال يولى هذا الأمر اهتمامه الشخصى هذه المرة ، فلماذا يرفض نشر الصورة فى الصفحة الأولى ؟!

لم يكن لديه جواب لتساؤله ، إلا أنه لم يحاول البحث عن الجواب ، وإنما أومأ برأسه مرة أخرى ، هاتفًا .

- كما تأمر يا جنرال .. كما تأمر .

وراح يلملم أغراضه فى سرعة وارتباك ، فأشار إليه (هولدشتاين) ، قائلاً فى لهجة جادة مخيفة :

- إياك أن تنسى ذكر اسم المستشفى وعنوانه ، فى معرض الحديث ، وليس بصورة واضحة .. هل تفهم ؟!

همهم الرجل ، وهو يغادر الحجرة فى خطوات سريعة مرتبكة ، وكأنما يفرّ من الجحيم ذاته :

ـ أفهم يا جنرال .. أفهم .

تركه الجنرال ينصرف ، ويغلق الباب خلفه ، ثم التفت إلى (كارل) ، قائلاً :

ـ الصورة ستدفعهم للخروج من جحورهم .

مطّ (كارل) شفتيه ، وقال :

ـ إنهم لن يجازفوا بمحاولة إنقاذه ، فى ظل هذه الظروف .. ربما لو خففنا الحراسة قليلاً ، أو ..

قاطعه (هولدشتاين) فى صرامة غاضبة :

ـ ماذا دهاك يا (كارل) ؟! هل أفسدت الجبهة السوفيتية ذكاءك أم ماذا ؟! لو أننا خففنا الحراسة حول ذلك الرجل ، لانتبه هؤلاء القوم إلى أننا نعدّ لهم فخًا ما .. كلاّ يا رجل .. سنضاعف الحراسة ، ونحيط المكان بكل وسائل وإجراءات الأمن الممكنة كالمعتاد .. هذا وحده سيقنعهم أن الأمور تسير على النسق الطبيعى .

سأله (كارل) فى شىء من الضيق :

ـ وهل تظنهم يهاجمون ، فى ظروف كهذه ؟!

تألقت عينا (هولدشتاين) ، وهو يقول :

ـ ظروف كهذه هى وحدها ، التى يمكن أن تدفعهم للهجوم ، ومحاولة تخليص رفيقهم هذا .

صمت (كارل) بضع لحظات ، ثم هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ هذا لا يتفق مع طبيعة رجال المقاومة يا جنرال .. ربما يحاولون إنقاذ الرجل ، فى أثناء نقله إلى السجن ، أو حتى عند الشروع فى إعدامه ، أما هنا ، فى المستشفى ، ومع كل هذه الحراسة ، فلست أعتقد هذا .

أجابه الجنرال ، فى شىء من السخرية :

ـ هذا لأنك لا تعرفهم جيّدًا يا (كارل) .

ارتفع حاجبا (كارل) فى دهشة ، وهو يقول مستنكرًا :

ـ أنا ؟! أنا لا أعرف رجال المقاومة الفرنسية يا جنرال ؟!

قال الجنرال فى صرامة :

ـ لست أقصد رجال المقاومة يا رجل .. إنما أقصد رفاق هذا الرجل .. نفس الذين واجهتهم من قبل ، والذين تسبّبوا فى نقلك إلى الجبهة السوفيتية .

انتفض جسد (كارل) فى عنف ، وارتد إلى الخلف ، كمن أصابته صاعقة ، وهو يقول :

ـ من ؟!

ثم التقى حاجباه فى شراسة ، مع استطرادته العصبية :

ـ ألم ننته من أمرهم يا جنرال ؟!

هزّ (هولدشتاين) رأسه فى بطء ، وقال :

ـ ليس إلى الأبد يا (كارل) .. لقد تصوّرنا أننا قد فعلنا .

ثم تألّقت عيناه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ ولكنهم عادوا .

هتف (كارل) :

ـ لماذا ؟! لماذا عادوا ؟!

أشار إليه (هولدشتاين) بيده ، قائلاً فى صرامة :

ـ خطأ يا (كارل) .. خطأ .. ليس المهم هو لماذا ، ولكن المهم هو كيف يا (كارل) ؟!

وتألّقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ـ كيف عادوا إلى هنا ؟!

ارتجف جسد (كارل) ، مع ذلك البريق المخيف ،

الذى أطلّ من عينى (هولدشتاين) ، وهو يضيف بصوت رهيب ، بدا وكأنه ينبعث من أعمق أعماق الجحيم ، محمّلاً بكل شرور ومصائب الدنيا كلها :

ـ هذا هو السؤال ..

وخُيِّل لـ (كارل) أن ذلك البريق قد أشعل الحجرة كلها ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

كانت الليلة طويلة للغاية ، بالنسبة لـ (نور) و(طارق) ..

بل ربما أطول ليلة ، فى حياتهما كلها ..

فى البداية ، ولأكثر من ثلاث ساعات كاملة ، لم يغمض لأحدهما جفن ، وهما يسترجعان كل ما حدث ، ويفكّران فيما هو آت ..

لقد ألقت بهما مقاتلة الزمن فى أسوأ عصر ممكن ..

العصر الوحيد من عصور التاريخ ، الذى يكمن فيه عدو شيطانى خارق ، يمكنه إحالة كل لحظة يقضونها فيه إلى جحيم ..

جحيم حقيقى ..

كان (نور) يسترجع تفاصيل صراعهم السابق مع الدكتور (خالد رضوان) ، عبر عصور التاريخ ..

فى عهد الفراعنة ..

و(روما) العصور الوسطى ..

ورعاة الأبقار الأمريكيين ..

وأخيرًا فى (باريس) المحتلّة ..

صراع طويل ، رهيب ، مخيف ..

صراع انتهى ، عندئذ ، بانتصارهم ..

ولقد تصوّروا حينذاك ، أن المهمة قد انتهت ..

وأنهم قد سيطروا على الدكتور (خالد) ..

عبر العصور ..

وعبر الزمن ..

ولكن ها هى ذى الأحداث تثبت أنه ما من أمر يمكن حسمه للأبد ..

إلا بإرادة الله (سبحانه وتعالى) ..

ها هو ذا يواجه الشيطان مرة أخرى ..

وفى أعقد عصور التاريخ ..

وهو واثق من أنه سيسترجع ذاكرته ..

أو أنه قد استرجعها بالفعل ..

وجوده مع (أكرم) سيشغل الكثير والكثير فى عقله الباطن ..

وسيوقظ كل الذكريات الكامنة ..

كلها ..

وعندئذ ستنفتح أبواب الجحيم ..

كل أبواب الجحيم ..

وسيقاتل (هولدشتاين) بكل قوته ، وسلطته ، وشراسته ..

وبكل رغبته فى البقاء ..

سيقاتل ، لأنه يعلم أنهم يمتلكون حتمًا وسيلة للعودة ..

وسيلة تتيح له مواصلة رحلته الشيطانية عبر الزمن ، حتى يحقّق أهدافه الرهيبة ..

ويواصل حلمه المخيف ..

حلم السيطرة على تاريخ العالم ..

على ماضيه ، وحاضره ..

ومستقبله ..

وفى نفس الوقت ، الذى سرت فيه تلك الأفكار ، فى عقل (نور) ، كانت هناك أفكار أخرى ، تدور فى أعماق (طارق) ..

أفكار تتعلق برحلته ..

ومهمتـه ..

وزمنـه ..

ومستقبله ..

كان يعلم أن مهمته خطيرة ..

بل بالغة الخطورة ..

وأن نسبة النجـاح فيهـا لا تتجـاوز ـ طبقًـا لأكـثر التقديرات تفاؤلاً ـ الواحد فى الألف ..

ولهذا كانت المهمة تحتاج إلى متطوِّع ..

إلى انتحارى ..

إلـى شـخص يدرك جيِّدًا أن مستقبل الأرض أكـثر أهمية من مستقبله ..

من طموحه ..

من حياته نفسها ..

كان عقله يسترجع تفاصيل رحلته ..

والمفاجآت غير المتوقَّعة ..

والانطلاق عبر الزمن ..

و ..

وتهالك جفناه فوق عينيه ، من فرط الإرهاق والتعب ..

والعجيب أنه راح يقاوم النوم ..

دون أى مبرِّر منطقى ..

كان وكأنه يخشى النوم ..

يخشاه بكل ما يحمله إليه من ذكريـات ، وكوابيس ، ومخاوف ..

ولكن من يمكنه مقاومة النوم ؟!

لقد انهارت مقاومته فى النهاية ..

ونام ..

ومع النـوم ، انطلقت الذكريات ، تعربد فى عقلـه كالمعتاد ..

« أنت تدرك مـدى خطـورة رحلتك ، وأنـه مـن المحتمل ألا تعود منها أبدًا .. »

« حياتى فداء للوطن يا سيِّدى .. »

« انطلق يا ولدى ، على بركة اللّه .. »

« مستقبل الأرض بين يديك .. »

« مستقبل الأرض .. »

« المستقبل .. »

انتفض جسده فى عنف ، وعقلـه يـردِّد العبـارة الأخيرة ، واعتدل جالسًا فى حركة حادة ، وأدهشه أن

يجد الجميع مستيقظين ، حتى (نور) ، ومالت (برجيت) نحوه ، تسأله فى حنان أدهشه :

ـ ماذا بك ؟! أهو كابوس ؟!

حدَق فى وجهها بشىء من الدهشة ، وكأنه يراها لأوَل مرة ، قبل أن يداعب مؤخرة عنقه بأصابعه ، قائلاً :

ـ تقريبًا .

ثم نهض ، مستطردًا فى إرهاق :

ـ إننى لم أشعر بأننى قد نمت ما يكفى من الوقت .

ابتسمت ، وهى تمدَ يدها لتداعب خصلات شعره ، قائلة :

ـ كلنا كذلك .. لقد كان الأمس مرهقًا للغاية .

حدَق طويلاً فى عينيها الزرقاوين ، وشعر بقلبه يخفق لأوَل مرة ، فانعقد حاجباها فى شدة ، وهو ينهض ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد .

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ (أكرم) فى المستشفى بالفعل .

هتف (طارق) فى لهفة :

ـ هل نجا ؟!

ناوله (نور) نسخة من جريدة الصباح ، وهو يشير إلى الصورة ، قائلاً :

ـ انظر .

قرأ (طارق) الخبر فى اهتمام شديد ، ثم أشار إلى صورة (هولدشتاين) ، قائلاً :

ـ أهذا هو ؟!

ـ أومأ (نور) برأسه ، مجيبًا فى اقتضاب :

ـ أجل .

ثم التفت إلى الباقين ، متابعًا :

ـ وجوده هنا يعنى أنه قد استعاد ذاكرته ، وإلا فما الذى يدفع مدير مخابرات (أوروبا) إلى القدوم بنفسه ، لرؤية شخص أطلق عليه جنوده النار ؟! بل ما الذى يدفعهم إلى الإبقاء عليه ؟!

غمغم أحد رجال المقاومة فى توتر :

ـ استجوابه .

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى حزم :

ـ وهل يستدعى هذا قدوم مدير المخابرات شخصيًا ؟!

ران الصمت بضع لحظات ، قبل أن يقول (آلان) :

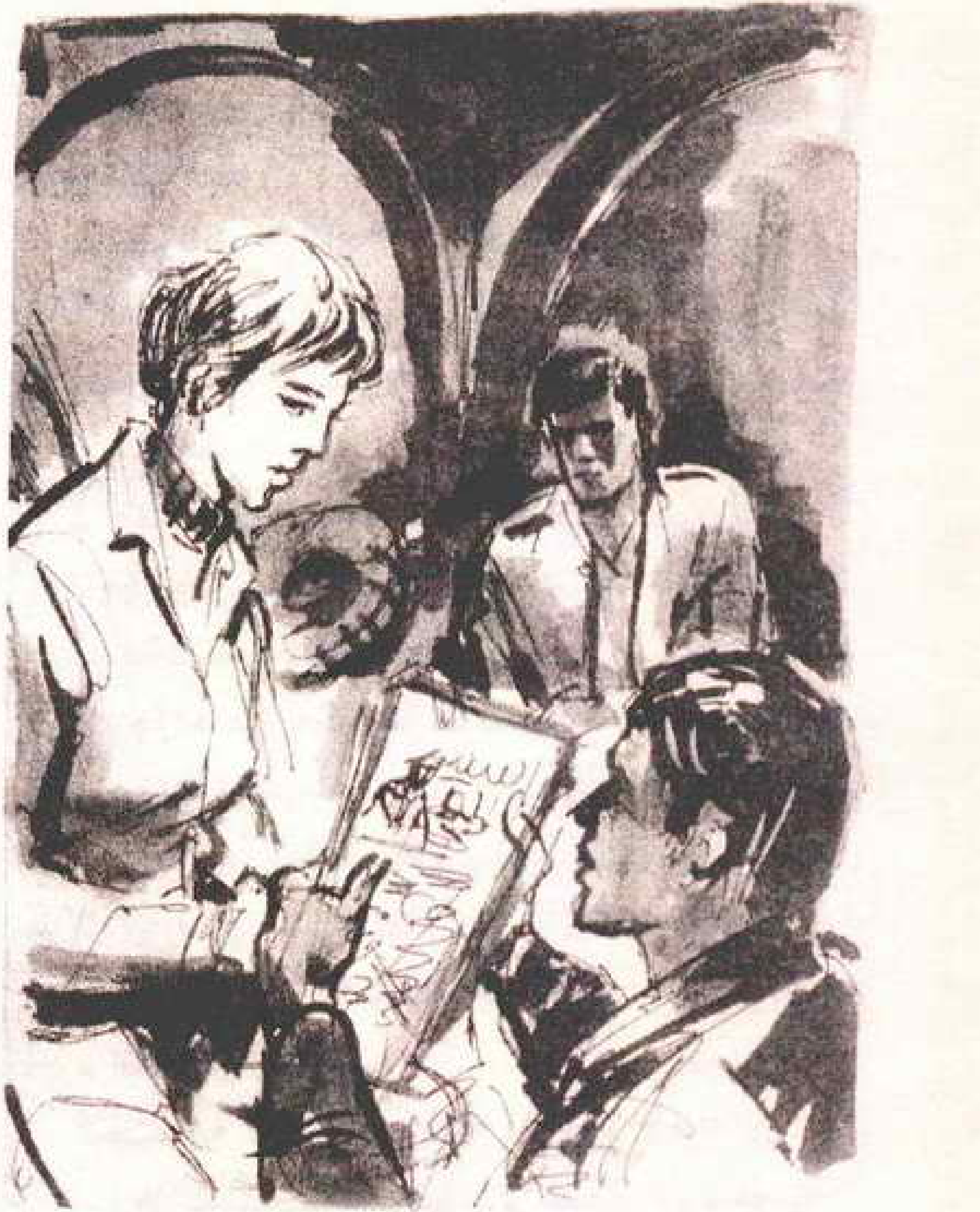

قرأ (طارق) الخبر فى اهتمام شديد ، ثم أشار إلى صورة (هولدشتاين) ، قائلاً : ـ أهذا هو ؟! . .

ـ أراهن على أن نشر الخبر جزء من فخ كبير ، أعدّوه لنا ، إذا ما حاولنا السعى لإنقاذ رفيقكما .

أجابه (طارق) فى هدوء :

ـ ليس لدى أدنى شكّ فى هذا .

أضاف (نور) فى سرعة :

ـ ولكننا لن نتخلّى عن (أكرم) .

تبادل رجال المقاومة نظرة متوترة ، قبل أن يقول (آلان) فى حزم :

ـ يؤسفنى أن أقول هذا يا (نور) ، ولكننا لن نتعاون معكم فى هذا الشأن .

أجاب (نور) :

ـ خطأ يا (آلان) .. لا بد أن نتعاون جميعًا ؛ لمواجهة (هولدشتاين) .

قال أحد رجال المقاومة فى حدة :

ـ كلاّ يا رجل المستقبل .. إنها قضيتكما وليست قضيتنا .. إننا نعلم أن (هولدشتاين) قد أعدّ لنا فخًا، ولن نلقى أنفسنا فيه بهذه البساطة .

قال (طارق) بنفس الهدوء :

ـ ستكون هناك خطة بالتأكيد .

قال رجل آخر فى سرعة :

ـ وستكون لديهم خطة أيضًا .. ومع الخطة ستكون هناك قوات ، وسلطات ، وحصار ، وأمور أخرى كثيرة ، لا يمكننا أن نصمد أمامها .

واندفع ثالث يقول :

ـ ثم إن هذا ليس أسلوبنا .. إننا نعتمد على الضربات الخاطفة المفاجئة ، التى لا يتوقَعها العدو ، الذى يجاهد منذ بدء المقاومة ، لمواجهتنا فى بقعة يختارها هو ، وزمن يستعد فيه لنا ، ولن نمنحهم هذه الفرصة الآن ، لمجرَّد أن ننقذ رفيقكم .. إننا لم ندعوكم لترك زمانكم من أجلنا ، لن نضحى بأنفسنا من أجلكم .

التفت إليه (طارق) ، قائلاً فى صرامة :

ـ إنك لا تضحى بنفسك من أجلنا ، ولكن من أجل (فرنسا) .. من أجل العالم الحر كله .

ثم تحرَك وسطهم ، وهو يتابع فى حزم :

ـ التاريخ يقول : إنكم ستنتصرون فى معركتكم ، وأن (فرنسا) ستستعيد حريتها وكيانها ، وسيندحر العدو الألمانى ، وتذهب ريحه إلى الأبد ، ولكن هذا ينطبق على التاريخ .. التاريخ الذى درسناه فى

عصرنا ، وليس التاريخ الذى يصنع نفسه الآن ، فى عصركم ، فلو أن (هولدشتاين) هذا قد استعاد وعيه وذاكرته بالفعل ، فسيعنى هذا أنه مثلنا ، يحفظ التاريخ عن ظهر قلب ، ويعلم جيِّدًا لماذا انهار الرايخ الثالث ، وكيف استعاد الحلفاء (أوروبا) .. بل وكيف انتهت الحرب أيضًا ، ومعرفته هذه تتيح له أن يتفادى كل مواطن الضعف ، وكل أسباب الهزيمة .. هل تعلمون ما الذى يعنيه هذا ؟!

وتوقَف ليكمل فى صرامة :

ـ يعنى أن (ألمانيا) ستنتصر ، وستواصل سحقها لكل صور الحرية والكرامة ، وأن العالم سيتحوَّل كله إلى مستعمرة ألمانية يابانية ، لا يرتفع فيها رأس واحد .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ إنكم تقاتلون من أجل مستقبلكم ، وليس من أجلنا .. تقاتلون من أجل (فرنسا) .

قالها ، واستدار متجهًا إلى (برجيت) ، وسط صمت رهيب ، ساد المكان كله ، حتى قطعه هو ، وهو يسألها فى هدوء عجيب :

- هل يمكننى تناول قدح من الشاى ؟!

- لم يكد ينطق سؤاله ، حتى سرت همهمة قوية فى المكان ، وكأن الجميع يناقشون الجميع فيما سمعوه منه ، فابتسم (نور) ، وربَت على كتفيه ، قائلاً :

- أعتقد أن (أدولف هتلر) نفسه سيغار منك(*) ، لو استمع إلى هذه الخطبة يا صديقى .

تمتم (طارق) :

- أتعشّم أن يموت كمدًا .

ضحكت (برجيت) ، قائلة :

- هذا ما نتمناه جميعًا .

ثم مدّت يدها إلى (طارق) ، مستطردة :

(*) (أدولف هتلر : ١٨٨٩ - ١٩٤٥م) : ديكتاتور ألمانى (١٩٣٣ - ١٩٤٥م) ، وزعيم الحزب النازى ، ومؤسّس الرايخ الثالث ، اشترك فى الحرب العالمية الأولى ، وبعدها نظّم حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى (النازى) ، الذى انضمّ إليه الكثيرون ، نتيجة الأزمة المالية ، فى ١٩٢٩ م ، فأيّده كبار رجال الصناعة ، حتى عيّنه (هندنبورج) رئيسًا للوزراء فى يناير ١٩٣٣ ، ثم أصبح رئيسًا للجمهورية فى ١٩٣٤م ، ولقد أدت سياسته إلى قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) ، التى انتهت بهزيمة (ألمانيا) وانتحاره .

- وبالمناسبة .. لقد أقنعتنى خطبتك ، وسأنضمّ إليكما ، فى محاولة إنقاذ زميلكما .

هتف (طارق) :

- حقًا ؟!

- ثم تراجع فى سرعة ، مغمغمًا :

- هذا يقوّى مركزنا بالتأكيد .

هتف به (آلان) ، فى تلك اللحظة :

- الأمر ليس بهذه البساطة .

التفت إليه (نور) و (طارق) ، فاتجه نحوهما فى بطء ، ونقل بصره بينهما وبين (برجيت) ، قبل أن يتطلّع إلى عيونهما مباشرة ، قائلاً فى صرامة :

- الرجال اتفقوا على قرار واحد .

ثم انعقد حاجباه فى حدة ، وهو يضيف :

- إننا لن نشترك معكما فى هذه المحاولة .. لن نشترك أبدًا .

وكانت مفاجأة ..

عنيفة .

* * *

٦ - القتـــــال ..

ربَّت (رمزى) على كتف (سلوى) فى رفق ، وهى تجلس أمام جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وقد تهالك رأسها على صدرها ، فى نعاس مضطرب ، وهمس فى تعاطف :

- (سلوى) .. لماذا لا تعودين إلى منزلك ؟!

انتفض جسدها فى عنف ، وكأنها تستيقظ من كابوس بشع ، وهتفت وهى تعتدل على مقعدها :

- لا .. لا .. مازال أمامى الكثير لأنجزه .

قال مشفقًا :

- لقد بلغ منك التعب مبلغه ، ولن يمكنك الاستمرار هكذا ..

فركت كفيها فى قوة ، وأسرعت تضرب أزرار الكمبيوتر بأصابعها ، قائلة فى توتر :

- لا .. لا يمكننى أن أتوقَّف الآن .. لقد كدت أخترق الملفات المتبقية .

قال فى هدوء :

- هذا يمكن أن يتمّ غدًا .

صاحت فى عصبية :

- غدًا ؟! ومن يدرى ما الذى يمكن حدوثه ، من اليوم وحتى الغد .. ألا تدرك ما يواجهونه هناك من خطر .

ربَّت على كتفها مرة أخرى ، وهو يقول :

- هناك هذا يعنى ما يزيد عن ستين عامًا مضت يا (سلوى) .

تجمَّدت أصابعها لحظة ، قبل أن يرتجف صوتها ، وهى تغمغم :

- ستـ .. ستون عامًا .

ثم تفجَّرت دموعها فى انفعال ، وهى تهتف :

- هل تعنى أنه لم يعد بيدنا ما نفعله ؟!

أجاب فى سرعة :

- مطلقًا ..

ثم مال نحوها ، متابعًا فى تعاطف :

- إنما أعنى أن لدينا الزمن كله لنجد الحل ، وعندما نتوصَّل إليه ، يمكننا أن نمد لهم يد المساعدة ، فى أى زمن كانوا .

انهمرت دموعها أكثر ، وهى تقول :

ـ لا يمكننى أبدًا تقبُّل هذا الأمر يا (رمزى) .. إننا هنا ، وهم هناك وليس بيدنا ما نفعله .

تنهَّد ، قائلاً :

ـ كل ما علينا أن نحاول .

ثم استطرد فى اهتمام ، محاولاً بث بعض الأمل فى نفسها :

ـ الدكتور (ناظم) يقول : إنهم قد بدءوا بالفعل ، فى دراسة مشروع إنتاج آلة زمن مصرية .

تنهَّدت فى مرارة ، قائلة :

ـ ستمضى سنوات عشر على الأقل ، قبل أن ينجحوا فى صنعها .

قال فى حماس مصطنع :

ـ وماذا فى هذا ؟! حتى لو ابتكروها بعد عشرين عامًا .. المهم أننا نستطيع عندئذ العودة ؛ لإنقاذ (نور) و (أكرم) ، و (طارق) .. بل وربما عدنا إلى اللحظة ، التى بدأت فيها رحلتهم عَبْر الزمن ، وأمكننا منع انطلاق المقاتلة .

عضَّت شفتيها فى مرارة ، قائلة :

ـ وسيعنى هذا أن أقضى السنوات العشر القادمة على الأقل ، بدون (نور) .

ارتج عليه ، أمام هذا الرد المفحم ، فتراجع فى بطء ، وانعقد حاجباه فى توتر ، فتابعت فى مرارة أكثر :

ـ وعندما يعود إلىَّ ، أكون أكبر مما أنا عليه الآن بعشر سنوات .

ثم التفتت إليه ، مستطردة بعينين دامعتين :

ـ أهذا هو النجاح الذى تعنيه ؟!

لم يجد ما يجيب به سؤالها ، فربَّت على كتفها مرة أخرى ، متمتمًا :

ـ مازلت تحتاجين إلى بعض النوم .

أومأت برأسها متفهمة ، وغمغمت :

ـ سأنتهى من مراجعة هذا الملف ، وأذهب للنوم .. أنت على حق .. لا يمكن لأحد أن يقاوم النعاس .

جلس على مقعد مجاور لها ، يراقب عملها فى شىء من الإرهاق ، ثم لم يلبث أن قال فى ضيق :

ـ هل تعلمين ؟! أنا أيضًا أعمل طوال الوقت ، وأراجع كل الملفات ، فى محاولة لفهم ما يخفيه (طارق) .

غمغمت :

ـ إنه يخفى الكثير حتمًا .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال .

ـ ولكنه بارع للغاية فى إخفائه .. إنه أوَّل شخص ينجح فى خداع تحليلاتى النفسية ، على هذا النحو .

قالت ، وهى تواصل عملها :

ـ ربما إنه لم يفعل .

رفع عينيه إليها فى دهشة ، قائلا :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابته ، دون أن تلتفت إليه :

ـ أعنى أنه من المحتمل أنك لم تكشف كذبه ؛ لأنه لم يحاول خداعك فى الواقع .. ربما كان يؤمن تمامًا بكل ما نطق به .

اعتدل (رمزى) فى مجلسه ، وقال فى اهتمام :

ـ هل تعنين أنهم غرسوا قصة ما فى رأسه ، بحيث يتصوَّر هو نفسه أنها حقيقة .

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ هذا محتمل .

تقارب حاجباه ، وهو يدير الفكرة فى رأسه ، قبل أن يهتف فى حماس :

ـ إنه ليس محتملاً فحسب ، ولكنه يفسِّر كل شىء أيضًا .

وهبَّ من مقعده ، ليواصل فى انفعال :

ـ يمكننا أن نعيد رسم الصورة من جديد .. لقد انطلق (طارق) بمقاتلته ، وهو يتصوَّر بالفعل أنه يمضى فى مهمة تجريبية فحسب ، ولكن رؤساءه لم يكونوا يهدف إلى هذا ، وإنما كان غرضهم الحقيقى هو إرساله فى مهمة عبْر الزمن .. مهمة قد تمكِّنهم من كشف غموض ثقوب الزمن .. لقد خدعوه ، لأنهم يعلمون أن أحدًا لن يقبل هذه المهمة تطوعًا ، وهو يعلم أنه من المحتمل أن يضيع إلى الأبد ، فى مجرى الزمن .. هذا يفسِّر كل البرامج والخرائط ، التى عثرنا عليها ، فى سجلات المقاتلة ، ويفسِّر تصديقى لقصته ، و ...

قاطعته بهتاف مباغت :

ـ رباه !

التفت إليها فى دهشة ، وسألها :

ـ ماذا هناك ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، مجيبة فى انفعال :

ـ انظر .. لقد نجحت على الفور ، فى اختراق الملف الخاص بالتفاعلات الكيماوية وعمليات الإحلال والتجديد للمقاتلة .. هل ترى معدلات استهلاك الأكسجين والطاقة هنا ، ومعادلات التوازن الخلوى ، و ...

قاطعها فى لهفة :

ـ وما الذى يعنيه كل هذا ؟!

استدارت إليه ، والتقى حاجباها فى شدة ، وهى تجيب :

ـ يعنى أن هناك نقطة واحدة على الأقل ، كان (طارق) يدرك فيها جيدًا أنه كاذب .

سألها ، وقد تضاعفت لهفته :

ـ أية نقطة ؟!

ازداد التقاء حاجبيها ، وهى تجيب فى حزم واثق :

ـ إنه ، عندما خاض كل هذا ، وعندما انطلقت به المقاتلة ، وحتى عندما بلغت عصرنا ، لم يكن وحده .

تراجع (رمزى) كالمصعوق ، وهى تكمل :

ـ لقد كان هناك فارس آخر .. فارس من فرسان الزمن .

★ ★ ★

ارتجف جفنا (أكرم) ، وهو يستعيد وعيه ، داخل ذلك المستشفى الباريسى الصغير ، وشعر بآلام خيوط الجراحة ، فتأوه مغمغمًا بالعربية :

ـ اللعنة ! هذه الرصاصة تؤلم بحق .

أتاه صوت صارم ، يقول بالألمانية :

ـ ربما كان هذا أقل ألم يمكن أن تواجهه هنا .

فتح (أكرم) عينيه فى بطء ، وحدق فى الوجه المطلّ عليه ، والذى تابع صاحبه فى صرامة :

ـ أعتقد أن لديك الكثير لتخبرنا به .

سأله (أكرم) فى حدة :

ـ من أنت يا رجل ؟!

أتاه صوت صارم آخر ، من نهاية الحجرة ، يقول :

ـ تهذب يا رجل .. إنك تتحدث إلى الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، مدير مخابرات (أوروبا) النازية .

التفت (أكرم) إلى (كارل) ، وقال بالعربية :

ـ اذهب أنت وجنرالك إلى الجحيم .

انعقد حاجبا (كارل) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أية لغة تستخدم يا رجل ؟! التركية أم الإيرانية ؟!

من أنت بالضبط يا هذا ؟! وإلى أية جهة تنتمى ؟!
و ....

قاطعه (هولدشتاين) بإشارة من يده ، وقال لـ (أكرم) بالعربية :

ـ يبدو أنك الوحيد هنا ، الذى سيذهب إلى الجحيم .

اتسعت عينا (أكرم) و(كارل) فى دهشة بالغة ، وهتف الأخير مبهورًا :

ـ يا إلهى ! إنك تتحدَّث لغته يا جنرال .

رفع (هولدشتاين) عينيه إليه فى صرامة ، وقال :

ـ اتركنا وحدنا يا (كارل) .

هتف (كارل) ، فى دهشة واستنكار :

ـ ماذا ؟!

صاح به (هولدشتاين) فى صرامة :

ـ قلت لك : اتركنا وحدنا .

احتقن وجه (كارل) ، وهو يشدّ قامته ، قائلاً :

ـ كما تأمر يا جنرال .

قالها ، واندفع يغادر الحجرة فى عصبية ، ولم يكد يغلق بابها خلفه ، حتى هتف (أكرم) .

ـ إنك تتحدَّث العربية .

أجابه (هولدشتاين) فى صرامة :

ـ هذا أمر طبيعى .

ثم مال نحوه ، وتطلع إليه بعينين تطلّ منهما صرامة الدنيا كلها ، وهو يسأله :

ـ أين (نور) ؟!

وعلى الرغم منه ، وجد (أكرم) صوته يرتجف ، وهو يقول :

ـ (نور) ؟!

ثم تمالك نفسه فى سرعة ، مستدركًا :

ـ لم أسمع بهذا الاسم قط .

ارتسمت ابتسامة وحشية ساخرة ، على شفتى (هولدشتاين) ، وهو يقول :

ـ محاولة طريفة ، ولكنها غير مجدية يا رجل .. إنك لست بالذكاء الكافى لتقوم بها .. إنك لم تستطع حتى إخفاء هويتك طويلاً .. كان ينبغى أن تواصل التحدُّث بالفرنسية على الأقل .

صمت (أكرم) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ ولماذا أفعل ؟! إننى لست فرنسيًا ، بل مصرى ،

وحسبما أعلم ، فـ (مصر) لم تعلن الحرب على (ألمانيا) إلا فى الـ ... أعنى أنها لم تعلن الحرب عليها أبدًا(*) .

أطلق (هولدشتاين) ضحكة ساخرة ، وقال :

- حتى هذه المحاولة لم تكن ناجحة يا رجل .. صحيح أن (مصر) لم تعلن الحرب على (ألمانيا) ، حتى هذه اللحظة ، ولكنها مازالت تحت سيطرة الإنجليز .. العدو اللدود للرايخ الثالث .

قالها ، واعتدل ، مضيفًا فى صرامة :

- ثم إننى أعرف جيدًا من أنت .

قال (أكرم) بالألمانية فى سخرية :

- حقًا ؟!

تجاهل (هولدشتاين) سخريته ، وهو يتابع بنفس الصرامة :

- اسمك (أكرم) .. عضو جديد فى فريق (نور الدين محمود) ، ضابط المخابرات العلمية المصرى ..

(*) أعلنت (مصر) الحرب على (ألمانيا) ، فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، بعد أن أعلن الحلفاء أن الدول التى لن تفعل ، ستحرم من الانضمام إلى كل المنظمات والمحافل الدولية ، فى عالم ما بعد الحرب .

زوجتك (مشيرة) هى مديرة شبكة (أنباء الفيديو) الإخبارية ، فى القرن الحادى والعشرين .. همجى .. عصبى المزاج .. تعشق الأسلحة التقليدية ، وبالذات المسدسات من طراز (سميث رويسون) ..

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

- هل يكفيك هذا ، أم تحتاج إلى المزيد ؟!

حدَّق (أكرم) فى وجهه ذاهلاً ، وغمغم مبهورًا :

- من أنت يا رجل ؟!

شدَّ (هولدشتاين) قامته ، وهو يجيب :

- كما سمعت من ذلك الغبى (كارل مانهايم) .. أنا الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، مدير مخابرات (أوروبا) كلها ، والرجل الثالث فى الرايخ ، بعد (هتلر) و (هملر) .. هذا فقط ما ينبغى أن تعرفه .

ثم عاد يميل نحوه ، مستطردًا فى صرامة :

- ما لم يكن لديك المزيد .

حدَّق (أكرم) فى وجهه مرة أخرى بذهول ، فعاد يعتدل ، ويسأله بلهجة مخيفة :

- أين (نور) والآخرون ؟!

انتزع (أكرم) نفسه من ذهوله ، وهو يقول :

- أى آخرين ؟! إننى ..

هوى الرجل على وجهه فجأة بلكمة قوية ، ارتجَ لها كيانه كله ، فهتف فى غضب ، وهو يحاول النهوض من فراشه :

ـ أيها الـ ...

قاطعه الجنرال بلكمة أخرى أكثر قوة ، وهو يصرخ :

ـ أين (نور) ورفاقه ؟! أين ؟!

هتف (أكرم) فى حدة ، وهو يمسح خيط الدم ، الذى سال من ركن شفتيه :

ـ حتى لو كنت أعلم أين (نور) ، فإننى أفضّل الموت على إخبارك .

تألّقت عينا (هولدشتاين) ، وهو يقول :

ـ آه .. هذا اعتراف بأنك أتيت إلى هنا بصحبته .

عضّ (أكرم) شفتيه فى غيظ ، وتمنى لو يُقطع لسانه ، حتى لا يسقط مرة أخرى ، فى حين اعتدل (هولدشتاين) ، مستطردًا :

ـ ألم أقل لك : إنك لست ذكيًّا ؟!

ثم جذبه من قميصه فجأة ، مضيفًا فى غضب :

ـ ولتعلم أننى سأحصل منك على كل معلومة تخفيها ، حتى ولو اضطررت لاعتصار كل خلية فى جسدك .

ركله (أكرم) فى معدته فجأة ، هاتفًا :

ـ هذا لو استطعت .

تراجع (هولدشتاين) فى عنف من الركلة ، وهو يتأوّه بصوت مكتوم ، فهبّ (أكرم) من فراشه ، على الرغم من إصاباته ، وانقضّ عليه ، مستطردًا :

ـ ستدرك الآن كيف يقاتل الهمجى .

قالها ، وهوى على فك (هولدشتاين) بلكمة كالقنبلة ، ولكن الأخير استقبلها على ساعده فى مهارة ، وهو يلكم (أكرم) لكمة ساحقة ، هاتفًا :

ـ يقاتل كالهمجى بالطبع .

ثم أمسك كتفيه بحركة سريعة ، ودار حول نفسه ، لينتزعه من الأرض ، ويضرب به الجدار المقابل مستطردًا :

ـ وهذا النوع من القتال ، لا يرقى قط لمستوى المحترفين .

ارتطم (أكرم) بالجدار فى عنف ، ثم سقط أرضًا ، وهو يشعر بآلام رهيبة ، وخيوط جرحه تتمزّق ، والدم يندفع من بينها فى قوة ..

ولكن (هولدشتاين) لم يرحمه ..

قالها ، وهوى على فك (هولدشتاين) بلكمة كالقنبلة ، ولكن الأخير استقبلها على ساعده فى مهارة ، وهو يلكم (أكرم) لكمة ساحقة ..

لقد ركله فى معدته بكل قوته ، متابعًا :

ـ الذين يجيدون القتال الحقيقى .

تفجرَّت الدماء من بين شفتى (أكرم) ، فتراجع (هولدشتاين) فى حزم ، وعدَّل هندامه ، قائلاً :

ـ ولتعلم أنك لن تصمد ، أمام أساليبنا الفريدة .. لن يمكنك أن تصمد أبدًا .

قالها ، وصرخ :

ـ (كارل) .

اندفع (كارل) إلى الحجرة ، وكأنما كان ينتظر النداء ، ونقل بصره فى دهشة ، بين (هولدشتاين) و (أكرم) ، فأشار الأوَّل إلى الأخير ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنه لك .

قالها ، وغادر الحجرة فى خطوات واسعة سريعة ، تاركًا (كارل) خلفه ، وعيناه تتألقان ببريق وحشى ..

بريق رجل ينتشى لمرأى الدم ..

رجل يحمل لقبًا فريدًا فى مهنته ..

لقب (الجزار) ..

★ ★ ★

« ها هو ذا يغادر المستشفى .. »

غمغم (نور) بالعبارة ، وهو يختفى فى أحد الأركان ، عَبْر الشارع ، فتابع (طارق) (هولدشتاين) ببصره ، وهو يقول :

ـ رجل صارم ، قاسٍ ، عنيد ، قوى الشخصية ، يميل إلى السطوة والسيطرة .

سأله (نور) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ كيف عرفت ؟!

أجابه (طارق) فى ثقة :

ـ أسلوب سيره يشفَّ عن هذا .

صمت (نور) لحظة ، وهو يتابع انطلاق سيارة (هولدشتاين) ، مع طاقمى الأمن أمامها وخلفها ، ثم التفت إليه ، قائلاً فى صرامة :

ـ من الواضح أن لديك خبرة مدهشة ، فى التحليل النفسى .

أجابه (طارق) فى هدوء :

ـ سبق أن أخبرتكم أنها هوايتى الأولى .

تطلَّع (نور) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

ـ هواية ، أم أنه نوع من التدريب المتطوِّر ، الذى تتلقَّونه فى ...

صمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم صارم :

ـ فى المستقبل .

ارتجف جفنا (طارق) ، على الرغم من الملامح الجامدة ، التى استقبل بها عبارة (نور) ..

ولم تفت تلك الارتجافة (نور) ، و (طارق) يقول :

ـ ما الذى أوحى لك بهذه الفكرة الـ ..

قاطعه (نور) :

ـ أعترف بأنك قد خدعتنى فى البداية ، ولكن الإنسان لا يمكنه أن يواصل الخداع إلى الأبد .. لقد كشفت نفسك بنفسك ، عندما وصلنا إلى هذا العصر .

قال (طارق) فى بطء ، دون أن يرفع عينيه عن عينى (نور) :

ـ حقًا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ نعم .. حقًا يا (طارق) .. فمنذ اللحظة الأولى تعرَّفت ريف (باريس) ، ثم كان لديك جهاز خاص ، يمكنه زرع فرنسية وألمانية القرن العشرين ، فى عقل (أكرم) ، على الرغم أنه من المفترض

أنك آت من ماض سحيق ، لم يمر بتلك اللغات قط ، ولا يعرف تاريخ هذه الحقبة ، الذى تحدثت عنه باستيعاب تام ، مع رجال المقاومة أمس .

صمت (طارق) تمامًا ، لما يقرب من نصف الدقيقة ، قبل أن يقول فى بطء :

- استنتاج أنيق يا (نور) .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يضيف فى حزم :

- ولكنه غير صحيح .

جاء دور (نور) ، ليقول فى استنكار :

- حقًا ؟!

اندفع (طارق) يقول :

- بالطبع أيها القائد .. ماذا كنت تتصورنى أفعل ، خلال السنوات التى قضيتها فى عصرك ؟! هل تعتقد أننى اكتفيت بالعمل فحسب ؟! ألم تضع فى اعتبارك أننى نهم للمعرفة ؟! لقد قرأت عشرات الكتب ، عن الحرب العالمية الثانية ، وشاهدت أفلامًا تسجيلية عديدة عنها .. بل وزرت ريف (فرنسا) بنفسى مرتين على الأقل .. أما بالنسبة لجهاز زرع اللغات ،

فهو من تطويرى شخصيًا .. لقد كنت أعلم أننى سأغادر عصركم ، إن عاجلاً أو آجلاً ، ولما كنت أجهل إلى أى زمن يمكن أن أذهب ، فقد غذَيت أجهزتى بكل ما أمكننى الحصول عليه ، من لغات ولهجات ، لأى عصر ممكن .

كان التفسير منطقيًا ، حتى إن (نور) قد شعر بارتجاجة قوية فى أعماقه ..

لا يمكن أن يكون قد أخطأ الاستنتاج إلى هذا الحد ..

لا يمكن ..

هناك شىء ما حتمًا ، لم يذكره (طارق) ..

شىء ما ، يدركه هو فى أعماقه ..

شىء جعل هذا الاستنتاج يبدو منطقيًا ..

ولكن ما هذا الشىء ؟!

ما هو ؟!

« أظننى أنتظر اعتذارًا .. »

قطع (طارق) سيل أفكاره بقوله هذا ، وهو يبتسم ابتسامة هادئة ودود ، فانتفض جسد (نور) انتفاضة خفيفة ، وهو يغمغم :

- ربما .

اتسعت ابتسامة (طارق) ، وهو يقول :

ـ لا بأس .. سأكتفى بهذا .

ثم أشار إلى المستشفى ، مستطردًا :

ـ دعنا نعُد إلى مشكلة (أكرم) .

كانت وسيلة بارْعة ، لتجاوز الأمر ، فالتقطها (نور) بنفس البراعة ، وهو يقول :

ـ إنها مشكلة عويصة بحق ، وخاصة بعد أن رفض رجال المقاومة التعاون معنا .

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنهم معذورون يا (نور) ، فقصتنا يصعب تصديقها ، ونحن نطالبهم بمخاطرة ، قد تؤدى إلى كشف أمرهم ، وجذب الألمان إلى أوكارهم ، داخل أنفاق المترو ، التى لا يعلم سرها سواهم ، حتى هذه اللحظة ، طبقًا لما أخبرنا به التاريخ .

قال (نور) فى ضيق :

ـ أعرف هذا ، ويمكننى تقدير موقفهم جيِّدًا ، ولكن (أكرم) مازال فى قبضة (هولدشتاين) ، وسيحاول استغلال هذا إلى أقصى حد ، حتى يوقع بنا .

قال (طارق) فى اهتمام :

ـ بك وحدك يا (نور) .

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ يعنى أنه لو ربط (هولدشتاين) هذا ، بين (أكرم) وبينك ، فسيتصوَّر على الفور أن الفريق كله هنا لسبب ما ، لأن احتمال وجودنا بالمصادفة ، فى نفس العصر ، الذى تقاتلتم فيه معه ، يكاد يبلغ حد المستحيل ... باختصار ، ستتركَّز جهوده على البحث عنك ، وعن باقى أفراد الفريق .

ثم أشار إلى صدره ، مستطردًا :

ـ ولكن ليس عنى :

بُهتَ (نور) للعبارة الأخيرة ، وقال فى حذر :

ـ ماذا تعنى يا (طارق) ؟!

تنهَّد (طارق) ، وشدَّ قامته فى قوة ، وهو يقول :

ـ أعنى أننى الشخص الوحيد ، الذى لديه فرصة للاقتراب من (أكرم) .

هتف (نور) :

ـ كيف ؟!

ابتسم ، مجيبًا :

ـ بالوسيلة التقليدية يا (نور) .. ألم تشاهد أية أفلام ، عن الحرب العالمية الثانية ؟! سأنتحل شخصية ضابط ألمانى بالطبع .

ظلّ (نور) يحدّق فى وجهه لحظة ، ثم هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ مستحيل يا (طارق) ! هذا أول أمر سيخطر ببالهم ، ومن المؤكد أنهم سيتخذون كل الاحتياطات الممكنة لكشف هذا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى تفكير عميق ، قبل أن تتألّق عيناه على نحو عجيب ، وهو يقول :

ـ ولكننا نستطيع إحباط كل احتياطاتهم .

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

ـ بالضبط .

وعندما التقت عيونهما ، التقت معها أفكارهما ، وقفزت إلى الوجود خطة جديدة ..

وجريئة ..

إلى أقصى حد .

★ ★ ★

٧ ـ الشر عَبْر العصور ..

ارتسم التوتر واللّهفة بكل ملامحهما ، على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يندفع داخل مقر الفريق ، هاتفًا :

ـ أحقًّا ما سمعته يا (سلوى) ؟!

فركت (سلوى) كفّيها فى إرهاق ، وهى تجيب :

ـ لو أنك تقصد تقريرى العاجل ، الخاص بوجود فارس زمن آخر ، فالرد بالإيجاب يا دكتور (ناظم) .

احتقن وجه الرجل فى شدة ، وترك جسده يتهاوى ، على أقرب مقعد إليه ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! إنها كارثة .

ثم سألها فى هلع :

ـ هل يمكنك تعرُّف ذلك الآخر ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، قائلة :

ـ ليس فى الوقت الحالى ، فلا توجد أية معلومات خاصة بالطاقم ، فى كل سجلات المقاتلة .

قال فى ارتياع :

ـ لكنك واثقة من وجوده .. أليس كذلك ؟!

أشارت بسبَّابتها ، قائلة :

ـ بكل تأكيد ، ما لم يكن معدَّل استهلاك (طارق) للأكسجين والغذاء ، يبلغ ضعف مايستهلكه أى بشرى عادى .

التقط عبارتها ، وهتف فى لهفة :

ـ أتعنين أن هذا احتمال وارد ؟!

التفتت إليه فى دهشة ، فى حين أجاب (رمزى) فى صرامة :

ـ كلاً يا دكتور (ناظم) .. إنه احتمال غير وارد على الإطلاق .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ذعر ، وكأنه كان يتمنى لو أن (رمزى) لم يعترض ، إلا أن هذا الأخير تابع بنفس الصرامة :

ـ لقد تم فحص (طارق) جيدًا ، بكل الوسائل الحديثة المعروفة ، وكلها أثبتت أنه بشرى عادى للغاية ، وهذا يعنى أن معدَّلات استهلاكه لا تختلف عن معدَّلات استهلاك الإنسان العادى .

تهالك الدكتور (ناظم) على مقعده مرى أخرى ، قائلاً :

ـ يا إلهى ! إنها كارثة حقيقية .. هناك جاسوس من زمن آخر ، يختفى فى مكان ما هنا ، ولسنا نملك أية معلومات عنه .

غمغمت (سلوى) :

ـ ربما الأمر ليس بهذه الخطورة .

هتفت الدكتور (ناظم) :

ـ بل هو كذلك .. لقد كشفنا أمر (طارق) بالمصادفة البحتة ، وبعد أن عمل لعدة سنوات فى مؤسسة الرياسة .. أكثر الأماكن السيادية خطورة ، والآن نكتشف فجأة أن له رفيقًا ما ، فى مكان ما هنا ، ونحن نجهل تمامًا كل شىء حول ذلك الرفيق ، الذى من المحتمل أن يكون فى أى مكان .. فى وزارة ما ، أو جهاز أمنى ، أو حتى فى مؤسسة الرياسة نفسها .. بل ولا يمكننا استبعاد وجوده وسط جهاز المخابرات العلمية ذاته .

ثم نهض من مقعده ، وتابع فى توتر زائد :

ـ ولاحظوا أن (طارق) لم يشر لوجوده مطلقًا ،

وهذا يعنى أنه يحاول حمايته بشكل ما ، مما يؤكِّد خطورته ، أو خطورة الموقع الذى يحتلّه .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ يمكنك أن تبحث عنه فى وزارات السيادة(*) ، أو الجهات الأمنية ، ومراكز جمع وتقييم المعلومات .

قلب الدكتور (ناظم) كفيه ، قائلاً :

ـ نبحث عن مَنْ ؟! هل تعلم عدد العاملين ، فى الأماكن التى ذكرتها ؟! إنه يبلغ عدة آلاف ، بحيث لا يمكننا فحص ملفاتهم جميعًا ، بالدقة اللازمة لكشف الثغرات فيها ، خاصة وأنك تعلم كم بلغت براعة (طارق) ، فى إعداد الملف الخاص به .

أجابه (رمزى) :

ـ راجع ملفّات الفحص النفسى السنوى أوّلاً ، وانتق من بينهم أولئك الذين يتميزون بقوة الشخصية ، والصبر ، وسرعة اتخاذ القرار ، ويمكنك استبعاد كل

(*) يطلق مصطلح وزارات السيادة ، على عدد محدود من الوزارات ، التى تؤثّر فى مسار الدولة داخليًا أو خارجيًا ، والتى يختار رئيس الجمهورية وزراءها بنفسه ، فى معظم الأحيان ، مثل وزارة الدفاع ، والداخلية ، والخارجية ، والإعلام .

من يعانون الخوف من المرتفعات ، أو الأماكن المغلقة ، أو السرعة الزائدة ، ثم ابحث عن أكثرهم ميلاً للصمت والوحدة .

سأله الدكتور (ناظم) مبهورًا :

ـ ولماذا هؤلاء بالذات ؟!

أجابه (رمزى) فى حزم :

ـ لأن هذه هى الصفات ، التى تناسب من يخرج فى رحلة زمنية كهذه .

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، وهو يواصل التطلّع إلى (رمزى) فى دهشة ، قبل أن يلوّح بكفه ، قائلاً :

ـ عظيم .. هذا سيضيّق دائرة البحث بالتأكيد ، ولكننا مازلنا نحتاج إلى معرفة بعض صفاته الجسمانية .. طوله .. حجمه .. أو ...

قاطعه صوت (نشوى) ، وهى تقول :

ـ يمكننى منحكم هذا .

التفت إليها (رمزى) ، قائلاً :

ـ (نشوى) .. هل استيقظت ؟!

ارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة مرهقة ، وهى تقول :

ـ ومن يمكنه النوم ، مع كل ما تصنعونه من ضجيج .

ثم أدارت عينيها إلى الدكتور (ناظم) ، مستطردة :

ـ لقد استمعت إلى كل ما ناقشتموه الآن ، وأعتقد أن لدى وسيلة لمعرفة الحجم التقريبى للرجل الثانى .

سألتها (سلوى) فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

جلست (نشوى) أمام الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تجيب :

ـ إننا نعرف معدلات الاستهلاك داخل المقاتلة ، ولدينا كل التحاليل والفحوص الخاصة بـ (طارق) .. كل ما علينا إذن هو أن نحسب المعدلات الطبيعية لاستهلاكه هو ، والجزء المتبقى سيكون عبارة عن معدلات استهلاك زميله للأكسجين والطاقة ، وبعملية عكسية ، يمكننا تقدير حجمه ، بشىء من الدقة .

تطلع إليها الدكتور (ناظم) بضع لحظات فى صمت ، ثم هزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ لاعجب فى أنكم تحققون كل هذه الانتصارات .. إنكم فريق من العباقرة .

تبادل الثلاثة نظرة متوترة ، ثم قالت (نشوى) :

ـ أرجو أن تساعدنا هذه العبقرية ، فى استعادة أبى و (أكرم) .

قال (رمزى) فى سرعة :

ـ و (طارق) .

التفت إليه الدكتور (ناظم) مستنكرًا ، فأضاف فى حزم :

ـ إنه مازال عضوًا فى الفريق .

وتنهَّد ، قبل أن يستطرد :

ـ ثم إن وجوده ربما يصبح حتميًّا ؛ للعثور على الفارس .

واكتسب صوته صرامة شديدة ، وهو يضيف :

ـ فارس الزمن الثانى .

★ ★ ★

عقد الجنرال (هولدشتاين) كفيه خلف ظهره ، وهو يطالع خريطة كبيرة لمدينة (باريس) ، وكل المناطق الريفية المحيطة بها ، مغمغمًا فى صرامة :

ـ إنهم هنا .. لقد عادوا لسبب ما ، لم تذكره كتب التاريخ ، التى قرأتها فى زمنى .. الفريق كله هنا

على الأرجح .. أو ربما (أكرم) وحده . كلاً .. هناك شخص ثالث ، أشار إليه تقرير الطيَّار ، الذى كاد يرتطم بمركبتهم الزمنية ، عند وصولهم إلى هذا العصر .

دار بعينيه فى تلك البقعة ، التى تم رصد المقاتلة فيها للمرة الأولى ، وهو يتابع :

ـ لقد حملتهم هذه المرة آلة زمن ، فى هيئة مقاتلة جوِّية .. ذلك الطراز القديم لآلات الزمن .. ولكن أين هى ؟! أين أخفوها ؟! لابد أن أعثر عليها بأى ثمن .. إنها وسيلتى الوحيدة للعودة إلى زمنى ، بعد أن أسيطر على تاريخ هذه الحقبة ، وأقلب الأمور كلها رأسًا على عقب .. الوسيلة الوحيدة ، التى يمكننى بها تأمين وجودى عَبْر الزمن ، حتى أصبح السيِّد المطاع فى المستقبل .. بدونها تنهار كل أحلامى وطموحاتى .. لا بد أن أعثر عليها .. لا بد .

عاد يفحص الخريطة مرة أخرى ، بكل الاهتمام والدقة ، قبل أن يغمغم :

ـ ثلاثة أفراد ومقاتلة .. لقد أوقعنا بأحدهم ، والثانى هو (نور) حتمًا ، فمن الثالث إذن .

انعقد حاجباه مرة أخرى ، وهو يدير الأمر فى رأسه مرات ومرات ، حتى قاطعه صوت طرقات حذرة على باب مكتبه ، فقال فى حدة :

ـ من هناك ؟!

دلف مدير مكتبه إلى الحجرة ، وهو يرتجف ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيِّدى الجنرال .. أعلم أنك قد طلبت عدم إزعاجك ، ولكنك أرسلت فى طلب رئيس الشرطة العسكرية على وجه السرعة ، وهو ينتظر منذ أكثر من نصف الساعة ، و ....

قاطعه (هولدشتاين) فى صرامة :

ـ دعه يدخل على الفور .

تنفَّس الرجل الصعداء ، وهو يتراجع ، قائلا :

ـ بالطبع يا جنرال .. بالطبع .

اختفى الرجل لحظة واحدة ، ظهر بعدها رئيس الشرطة العسكرية ، وهو يرفع يده ، ويفردها عن آخرها ، هاتفًا :

ـ هايل (هتلر) .

أشار (هولدشتاين) بيده ، دون أن يجيب التحية ، وقال فى صرامة :

- ادخل يا (فون دارك) ، وأغلق الباب خلفك .

دخل الكولونيل (فون دارك) فى سرعة ، وأغلق الباب خلفه فى حرص ، ثم شدَّ قامته ، ووقف ينتظر أوامر الجنرال ، الذى سأله فى صرامة :

- كيف هرب الرجلان منك يا (فون دارك) ؟!

احتقن وجه الكولونيل ، وهو يقول :

- لست أدرى يا سيِّدى الجنرال .. لقد دخلا إلى نفق المترو ، ثم اختفيا تمامًا ، ولست أدرى أين ذهبا ، أو أين ...

قاطعه (هولدشتاين) فى صرامة غاضبة :

- خطأ .

ارتدَّ (فون دارك) فى حدة ، و (هولدشتاين) يتابع فى غضب :

- من غير المسموح به ، أن يعلن كولونيل فى الرايخ الثالث فشله .. لقد فرَّ منك رجلان داخل نفق المترو ، واختفيا هناك .. كيف تتراجع مع موقف كهذا .. إنهما لم يتلاشيا بالتأكيد ، وهذا يعنى أنهما هناك ، فى مكان ما ، لم يدركه عقلك .. أطلق رجالك عَبْر الأنفاق إذن .. فتش كل شبر من المكان .. انسفه

عن آخره لو اقتضى الأمر ، ولكن اعثر عليهما بأى ثمن .

ازداد احتقان وجه الرجل ، وهو يقول :

- إننا نحاول التوفيق بين الأوامر المختلفة يا سيِّدى الجنرال ، و ...

قاطعه (هولدشتاين) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

- كفى .

أطبق الكولونيل شفتيه ، ووجهه يزداد احتقانًا ، حتى بدا وكأن الدماء ستتفجَّر من كل فتحات الوجه ، عند أوَّل ملامسة ، فى حين تابع (هولدشتاين) بنفس الصرامة ، وهو يعود لعقد كفيه خلف ظهره ، ويشدَّ قامته فى قوة :

- عندى معلومات مؤكَّدة ، بأن رجال المقاومة الفرنسية يتخذون من أنفاق المترو وكرًا لهم(*) .

ارتفع حاجبا الرجل فى دهشة ، وهو يقول :

- أنفاق المترو ؟! ولكن يا جنرال ..

صاح فيه (هولدشتاين) بلهجة مخيفة :

(*) حقيقة تاريخية .

- لا تقاطعنى .

عاد وجه الرجل يحتقن فى شدة ، وهو يغمغم :

- معذرة يا جنرال .

تابع (هولدشتاين) فى حدة :

- هذه المعلومات غير خاضعة للمناقشة ، فهى من مصدر موثوق منه للغاية .. إنهم يختفون داخل أنفاق المترو ، ويستخدمون تلك الشبكة شديدة التعقيد ، لتضليل مطارديهم وإرباكهم .

ثم التقى حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- ولكننا سنفسد كل هذا .

التقط الكولونيل نفسًا عميقًا ، قبل أن يسأل فى حذر :

- هل لى أن أسأل كيف يا جنرال ؟!

تطلّع إليه (هولدشتاين) بضع لحظات على نحو صارم ، قبل أن يوليه ظهره ، ويتطلّع إلى خريطة (باريس) ، قائلاً :

- ابحث فى دار المحفوظات عن أية خرائط لشبكات مترو الأنفاق .

تنحنح الرجل ، مجيبًا :

- لقد فعلنا يا كولونيل ، ولكن هؤلاء الفرنسيين الملاعين أخفوا تلك الخرائط تمامًا ، حتى إننا لم نعثر على نسخة واحدة منها ، و ...

التفت إليه (هولدشتاين) كالبركان الثائر ، وهو يصرخ فى وجهه :

- وكل هذا لم يجعلك تشكّ لحظة ، فى أن رجال المقاومة يختفون ، داخل شبكة الأنفاق ؟!

تراجع الكولونيل بحركة غريزية حادة ، وكأنه يخشى أن تنفجر الحمم فى وجهه ، وقال فى ارتباك مضطرب :

- إنها ليست الوثائق الوحيدة ، التى اختفت من دار المحفوظات ، بعد احتلالنا لـ (باريس) يا سيّدى الجنرال .. الفرنسيون أخفوا أيضًا وثائق المتاحف ، ودور الفن ، وكأنهم يخشون أن نحاول الاستيلاء على تاريخهم الفنى أيضًا(*) .

(*) عندما لاحت الهزيمة للألمان ، فى المراحل الأخيرة للحرب العالمية الثانية ، حاولوا سرقة اللوحات الفنية والتماثيل القديمة ، من متاحف (باريس) ، وتهريبها إلى (ألمانيا) ، ولكن رجال المقاومة الفرنسية أمكنهم إحباط هذه المحاولة ، قبل أيام قليلة من غزو (نورماندى) ، الذى كان بداية تحرير (أوروبا) ، وسقوط (ألمانيا) .

أجابه (هولدشتاين) فى صرامة شديدة :

- فليكن .. اترك لى هذه المهمة إذن يا (فون دارك) ، مادامت الشرطة العسكرية تعجز عن إتمامها .

تمتم الكولونيل فى ضيق :

- ليست مسألة عجز يا سيِّدى الجنرال ، ولكن ..

قاطعه فى حدة :

- قلت : اترك هذه المهمة لى .

والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

- المهم أن تعدَ أنت رجالك لهجوم شامل .. هجوم يمكنه سحق المقاومة الفرنسية سحقًا ، وإزالتها من الوجود .

وتضاعفت صرامته ، وهو يضيف :

- وإلى الأبد .

نطقها وهو يعتبر أنها البداية ..

بداية خطته الشيطانية للسيطرة على تاريخ العالم ..

عَبْر الزمن ..

★ ★ ★

« الأمر يحتاج إلى دقة شديدة ، وتنظيم لا يحتمل الفشل .. »

نطق (نور) العبارة ، وهو يجلس وسط رجال المقاومة ، داخل إحدى قاعات شبكة أنفاق المترو ، واستمع إليه الجميع فى شىء من التوتر ، وهو يتابع :

- دعونا نتساءل أوَّلاً ، ما المخاطر التى يمكن أن تواجه (طارق) ، إذا ما انتحل شخصية ضابط ألمانى ، فى محاولة لإخراج (أكرم) من المستشفى .. فى البداية ستواجهنا شكوك (كارل) ، ورغبته فى التأكد من شخصية من يقف أمامه ، ثم إصراره على الحصول على تصريح رسمى ، بتسليم (أكرم) للضابط الذى يطالبه بهذا ، وسيصرَ بالطبع على أن يحمل ذلك التصريح توقيع الجنرال (فريدريش هولدشتاين) بنفسه ، ثم إنه سيحاول الاتصال بالجنرال شخصيًا ، لتأمين موقفه ، وسيتمَ هذا الاتصال عبر الهاتف ، أو باستخدام جهاز الاتصال اللاسلكى .

أجابه أحد الرجال فى خشونة :

- أو يرسل أحد جنوده للتأكد .

هتف آخر :

- أو يذهب بنفسه .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لـن يمكنــه القيــام بهـذا أو ذاك ، إذا مـا كــان التصريـح ، الــذى يحملـه الضـابط الجديـد ، يطالبـه بتسليم الأسير ، بأقصى سرعة ممكنة .

سأله (آلان) فى قلق :

ـ وماذا لو ذهب (هولدشتاين) بالمصادفة البحتة إلى المستشفى ، فى هذا الوقت الذات ؟!

أجابه (نور) :

ـ هذا أيضًا احتمال وارد .

ثم أدار عينيه فـى وجـوه الآخريـن ، مستطردًا فى اهتمام :

ـ ألدى أحدهم أية احتمالات أخرى ؟

قال أحدهم فى دهشة :

ـ هل تسألنا نحن ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ بالطبع .. ربما كانت هناك احتمالات لم ترد فى ذهنى ، وأفضل شىء ، فى مثل هذه الظروف ، هو التشاور فى الأمر .

تبادلوا نظرة متوتِّرة ، ثم قال آخر فى صرامة :

ـ ولكن موقفنا لم يتغيَّر أيها الغريب .. إننـا لـن نتعاون معكم ، فى هذا الشأن .

أشار (طارق) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ هذا يتوقَّف ، على نوع التعاون المطلوب .

سألته (برجيت) فى حذر :

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟!

أجابها (نور) هذه المرة :

ـ زميـلى يعنـى أننـا لن نطالبكم بمواجهــة رجال (الجستابو) معنا ، فنحن نقدِّر وجهة نظركم فى هذا الشأن ، ولكننا نحتاج إلى تعاونكم ، فى مرحلة إعداد الخطة .

تبادل الجميع نظرة أخرى ، قبل أن يسأل (آلان) :

ـ وما الذى تطلبونه منا بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى اهتمام :

ـ نحتـاج فى البداية إلى زى ضـابط (جستــابو) ألمـانى ، برتبـة تفـوق (كـارل مانهـايم) ، وسنحتاج أيضًا إلى زى سائق عسكرى ألمانى ، وسيارة تشبه السيارات التى يستخدمها رجـال (الجسـتابو) فـى المعتاد .

هزَّ (آلان) كتفيه ، وقال :

ـ كل هذا يمكن تدبيره .

تدخَّل (طارق) ، قائلاً :

ـ ونحتاج إلى مزوِّر محترف .

انعقد حاجبا (برجيت) ، وهى تتبادل نظرة عصبية مع (آلان) ، فتابع (طارق) فى حزم :

ـ لا داعى لأن نلتقى به مباشرة ، فيمكنكم الحفاظ على سره ، ولكننا نحتاج منه إلى تصريح بخط (هولدشتاين) وتوقيعه .

تبادل الفرنسيان نظرة متوترة أخرى ، قبل أن تقول (برجيت) :

ـ اكتب التصريح الذى تريده ، وسنحاول إخراجه بأفضل ما يمكن .

قال (نور) :

ـ عظيم .. لا يتبقَّى لنا إذن سوى الحصول على جهاز لاسلكى بعيد المدى ، وبعض الترانزستورات(*) .

هتف أحدم فى دهشة :

(*) الترانزستور : جهاز إلكترونى مصنوع من مواد شبه موصلة ، متصلة بعضها بالبعض ، يصنع من السليكون والجرمانيوم ، مضافًا إليها بعض الشوائب ، ولقد تم اختراعه عام ١٩٤٨م ، ونال مخترعوه جائزة (نوبل) للعلوم عام ١٩٥٦ م .

ـ ماذا ؟!

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

ـ صديقى يقصد أننا نحتاج إلى بعض الصمامات الإضافية(*) .

قالت (برجيت) متوترة :

ـ لن يكون الحصول على هذه الأشياء الأخيرة سهلاً ، فالألمان يحظرون تداولها ، حتى لا يصنع المواطنون أجهزة لاسلكى ، تمكِّنهم من الاتصال بالحلفاء ، وتزويدهم بالمعلومات .

قال (طارق) فى حزم :

ـ ولكن هذا الأمر ليس مستحيلاً بالتأكيد .

تطلَّعت إلى عينيه مباشرة ، وهى تقول :

ـ ليس من أجلك .

انعقد حاجبا (آلان) فى ضيق ، وأطلَّت الغيرة واضحة من عينيه ، فى حين ارتبك (طارق) فى حرج ، وهو يشيح بوجهه ، متمتمًا :

(*) الصمامات : هى الصورة البدائية للترانزستور ، وفى الصمام يتمّ انبعاث إليكترونيات ، من مادة ما بالتسخين ، ومنها صمامات ثنائية وثلاثية ، كانت تستخدم فى كل الأجهزة الإليكترونية قديمًا .

ـ عظيم .. تُرى هل يمكننا الحصول على هذه الأشياء بالسرعة المناسبة ؟!

قال (آلان) في غلظة :

ـ ليس قبل عدة ساعات .

قال (نور) ، وهو ينقل بصره في بطء ، بين (آلان) و(برجيت) و(طارق) :

ـ المهم ألا تمتدَ هذه الساعات إلى أيام ، فـ(أكرم) مازال في قبضة هؤلاء الأوغاد ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذي يمكن أن يفعلوه به ، في أثناء محاولتهم لـ ...

« إنهم يعذبونه .. »

هتف (جولفيه) بالعبارة ، في توتر لاهث ، وهو يندفع داخل المكان ، فالتفت إليه الجميع في حركة حادة ، وهتف (طارق) في غضب مستنكر :

ـ يعذبونه ؟!

أومأ (جولفيه) برأسه إيجابًا ، وقال ، وهو يتخذ لنفسه مجلسًا ، ويواصل اللهاث في انفعال :

ـ أحد أصدقائنا في المستشفى أكد لي أن ذلك الجزَار (كارل مانهايم) ، يمارس هوايته الشيطانية مع زميلكم ، غير مبال بجرحه وإصاباته .

غمغم (نور) في غضب :

ـ ذلك الوغد !

هزَّ (جولفيه) رأسه في قوة ، وتابع :

ـ لقد انتزع اثنين من أظفاره ، وقطع خيوط جرحه ، وتركه ينزف بلا رحمة .. هذا بالإضافة إلى اللكمات والركلات ، و ...

قاطعه (طارق) في توتر بالغ :

ـ كفى .

ثم التفت إلى رجال المقاومة ، هاتفًا :

ـ فلنبذل جهدًا أكبر أيها السادة .. كل ثانية تمضي ، أصبحت تعني الكثير لزميلنا المسكين .. أسرعوا بالله عليكم .. تعاونوا معنا لنبلغ هدفنا ، قبل أن يبلغكم ذلك الشيطان (هولدشتاين) .

لوَح (آلان) بيده في حدة ، قائلاً :

ـ لن يمكنه أن يتوصَل إلينا هنا .. لا أحد غيرنا يمكنه التحرك بحرية ، دون أن يضل طريقه ، في شبكة الأنفاق هذه .

قال (نور) في صرامة :

ـ من يدري ؟!

التفت إليه (آلان) فى حدة ، قائلاً :

ـ ماذا تعنى ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة أكثر ، وهو يقول :

ـ كما سمعت جيِّدًا يا (آلان) .. من يدرى ؟!

تفجَّرت عبارته فى رءوس الجميع فى عنف ، وتبادلوا نظرات شديدة التوتر ، والسؤال يتردَّد فى عقولهم فى عنف ..

نعم .. من يدرى ؟!

من ؟!

★ ★ ★

توقَّفت سيَّارة (هولدشتاين) أمام مبنى مغلق ، فى أطراف (باريس) ، وتنحنح سائقها ، قبل أن يقول ، فى مزيج من الاحترام والمهابة :

ـ وصلنا يا سيِّدى الجنرال .

أدار (هولدشتاين) عينيه فى بطء ، يتطلَّع إلى المبنى ، ثم قال فى صرامة :

ـ راقبوا المكان ، واحرسوه جيِّدًا .. لا أحد يدخل إلى المبنى ، مهما كانت الأسباب .. هل تفهم ؟!

غمغم السائق فى اضطراب :

ـ أفهم يا سيِّدى الجنرال .. أفهم .

غادر (هولدشتاين) السيَّارة فى هدوء ، وألقى نظرة أخرى على المبنى ، ثم قال لرجال الحراسة المرافقين فى صرامة :

ـ انتظرونى .

ثم اتجه نحو المبنى ، وأخرج من جيبه مفتاحًا صغيرًا ، تطلَّع إليه فى راحته ، متمتمًا :

ـ وأنا الذى ظللت أتساءل ، طوال أكثر من شهر كامل ، عما يعنيه وجود هذا المفتاح العجيب ، بين مفاتيحى الشخصية .

وفى هدوء ، دسَّ المفتاح فى ثقب الباب ، وأداره فى بطء ، ثم دفع الباب ، وعبره فى خطوة واحدة ، واسعة ، سريعة ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ..

ولعشر ثوان تقريبًا ، وقف يتطلَّع إلى الظلام الدامس أمامه ، قبل أن يمدَّ يده إلى إطار الباب الداخلى العلوى ، ويضغط جزءًا منه ، فتحرَّك ذلك الجزء ، ودار حول نفسه ، كاشفًا فجوة صغيرة ، يستقرّ داخلها منظار بسيط المظهر ، التقطه فى هدوء ، ووضعه على عينيه ، مغمغمًا :

ـ أخيرًا سأشعر ببعض الألفة .

لم يكد المنظار يوضع على عينيه ، حتى اصطبغ كل شىء أمامهما بلون أخضر باهت ، وظهرت عشرات من خيوط الليزر المتقاطعة ، فابتسم ، متابعًا :

ـ عظيم .. مازالت أجهزة الأمن تعمل بكفاءة .

وفى حذر ماهر ، راح يعبر بين خيوط الليزر المتقاطعة ، متحاشيًا لمس أحدها ، حتى بلغ بابًا آخر ، فألصق كفه بجزء منه ، وهو يقول بصوت ثابت قوى :

ـ دكتور (خالد رضوان) .

استقبل جهاز تحليل صوتى متطوَّر الاسم ، وطابقه على الصوت المسجَّل داخله ، فى نفس اللحظة ، التى تحرَّك فيها ماسح ضوئى إليكترونى ، ليلتقط بصمات كفه ، الملصقة بالباب ، ويراجع توزيع مسامه العرقية ، قبل أن ينبعث صوت آلى ، يقول :

ـ تم التأكَّد من الهوية .. مسموح بالدخول .

ومع آخر حروف العبارة الآلية ، انفتح الباب فى بطء ، كاشفًا قاعة كبيرة ، احتشد فيها عدد من الأجهزة ، التى لم توجد فى تاريخ العلم ، قبل مائة

سنة من تلك اللحظة على الأقل ، وعندما خلع (هولدشتاين) منظاره ، راحت أضواء القاعة تشتعل بالتتابع ، وانبعث من مكان ما منها نفس الصوت الآلى ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يادكتور (خالد) .. فيم ترغب أن تبحث اليوم ؟!

أجاب ، وهو يتقدَّم نحو شاشة كمبيوتر كبيرة ، والباب يُغلق خلفه آليًا :

ـ تاريخ الحرب العالمية الثانية .

بدأ الكمبيوتر عمله على الفور ، قبل حتى أن يصل إليه ، وظهرت على شاشته عبارة تقول :

ـ تاريخ الحرب العالمية الثانية .. (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) .. ما المطلوب فحصه ؟!

قال (هولدشتاين) ، وهو يتخذ مجلسه ، أمام شاشة الكمبيوتر :

ـ الوثائق .

تغيَّرت الشاشة بسرعة ، وظهرت عليها عبارة (الوثائق) ، وأسفلها جدول خاص بكل أنواع الوثائق ، التى يمكن فحصها ، حول تلك الفترة ، فقال (هولدشتاين) فى هدوء :

ـ (باريس) .. شبكة أنفاق المترو .

اختفت الشاشة لحظة ، ثم ارتسمت فوقها خريطة كاملة لشبكة أنفاق المترو ..

اختفت الشاشة لحظة ، ثم ارتسمت فوقها خريطة كاملة لشبكة أنفاق المترو ، مع تحديد مسارات العربات ، واتجاهاتها ، وحتى أسعار التذاكر المختلفة .

ولدقيقة أو يزيد ، راح (هولدشتاين) يتطلّع إلى الخريطة ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـ عظيم .. من الواضح أنها لم تهمل شيئًا .

كانت الخريطة شديدة الدقّة بالفعل ، وتوضّح كل تفاصيل شبكة أنفاق المترو ..

ولكن دون أدنى إشارة إلى قوات المقاومة الفرنسية ..

وفي حزم ، قال (هولدشتاين) :

ـ ربط الخريطة بتاريخ المقاومة الفرنسية ، ما بين عامي ألف وتسعمائة وأربعين ، وألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين .

تلقّى الكمبيوتر الأمر ، وراح يجري حساباته بسرعة خرافية ، قبل أن تحمل شاشته عبارة تقول :

ـ لا توجد أية تفاصيل تاريخية .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) في غضب ، وقال :

ـ ابحث في الكتب ، التي تم نشرها عن دور المقاومة الفرنسية ، خلال الثلاثين عامًا التالية .. كل الكتب ، وكل اللغات .

مضت لحظات قليلة ، قبل أن تحمل شاشة الكمبيوتر عشرات العناوين ، لكتب تتحدَّث عن دور المقاومة الفرنسية ، فى الحرب العالمية الثانية ..

ثم انخفض هذا العدد إلى ثلاثة كتب فحسب ..

ثم إلى أربع صفحات بالتحديد ..

وعبر طابعة ليزرية ، خرجت تلك الصحفات مطبوعة ، فى أناقة شديدة ، باللغة العربية ، مع خريطة صغيرة ، لم يكد (هولدشتاين) يلقى نظرة عليها حتى تألَّقت عيناه ، وهو يغمغم :

ـ عظيم .. ها هو ذا الموقع المتوقَّع .. تلك القاعة ، أسفل قوس النصر تمامًا ..

ورفع عينيه عن الخريطة ، وهما تتألقان على نحو مخيف ، مع استطرادته :

ـ لقد وضعنا يدنا على الخطوة الأولى ..

وتراقصت ابتسامة شرسة على شفتيه ، وهو يضيف :

ـ فى خطة تغيير التاريخ .

قالها ، وتحولت ابتسامته إلى ضحكة قوية ، جلجلت فى المكان كله ..

ضحكة شيطان .

★ ★ ★

٨ ـ العذاب ..

« أظننى قد توصَّلت إليه .. »

لم تكد (نشوى) تنطق العبارة ، حتى قفز الدكتور (ناظم) من مقعده ، واندفع نحوها ، هاتفًا فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

فركت (نشوى) عينيها فى إرهاق ، وهى تشير إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

ـ ها هى ذى كل المواصفات ، الخاصة بكائن بشرى ، يستهلك هذا القدر من الطاقة والأكسجين .. إنه قوى البنية ، ضئيل الحجم إلى حد ما ، إذ لا يزيد طوله على مائة وستين سنتيمترًا ، ووزنه ما بين خمسة وخمسين أو ستين كيلو جرامًا ، وهذا يتوقَّف على مقدار ما كان يبذله من نشاط ، داخل تلك المقاتلة .

هتف الدكتور (ناظم) فى حماس :

ـ عظيم .. عظيم .. إذن فلدينا الآن كل التفاصيل

الجسمانية والنفسية ، الخاصة بذلك الفارس الثانى ، مع ما أشار إليه (رمزى) من كونه يعمل فى أحد المواقع المهمة ، وأعتقد أن هذا سيضيّق دائرة البحث إلى أقل حد ممكن ، و ...

قاطعته (نشوى) ، وهى تتراجع فى مقعدها فى تهالك :

- سبعة وثلاثون ألفًا ، وستمائة وعشرة .

التفت إليها الدكتور (ناظم) ، متسائلاً فى حيرة :

- أى رقم هذا ؟!

تثاءبت مجيبة :

- عدد الذين تنطبق عليهم المواصفات ، فى كل المواقع المهمة فى (مصر) .

احتقن وجهه ، وهو يغمغم :

- يا إلهى !

وقالت (سلوى) ، وهى تقاوم النوم فى صعوبة :

- سيحتاج فحصهم إلى ثلاثة أيام من العمل المتواصل على الأقل .

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات مبهوتًا ، قبل أن يتمتم :

- هذا لو أمكننا التوصّل إليه فى النهاية .

أجابه (رمزى) ، وهو يشعر بإرهاق مماثل :

- سيتوقف هذا على براعته فى تزوير مستنداته وملفّ الكمبيوتر الخاص به .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه ، وقال :

- إنه لن يقلّ براعة عن (طارق) بالتأكيد .

أومأ (رمزى) برأسه متفهّمًا :

- هذا أمر طبيعى .. إنه لن يقلّ عنه براعة ، ولكن ..

سأله الدكتور (ناظم) فى لهفة :

- ولكن ماذا ؟!

أجابه فى سرعة :

- ولكن ظروفه ستختلف تمامًا الآن .

تطلّعت إليه (سلوى) بنظرة مرهقة ، قبل أن تسبل جفنيها ، وتعيد رأسها إلى الخلف ، وكأنما ذهبت فى سبات عميق ، فى حين سأله الدكتور (ناظم) فى اهتمام :

- وكيف هذا ؟!

أجابه (رمزى) :

- ما دام شريكًا لـ (طارق) ، فى زمنه ورحلاته ، فهو سيعلم حتمًا أن مقاتلة الزمن قد رحلت دونه ،

وأنه أصبح أسيرًا هنا إلى الأبد ، وسيدفعه هذا إلى بعض التصرّفات العصبية ، في الساعات التالية ، وهذا يعنى بعض الأخطاء غير المقبولة فى العمل ، أو محاولة تفادى الخطأ ، بالحصول على إجازة عارضة .. ابحث إذن عمن تنطبق عليهم هذه الأمور أو مثيلاتها ، وسينخفض العدد أكثر وأكثر بالتأكيد .

هبَّ الدكتور (ناظم) من مقعده ، هاتفًا :

ـ فكرة عبقرية .

ثم استدرك فى شىء من التوتر :

ـ ولكنها تحتاج إلى بعض الوقت .

هزَّ (رمزى) كتفيه ، قائلاً :

ـ وما قيمة الوقت ، فى أمر كهذا ؟!

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات مفكرًا ، ثم قال فى حزم :

ـ على العكس يا (رمزى) .. الوقت له قيمة عظمى ، فى كل الأحوال ؛ فكل صراعنا هذا من أجله .. من أجل السيطرة على الزمن .

واكتسى صوته بصرامة واضحة ، وهو يستطرد :

ـ وعلى التاريخ .

★ ★ ★

عضَّ (أكرم) شفتيه بكل قوته ، حتى سالت منهما الدماء ، وهو يقاوم تلك الصرخة ، التى تجمَّعت فى حلقه ، حتى لا تنطلق من بين شفتيه ، ورجال (كارل) ينتزعون ظفر إبهامه الأيسر بلا رحمة ..

كان الألم رهيبًا ، إلى حد لا يمكن أن يتصوَّره أحد ، ولكن (أكرم) قاومه ..

وقاومه ..

وقاومه ..

لم يكن يرغب أبدًا فى إسعاد (كارل) ، الجزَّار ، الذى يفعل كل ما يفعله ، حتى يحظى بصرخة ألم ، أو صيحة توسُّل ، تشبع تلك الوحشية الدموية فى أعماقه ..

والواقع أن مقاومته قد نجحت فى هذا إلى حد كبير ..

لقد امتلأت نفس (كارل) بالغيظ والحنق ، وهو يدور فى الحجرة ، قائلاً فى حدة ، حاول أن يكسوها بالصرامة :

ـ هل يكفيك هذا ، أم أنك ترغب فى المزيد ؟!

كان وجه (أكرم) محتقنًا بشدة ، من فرط الألم

والإجهاد ، إلا أنه رسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، أنهكت قواه ، وهو يجيب :

- ماذا حدث ؟! هل اكتفيتم بتقليم ثلاثة من أظفارى فحسب ؟!

التقى حاجبا (كارل) فى غضب ، وهو يقول :

- إذن فأنت تثبت أنك صلب قوىّ .. هل تتصوّر أن هذا سيفيدك هنا ؟! خطأ أيها المتحذلق .. إن ما عانيته حتى الآن ليس سوى البداية ، فرجالى يبدءون بنزع الأظفار ، كوسيلة لفتح الشهية فحسب ..

قال (أكرم) فى سخرية ، وهو يبذل قصارى جهده ، للإبقاء على وعيه :

- هكذا ؟! ما وجبتهم الرئيسية إذن ؟!

التفت إليه (كارل) فى حركة حادة ، هاتفًا :

- أنت أيها الحقير .. أنت وجبتهم الرئيسية .

ثم هتف بأحد رجاله الثلاثة :

- أشعل سيجارة ، وأعطنى إياها .

أسرع الرجل يطيع أوامره ، وناوله السيجارة المشتعلة ، فالتقط نفسًا عميقًا منها ، ونفث الدخان فى وجه (أكرم) ، قائلاً :

- هل تعلم .. لقد أقلعت عن التدخين ، منذ عام كامل .. جناب الفوهرر لا يحبّ من يدخنون ، وخاصة من رجال (الجستابو) .. إنه يرى أنه من الضرورى أن يكونوا أقوى من الخضوع لعادة قبيحة كهذه .

وبرقت عيناه فى شراسة ، مستطردًا :

- ولعلك تتساءل الآن : لماذا عدت للتدخين ؟

غمغم (أكرم) :

- ربما لتسعد الجميع بموتك فيما بعد .

ضاقت عينا (كارل) ، وهو يقول :

- بل لهدف أكثر بساطة أيها الوقح ، فأنا أشعل السيجارة لـ ...

وانقضّ عليه فجأة ، وغرس السيجارة فى كتفه ، هاتفًا :

- لأطفئها هنا .

كانت حركة مباغتة ، حتى إن (أكرم) لم يمكنه كتمان صرخة ألم ، انطلقت من بين شفتيه ، فتراجع (كارل) فى سرعة ، قائلاً :

- هذا ما كنت أنتظر سماعه .

صاح به (أكرم) فى غضب :

ـ أيها الوغد الحقير .

اندفع أحد الجنود الثلاثة نحوه ، وضربه بكعب مدفعه فى وجهه ، صارخًا :

ـ اخرس .

كانت الضربة من القوة ، حتى إنها قلبت (أكرم) ، بالمقعد المقيَّد إليه أرضًا ، وجعلته يرتطم بمنضدة الأدوات الطبية ، التى سقطت وتبعثرت كلها أرضًا ، فى نفس الوقت الذى تفجَّرت فيه الدماء من موضع الإصابة .

ومع ضجة السقوط ، اندفع أحد أطباء المستشفى داخل الحجرة ، هاتفًا :

ـ كفى .. كفى .. هذا مستشفى ، وليس معتقلاً للتعذيب .

استدار إليه (كارل) فى شراسة ، هاتفًا :

ـ وما شأنك أنت ؟!

هتف الطبيب فى حدة :

ـ إننى طبيب المستشفى .

عقد (كارل) كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى غضب :

ـ هل تعتقد أن هذا يمنحك الحق فى التدخُّل فى عملنا ؟!

هتف الطبيب :

ـ هذا ليس عملاً .. إنها عملية تعذيب وحشية .

انعقد حاجبا (كارل) فى غضب ، وهو يقول :

ـ آه .. أنت من دعاة الحرية إذن .

ثم أشار إلى رجاله إشارة صارمة ، فانقضَّ ثلاثتهم على الطبيب بغتة ، وانهالوا عليه بالضربات واللكمات والركلات ، والمسكين يهتف :

ـ أيها الأوغاد .. أيها المجرمون .

انتهز (أكرم) فرصة انشغال الجميع بموقف الطبيب ، وراحت يداه تبحثان من خلف ظهره عن أية أداة ، من الأدوات التى تبعثرت أرضًا ، يمكن أن تساعده فى تمزيق تلك القيود ، التى تربطه إلى المقعد ..

والتقطت يده قطعة من قارورة زجاجية مكسورة ، وأخفاها بين أصابعه ، والجنود يعودون إليه فى شراسة ، بعد أن تكوَّم الطبيب الفرنسى المسكين أمام باب الحجرة ، فاقد الوعى ، وهتف (كارل) فى شراسة ، متعمِّدًا أن يبلغ صوته الجميع :

- فى المرة القادمة ، إذا ما اقتحم أحدهم الحجرة ، أطلقوا عليه النار على الفور ..

ثم ركل الباب بقدمه ، وأغلقه فى وجه بعض رجال المستشفى ، الذين أسرعوا لإسعاف زميلهم ، قبل أن يلتفت إلى (أكرم) ، الذى أعاد الرجال مقعده إلى موضعه ، قائلاً فى حدة :

- هذا الأمر ينطبق عليك أيضًا يا هذا ، فإذا ما سئمنا منك ، سيكون أفضل ما نفعله هو أن ننسف رأسك نسفًا .

قال (أكرم) فى سخرية ، وأصابعه تعمل من خلف ظهره فى همة ، لتمزيق القيود ، التى تربطه إلى المقعد ، بقطعة الزجاج المكسورة :

- دون أوامر جنرالكم الشيطان ؟!

انعقد حاجبا (كارل) فى شدة وغضب ، فتابع (أكرم) فى سرعة :

- إنه يرغب حتمًا فى الحصول على ما لدى من معلومات ، وهذا يعنى أنه لن يغفر لك قتلى ، مهما كانت المبرِّرات .

صمت (كارل) بضع لحظات ، وهو يتطلّع إليه فى غضب هادر ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً :

- يبدو أنك ما زلت تجهل أساليبنا أيها الأسير .. إننا سنحافظ على حياتك بالطبع ، ما دمنا نتصوَّر أن لها بعض الأهمية ، بالنسبة لنا ، وهذا لن يمنعنا من انتزاع أظفارك ، ووضع قدميك فى الماء المغلى ، أو حتى بتر أطرافك ، لو اقتضى الأمر ، وفى هذه الحالة ، إما أن نحصل على ما لديك ، وهذا ما يحدث دائمًا ، أو تثبت لنا أنك طراز مختلف من البشر ، يمكن أن يحتمل عذاب الدنيا كله ، أو يضحى بحياته نفسها ، حتى لا يشى برفاقه ، أو يكشف سره ، إذ إننا فى النهاية ، وبعد أن نيئس من الحصول على أية معلومات منك ، سنضطر حتمًا إلى قتلك ، دون شفقة أو رحمة .

وانعقد حاجباه أكثر ، وهو يضيف :

- وبالنسبة لك بالذات ، أعدك أن أشعل فيك النار حيًّا ، لأستمتع بصراخك وتوسلاتك .

بدا الوجوم على وجه (أكرم) ، وكأنما هزَّته كلمات (كارل) ، وخفض عينيه بضع لحظات ، وكل ملامحه تشفّ عن التفكير العميق ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه إليه ، وهمس :

- إننى أحمل إليك مفاجأة .

لم يحسن (كارل) سماع الهمسة ، فمال نحوه أكثر ، قائلاً :

- تحمل ماذا ؟

انطلقت قبضة (أكرم) من خلف ظهره بسرعة البرق ، لتهوى على فك (كارل) كالقنبلة ، وهو يهتف :

- مفاجأة أيها الوغد .

كانت الضربة من القوة ، حتى إنها ألقت (كارل) ، لثلاثة أمتار إلى الخلف ، فارتطم باثنين من رجاله ، وسقط ثلاثتهم أرضًا فى عنف ..

وقبل أن يتجاوز الجندى الثالث ذهوله ، كان (أكرم) ينقضَ عليه ، ويركله فى معدته ركلة عنيفة ، ثم يهوى على مؤخرة عنقه بلكمة ساحقة ، هاتفًا :

- ابتعد أيها الوغد .

قفز (كارل) واقفًا على قدميه فى سرعة ، وهو يهتف :

- لست أدرى كيف تخلّصت من قيودك ، ولكن ...

ركله (أكرم) فى صدره ركلة قوية ، أسقطته مرة أخرى فوق الرجلين ، وهتف :

- لا يوجد لكن أيها الحقير ..

كان يرغب فى اختطاف أحد المدافع الآلية ، ولكن الجنديين صوّباها إليه فى سرعة مدهشة ، فى حين هبّ (كارل) مرة أخرى ، صائحًا :

- اقتلاه ، لو اقتضى الأمر .

كان (كارل ماتهايم) ، كضابط فى (الجستابو) ، يجيد كل وسائل القتال ، المعروفة فى ذلك العصر ، إجادة تامة ..

ولكن ، حتى الوسائل القتالية تتطوّر ، مع مرور الزمن ..

لذا فقد انقضّ (كارل) على (أكرم) انقضاضة عنيفة قوية ، إلا أن هذا الأخير انحنى فى خفة ، على الرغم من إصاباته وآلامه ، ولكم (كارل) فى معدته بأقصى قوته ، ثم التقط كتفيه ، وأدارهما فى الهواء فى سرعة وقوة ، فوجد (كارل) نفسه يطير ، ليرتطم برجليه فى عنف ..

وفى هذه المرة ، اندفع (أكرم) نحو باب الحجرة ، والدماء تغرق قميصه من الخلف ، وتسيل من مواضع أظفاره المنزوعة ، و ...

وفجأة ، انفتح البـاب ، قبـل أن يبلغـه (أكـرم) بلحظة واحدة ..

وتجمَّد (أكرم) وهو يحدِّق في وجه ذلك القادم .. (هولدشتاين) ..

الجنرال (فريدريش هولدشتاين) نفسه ..

وفي سرعة مذهلة ، وقبل أن يستوعب (أكرم) المفاجأة ، انطلقت قبضة الجنرال في وجهه ..

انطلقت كالقنبلة ..

بل كألف قنبلة ..

لقد شعر بها (أكرم) تنفجر في وجهه ، وتنتزعه من الأرض ، لتلقي به عبر الحجرة بقوة مذهلـة ، حتى ارتطم بالجدار في عنف ..

وفي هذه المرة أيضًا ، لم يستطع (أكرم) كتمـان صرخته ..

لقد تمزَّقت خيوط جرحه عن آخرها ، وتفجَّرت منه الدماء في عنـف ، قبل حتى أن يسقط أرضًا ، فـاقد الوعي ..

وفي صرامة مخيفة ، دلف الجنرال إلى الحجرة ، وتطلَّع إلى (كارل) ورجاله الثلاثة ..

وفجأة ، انفتح الباب ، قبل أن يبلغه (أكرم) بلحظة واحدة ..

ولأوَّل مرة فى حياته ، شعر (كارل) بقلبه يسقط بين قدميه ، وهو يقول بصوت مختنق مبحوح :

- سيِّدى الجنرال .. إننى ..

قاطعه (هولدشتاين) فى لهجة ، تجمَّدت لها الدماء فى عروقه :

- اصمت .

ثم أدار عينيه إلى (أكرم) ، مستطردًا :

- يبدو أننى مضطر لإدارة الأمور كلها بنفسى .

حاول (كارل) أن يقول شيئًا ؛ لتبرير موقفه ، ولكن (هولدشتاين) تابع بنفس اللهجة الصارمة المخيفة :

- أتعشَّم ألا تكون قد نسيت الجبهة السوفيتية يا (كارل) ؟!

مرة أخرى ، هوى قلب (كارل) بين قدميه ، وهو يهتف :

- سيِّدى الجنرال .. أرجوك .

قاطعه (هولدشتاين) مرة أخرى فى غضب :

- اصمت .. غير مسموح لك بالتحدُّث الآن .

احتقن وجه (كارل) فى شدة ، ولكن الجنرال تابع فى سرعة :

- ولكن اطمئن .. لن أعيدك إلى الجبهة السوفيتية .. ليس فى هذه الأيام على الأقل .

ثم عاد يتطلَّع إلى (أكرم) الفاقد الوعى بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

- أراهن على أنكم لم تنتزعوا منه شيئًا ، بخلاف أظفاره بالطبع .

تمتم (كارل) فى حذر :

- الرجل صلب للغاية يا سيِّدى الجنرال ، و ...

قاطعه (هولدشتاين) ، وكأنما لا يعنيه سماع أية تبريرات :

- استدع (فون دارك) لمقابلتى على الفور .

تراجع (كارل) فى دهشة ، ثم تمالك نفسه فى سرعة ، وسأل :

- فى مكتبك يا جنرال ؟!

صمت (هولدشتاين) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

- بل هنا يا (كارل) .. هنا .

قالها ، وعيناه تبرقان على نحو عجيب ، يوحى بأن رأسه يحمل خطة جديدة ..

خطة عبقرية ..

معقّدة ..

مخيفة ..

خطة لا يمكن أن تنبع إلا من عقل كعقله ..

عقل شيطان ..

* * *

تطلّعت (برجيت) فى حيرة وانبهار ، إلى (طارق) ، الذى انهمك فى توصيل جهاز اللاسلكى القديم ، الذى أحضره (جولفيه) ، بعدد من الأسلاك والصمامات ، الثنائية والثلاثية ، وغمغمت :

- ما الذى يفعله بالضبط ؟!

أجابها (نور) ، وهو يرتدى زى السائق الألمانى :

- الجهاز الذى يصنعه ، سيمنع (كارل) من الاتصال بـ (هولدشتاين) ، سواء عن طريق الهاتف ، أو أجهزة اللاسلكى .

حدّقت فى الجهاز بضع لحظات فى دهشة ، قبل أن تقول :

- وكيف هذا ؟!

أجابها فى هدوء :

- عندما نضعه على سطح المبنى المقابل

للمستشفى ، ستصدر عنه ذبذبات فوق صوتية ، غير مسموعة ، تفسد كل الاتصالات فى المنطقة كلها ، لبعض الوقت .

هتفت مبهورة :

- وكيف يمكن هذا ؟!

ابتسم ، قائلاً :

- إنها بعض تقنيات المستقبل يا (برجيت) .

أومأت برأسها متفهّمة ، ثم تطلّعت إلى (طارق) فى إعجاب وانبهار شديدين ، وهى تقول فى حماس :

- أراهن على أنه أفضل من يفعل هذا فى عصركم .

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يغمغم :

- بالتأكيد .

وصل (آلان) فى تلك اللحظة ، قائلاً :

- السيارة بالخارج .. إننا نخفيها فى شارع جانبى مجاور .

التفت إليه (نور) ، يسأله :

- وماذا عن التصريح ؟!

أخرج من جيبه ورقة مطوية ، قائلاً :

- ها هو ذا .

التقطه (نور) ، وتطلّع إليه فى اهتمام شديد ، قبل أن يبتسم ، قائلاً :

ـ إنه يبدو حقيقيًا للغاية .

ثم سأل فى اهتمام :

ـ من أين حصلتم على توقيع (هولدشتاين) ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ من أى أمر إعدام قديم .

ثم تحرّك عامدًا ، ليقف بين (طارق) و(برجيت) ، وهو يتابع فى عصبية :

ـ متى ستبدءون خطتكم ؟!

أجابه (نور) :

ـ عندما نتأكد من وجود (هولدشتاين) فى مكتبه .

انعقد حاجبا (آلان) ، وهو يقول :

ـ ما خطتكم بالضبط ؟!

أجابه فى اهتمام ، وهو يلتفت إليه :

ـ إنها خطة بسيطة ودقيقة ، فى الوقت ذاته .. ففى اللحظة المناسبة ، وعندما يستقرّ (هولدشتاين) فى مكتبه ، سنضع جهاز الشوشرة على سطح المبنى المقابل للمستشفى ، ثم يذهب شخص ما لمقابلة (هولدشتاين) ، مدعيًا بأن لديه معلومات مهمة ،

بشأن جسم مجهول ، رآه يطير فى الريف الباريسى .. وسيجذب هذا الادعاء اهتمام (هولدشتاين) بشدة ، وأنا واثق من أنه سيلاقى الرجل بنفسه ، وكل ما على هذا الرجل هو أن يبذل قصارى جهده ، ليقضى ربع الساعة فحسب ، فى مكتب (هولدشتاين) ، ففى هذه الأثناء ، سنصل (طارق) وأنا إلى المستشفى ، داخل سيارة (الجستابو) ، وسيصعد (طارق) إلى حجرة (أكرم) ، فى زى ضابط ألمانى ، ويسلّم (كارل) التصريح الخاص بتسليم (أكرم) على وجه السرعة ، لحدوث متغيرات بالغة الأهمية ، مع أمر مشدّد ببقاء (كارل) فى المستشفى مع رجاله ، حتى تبلغه أوامر جديدة .. وبالطبع ، سيشكّ (كارل) فى الأمر ، وسيرغب فى التأكد منه ، وهنا سيقترح عليه (طارق) الاتصال بالجنرال مباشرة ، وبأقصى سرعة ممكنة ، حيث إن الأمر لا يحتمل التأخير .. وسيعجز (كارل) عن إتمام الاتصال ، بسبب وجود جهاز الشوشرة ، على سطح المبنى المقابل ، ولكن لا يكون أمامه ، والحال هكذا ، سوى تسليم (أكرم) للضابط القادم ، طبقًا لما يقوله التصريح ، الذى يحمل توقيعًا ، يشبه إلى حد الإتقان توقيع (هولدشتاين) نفسه .

صمت (آلان) لحظة ، ثم قال فى غلظة :

- هل تعتقد أن الأمور ستسير بهذه البساطة ؟!

قال (نور) فى حزم :

- لو أننا حصلنا على اثنين من المتطوعين فحسب ، فسيسير كل شىء على ما يرام .

قال (آلان) فى صرامة :

- اثنان من المتطوعين ؟! ألم نتفق على أننا لن ...

قاطعه (طارق) ، قائلاً :

- لسنا نطلب من يقاتل يا رجل .. فقط نريد شخصًا لتشغيل جهاز الشوشرة فى الوقت المناسب ، بعد نقله إلى سطح المبنى المقابل ، وآخر لمقابلة (هولدشتاين) ، وإضاعة وقته ، خلال ربع الساعة المطلوبة ..

انعقد حاجبا (آلان) فى شدة ، وهو يقول :

- كلاً .. لن تحصلا على ...

قاطعته (برجيت) هذه المرة فى حدة :

- ماذا دهاك يا (آلان) ؟! لماذا تتصرَّف بهذا التعنت ؟! أهى الغيرة أم ماذا ؟!

تراجع كالمصعوق ، وهو يهتف :

- الغيرة ؟!

تابعت فى غضب :

- لقد بلغنى أنك أنت الشخص ، الذى أقنع الرجال بعدم التعاون مع (نور) و (طارق) ، وهأنتذا تتعامل بأسلوب قاس فظ ، مع رجلين يبذلان قصارى جهدهما ، ليس لإنقاذ رفيقهما فحسب ، ولكن لحماية مستقبلنا أيضًا ، من عدو شيطانى ، لا أحد يدرى ما الذى يمكن أن يفعله بتاريخنا .

هتف فى حدة :

- هل صدَّقت قصتهما هذه ؟!

أجابته غاضبة :

- نعم يا (آلان) .. كلانا صدَّق هذه القصة فيما مضى .. أليس كذلك ؟!

صمت لحظة ، ثم أشاح بوجهه ، قائلاً فى صرامة :

- فليكن يا (برجيت) .. قولى ما يحلو لك ، ولكننى لن أجازف بحياتى من أجلهما ، أو من أجل رفيقهما .

قالت فى حدة :

- فليكن .. هذا حقك .

ثم شدَّت قامتها ، مستطردة فى صرامة :

- أما أنا فسأفعل .

التفت إليها الجميع فى دهشة ، وهتف (آلان) مستنكرًا :

ـ تفعلين ماذا يا (برجيت) ؟!

أجابته فى حزم :

ـ سأذهب لمقابلة (هولدشتاين) ، وأحاول احتجازه فى مكتبه ، طوال الفترة المطلوبة .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، ومال (آلان) برأسه إلى الأمام ، فى حين التفت إليها (طارق) فى حدة ، هاتفًا :

ـ لا .. إلا أنت .

ارتجفت شفتاها ، وتراقصت فوقهما ابتسامة مبتهجة ، قفزت إلى عينيها وصوتها ، وهى تكرر فى لهفة :

ـ إلا أنا ؟! ولماذا أنا بالذات ؟!

لم يمنحه (آلان) الفرصة لإجابتها ، وهو يهتف بها :

ـ هل جننت يا (برجيت) ؟! لن نسمح لك أبدًا بالقيام بتلك المخاطرة .

هتفت فى صرامة غاضبة :

ـ هذا شأنى يا (آلان) .. أنتم لا تصدقون قصتهما ، ولكننى أصدقها ، وأومن بها ، وأدرك جيدًا أن هدفنا وهدفهما مشتركان ؛ لذا فسأجازف بحياتى نفسها ، لو اقتضى الأمر ، فى سبيل معاونتهما ، حتى ولو اضطررت لنقل جهاز الشوشرة ، وتشغيله ، ثم الذهاب لمقابلة (هولدشتاين) ، فى نفس الوقت .

اندفع أحد الرجال ، يقول فى حماس :

ـ سأتولى أنا عملية نقل الجهاز وتشغيله يا زعيمتى .

قالت فى حماس مماثل :

ـ عظيم .. وأنا سأذهب إلى ...

قاطعها (طارق) فى صرامة :

ـ لن أسمح لك بهذا .

استدارت إليه بكيانها كله ، وهى تقول :

ـ اسمع يا (طارق) .. لا تتعامل معى أبدًا باعتبارى امرأة فحسب .. إننى زعيمة المقاومة الفرنسية أيضًا ، وهذا يحملنى مسئوليات جمة ، فعلىَّ أن أكون دومًا مثلاً أعلى لرجالى ، ثم إننى واجهت فى الماضى عشرات المواقف المماثلة ، و ...

قاطعها (آلان) هذه المرة :

ـ كلا .. يا (برجيت) .

استدارت إليه فى حدة ، فتابع فى سرعة وحزم :

ـ أنا سأذهب إلى (هولدشتاين) .

بدت عليهم الدهشة ، وهو يضيف فى صرامة :

ـ وهذا الأمر غير قابل للمناقشة .. أبدًا .

وفى هذه المرة ، لم يضف أحدهم حرفًا .. واحدًا ..

* * *

« هايل (هتلر) .. »

أطلق (فون دارك) ، قائد الشرطة العسكرية تحيته فى قوة ، داخل حجرة مدير المستشفى ، التى يحتلّها (هولدشتاين) ، فاستدار إليه هذا الأخير فى صرامة ، قائلاً :

ـ لقد وصلت فى الوقت المناسب يا (فون دارك) .

خفض الرجل ذراعه فى ضيق ، لأن (هولدشتاين) لم يجب تحيته ، وقال :

ـ لقد وصلت بأسرع ما أمكننى يا جنرال .

وقف (هولدشتاين) يتأمّله بعض الوقت ، قبل أن يسأله :

ـ هل استعدّ رجالك يا (فون دارك) ؟!

أجابه الرجل :

ـ إنهم على أهبة الاستعداد يا سيّدى الجنرال ، ولكننا مازلنا نجهل كيف يمكننا العثور على رجال المقاومة داخل الأنفاق ؟!

صمت (هولدشتاين) لحظة أخرى ، ثم أخرج خريطة شبكة الأنفاق من جيبه ، وناوله إياها ، قائلا :

ـ ها هو ذا السبيل .

فردَ (فون دارك) الخريطة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إليها فى دهشة ، فى حين تابع (هولدشتاين) فى صرامة :

ـ ستجد أمامك خريطة كاملة لشبكة أنفاق المترو ، التى تمتدّ تحت (باريس) كلها ، وفوقها ستجد علامة تشير إلى موقع وكر رجال المقاومة الفرنسية .. وكما ستلاحظ ، فهو عبارة عن قاعة سفلية ، تقع تحت قوس النصر تقريبًا ، وكل الـ ...

قاطعه الرجل فى دهشة بالغة :

ـ من أين أتيت بهذه الخريطة يا جنرال ؟!

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يقول فى غضب :

- هل تقاطعنى من أجل سؤال كهذا يا رجل ؟! أنت تعلم أن لنا وسائلنا الخاصة ، للحصول على المعلومات .

ارتجف (فون دارك) ، وهو يقول :

- لست أقصد المعلومات يا سيِّدى الجنرال .. كنت أقصد الخريطة نفسها ، فأنا لم أشاهد قط ورقًا نقيًا كهذا ، ولا طباعة متقنة إلى هذا الحد .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يحدِّق فى الخريطة ، التى يمسك بها (فون دارك) ، وكاد يطلق سبابًا ساخطًا ، عندما انتبه ، لأوَّل مرة ، إلى أنه قد منحه نسخة الخريطة ، التى أخرجها الكمبيوتر ، عبر طابعة الليزر ، ولكنه تماسك فى صرامة ، وهو يقول :

- إنها إحدى الاختراعات الألمانية العظيمة يا رجل ، والتى نحتفظ بها سرًا ، حتى لا يتوصَّل إليها العدو .

ثم التقط الخريطة من يده ، مستطردًا :

- لذا فستقوم بنقلها الآن ، ولن تحتفظ بالأصل .

تمتم الرجل فى توتر :

- بالطبع يا جنرال .. بالطبع .

قال (هولدشتاين) ، وهو يتطلَّع إليه فى صرامة ، ويعقد كفيه خلف ظهره :

- المهم أنك ستستعد مع رجالك لمهاجمة وكر المقاومة ، من ثلاثة اتجاهات ، بحيث تحاصرونهم داخل الأنفاق ، و ...

والتقى حاجباه ، متابعًا فى حزم :

- وتبيدونهم عن آخرهم .

ارتفع حاجبا (فون دارك) ، وهو يقول فى دهشة :

- عن آخرهم يا جنرال ؟! ألن نستبقى واحدًا أو اثنين لـ ...

قاطعه (هولدشتاين) فى صرامة :

- عن آخرهم يا (فون دارك) .

ثم استدار يصبّ لنفسه كأسًا من الخمر ، رفعها عاليًا ، وهو يضيف :

- إننا بهذا نكتب أولى صفحات التاريخ الجديد يا (فون دارك) .. تاريخى الجديد .

قالها وجرع الكأس كلها ..

دفعة واحدة .

★ ★ ★

٩ - المفاجـــأة ..

أشارت عقارب الساعة إلى العاشرة والربع صباحًا ، عندما دلف الدكتور (ناظم) إلى مقر الفريق ، وقال فى توتر ملحوظ ، يشفّ عن الإحباط وخيبة الأمل :

- صباح الخير يا سادة .. كيف حالكم اليوم ؟!

أجابه (رمزى) :

- فى خير حال يا دكتور (ناظم) .. إننا نواصل فحص سجلات المقاتلة .

اتخذ الرجل مجلسًا ، بالقرب من الباب ، وهو يسأل (نشوى) :

- كيف حال (محمود) الصغير ؟!

أجابته فى خفوت ، وهى تتطلّع إليه فى قلق :

- لقد ذهبت لرؤيته هذا الصباح ، عند شقيقة (رمزى) .. إنه بخير ، ويسعده اللهو مع صغارها ، ولكن من المؤكد أنه يفتقدنى ويفتقد والده بشدة .

غمغم :

- هذا أمر طبيعى .

سألته (سلوى) ، التى لم تستطع كتمان تساؤلاتها طويلاً :

- ماذا حدث بالضبط يا دكتور (ناظم) ؟

تنهّد الرجل فى حرارة ، مجيبًا :

- لا شىء .

ثم اكتسب صوته حدة مباغتة ، وهو يتابع :

- لا شىء على الإطلاق ، وهذا ما يحنقنى .. لقد فحصنا كل ملفات المشتبه فيهم ، الذين تنطبق عليهم كل استنتاجاتكم ، ولكن جميعهم بدوا أبرياء تمامًا ، ولم نعثر على رجل الزمن الثانى بينهم قط .

بدت الدهشة على وجه (رمزى) وهو يقول :

- ماذا ؟! لا يمكننى أن أخطئ تقدير الموقف إلى هذا الحد .

قال الدكتور (ناظم) :

- نحن واثقون من هذا يا (رمزى) ، ولكننا لم نعثر على ذلك الشخص قط .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، وقالت (نشوى) :

- ولكننى راجعت حساباتى أكثر من خمس مرات ، ولا يوجد احتمال واحد للخطأ فيها .

وقال (رمزى) فى حدة :
ـ أنا أيضًا واثق من استنتاجاتى تمامًا .
وهزَّت (سلوى) رأسها ، قائلة :
ـ ربما لو أعدنا دراسة الموقف ، فقد ...
قاطعها الدكتور (ناظم) :
ـ لا يا (سلوى) .. أنا واثق من أن استنتاجاتكم كلها سليمة ، و ...
صمت لحظة ، قبل أن يتابع فى عصبية :
ـ ولدينا دليل على هذا .
قالت (نشوى) فى لهفة :
ـ دليل ؟! حقًا ؟!
أومأ برأسه إيجابًا ، فقال (رمزى) فى قلق :
ـ أى دليل هذا ؟!
تردَّد الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :
ـ أمس ، حدث اختراق للكمبيوتر الرئيسى ، فى إدارة البحث العلمى .
هتفت (سلوى) :
ـ يا إلهى !

وقالت (نشوى) فى دهشة :
ـ ولكن شفرة الكمبيوتر الرئيسى شديدة التعقيد ، وهى مجهَّزة بحيث يمكنها رصد أية محاولة لاختراقه ، وتحديد المعتدى وموقعه على الفور .
هزَّ رأسه ، قائلاً :
ـ لقد تجاوز المعتدى كل هذا ، كما لو أنه يحفظ شفرة الدخول عن ظهر قلب ، وأوقف فاعلية جهاز الأمن ، بحيث لم يمكنه رصد موقعه ، أو تحديد هويته ، وهو يتوغَّل ويتوغَّل فى الكمبيوتر الرئيسى ، حتى إنه قضى داخله أكثر من سبع دقائق كاملة ، قبل أن نكشف وجوده ، ونبدأ فى تشغيل نظام الأمن البديل ، ولم نكد نفعل ، حتى انسحب على الفور ، قبل أن نتمكَّن من كشفه .
سأله (رمزى) فى اهتمام :
ـ وأى موقع اخترق يا دكتور (ناظم) ؟
ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، قبل أن يجيب :
ـ موقع الأسرار الخاصة .
هتفت (نشوى) :
ـ يا إلهى ! هذا مستحيل !

وسألته (سلوى) :

ـ هل انتخب أمرًا بذاته ؟!

أجابها الدكتور (ناظم) على الفور :

ـ نعم يا (سلوى) ، وهذا ما جعلنا نعتبر هذا الاختراق دليلاً ، على وجود فارس الزمن الثانى .

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا فى حزم :

ـ لقد اخترق الموقع الخاص بعملية (طارق) ، وخطة بدء تصنيع آلة الزمن المصرية .

اتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !

وأسرعت (سلوى) تقول :

ـ هذا يعنى أنه يعلم أن سجلات المقاتلة كلها لدينا .

قالت (نشوى) :

ـ بل الأكثر خطورة أنه يعلم أننا بصدد دراسة إنتاج مقاتلة زمنية .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه مرة أخرى ، وقال :

ـ لقد اتخذنا الاحتياطات اللازمة ، لمنع حدوث هذا الاختراق مرة أخرى ، فقد أبدلنا شفرة الدخول ، وأضفنا دائرة أمنية ثالثة ، وجهاز تتبُّع أكثر سرعة .

قال (رمزى) فى صرامة :

ـ ولكنه علم بالأمر بالفعل يا دكتور (ناظم) .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ للأسف .

اعتدل (رمزى) فى مقعده ، وقال :

ـ على العكس يا دكتور (ناظم) .. هذا قد يفيدنا إلى حد كبير .

سأله الدكتور (ناظم) فى حيرة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه فى حماس :

ـ أعنى أن الرجل يعلم الآن أننا بصدد صنع آلة زمن أخرى ، وهذا سيستفزه كثيرًا ، وربما يدفعه إلى القيام ببعض التصرفات ، التى قد تكشف أمره .

سألته (سلوى) :

ـ أية تصرفات ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ محاولة منعنا من صنع آلة الزمن هذه .

تبادل الجميع نظرة دهشة ، ثم هتفت (نشوى) :

ـ إذن فأنت تعتقد أنه لن يسمح لنا بهذا .

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

- بالتأكيد .. فلو صحَّ استنتاجى ، فإن (طارق) وزميله لم يصلا إلى عصرنا هذا بمحض الصدفة .

بهتت (سلوى) لجوابه ، وانعقد حاجبا (نشوى) فى شدة ، فى حين هتف الدكتور (ناظم) فى انفعال :

- كنت واثقًا من هذا منذ البداية .

هتفت (نشوى) :

- ولكن لماذا ؟! لماذا جاءا إلى عصرنا عمدًا ؟!

أشار (رمزى) بسبَّابته مرة أخرى ، وهو يقول :

- أعتقد أن هذا جزء من الحرب .

سأله الدكتور (ناظم) مبهوتًا :

- أية حرب ؟!

أجاب (رمزى) فى صرامة :

- حرب السيطرة يا دكتور (ناظم) .. السيطرة على مجرى الزمن .

★ ★ ★

« لقد غادر المستشفى .. »

لهث (جولفيه) فى انفعال ، وهو يهتف بالعبارة ، مع اندفاعه داخل قاعة نفق المترو ، التى تضمَّ رجال المقاومة ، فسأله (نور) فى لهفة :

- أأنت واثق ؟!

أجابه (جولفيه) فى حماس :

- لقد رأيته بنفسى ، وهو يغادر المستشفى ، بصحبة (فون دارك) ، قائد الشرطة العسكرية .. ولقد أدَّى له (فون دارك) التحية العسكرية ، قبل أن يستقل كل منهما سيارته ، ويغادرا المكان .

قال (طارق) :

- عظيم .. كل شىء يسير وفقًا للخطة .

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، وقال :

- سنبدأ تحركاتنا الآن ، فلنضبط ساعاتنا على السابعة وست عشرة دقيقة بالضبط .. سنبدأ التنفيذ فى تمام السابعة والنصف ، عندما يكون (هولدشتاين) قد بلغ مكتبه ، واستقرَّ فيه .. (شيفاليه) سينقل جهاز الشوشرة الآن ، إلى سطح المبنى المقابل للمستشفى ، و (آلان) سيذهب على الفور إلى مكتب (هولدشتاين) ، أما (طارق) وأنا ، فسنتحرَّك فى السابعة واثنتى عشرة دقيقة ، وسندور بالسيارة حول المنطقة ، ثم نتوقَّف أمام المستشفى ، فى السابعة والنصف تمامًا ، وفى نفس اللحظة ، سيبدأ (شيفاليه) فى تشغيل جهاز الشوشرة ، ويطلب (آلان) مقابلة (هولدشتاين) .

أومأ الجميع برءوسهم متفهمين ، فتابع فى حزم :

- التوقيت أيها السادة .. أهم شىء هو التحرُّك فى التوقيت الصحيح .

غمغم (آلان) فى صرامة :

- لا تقلق .

قالها ، وغادر المكان على الفور ، ليصل إلى مكتب (هولدشتاين) فى الوقت المناسب ، فى حين حمل (شيفاليه) جهاز الشوشرة ، وقال :

- إلى اللقاء فى السابعة والنصف تمامًا أيها السادة .

عدَّل (طارق) زيه ، والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- أتعشَّم أن نحسن القيام بدورنا مثلهم .

ابتسمت (برجيت) فى حنان ، وتحسَّست شعره بأصابعها ، مغمغمة :

- ستنجح .. أنا واثقة من أنك ستفعل .

سرت فى جسده ارتجافة قوية ، خفق معها قلبه فى عنف ، فالتفت يتطلَّع إلى عينيها الزرقاوين ، ويغوص فيهما ، و ...

« الأفضل أن نذهب الآن .. »

قطع (نور) مشاعره ، بهذه العبارة الصارمة ، فاعتدل فى حزم ، وقال :

- بالتأكيد .. هيَّا بنا .

وأشاح بوجهه عنها ، فى محاولة لإخفاء مشاعره ، وهو يسير إلى جوار (نور) ، عبر أنفاق المترو ، فهتفت به (برجيت) :

- (طارق) ..

تجمَّد فى مكانه لحظة ، ثم التفت إليها فى بطء ، فألقت إليه قبلة فى الهواء ، قائلة :

- سأنتظرك .

خفق قلبه مرة أخرى ، ولم يستطع النطق بحرف واحد ، فلوَّح بأنامله ، ثم عاد ينطلق مع (نور) وسط الأنفاق .

ولثوان ، لم يتبادل أحدهما كلمة واحدة مع الآخر ، ثم قال (نور) فى هدوء :

- تحبَّها .. أليس كذلك ؟!

لم يجب (طارق) ، فتابع (نور) :

- أخشى أن هذا قد يسبِّب لنا بعض المشكلات هنا ، خاصة وأن (آلان) أيضًا غارق فى حبها .

تمتم (طارق) :
ـ ليس هذا بيدى .
ران عليهما الصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يغمغم (نور) :
ـ أعلم هذا .
تنهَّد (طارق) ، قائلاً :
ـ هل تعلم أنها أوَّل مرة ، يحدث لى فيها هذا ؟!
صمت (نور) بعض الوقت ، حتى لم يعد يُسمع سوى وقع أقدامهما ، عبر الممر الأخير ، وهو يقول :
ـ هذا يترك أثرًا قويًا بالتأكيد ، ولكن يبدو أنه قد حدث فى وقت غير مناسب .
ابتسم (طارق) فى مرارة ، وهو يقول :
ـ تقصد فى زمن غير مناسب .
أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، دون أن يقول شيئًا ، فهزَّ (طارق) رأسه فى قوة ، قائلاً :
ـ سأقاوم هذا الشعور .. أعدك بهذا .
صمت (نور) طويلاً هذه المرة ، قبل أن يقول :
ـ أتعشَّم هذا .
بلغا أحد مخارج النفق هذه المرة ، فشدَّ (طارق)

قامته ، وعقد كفيه خلف ظهره ، شأن أى ضابط من ضباط (الجستابو) ، واتجه مع (نور) إلى السيارة ، التى تنتظرهما فى أحد الشوارع الجانبية ، إلى جوار المخرج ، واتخذ (نور) مقعد السائق ، فى حين جلس (طارق) فى المقعد الخلفى ، وغمغم ، عندما انطلق (نور) بالسيارة :
ـ السابعة وست وعشرون دقيقة .
قال (نور) :
ـ سندور حول المبنى ، ثم نتوقَّف أمام المستشفى ، فى السابعة والنصف بالضبط بإذن الله .
لم يتبادلا كلمة إضافية ، طوال دقيقة كاملة ، قبل أن يقول (طارق) :
ـ تُرى كيف حال (أكرم) الآن .
أجابه (نور) فى مرارة :
ـ لا ريب فى أن المسكين قد عانى الكثير ، مع جزَّار مثل (كارل مانهايم) .
هزَّ (طارق) رأسه ، قائلاً :
ـ المهم أن يظلَّ على قيد الحياة .
غمغم (نور) :

لم يتبادلا كلمة إضافية ، طوال دقيقة كاملة ، قبل أن يقول (طارق) :
ـ تُرى كيف حال (أكرم) الآن ؟! ..

ـ أعتقد أنهم سيحافظون على حياته ، ولكن جسده سيكون مثخناً بالجراح ، ويمتلئ بالكدمات والسحجات .

قال (طارق) فى حزم :

ـ هذا لا يهم .

عقد (نور) حاجبيه ، قائلاً فى حدة :

ـ من وجهة نظر من لم يتعرَّض للتعذيب فحسب .

مال (طارق) نحوه ، وفرد كفه أمامه ، قائلاً :

ـ هل ترى هذه ؟!

تطلَّع (نور) إلى الرصاصة ، المستقرة فى راحة (طارق) ، وقال :

ـ إنها رصاصة .

تراجع (طارق) ، قائلاً :

ـ ليست أية رصاصة .. إنها الرصاصة التى أصابتنى فى فخذى .. هل تراها ؟! لقد لفظها جسمى بنفسه ، وجعل الجرح يلتئم بسرعة ، بسبب ذلك المصل ، الذى يسرى فى دمى .

سأله (نور) ، وهو يدور حول المبنى :

ـ إلى ماذا تشير ؟!

أجابه على الفور :

- إلى أننى أستطيع نقل بعض دمائى إلى (أكرم) ، وسيعمل المصل على مداواة جروحه ، بسرعة لن يمكنك تصورَها .

تنهَّد (نور) :

- بل يمكننى تصورَها ، فقد اختبرت هذا بنفسى(*) .

قالها ، وهو يتجه نحو المستشفى ، ويتوقَّف أمامها ، ثم يضيف فى حزم :

- السابعة والنصف بالضبط .

التقط (طارق) نفسًا عميقًا ، وقال :

- فلنبدأ على بركة اللَّه .

فى نفس اللحظة ، التى غادر فيها السيارة ، كانت (برجيت) تلقى نظرة على ساعتها بدورها ، قائلة فى انفعال :

- سيبدأ كل شىء الآن .

كان الانفعال يعصف بنفسها ، وهى تتحرَّك فى القاعة ، فى توتر شديد ، وعقلها كله يفكر فى شخص واحد ..

(طارق) ..

(*) راجع قصة (فارس الزمن) .. المغامرة رقم (١١٧) .

لم تدر ما الذى جذبها إليه بالتحديد ، إلا أنها تدرك جيِّدًا أنها قد وقعت فى حبه ، دون سابق إنذار ..

لقد أمرت (جولفيه) بقتله ، وكانت تعنى هذا بالفعل ، وتصرَّفت معه ومع (نور) بعدوانية شديدة ..

ثم فجأة ، وجدت نفسها غارقة فى حبه حتى النخاع .

شىء ما فى طبيعته ، وأسلوبه ، وحديثه ، جعل قلبها يخفق من أجله ، وجعلها تتمنَّى لو تلقى نفسها بين ذراعيه ، و ...

« خيانة .. »

اخترقت الصيحة أذنيها ، وانتزعتها من لحظاتها الرومانسية فى عنف ، فانتفض جسدها فى قوة ، واستدارت إلى (جولفيه) ، الذى اقتحم المكان ، هاتفًا :

- الألمان هنا .

قفز الجميع من أماكنهم ، فى توتر بالغ ، وهتفت (برجيت) :

- هنا ؟! ماذا تعنى بأنهم هنا ؟!

- صاح فى انفعال شديد :

- لقد اقتحموا شبكة الأنفاق ، من ثلاثة مواضع مختلفة .. إنهم يعلمون أننا هنا ، ويطبقون علينا من كل الاتجاهات .

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهتفت :

- ولكن هذا مستحيل !

صاح (جولفيه) :

- لم يعد مستحيلاً أيتها الزعيمة .. إنهم لا يبحثون عنا ، ولكنهم يتحرّكون على نحو ، يوحى بأنهم يعرفون جيدًا أين نحن ... إنهم يتجهون إلى هنا مباشرة .

ظلت عيناها على اتساعهما ، وهى تختطف مدفعها الآلى ، هاتفة :

- ولكن كيف ؟! كيف عرفوا موقعنا ؟!

- عضّ شفتيه فى غضب ، قائلاً :

- الغريبان .. لقد خاننا الغريبان .

هوى قلبها بين قدميها ، فى نفس اللحظة ، التى دوت فيها الرصاصات ، عبر شبكة أنفاق المترو ..

لقد أطبق الألمان على رجال المقاومة الفرنسية من كل صوب ..

وهذا يعنى أنه لم يعد هناك أدنى أمل فى النجاة ..

بل ويعنى ما هو أكثر خطورة ..

يعنى أن الأمور لم تعد تسير كما كانت ..

وأن التاريخ قد بدأ مرحلة التغيير .

إلى الأسوأ ..

★ ★ ★

شعر (نور) بتوتر شديد ، وهو يجلس داخل سيارة (الجستابو) ، فى انتظار عودة (طارق) ..

كان يعلم أن المهمة بالغة الخطورة ، ويحنقه كثيرًا أن يجلس ساكنًا فى السيارة ، إلا أنه كان يدرك أيضًا أن (كارل مانهايم) يحفظ وجهه جيدًا ، من مواجهتهما السابقة ، وأن رؤيته له الآن قد تفسد كل شىء ..

بلا استثناء ..

وفى قلق ، راح يدير عينيه فيما حوله ..

كان كل شىء يبدو هادئًا ، أكثر مما توقّع ، ولكن الجنود الألمان كانوا يتحركون على نحو لم يشعره بالارتياح ؛ فقد كانوا يتجهون فى هدوء إلى الأركان ، ويحتلون مواقع مرتبة بدقة ، كما لو أنهم يحاصرون المستشفى ..

صحيح أنهم لم يتحركوا بالعصبية المعهودة عنهم ، ولكن شيئًا ما فى تحركاتهم لم يرق له ..

لم يرق له قط ..

وفى نفس اللحظات ، التى كان يراقب فيها هذه

التحركات المريبة ، كان أحد العاملين بالمستشفى يقود (طارق) إلى حجرة (أكرم) ، ثم يطرق بابها فى حذر ، قائلاً :

- هر (كارل) .. هناك ضابط من زملائك ، يرغب فى ..

دفع (طارق) الباب ، قبل أن يكمل الرجل جملته ، ودلف إلى الحجرة ، قائلاً فى صرامة ، شأن ضباط (الجستابو) الكبار :

- الكولونيل (رالف إيلر) .

تطلَّع إليه (كارل) فى هدوء عجيب ، قبل أن يسأله :

- بِمَ يمكننى أن أخدمك يا كولونيل ؟!

ألقى (طارق) نظرة سريعة على الحجرة ، وكاد ينفجر غضبًا ، عندما وقع بصره على (أكرم) الفاقد الوعى ، والذى بدا فى حالة مزرية للغاية ، من شدة ما تعرَّض له من تعذيب ، إلا أنه تماسك فى قوة ، وهو يجيب :

- أتيت لأخذ هذا الأسير .

انعقد حاجبا (كارل) ، وهو يقول :

- تأخذ الأسير .. أخشى أن هذا يحتاج إلى ...

أخرج (طارق) التصريح المزوَّر من جيبه ، ووضعه أمام وجه (كارل) ، وهو يقاطعه ، قائلاً فى صرامة :

- لدى تصريح من الجنرال (هولدشتاين) بهذا .

التقط (كارل) التصريح ، وقرأه فى عناية ، ثم هزَّ رأسه ، وقال :

- إنه خط الجنرال وتوقيعه بالتأكيد ، ولكننى أتساءل : لماذا يرغب فى إخراج الأسير من هنا بهذه السرعة ؟! ما الذى يدعو إلى هذا ؟!

- أجابه (طارق) فى صرامة :

- ليس هذا من شأنك .

رفع (كارل) نظره إليه بحركة حادة ، فاستدرك فى سرعة :

- أو من شأنى .. إنها أوامر الجنرال ، ولا بد من تنفيذها على الفور .

راجع (كارل) التصريح مرة أخرى ، قبل أن يهزَّ رأسه ، قائلاً :

- لست أدرى فى الواقع ..

قاطعه (طارق) فى صرامة :

- أوامر الجنرال صريحة فى هذا الشأن .. لا بد وأن يتمَّ هذا بأقصى سرعة .. ثم مال نحوه ، مستطردًا بنفس الصرامة :

- لِمَ لا تتصل به بنفسك ، لتتأكَّد من صحة الأمـر ، قبل أن يمضى الوقت ، ويغضب الجنرال كثيرًا .

تراقصت ضحكة غريبة فى عينى (كـارل) ، وهو يقول :

- أتصل به ؟! ولماذا أفعل ؟!

ثم أشار إلى باب جانبى ، مستطردًا :

- يمكننى أن أسأله شخصيًا .

ومـع آخـر حـروف كلماتـه ، خـرج مـن ذلـك البـاب الجانبى آخر شخص فـى العـالم ، يتصوَّر (طـارق) رؤيته ، فى تلك اللحظة ..

(هولدشتاين) ..

الجنرال (فريد ريش هولدشتاين) ..

الشيطان ..

شخصيًا .

★ ★ ★

[انتهى الجزء الثانى بحمد اللَّه]

[ويليه الجزء الثالث بإذن اللَّه]

(زمن الـدم)

رقم الإيداع : ٣٢١٥

ألف عصر

- ترى أين ذهبت مقاتلة الزمن بـ (نور) و(أكرم) و (طارق) ؟!
- من ذلك العدو الخفى ، الذى فوجئ به (نور) ، عبر العصور ؟!
- ترى من ينتصر فى معركة الزمن ، ومن يربح القتال فى (ألف عصر) ؟!
- اقرا التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل المستقبل .

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

118

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : زمن الدم

روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جداً!!
زمن الدم
119
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدُّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدَّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الممر ..

ران صمت طويل عميق ، على حجرة القائد الأعلى ، أسفل المبنى الرسمي للمخابرات العلمية المصرية ، وراحت عشرات الملفات ، لمعظم العاملين فى الجهات السيادية تتوالى على شاشة ضخمة ، فى مواجهة مكتب القائد ، الذى تطلَّع إلى الشاشة فى اهتمام بالغ ، شاركه إياه الدكتور (ناظم) ، رئيس مركز الأبحاث العلمية ، قبل أن يغمغم الأوَّل ، فى توتر ملحوظ :

ـ الأمر عسير للغاية .

وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ هذا طبيعى يا سيادة القائد الأعلى ، فالمفترض أن ذلك الجاسوس الزمنى قد أعدَّ ملفاته الزائفة بدقة مدهشة ، يستحيل كشفها بالوسائل التقليدية .

التفت إليه القائد الأعلى ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا نفعل إذن ؟! هل نخضع مئات الملفات للفحص الكامل ؟! أتدرى كم يمكن أن يستغرق هذا ؟! الخبراء أكَّدوا أننا سنحتاج إلى ستة أسابيع على الأقل .

تنهّد الدكتور (ناظم) فى أسى ، قائلاً :

ـ أعلم هذا أيها القائد الأعلى .. أعلم هذا .

نطقها ، وذهنه ينطلق ، مسترجعًا بداية الأحداث ، التى أدّت إلى هذا الموقف المعقّد ..

وكانت البداية تحمل اسمًا واحدًا ..

(طارق) ..

ذلك العضو الجديد ، الذى انضمّ إلى فريق (نور) كخبير فى الأشعة(*) ، بدلاً من (محمود) ، الذى ضاع فى مجرى الزمن(**) ..

(طارق) ، الذى لم تلبث الأحداث أن أثبتت أنه لا ينتمى إلى عصرهم ، وإنما هو فارس يجوب كل حقبات الزمن ، منذ فترة لا يعلمها إلا الله (سبحانه وتعالى) ..

ولم يكد هذا الكشف يستقر فى وجدان الجميع ، حتى دفعت الأحداث (نور) و(أكرم) إلى قلب مقاتلة الزمن ، التى انطلقت بهما مع (طارق) ، عبر الفضاء ..

(*) راجع قصة (العدو الخارق) .. المغامرة رقم ١١٥

(**) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم ١٠٠

وعبر الزمن ..

ثم هبطت بثلاثتهم فى عصر آخر ، ومكان آخر .. فى (فرنسا) ، إبان الحرب العالمية الثانية ..

وكان هذا آخر زمن ، فى التاريخ كله ، وآخر مكان ، فى الكون بأكمله ، يتمنى (نور) الهبوط فيه ..

هذا لأنه ، عبر كل عصور التاريخ ، لا يستقر أشرس أعدائه ، إلا فى ذلك الزمن بالتحديد ..

زمن الدم ..

وبهبوطهم بالقرب من (باريس) ، الواقعة تحت الاحتلال النازى ، اشتعلت الأمور ولم تهدأ ..

وانفتحت كل أبواب الجحيم ..

ومن أوسع أبوابه ، خرج الشيطان ..

شيطان يحمل اسم الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، أو الدكتور (خالد رضوان) ، العالم المستقبلى ، الذى طاردوه فيما مضى عبر الزمن ، ونجحوا فى إفقاده الذاكرة بأعجوبة(*) ..

ولقد استعاد الشيطان ذاكرته هذه المرة ..

(*) راجع قصص : (عبر العصور) ، (أسرى الزمن) ، (شيطان الأجيال) ، المغامرات أرقام (٥٤) ، (٥٥) ، (٥٦) .

وبدأ صراعًا أكثر عنفًا ..

وانطلق نحو هدف رهيب مخيف ..

نحو محاولة تغيير التاريخ ..

وسقط (أكرم) فى قبضة الشيطان ، الذى أعدّ فخًا للإيقاع بـ (نور) و (طارق) ..

وفى الوقت ذاته ، انطلق الجنود الألمان ، فى قلب أنفاق المترو ، للإيقاع برجال المقاومة الفرنسية ، الذين يعاونون (نور) على استعادة (أكرم) ..

وفى الوقت الذى انتشر فيه النازيون داخل الأنفاق ، كان (طارق) ، المتنكّر فى هيئة ضابط جستابو ألمانى ، يواجه الشيطان (هولدشتاين) ، داخل المستشفى الصغير ، الذى تم احتجاز (أكرم) فيه ..

وكان هذا يعنى أن التاريخ قد اتخذ مسارًا جديدًا ، وأنه قد بدأ مرحلة التغيير بالفعل ..

إلى الأسوأ(*) ..

★ ★ ★

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأول والثانى ، (فارس الزمن) ، و(ألف عصر) رقمى (١١٧) ، (١١٨) .

التقط (آلان) نفسًا عميقًا ، وهو يقترب من المبنى التابع للمخابرات النازية ، فى قلب (باريس) ، والذى يطلقون عليه اسم (بيت الثعالب) ، وخلع قبعته الصغيرة ، وأمسكها بأصابع كفيه أمامه ، متخذًا هيئة الشخص البسيط الخائف ، وتعمَّد أن يتنحنح مرتين ، وهو يتجه نحو جندى الحراسة ، الذى رفع مدفعه فى وجهه فى شراسة ، هاتفًا :

ـ قف يا رجل ، وإلاّ ..

توقّف (آلان) على الفور ، وتظاهر بالارتجاف ، وهو يقول :

ـ إننى .. إننى لم أفعل شيئًا ..

صاح به الجندى فى غلظة ، وهو يلوّح بمدفعه فى وجهه :

ـ ألا تعلم أن الاقتراب من هنا محظور ؟!

أجابه (آلان) فى سرعة :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .. بالتأكيد ، ولكن .. ولكننى .. احم .. أعنى أن ..

صاح الجندى فى ضجر شرس :

ـ ماذا لديك يا هذا ؟!

ـ لوح (آلان) بسبَابته ، هاتفًا :

ـ معلومـــات .. لــدى معلومـــات للهــر جنـــرال (هولدشتاين) .

اعتدل الجندى بحركـة حـادة ، فور سـمـاعه اسـم (هولدشتاين) ، وخُيِّل لـ (آلان) أنه سيؤدى التحيـة العسكرية فـى حزم ، إلا أن الجندى اندفـع يسأل فـى حدة :

ـ أية معلومات تلك يا رجل ؟!

أجابه (آلان) فى سرعة ، وبلهجـة تحمـل رائحـة الإصرار والعناد :

ـ للجنرال (هولدشتاين) وحده .

انعقد حاجبا الجندى فى شراسة ، وضمَّ شفتيه على نحـو مخيف ، وهو يميل نحـو (آلان) ، علـى نحـو يوحى بأنه سيقبض على عنقه ، إلا أنـه لـم يلبث أن توقَّف بغتة ، وأطلَّت من عينيه نظرة توحـى بـالتفكير العميق لبضع لحظات ، قبـل أن يعتـدل فـى وقفتــه ، ويقول فى خشونة :

ـ عد فى الصباح الباكر إذن .

كان جوابًا مدهشًا ، اتسعت لـه عينـا (آلان) عن آخرهما ، فى دهشة حقيقية ، قبل أن يقول :

ـ فى الصباح الباكر ؟! قلت لك : إن لدى معلومات مهمـة ، لا بـد أن يسـمعها الجـنرال (هولدشـتاين) بنفسه .

وللحظة ، أطلَّت نظرة حـائرة مـن عينـى الجنـدى ، قبل أن يقول فى شراسة :

ـ قلت : عد فى الصباح الباكر يا رجـل .. ألا تفهم الفرنسية ؟!

لم يستطع (آلان) فهم أو استيعاب هذا الأمر قط ..

لقد أخبر الرجل أنه يحمـل معلومـات مهمـة ، لا بـد أن يطلـع عليهـا الجـنرال (هولدشـتاين) شـخصيًا ، ولكنه يرفض حتى مجرَّد الاتصال بالجنرال ، وإبلاغـه بالأمر !!

وفى الوقت نفسه ، تبدو سيارة الجنرال واقفـة فـى وضوح ، أمام المبنى ، و ...

وفجأة ، قفزت فكرة مخيفة إلى رأس (آلان) ..

فكرة ، جعلت قلبه ينتفض بين ضلوعه فى عنف ، وتقفز انتفاضته هذه إلى شفتيه ، وهو يقول للحارس :

- حسن يا سيِّدى .. سأعود فى الصباح الباكر .
قالها ، ودار على عقبيه ، وابتعد عن بيت الثعالب بخطوات سريعة ، وقلبه يدق مع عقله دقَّات قوية عنيفة ..

الجنرال (هولدشتاين) ليس هنا ..

هذا هو التفسير المنطقى الوحيد لما حدث ..

من رآه (جولفيه) يغادر المستشفى ، لم يكن الجنرال (هولدشتاين) ..

لقد كانت خدعة شيطانية منذ البداية ..

خدعة ابتدعها عقل شيطانى رهيب ..

الجنرال استدعى رئيس الشرطة العسكرية (فون دارك) ، ثم جعله يغادر المستشفى مع أحد الجنود ، الذى ارتدى زى الجنرال ، وعندما أدى له (فون دارك) التحية أمام الجميع ، ثم ذهب الجندى ليستقل سيارة (هولدشتاين) ، تصوَّر (جولفيه) أن هذا الأخير قد غادر المستشفى ، وعاد إلى مقرَّه ..

وهذا يفسِّر سبب وجود السيارة أمام المبنى ، بدلاً من دخولها إلى ساحة الانتظار داخله ..

إنها محاولة أخرى لإيهام الجميع بأن الجنرال (هولدشتاين) داخل وكر الثعالب ..

يا إلهى ! هذا يعنى إذن أن الجنرال فى مكان آخر ..

فى المستشفى ..

أسرع (آلان) الخطى ، حتى بلغ سيارة صغيرة ، تنتظره عند الناصية المقابلة ، وقفز داخلها ، هاتفًا بسائقها :

- أسرع يا رجل .. أسرع باللَّه عليك .. هناك فخ ينتظر (نور) و (طارق) .. أسرع لنحذرهما ، قبل فوات الأوان .

انطلق السائق على الفور ، وهو يغمغم :

- ياإلهى ! يا إلهى !!

كانت عقارب الساعة تشير إلى السابعة وخمس وعشرين دقيقة ، عندما اندفع السائق بالسيارة الصغيرة ، عبر شوارع (باريس) ، فى اتجاه ذلك المستشفى ، و ...

« يا إلهى ! ماذا دهاك يا رجل ؟! »

صرخ (آلان) بالعبارة ، وجسده يندفع إلى الأمام فى عنف ، عندما ضغط السائق فرامل السيارة فجأة ، فأجاب هذا الأخير فى توتر :

- هناك اضطراب ما .. الناس تعدو فى كل مكان .. أخشى أن يكون صديقاك قد وقعا فى الفخ بالفعل .

ألقى (آلان) نظرة سريعة على ساعته ، وقال :

- لا .. إنهما لم يبلغا المستشفى بعد .

دفع السائق باب السيارة ، قائلا :

- سأستوضح الأمر إذن .

هتف به (آلان) :

- أسرع بالله عليك .

رآه من نافذة السيارة يستوقف أحد المارة ، ويتحدّث إليه لحظةً ، امتلأت ملامحه بعدها بالذعر والهلع ، وهو يعدو عائدًا إلى السيارة ، وصاح :

- إنهم الألمان .. لقد اقتحموا أنفاق المترو ، بحثًا عن رجال المقاومة .

أصاب القول (آلان) كالصاعقة ، فانتفض جسده فى عنف ، وصاح :

- الأنفاق .. رحماك يا رب العالمين .

قالها ، ووثب من السيارة ، وانطلق يعدو عبر الشوارع المضطربة ، وقد نسى أمر (نور) و(طارق) ، ولم يعد يذكر سوى أمر واحد ، أشار إليه الأوّل فى حديثه ..

أن التاريخ قد بدأ مرحلة التغيير .. وبعنف ..

★ ★ ★

« أنت على حق يا (رمزى) .. » .

نطقت (سلوى) بالعبارة ، فى توتر بالغ ، وهى تراجع نتائج الكمبيوتر ، فالتفت إليها (رمزى) و(نشوى) فى اهتمام ، فى حين قفز الدكتور (ناظم) من مقعده ، هاتفًا :

- ما الذى توصّلت إليه ؟!

أشارت (سلوى) إلى شاشة الكمبيوتر ، التى بدت عليها تلك الخريطة الكبيرة البيضاء ، التى انتشرت فيها عدة دوائر سوداء ، مع خطوط حمراء تربط تلك الدوائر بعضها بالبعض ، وأرقام ورموز إلى جوار كل ثقب ، وكأنها تعبّر عن صفته ، وقالت فى انفعال :

- إنها بالفعل خريطة للثقوب الزمنية .

سألها الدكتور (ناظم) لاهثًا :

- هل تأكّدت من هذا ؟!

أجابته فى ثقة :

- إلى حد كبير .

ثم عادت تشير بسبَّابتها ، مستطردة :

ـ تلك الأرقام والرموز نوع من الشفرة ، التى تستخدم المعلومات الفلكية ، الخاصة بمواضع النجوم ، لتمييز الثقوب ، داخل الفراغ الزمنى ، وتقسيمها إلى مجموعات متناغمة ، تمامًا كما يحدث فى علم دراسة النجوم .

راجعت (نشوى) الخريطة فى سرعة ، قبل أن تهتف فى إعجاب :

ـ رباه ! كيف لم أنتبه إلى هذا ؟!

غمغم الدكتور (ناظم) مبهورًا :

ـ لأن أمك عبقرية يا بنيتى ! لقد توصَّلت فى ساعات معدودة ، إلى ما لم يتوصَّل إليه علماؤنا كلهم .

أشارت (سلوى) بسبَّابتها ، قائلة :

ـ لا تتسرَّعوا بإبداء الإعجاب أيها السادة ، فما توصَّلت إليه مجرَّد تحليل عام فحسب ، ولكننى لم أدرك بعد معنى الرموز والأرقام .

أجابها (رمزى) :

ـ ولكنك أثبتَ على الأقل أن (طارق) كان يحمل خريطة لثقوب الزمن ، وهذا يعنى أنه كان يدرك طبيعة رحلته جيدًا .

عقدت (سلوى) حاجبيها بضع لحظات ، قبل أن تقول فى حزم :

ـ ليس بالضرورة .

بُهِتَ الدكتور (ناظم) لجوابها ، وهتف مستنكرًا :

ـ ماذا تعنين يا (سلوى) ؟!

التفتت إليه ، قائلة :

ـ الشىء الوحيد ، الذى تأكَّدنا منه ، هو أن هذه خريطة للثقوب الزمنيَّة ، داخل الفراغ ، الذى تحدَّث عنه (طارق) ، ولكننا لم نعلم بعد ما إذا كان قد حصل على هذه الخريطة ، قبل أن يبدأ رحلته ، أم أنه قد صنعها ، بعد أن ضلَّ طريقه عبر ثقوب الزمن !!

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) ، وهو يحدِّق فى وجهها ، ثم هتف ساخطًا :

ـ أىُّ تعقيد هذا ؟!

أجابته (نشوى) هذه المرة :

ـ بل هو تحليل منطقى تمامًا يا دكتور (ناظم) ، فأنت تعلم مثلنا أن (طارق) عبقرى ، وأن معدلات ذكائه تفوق بكثير بعض كبار العلماء فى إدارتك ، وإذا ما تعرَّض شخص مثله لتجربة الضياع فى مجرى

الزمن ، فمن الطبيعى أن يسعى لدراسة موقفه ، والبحث عن وسيلة للخروج من الدائرة المغلقة هذه ، وليس من المستبعد ، والحال هكذا ، أن يرسم خريطة للثقوب الزمنية ، وأن يقوم بدراستها ، وتطويرها ، كلما انتقل من عصر إلى عصر ، وأن يربط بين خريطته ، ودراسته للنجوم ومساراتها ، بل وربما كان هذا تفسيرًا لشغفه الشديد بدراسة الفلك والنجوم ، كمحاولة للربط بينها وبين توزيع تلك الثقوب الزمنية .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، فى حين هتف (رمزى) فى حماس :

ـ استنتاج منطقى للغاية .

التفت إليه الدكتور (ناظم) فى بطء ، ورمقه بنظرة غاضبة ، قبل أن يقول :

ـ ماذا دهاكم أيها السادة ؟! تبدون وكأنكم تتعاطفون مع (طارق) هذا .

تبادلت (نشوى) و (سلوى) نظرة صامتة ، كادت كل منهما تهتف من خلالها أنهما تتعاطفان معه بالتأكيد ، دون حتى أن تدركا سببًا لهذا ..

أما (رمزى) ، فقد واجه نظرة الدكتور (ناظم) فى ثبات ، وهو يجيب :

ـ ولماذا لا نتعاطف معه ؟! لقد شاركنا إحدى مهماتنا بالفعل ، وكان خير عون وصديق طوال الوقت .

هتف الدكتور (ناظم) مستنكرًا :

ـ ولكنه جاسوس !

صاحت (سلوى) :

ـ جاسوس ؟! أىّ قول هذا يا دكتور (ناظم) ؟!

أجابها فى حدة :

ـ القول المنطقى العاقل يا (سلوى) .. ألم يتسلل إلى مؤسسة الرياسة ، ويجمع بعض المعلومات الفلكية ، و ...

قاطعته فى صرامة :

ـ وماذا يا دكتور (ناظم) ؟! هل حاول إيذاء أىّ مخلوق بتلك المعلومات ؟!

هتف غاضبًا :

ـ وهل كنا سننتظر حتى يفعل ؟!

قال (رمزى) :

ـ يفعل ماذا يا دكتور (ناظم) ؟! الشاب لا ينتمى إلى عصرنا وزماننا بالتأكيد ، ولديه تكنولوجيا تفوق ما لدينا بكثير ، فلماذا يسعى للتجسس علينا ؟! بمَ يمكن أن يفيده هذا ؟!

ارتفع حاجبا الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وكأنه ينتبه إلى هذه الحقيقة لأول مرة ، إلا أنه لم يلبث أن عقدهما فى صرامة ، وهو يقول :

- مازلت أصرّ على أنه لم يبلغنا بالحقيقة .

أشار (رمزى) بيده ، قائلاً :

- ربما ، ولكن ..

قاطعته (نشوى) ، قائلة فى انفعال :

- مهلاً .. يمكنكما استكمال المناقشة فيما بعد ، أما الآن ، فاستمعا إلى تلك النتيجة المدهشة ، التى توصّل إليها الكمبيوتر ، بالنسبة لفارس الزمن الثانى .

التفت إليها الجميع فى لهفة ، وسلوى تهتف :

- هل توصّلت إلى جديد ؟!

أجابت (نشوى) فى حماس :

- بالتأكيد .. لقد غذيت الكمبيوتر بكل المعلومات ، التى استخلصناها عن فارس الزمن الثانى ، وجاءت النتيجة تؤكد أننا لن نعثر على ذلك الفارس ، وسط كل رجال العالم .

سألها الدكتور (ناظم) فى دهشة :

- ولماذا ؟!

مالت نحوه ، مجيبة فى حزم :

- لأن صفات وسمات فارس الزمن الثانى تنطبق ، أكثر ما تنطبق على ...

صمتت لحظة ، وكأنها تستثير مشاعرهم ، قبل أن تكمل :

- امرأة .

وارتدّ الجميع فى عنف ..

فقد كانت هذه مفاجأة ..

مفاجأة حقيقية ..

★ ★ ★

دوت الرصاصات الألمانية ، عبر شبكة أنفاق المترو الباريسية ، فانطلقت من حلق (برجيت) شهقة قوية ، وهى تهتف :

- رباه ! لقد أطبقوا علينا .

هتف بها (جولفيه) :

- ليس بعد .. لا يوجد أحد من رجالنا خارج هذه القاعة .. إنها رصاصات للإرهاب فحسب .

ثم عضّ شفتيه فى غيظ ، مستطردًا :

- ولكنهم سيطبقون علينا بعد دقائق معدودة ..

إنهم يتحركون من ثلاثة اتجاهات مختلفة ، وهذا يعنى أنهم لم يتركوا لنا مهربًا .

انطلقت صيحات غاضبة من الرجال ، وهتف أحدهم :

- أقسم ، لو بقى فى صدرى نفس واحد ، بعد هذا الموقف ، ألا أطلقه ، حتى أقتل الغربيين ، جزاء خيانتهما لنا .

اعتصرت قبضة باردة قلب (برجيت) ، وهى تهتف :

- لا تتسرع يا رجل .

صاح رجل آخر :

- يتسرع ؟! لم يعد هناك وقت للتروى يا (برجيت) .. الألمان هنا ، وسيطبقون علينا بعد لحظات .

عضت شفتيها فى مرارة ، حتى كادت تدميهما ، وهى تجذب مدفعها الآلى ، وتجذب إبرته بكل قوتها ، ثم قالت فى غضب صارم :

- لن يظفروا بنا بسهولة .

رفع الرجال جميعهم مدافعهم الآلية ، وهتف بعضهم :

- بالتأكيد .. سنثبت لهم أن دماءنا غالية .

ارتفع صوت مباغت ، يقول فى صرامة :

- لن يعنيهم هذا كثيرًا .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، وهتفت (برجيت) فى دهشة :

- (آلان) ؟! كيف وصلت إلى هنا ؟!

كان يلهث فى شدة ، وهو يشير إلى الجميع ، قائلاً :

- فيما بعد يا عزيزتى .. فيما بعد .. اتبعونى الآن ، وستعلمون كل شىء .

لم يكن الموقف يسمح بالمناقشة أو التساؤل ، لذا فقد اندفع الجميع خلفه فى صمت ، واتسعت عيونهم فى دهشة ، عندما رأوه يدفع جزءًا من جدار القاعة ، فيدور حول نفسه ، كاشفًا ممرًا سريًا ، هتف (آلان) ، مشيرًا إليه :

- أعتقد أنه سيسعنا جميعًا .

انعقد حاجبا (برجيت) ، وهى تسأله :

- كيف عرفت هذا النفق ؟!

دفعها داخل الممر ، قائلاً فى صرامة :

- فيما بعد يا (برجيت) .. فيما بعد .

اندفع رجال المقاومة الفرنسية داخل ذلك الممر السرى ، وفى نفس اللحظة ، التى بلغ فيها الألمان القاعة ، وأطلقوا نيرانهم فى كل مكان منها ، كان (آلان) يحكم إغلاق ذلك الجزء من الجدار ، ويحبس أنفاسه مع رفاقه ، وسط ظلام دامس ، حتى همست (برجيت) فى سخط :

- هل كنت تخفى عنى هذا الممر السرى طوال الوقت ؟!

صمت لحظة ، ثم تمتم :

- كنت أدخره لظروف كهذه ، وأردت إحاطته بالسرية البالغة .

هتفت فى خفوت محنق :

- ألا تثق بى ؟!

أجابها فى عصبية :

- أتعتقدين أن هذا وقت مناسب ، لمناقشة موضوع الثقة ؟!

كتمت غيظها ، وهى تهمهم بكلمات غير مفهومة ، فى حين رفع (آلان) صوته قليلاً ، وهو يقول للرجال :

- دعونا نتحركْ فى سرعة ، وسيقودنا هذا الممر إلى أحد مداخل المترو القديمة المهجورة .. هيا .. إنه طريق آمن .. لقد أتيت منه على الفور .

انطلق الجميع يعبرون الممر ، وقلوبهم تخفق فى عنف ..

وبالذات (برجيت) ..

فعلى الرغم من كل ما يحيط بها ، كانت تتساءل فى قلق بالغ : تُرى أىّ موقف يواجه (نور) و(طارق) فى هذه اللحظة ؟!

دار هذا التساؤل فى أعماقها ، دون أن تدرى أن (نور) و(طارق) كانا يواجهان أصعب لحظاتهما فى ذلك العصر ..

أصعبها على الإطلاق .

* * *

٢ - ضـربة انتحـارية ..

تـألَّقت عينـا الجنرال (هولدشـتاين) علـى نحـو مخيف ، وهـو يدلـف بخطـوات بطيئـة إلـى حجـرة المستشفى ، متطلعًا إلى (طارق) بنظرة ظافرة ، فى حين كشَّر (كـارل) عن أنيابه ، بابتسامة سـاخرة متشفية ، وانتزع مسدسه من غمده ، و ...

« هايل (هتلر) .. »

انطلق هتاف (طارق) فى حزم واثق ، وهو يعتدل فـى وقفة عسكرية صارمـة ، ويفـرد ذراعـه أمامـه بزاوية مرتفعة ، ضاربًا كعبيه بعضهما بالبعض ، قبـل أن يكمل بلغة ألمانية سليمة ، ولهجة تحمل مزيجًا من الدهشة والانبهار :

ـ سيِّدى الجنرال ، كم يدهشنى أن ألتقى بك هنا ، بعد أن تلقَّيت أمرك المباشر بالحضور إلى المستشفى ، وإحضار السجين ؟!

كان لـرد فعلـه المـذهل ، الذى بدا تلقائيًـا للغاية ،

أثر عجيب على الرجلين ، فقد انعقد حاجبا الجنرال فى توتر ، فى حين اتسعت عينـا (كـارل) فـى دهشـة ، سرعان ما تحولَت إلى غضب جارف ، وهو يهتف :

ـ اسمع يا رجل ، لو أنك تتصورَّ أن هذه الخدعـة سوف ..

قاطعه (طارق) بلهجة ، تحمل كل معانى الدهشة والاستنكار :

ـ خدعة ؟! أية خدعة أيها الضابط ؟! إننـى أحمـل أمـرًا بتوقيـع الجـنرال (هولدشـتاين) شـخصيًا ، وها هوذا الجنرال أمامك ، ليؤكد ما أقول .

ثـم دفـع التصريح الزائـف نحـو (هولدشـتاين) ، مستطردًا :

ـ أليس هذا توقيعك يا سيِّدى الجنرال ؟!

تفجَّرت حيرة هائلة فى وجـه (كـارل) ، فـى حين تلاقى حاجبا (هولدشتاين) ، وهو يتطلـع فـى توتـر حذر إلى (طارق) ، وينقل بصره فـى رويـة ، بينـه وبين ذلك التوقيـع ، المطابق تمامًا لتوقيعه ، فـوق التصريح الزائف ..

كانت تلك المبادرة قد أربكته حقًّا ، على الرغم من ثقته الزائدة فى ذكائه وحسن تخطيطه ..

لقد بدا له (طارق) طبيعيًا وتلقائيًا للغاية ، حتى إن خنجرًا من الشك قد انغرس فى أعماق مخه ، وأطلق بركانًا من الحيرة فى كيانه كله ..

لقد كان يتوقَّع مجىء (نور) ، أو أحد رفاقه ، الذين تحدَّث عنهم التاريخ فى عصره ..

ولكنه لم ير هذا الشاب الواقف أمامه من قبل قط ..

لا فى الحياة ، ولا فى كتب التاريخ ، أو حتى عبر الزمن ..

ثم إنه ليس فرنسيًا ، من رجال المقاومة ..

اللغة الألمانية السليمة ، التى يتحدَّث بها ، لا يمكن أن تجعله أحدهم ..

فمن هو إذن ؟!

هناك احتمالان ، لا ثالث لهما ..

فإما أنه شاب من المستقبل ، لم يذكره التاريخ قط ..

أو أنه أحد ضباط الجستابو بالفعل ، وقد تلقَّى أمرًا زائفًا ، يحمل توقيعه هو ؛ لإخراج السجين من المستشفى ..

والاحتمال الأخير وارد للغاية ..

وستكون خطة عبقرية ، من خطط (نور) ..

أن يدفع ضابط جستابو حقيقيًا لدخول المستشفى ، ومحاولة إخراج السجين ، و ..

ولكن لا ..

لا يمكنه أن يجازف بقبول هذا الاحتمال ..

نجاحه وبقاؤه عبر الزمن ، يعتمدان على الشك فى كل من حوله ، واعتبار كل متهم مدان ، حتى يثبت العكس ..

وفى صرامة ، عقد (هولدشتاين) كفيه خلف ظهره ، وسأل (طارق) :

- من أين حصلت على هذا الأمر ؟!

بدت حيرة مصطنعة ، غاية فى الإتقان ، على وجه (طارق) ، وهو يجيب :

- أحد ضباطك سلمنى إياه يا جنرال ، وطلب منى التحرك على الفور .

سأله فى صرامة :

- ولماذا لم تحاول التأكُّد من أمر خطير كهذا ، عبر الهاتف ، أو أجهزة الاتصال اللاسلكية أيها الضابط ؟!

هزَّ (طارق) رأسه ، مجيبًا :

- كل الاتصالات مقطوعة يا سيِّدى الجنرال .. ألم يخبروك بهذا ؟!

التقى حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يقول :

- مقطوعة ؟!

قالها ، واندفع نحو الهاتف ، والتقط سمَّاعته ، ليضعها على أذنه ، فى نفس الوقت ، الذى قال فيه (كارل) فى عصبية :

- لست أصدِّق حرفًا واحدًا من هذا .

ولكن (طارق) لم يعره انتباهًا ، وهو يتطلَّع إلى (هولدشتاين) فى اهتمام ، متسائلاً فى أعماقه :

ترى هل أدَّى (شيفاليه) عمله كما ينبغى ، وقام بتشغيل جهاز الشوشرة السلكية واللاسلكية ، فى الموعد المحدود لهذا ؟!

ولثوان ، ظلَّ (هولدشتاين) يضع سمَّاعة الهاتف على أذنه ، ثم لم يلبث أن خفضها ، قائلاً فى عصبية :

- الاتصالات مقطوعة بالفعل .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتحرَّك فى الحجرة ، مستطردًا فى حدة :

- لقد فعلها (نور) .. فعلها هذه المرة أيضًا ..

أراهن على أنه الآن فى مكان ما ، يستعد للانقضاض علينا ، مع طغمة من رجال المقاومة الفرنسية .

ثم أدار عينيه إلى (طارق) ، مستطردًا فى انفعال :

- هل تعتقد أنه سينجح فى اقتحام المستشفى ؟!

قال (طارق) :

- الواقع أننى ..

قاطعه الجنرال ، قبل أن يتمَّ عبارته ، قائلاً فى حدة :

- ربما يشعلون النار ، لإجبارنا على الخروج ، أليس كذلك ؟!

هزَّ (طارق) كتفيه ، وهمَّ بقول شىء ما ، إلا أن (هولدشتاين) أمسك كتفيه فى قوة ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يتابع فى عصبية :

- أو ربما يستخدم الصواريخ لقصف المستشفى .. هل تعتقد أنه سيفعل هذا ؟!

تنهَّد (طارق) وقال :

- ربما .. لست أدرى ، ولكن ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، قاطعه (كارل) هذه المرة ، وهو يهتف بدهشة بالغة :

ـ وما هذه الصواريخ باللّه عليكما ؟!

احتقن وجه (طارق) فى حين أطلق (هولدشتاين) ضحكةً ساخرة ظافرة عالية ، قبل أن يستلَ مسدسه من غمده فى خفة ، ويلصق فوهته بعنق (طارق) ، هاتفًا :

ـ سل ضابطنا المزيَّف هذا ، فهو لـم ينتبه إلى أن الصواريخ الحربية لم تكن قد وُلِدَتْ بعد ، فى هذا الزمن(*) .

سيطر (طارق) على أعصابه بقدرة مدهشـة ، وهو يقول :

ـ المؤسف أنها خدعة تقليدية قديمة للغاية .

هزَّ (هولدشتاين) كتفيه ، قائلاً فى شماتة ظافرة :

ـ ولكنك وقعت فيها يا عبقرى المستقبل .

صمت (طارق) لحظة ، ثم ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتيه ، وقال :

(*) عرف الصينيون الصواريخ منذ زمن بعيد ، وأشار إليها الرّحالة الإيطالى (ماركوبولو) ، فى كتابه الشهير ، إلا أن استخداماتها الفعلية لم تبدأ إلا فى نهايات الحرب العالمية الثانية ، عندما أطلق (هتلر) آلاف الصواريخ ، من طراز (ف ـ ١) ، و(ف ـ ٢) ، (V - 1) ، (V - 2) ، على (لندن) ، دون أن يحقق له هذا النصر المنشود .

ـ هذا لا يعنى أنك قد انتصرت .

لم يكد ينطقها ، حتى انزلق بخفةَ مدهشة ، وخفض رأسـه ، ثـم انطلقـت قبضتـه كالقنبلـة ، فـى فـك (هولدشتاين) مباشرة ..

وعلى الرغم من قوة (هولدشتاين) وصلابته ، إلاَّ أن اللكمة انتزعتـه من مكانـه ، وألقـت بـه مترين كاملين إلـى الخلـف ، لـيرتطم بالبـاب ، ويحطمـه ، ويسقط بين جنديى الحراسة خارجه ..

ومع سـقوطه العنيـف ، اعتصـرت سبَّابته زنـاد مسدسه ..

وانطلقت رصاصة واحدة ..

رصاصة كانت بمثابة أمـر إلـى كـل جنـدى فـى المنطقة لإطلاق النار ..

وإشعال قتال عنيف ..

بلا حدود ..

★ ★ ★

عندما دوت رصاصة الجنرال (هولدشتاين) فـى المنطقة ، كان أوَّل من استجاب لها هو (نور) نفسه ..

لم تكن مبادرة سريعة ، بقدر ما هى حسم لسلسلة

لم يكد ينطقها ، حتى انزلق بخفة مدهشة ، وخفض رأسه ، ثم انطلقت قبضته كالقنبلة ، فى فك (هولدشتاين) مباشرة ..

من التوترات ، تتصاعد من أعماقه ، منذ أوقف السيارة أمام المستشفى ..

إنه لم يشعر بالارتياح قط ، لتحركات الجنود الألمان ، حول المستشفى ، مما جعله يقبض على مدفعه الآلى فى قوة طوال الوقت ..

وعندما دوت رصاصة (هولدشتاين) ، وجد نفسه يقفز من السيارة ، حاملاً مدفعه الآلى ، ويندفع نحو المستشفى ، وقد انزاح من عقله كل شىء ، إلا ضرورة إنقاذ (طارق) و (أكرم) ..

ومع قفزته ، انطلق كل الجنود الألمان ، المحيطين بالمكان ..

وانطلق سيل من الرصاصات بلا انقطاع ..

ولم يدر (نور) كيف سارت الأمور ، وبدا له وكأنه يعيش كابوسًا رهيبًا ، وهو يطلق رصاصات مدفعه ، ويشق طريقه داخل المستشفى ، والرصاصات ترتطم بكل شىء حوله فى عنف ..

وعلى الرغم من دقة الموقف وخطورته ، لم يتوقف عقل (نور) عن التفكير لحظة واحدة .

إنها خدعة ..

حتمًا خدعة ..

(هولدشتاين) لم يغادر المستشفي ، كما بدا للجميع ، وإنما بقى داخله ، ليصنع فخا شيطانيًا ، للإيقاع بهم ..

ولكن هذا ليس الأمر الوحيد المقلق الآن ..

هناك أمر آخر ، يثير دهشته وحيرته ، مع كل الرصاصات التى تنهال عليه ، من كل صوب ..

إنه لم يصب برصاصة واحدة ..

أو حتى بخدش واحدة ..

صحيح أنه ، ومع كل ما يطلقه من رصاصات ، لم يقتل شخصًا واحدًا ، إلا أن هذا لا يبرر إحجام الجنود الألمان عن إصابته فى مقتل ..

ما لم تكن لديهم أوامر مشدَّدة بهذا ..

نعم .. هذا هو المنطق الوحيد ..

إن (هولدشتاين) يسعى للظفر به حيًا ..

لم يكد ذلك الاستنتاج يسرى فى عقله ، ويستقرَ فى وجدانه ، حتى تضاعف الحماس فى أعماقه ، واندفع نحو السلم ، الذى يقود إلى حيث (طارق) و(أكرم) ، و ...

ولكن (هولدشتاين) لم يكن بالغر الساذج ، ليكتفى بمنع جنوده من قتل (نور) ..

لذا ، فقد برز خمسة من الجنود الألمان الأشداء ، من مخبأ خفى ؛ ليعترضوا طريق (نور) ، وكل منهم يشهر مدفعه الآلى فى وجهه ..

وعلى الرغم من كراهية (نور) ، وبغضه الشديد للقتل والتدمير ، إلا أنه لم يجد أمامه بديلاً ..

وأطلق النار ..

واخترقت الرصاصات جسدى اثنين من الجنود ، واقتلعتهما من مكانهما ، ليرتطما بالجدار الخلفى فى عنف ، فى حين أصيب الجندى الثالث برصاصتين ، فى كتفه وذراعه ، وانقضّ الجنديان الباقيان على (نور) فى شراسة رهيبة ..

وهوى (نور) بكعب مدفعه على فك الجندى الأول ، ثم استدار يواجه الثانى ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها سبعة جنود آخرون نحوه ..

وبات من الواضح أن (نور) لن يفوز ، فى هذه المعركة غير المتكافئة ..

لن يفوز أبدًا ..

وفى نفس اللحظات ، التى دار فيها هذا القتال اليائس ، كان (كارل مانهايم) ينتزع مسدسه من غمده ، وهو يهتف :

- أيها الجاسوس الحقير .. كيف تجرؤ على ..

لم يمنحه (طارق) الفرصة لإتمام حديثه ، وإنما وثب فى خفة ، وركله بقدمه اليمنى فى معدته ، ثم دار حول نفسه فى مرونة ، وركله باليسرى فى فكه مباشرة ..

وتراجع (كارل) فى عنف ، ليرتطم بنافذة الحجرة ، إلا أنه لم يلبث أن انقضّ على (طارق) فى وحشية مخيفة ، صارخًا :

- ستموت أيها الجاسوس .. ستموت جزاء ما فعلت .

قالها ، ومسدسه يرتفع نحو (طارق) ، و..

ويطلق النار ..

وفى هذه المرة ، انحنى (طارق) ، بأقصى سرعة ممكنة ، وسمع أزيز الرصاصة ، وهى تعبر فوق رأسه مباشرة ، لتغوص فى صدر أحد الجنديين ، اللذين اندفعا داخل الحجرة ..

وسقط الجندى مضرجًا فى دمائه ، فى نفس اللحظة التى رفع فيها الجندى الآخر مدفعه ، فى وجه (طارق) ، وصوّب إليه (كارل) مسدسه مرة أخرى ، وهو يتراجع فى خفة ، صارخًا :

- لن تنجو أيها الجاسوس .. لن ..

أدار (طارق) عينيه بين الرجلين فى توتر بالغ ، وأدرك جيدًا أن موقعه لن يسمح له بتفادى نيرانهما قط هذه المرة ..

وكان هذا يعنى أن فارس الزمن سيلقى مصرعه هناك ..

فى قلب (باريس) المحتلّة ..

وبعيدًا .. بعيدًا عن زمنه ..

« قفا .. » ..

انطلق الأمر المقتضب ، بلهجة صارمة للغاية ، خرجت من بين شفتى (هولدشتاين) ، الذى وقف ممشوق القامة ، معقود الحاجبين ، وكأنما لم يتعرّض لأدنى أذى منذ لحظات ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ (كارل) :

- سيّدى الجنرال .. إنه يستحق الـ ..

قاطعه (هولدشتاين) فى غضب هادر :

- قلت : قفا .. أما زلت تستوعب الألمانية ، أم أنك تميل إلى الروسية يا (كارل) ؟!

احتقن وجه (كارل) فى شدة ، وارتجفت يده

الممسكة بالمسدس ، فى حين خفض الجندى مدفعه الآلى على الفور ، هاتفًا :

- كما تأمر يا جنرال .

ولكن (طارق) لم يضع لحظة واحدة ، فلم يكد الجندى يخفض مدفعه ، حتى وثب نحوه ، وكال له لكمة كالقنبلة ، قبل أن يقفز نحو الباب ، و ..

وانطلقت رصاصة من مسدس (كارل) ..

واخترقت ظهر (طارق) ..

وفى ثورة ، صرخ (هولدشتاين) ، وهو يلطم المسدس من يد (كارل) :

- أيها الغبى .

أما (طارق) ، فقد دفعته الرصاصة إلى الأمام فى عنف ، فارتطم بالباب ، وتشبث به بكل قواه ، وهو يحاول النهوض ، ولكن (هولدشتاين) اندفع نحوه ، وقال فى غضب :

- ألا تيئس أبدًا ؟!

ثم ضمّ قبضته ، وهوى بها على مؤخرة عنق (طارق) ، بكل ما يملك من قوة ..

وفى هذه المرة ، لم يعد جسد (طارق) قادرًا على الاحتمال ..

لقد سقط فاقد الوعى ..

عند قدمى (هولدشتاين) ..

وفى اللحظة نفسها ، اندفع أحد الجنود نحو (هولدشتاين) ، ولهث فى شدة ، وهو يؤدى التحية ، قائلًا :

- تمت السيطرة على الموقف يا سيدى الجنرال .. الآخر سقط فى قبضتنا حيًّا .

التقى حاجبا (هولدشتاين) ، واندفع يهبط فى درجات السلم فى سرعة ، حتى بلغ الطابق الأرضى ، ولم تكد عيناه تقعان على (نور) ، الذى سقط فاقد الوعى ، وقد لوثت الدماء جبهته ، حتى اتسعت عيناه فى ظفر ، وهو يغمغم :

- أخيرًا يا (نور) ..

قالها ، وعيناه تتألقان على نحو مخيف ..

لقد حقق انتصارًا هذه المرة ..

انتصارًا كاملًا ..

★ ★ ★

دقّت (مشيرة محفوظ) باب حجرة الفريق فى حذر ، قبل أن تدفعه فى بطء ، وتلقى نظرة داخل الحجرة ..

كانت (سلوى) و (نشوى) غارقتين فى نوم عميق ، فى حين انهمك الدكتور (ناظم) و(رمزى) فى مراجعة خريطة ثقوب الزمن ، على شاشة الكمبيوتر الكبيرة ..

وفى توتر ، تنحنحت (مشيرة) ، هامسة :

- هل أزعجتكما ؟!

التفت إليها الاثنان فى حركة حادة ، وأسرع الدكتور (ناظم) يغلق الكمبيوتر ، وهو يجيب فى عصبية :

- سيِّدة (مشيرة) .. صحيح أنك حصلت على تصريح بالدخول ، ولكن هذا لا يعنى أن تقتحمى المكان دون استئذان .. كان ينبغى أن تطرقى الباب أوَّلاً .

بدا الغضب على وجه (مشيرة) ، وهى تقول :

- لقد فعلت ، ولكن يبدو أنكما كنتما منهمكين للغاية ، حتى أنكما لم تنتبها إلى هذا .

بدا الحرج على وجه الدكتور (ناظم) ، وإن لم يفقد لهجته العصبية ، وهو يقول :

- هل فعلت حقًا ؟!

انتزع (رمزى) ، من بين إرهاقه ، ابتسامة مجاملة ، وهو يشير إلى (مشيرة) ، قائلاً :

- أهلاً بك يا (مشيرة) .. أخبرينى .. هل أتيت للاستعلام عما توصَّلنا إليه ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وقالت :

- بل أتيت لأرجوكم أن تبذلوا جهدًا أكبر .

عقد الدكتور (ناظم) حاجبيه فى توتر ، وكأنما لم يرقٍ له السؤال ، فى حين قلب (رمزى) كفيه ، قائلاً فى أسى :

- صدقينى يا (مشيرة) .. إننا نبذل قصارى جهدنا بالفعل .

هزَّت رأسها فى قوة ، قائلة :

- هذا لا يكفى .

وقبل أن يسألها أحدهم عما تعنيه ، أخرجت من حقيبتها أسطوانة مدمجة صغيرة ، وهى تندفع نحو أحد أجهزة الكمبيوتر ، قائلة فى انفعال :

- بناء على ما توصَّلت إليه .

دفعت الأسطوانة فى الفراغ الخاص بها ، وقالت وهى تضغط زرِ التشغيل :

- وما سيؤكد لكم مدى خطورة الأمر .

اتجه (رمزى) والدكتور (ناظم) إليها بلهفة قلقة ، والأخير يسألها فى توتر :

- ما الذى توصلت إليه بالضبط يا سيدة (مشيرة) ؟!

أجابته بنفس الانفعال :

- منذ حدثت هذه الكارثة ، ولا همّ لى إلا البحث فى كل السجلات والمراجع التاريخية ، وبالذات تلك التى تتحدث عن الحرب العالمية الثانية ، وفى الآونة الأخيرة ، كشفت وجود أحد المواضع ، على شبكة (الأنترنت) ، يختص بالحرب العالمية الثانية ، وفيه كل وثائقها وصورها ، وحتى أفلامها التسجيلية ، ولقد راجعت كل هذا بنفسى ، خلال الساعات الست الماضية ، بحثًا عن أىّ شىء ، يتعلق بزوجى (أكرم) ، أو (نور) ، أو من تطلقون عليه اسم (طارق) .

سألها (رمزى) :

- وهل عثرت على شىء ؟!

بدت وكأنها تهمّ بالبكاء ، وهى تقول :

- للأسف !

« ولماذا للأسف ؟! »

انطلقت العبارة ، من حيث ترقد (سلوى) ، فالتفت إليها الجميع فى حدة ، ورأوها تغادر الأريكة ، وتتجه نحوهم ، متسائلة فى توتر بالغ :

- ما الذى عثرت عليه ، فى سجلات الماضى يا (مشيرة) ؟!

أشارت (مشيرة) إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

- سترين .

ظهرت على الشاشة عدة وثائق قديمة ، تحمل كلها توقيع (هولدشتاين) ، و(مشيرة) تقول فى انفعال :

- هذه تقريبًا كل الأوراق ، التى حملت توقيع (هولدشتاين) ، منذ بداية الحرب العالمية الثانية ، وحتى نهايتها ، ولقد راجعتها كلها ، وكانت فى انتظارى مفاجأة مخيفة للغاية .

صاحت بها (سلوى) :

- أخبرينا ما لديك يا (مشيرة) .. إنه ليس تحقيقًا صحفيًا .

ضغطت (مشيرة) عدة أزرار فى سرعة ، قائلة :

- لقد عثرت على وثيقة تحمل أسماء (نور) و(طارق) و(أكرم) .

سألتها (سلوى) فى عصبية :

- أيّة وثيقة تلك ؟!

ومع آخر حروف سؤالها ، ظهرت تلك الوثيقة فى

وضوح ، على شاشة الكمبيوتر ، فأدارت (سلوى) عينيها إليها فى لهفة ، فـى نفس اللحظـة التى هتـف فيها (رمزى) ، فى ذعر واضح :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أما (سلوى) ، فقد انطلقت من حلقها شهقة قوية ، كادت ترجّ المبنى بأكمله ..

هذا لأن تلك الوثيقة ، التى تحمل أسماء الثلاثة ، مع توقيع (هولدشتاين) ، كانت تحمل حكمًا ..

حكمًا بالإعدام .

★ ★ ★

٣ - الإعدام ..

« لقد ألقوا القبض عليهم .. »

ألقى (جولفيه) العبارة فى توتر ، داخل المخبأ الاحتياطى لرجال المقاومة ، فساد الوجوم على نحو عجيب ، وتبادل الجميع نظرات عصبية ، قبل أن يقول أحد الرجال فى حدة :

- إنها خدعة ، لإيهامنا بأنهم لا يعملون لحساب الألمان .

قالت (برجيت) فى صرامة :

- إنهم ليسوا كذلك .

هتف رجل آخر :

- ولكن كيف توصّل النازيون إلينا ؟!

أجابه (آلان) فى حزم :

- (نور) لم يكن بحاجة للعبة طويلة كهذه ، ليرسل النازيين إلى هنا ، فهو يعرف وكرنا بالفعل ، منذ فترة طويلة ، وكان يمكن أن يقودهم إلينا مباشرة .

بدت الحيرة على وجوههم جميعًا ، وراحوا يتبادلون تلك النظرات العصبية مرة أخرى ، فى حين سألت (برجيت) (جولفيه) فى توتر :

- هل ألقوا القبض عليهم أحياء ؟!

أومأ (جولفيه) برأسه إيجابًا ، وقال فى انفعال :

- نعم ، ولكنهم كانوا مصابين على نحو ملحوظ ، وكلهم فاقدو الوعى .. مسيو (أكرم) لديه إصاباته السابقة ، ومسيو (نور) مصاب بجرح فى جبهته ، أما مسيو (طارق) ، فقد أصابته رصاصة فى ظهره ، و ...

هتفت (برجيت) فى هلع :

- فى ظهره ؟!

زوى (آلان) ما بين حاجبيه فى ضيق ، وهو يسأل (جولفيه) :

- هل نقلوهم إلى مستشفى آخر إذن ؟!

هزَّ (جولفيه) رأسه نفيًا ، وأجاب :

- كلا .. الجنرال (هولدشتاين) أمر بنقلهم إلى (بيت الثعالب) مباشرة .

اتسعت عينا (برجيت) فى ارتياع ، وهى تقول :

- يا إلهى ! إلى بيت الثعالب ؟! إننا لم نسمع عن مقاتل دخل تلك البناية الملعونة ، ونجح فى الخروج منها حيًا .

مطَّ (آلان) شفتيه فى أسى ، فى حين أومأ (جولفيه) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى عصبية ملحوظة :

- يبدو أنك على حق يا (برجيت) .. على حق تمامًا .

امتقع وجهها ، وهى تسأله فى شحوب :

- ماذا تعنى يا (جولفيه) ؟!

تنهَّد الرجل فى أسى ، وأشار بيده ، مجيبًا :

- لقد أصدر الجنرال (فريد ريش هولدشتاين) قرارًا بإعدام ثلاثتهم بالفعل .. عند الفجر .

سرت همهمة عصبية بين الرجال ، فور انتهاء (جولفيه) من عبارته ، فى حين اتسعت عينا (برجيت) عن آخرهما فى ارتياع ، وراح وجهها يزداد امتقاعًا أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

انتفض جسد (نور) فى عنف ، عندما ارتطم ماء بارد كالثلج بوجهه ، وانطلقت من حلقه شهقة محدودة ، وهو يهتف :

- يا إلهى !

فتح عينيه عن آخرهما ، ليحدِّق فى وجه (هولدشتاين) ، وابتسامته الظافرة القاسية ، وهو يقول :

- أخيرًا ، استعدت وعيك يا (نور) .. لم أكن أتصوَّر قط أننا سنلتقى مرة أخرى .. فى هذا الزمن على الأقل .

نفض (نور) الماء عن وجهه وشعره ، وهو يقول فى صرامة :

- من يدرى .. ربما كان لقاؤنا هذا وبالاً عليك يا دكتور (خالد) .

ابتسم (هولدشتاين) فى سخرية ، وقال :

- من يدرى ؟!

كان من المدهش حقًّا أن ينطق (نور) عبارته هذه ، فى موقف كهذا ..

لقد كان مقيَّدًا بسلاسل معدنية من معصميه ،

إلى حلقتين قويتين من الصلب ، مثبتتين بجدار زنزانة صغيرة ، وإلى جواره ، وفى الموقف نفسه (طارق) و (أكرم) ، على الرغم من إصاباتهما ، فى حين يجلس (هولدشتاين) على مقعد وثير ، من الواضح أنه تم إحضاره بصفة خاصة ، وخلفه اثنان من الجنود ، يصوِّبان مدفعين آليين قويين إلى (نور) ورفيقيه ، و (هولدشتاين) يتابع ساخرًا ظافرًا :

- المهم أننا التقينا يا عزيزى (نور) ، وأنك قد عدت إلى هذا الزمن .

ثم مال نحوه ، وتألَّقت عيناه بوسيلة ما ، وهو يستطرد ، بلهجة ذات مغزى خاص :

- بوسيلة ما .

أدرك (نور) على الفور ما يشير إليه (هولدشتاين) ، فأشاح بوجهه عنه ، ووجد نفسه يتطلَّع مباشرة إلى (طارق) ، الذى بدا سليمًا معافى ، فسأله فى لهفة :

- (طارق) .. أأنت بخير ؟!

نطق السؤال بالعربية ، فأجابه (هولدشتاين) فى سرعة ، باللغة نفسها .

لقد كان مقيدًا بسلاسل معدنية من معصميه ، إلى حلقتين قويتين من الصلب ، مثبتتين بجدار زنزانة صغيرة ، وإلى جواره . .

ـ اطمئن .. كلاهما بخير .. ذلك المستقبلى ، وزميلك العنيف أيضًا .

دفع (نور) رأسه إلى الأمام ، ليلقى نظرة جانبية على (أكرم) ، الذى لوَّح بأصابعه ، وابتسم فى عصبية ، قائلاً :

ـ صدِّق أو لا تصدِّق يا (نور) ، ولكنه يقول الحقيقة .

أطلق (هولدشتاين) ضحكة عالية ، قبل أن يقول :

ـ لقد فقدتم الوعى لساعات طوال ، أمكننى خلالها فحصكم جيِّدًا ، والتوصُّل إلى العديد من الاستنباطات العلمية المنطقية .

وعاد يميل إلى الأمام ، مستطردًا :

ـ زميلكم هذا يحمل فى دمه مصلاً خاصًا ، يضاعف ويقوِّى مناعة الجسد البشرى مائة مرة على الأقل ، وهذا المصل ساعد على أن يلفظ جسده تلك الرصاصة ، التى أصابته فى ظهره ، وعلى أن يلتئم جرحه بسرعة مدهشة ، حتى ليبدو وكأن أيامًا عدة قد مرَّت ، منذ أصابته الرصاصة .. ولأننى أعرف مصل (التريبولا) هذا جيِّدًا ، على الرغم من عراقته ، بالنسبة لشخص

أتى من زمنى ، فقد استخدمت بعض التكنولوجيا المتطوِّرة ، التى حملتها من عصرى إلى هنا ، لاستخلاص مادته الفعَّالة ، وحقن جزء منها فى جسد زميلك الآخر ، فالتأمت جراحه بسرعة مدهشة أيضًا ، مما شجعنى على حقن الجزء المتبقِّى من المادة الفعَّالة فى عروقى .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وأدار عينيه بحركة حادة إلى (طارق) ، وهو يقول لـ (هولدشتاين) فى بطء متوتر :

- إذن فأنت تعرف مصل (التريبولا) هذا جيدًا .

لوَّح (هولدشتاين) بيده ، قائلاً :

- بالتأكيد .

أما (طارق) ، فقد ظلَّ جامدًا صارمًا لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

- نعم .. إنه يعرفه يا (نور) .

أطلَّ غضب واضح من ملامح (نور) وصوته ، وهو يقول :

- هذا يغيِّر كل شىء .

وضع (هولدشتاين) إحدى ساقيه فوق الأخرى ،

وراح يراقبهما فى اهتمام بالغ ، و(طارق) يومئ برأسه موافقًا فى صمت ، فقال (نور) :

- كم يؤسفنى أن منحتك ثقتى كاملة .

رفع (طارق) عينيه إليه فى هلع ، هاتفًا :

- أنا لم أخن ثقتك قط أيها القائد .. إننى ...

قاطعه (أكرم) فى صرامة عصبية ، وهو يقول بالعربية :

- (طارق) .. (نور) .. استمعا إلى نصيحتى ، وتوقَّفا عن مناقشة هذا الأمر الآن ؛ فذلك الوغد يراقبكما فى اهتمام ، فى محاولة لاستخلاص بعض الحقائق من خلال تشاحنكما .

أطبق الاثنان شفاههما على الفور ، فى حين اعتدل (هولدشتاين) فى مجلسه بحركة حادة ، قائلاً فى غضب :

- الوغد ؟!

ثم هبَّ من مقعده فى سرعة ، وقبض على عنق (أكرم) بأصابع كالفولاذ ، مستطردًا :

- الوغد هو أنت يا سيِّد (أكرم) .. أنت الذى قالت عنه كتب التاريخ ، إنه أكثر رجال المخابرات همجية ، فى القرن الحادى والعشرين كله .

اتسعت عينا (أكرم) فى دهشة ، وهو يقول :

- أنا ؟! أنا قالت عنى كتب التاريخ هذا .

ثم لم يلبث أن تطلَّع إلى (هولدشتاين) ، مستطردًا فى اهتمام :

- ولكننى واثق من أنهم سيصنعون لك تمثالاً فى المستقبل .

تراجع (هولدشتاين) ، قائلاً فى زهو نرجسى :

- لست أشك فى هذا .

انفجر (أكرم) ضاحكًا بسخرية مفاجئة ، وهو يقول :

- تمثال أكثر الغزاة حماقة ، فى كل العصور .

احتقن وجه (هولدشتاين) فى غضب ، ولكم (أكرم) فى معدته بكل قوته ، صائحًا :

- ما ذكروه عنك كان حقيقيًا .

هتف (نور) فى غضب :

- من السهل أن تبدى قوتك وسلطتك ، مع شخص مقيَّد إلى الجدار .

لوَّح (هولدشتاين) بيده ، وقال وهو يستدير ، عائدًا إلى مقعده :

- أنت تعلم أننى لا أمتلك مثالياتك الطريفة يا عزيزى (نور) :

ثم جلس على مقعده ، وعاد يضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، متابعًا :

- والآن دعونى أخبركم ما توصَّلت إليه .. إن زميلكم (طارق) هذا لا ينتمى إلى عصركم ، بدليل وجود مصل فى دمائه ، لن يتم كشفه ، قبل خمسين عامًا من زمنكم على الأقل ، وهذا يعنى أنه صاحب مركبة الزمن ، التى حملتكم إلى هنا .

وأدار عينيه إلى (طارق) ، قائلاً فى صرامة :

- أتوافقنى على استنتاجى هذا ؟!

صمت (طارق) لحظة ، تعلَّق به خلالها بصرا (نور) و(أكرم) ، قبل أن يقول فى هدوء ، بدا مستفزًا للغاية :

- أوافقك تمامًا .

غمغم (أكرم) فى غضب :

- اللعنة !

أما (نور) ، فقد تطلَّع إلى (طارق) فى حيرة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين هبَّ (هولدشتاين) من مقعده مرة أخرى ، وجذب (طارق) من سترته فى عنف ، قائلاً :

- وأين هى ؟!

سأله (طارق) ، بنفس الهدوء المستفز :

- ما الذى تتحدَّث عنه ؟!

صاح به فى انفعال غاضب :

- آلة الزمن .. المركبة التى أتت بكم إلى هنا .. الـ ..

قاطعه (طارق) فى سرعة :

- لقد تحطَّمت .

انتفض جسد (هولدشتاين) فى عنف ، وهتف :

- تحطَّمت .

كتم (أكرم) أنفاسه بشدة ، وهو يتساءل : تُرى هل يصدِّق (هولدشتاين) هذه القصة الساذجة ، أم .. ؟!

أما (نور) ، فقد بذل قصارى جهده ، ليخفى انفعالاته فى أعماقه ، وهو يتطلَّع إلى وجه (هولدشتاين) المحتقن ، والذى امتلأ بالدماء ، حتى كاد ينفجر ، قبل أن يصرخ الرجل فى وجه (طارق) فى قوة ، بدت وكأنها تكفى لهدم الجدار :

- كاذب ..

ثم دار على عقبيه بحركة عسكرية عنيفة ، صارخًا :

- أيها الجنديان .

رفع الجنديان مدفعيهما الآليين فى وجوه أبطالنا الثلاثة ، فى سرعة مخيفة ، فهتف (أكرم) مرة أخرى :

- اللعنة ! اللعنة !

أما (نور) و(طارق) ، فقد خُيِّل إليهما أنهما يشهدان آخر لحظة فى عمريهما .

آخرها على الإطلاق ..

ولكن (هولدشتاين) أشار للجنديين بالتوقُّف ، وهو يقول لهم فى غضب :

- استمعوا إلىَّ جيِّدًا .. بإشارة واحدة من يدى ، سيفرغ هذان الجنديان رصاصات مدفعيهما فى أجسادكم ، دون شفقة أو رحمة .. وبإشارة أخرى ، سيأتى فريق خاص إلى هنا ، ليتولَّى تعذيبكم بلا هوادة ، حتى يحصل على اعتراف كامل من أحدكم ، أو تلقوا مصرعكم جميعًا ، بأبشع وسيلة ممكنة .

وعقد كفيه خلف ظهره ، قبل أن يتابع ، فى غضب صارم ، قاس ، عنيف :

ـ ولتعلموا أننى قد وقَّعت أمرًا بإعدامكم جميعًا ، مع فجر الغد ، ولقد كنت أتصور أننى لن أحتاج إلى تنفيذ هذا الأمر ، ولكن يبدو أنكم لم تتركوا لى خيارًا آخر .

وفى حركة حادة ، التفت إلى الجنديين ، قائلاً :

ـ اطلبوا فريق التعذيب .. الآن .. أخبروهم أننى أريد اعترافًا واحدًا على الأقل ، وإلا ..

وأدار عينيه مرة أخرى إلى (نور) و (طارق) و (أكرم) ، مستطردًا بلهجة مخيفة :

ـ فليتم تنفيذ حكم الإعدام .. مع الفجر .

قالها ، واندفع يغادر الزنزانة ، تاركًا الثلاثة خلفه ، ينتظرون مصيرًا رهيبًا ..

رهيبًا للغاية ..

★ ★ ★

« لا .. لا يمكننى أن أصدِّق هذا !! »

هتفت (سلوى) بالعبارة فى ذعر ، وهى تحدِّق فى شاشة الكمبيوتر ، قبل أن تلوِّح بذراعها كلها ، مستطردة فى هلع :

ـ لا يمكن أن يكون هذا مصيرهم .

أمسك بها (رمزى) ، محاولاً تهدئتها ، وهو يقول :

ـ لا يمكننا أن نجزم بأى شىء الآن يا (سلوى) .

صاحت فى انهيار ، وهى تشير إلى الشاشة :

ـ ماذا تقول يا (رمزى) ! الحكم واضح أمامك .

هتف بها :

ـ إنه مجرَّد حكم .

تطلَّع إليه الجميع فى دهشة ، حتى (نشوى) ، التى استيقظت على صياح أمها ، وتساءلت فى توتر بالغ :

ـ ماذا حدث ؟!

أما (مشيرة) ، فهتفت فى لهفة :

ـ ماذا تعنى يا (رمزى) ؟! ماذا تعنى ؟!

أدار عينيه فى وجوههم جميعًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ أعنى أن ما رأيناه مجرَّد حكم بإعدام (نور) و (أكرم) و (طارق) ، بتوقيع الجنرال (هولدشتاين) .

شهقت (نشوى) فى ذعر ، هاتفة :

ـ حكم بإعدامهم ؟! يا إلهى !!

أشار بسبَّابته فى حزم ، قائلاً :

ـ مجرد حكم .

ثم عاد يدير عينيه فى وجوههم ، مضيفًا فى صرامة :

ـ وليس إقرارًا بالتنفيذ .

هتف الدكتور (ناظم) فى حماس :

ـ يا إلهى ! أنت على حق يا (رمزى) .

أما (مشيرة) ، فقد ارتجف صوتها ، وهى تقول :

ـ مازلت لم أستوعب الأمر تمامًا .

أجابها (رمزى) فى حماس :

ـ الأمر بكل بساطة ، هو أن ما لدينا يشير إلى أن (هولدشتاين) قد أوقع بالجميع ، وأصدر حكمًا بإعدامهم ، ولكننا لا نعلم ما إذا كان قد نجح فى تنفيذ هذا الحكم أم لا .. عشرات الأشياء يمكن أن تحدث ، ما بين إصدار الحكم وتنفيذه .. إننا نتحدَّث عن (نور) و(أكرم) و(طارق) .. عن ثلاثة رجال فى صلابة الفولاذ ، وقوة الأسود ، وصمود البواسل .. ورجال كهؤلاء ليس من السهل أبدًا أن يستسلموا لموقف كهذا .. إنهم سيقاتلون ، ويقاتلون ، حتى آخر نقطة دم .

ارتجف صوت (سلوى) ، وهى تقول :

ـ ربما كان هذا ما حدث بالفعل .

أشار بيده ، قائلاً :

ـ أو ما سيحدث .. لا أحد يدرى .

هزَّت (نشوى) رأسها ، قائلة فى مرارة :

ـ المؤسف أننا لا نملك ما نفعله من أجلهم .

أجابها فى حزم :

ـ لو أننا اكتفينا بالبكاء والصراخ والأسى ، فلن نملك بالفعل ما يمكن أن نفعله من أجلهم ، أما لو ألقينا هذا خلف ظهورنا ، ووضعنا هدفًا واضحًا نصب أعيننا ، وبذلنا قصارى جهدنا من أجل بلوغه ، فربما كان هذا خير عون لهم ، فى أى زمن يبلغونه .

ران صمت ثقيل على المكان ، قبل أن تغمغم (نشوى) :

ـ أنت على حق يا (رمزى) .

أجاب فى سرعة :

ـ عظيم .. دعونا نعدّ إذن خطة العمل .

ثم التفت إلى الدكتور (ناظم) ، مستطردًا فى حزم :

- وباعتبارى قائد الفريق رسميًا ، فى غياب (نور) ، فإننى أطالبك بالقيام بالخطوة الأولى ، اللازمة لنجاح عملنا يا دكتور (ناظم) .

سأله الرجل فى اهتمام :

- وما هى ؟!

أشار إلى (مشيرة) ، مجيبًا فى صرامة :

- سحب التصريح الخاص ، الذى تم منحه للسيِّدة (مشيرة) ، والذى يسمح لها بالقدوم إلى مقر الفريق .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وهتفت (مشيرة) فى غضب مستنكر :

- ماذا تقول يا (رمزى) ؟!

أجابها فى حزم :

- أقول ما يمليه على واجبى كقائد للفريق ، وما يحتمه علىَّ عملى كخبير فى الطب النفسى .. وفى الحالين لا وجود للمجاملة أو اللياقة يا عزيزتى (مشيرة) .

صاحت به فى حدة :

- (رمزى) .. هل تدرك ما تقوله ؟!

أجاب فى حزم أكثر :

- بالتأكيد .. أنت شديدة التوتر مثلنا جميعًا ، بسبب ما يواجهه زوجك ، وتسعين لجمع كل المعلومات الممكنة عن موقفه ، ولقد أرشدتنا بالفعل إلى الزمن ، الذى يمكن التوجّه إليه عند اللزوم ، وهذا يكفيك كثيرًا ، ولسنا نحتاج إلى أية معلومات إضافية ، ما دام هذا لن يؤدِّى إلا لانعكاس حالة التوتر البالغة لديك علينا ..

قالت فى غضب :

- كنت أظننى جزءًا من الفريق .

دفعها نحو الباب فى رفق (حازم) ، وهو يقول :

- ونحن نرحب بك فى كل وقت يا (مشيرة) ، ولكن ليس فى مثل هذه الظروف .. إننا فريق علمى ، ونحتاج إلى كل الهدوء والنظام ، لنؤدى دورنا كما ينبغى .

هتفت :

- اسمع يا (رمزى) .. إننى ..

قاطعها الدكتور (ناظم) هذه المرة ، فى صرامة بالغة :

ـ لا فائدة من المناقشة يا (مشيرة) .
ثم ضغط زر كمبيوتر الأمن ، مستطردًا :
ـ أنا الدكتور (ناظم) .. بمقتضى السلطة الممنوحة لى ، ألغى التصريح الخاص بالسيِّدة (مشيرة محفوظ) ، اعتبارًا من هذه اللحظة .
وضغط زرًا آخر ، فأتاه صوت الكمبيوتر الآلى ، يقول :
ـ تم إلغاء التصريح .
احتقن وجه (مشيرة) بشدة ، وهى تقول فى غضب :
ـ لن أغفر لك هذا قط يا (رمزى) .
دفعها خارج الحجرة فى حزم هذه المرة ، قائلاً :
ـ بالتأكيد يا (مشيرة) .. بالتأكيد .
وأغلق الباب خلفها فى رفق ، قبل أن يلتفت إلى رفاقه ، مستطردًا :
ـ والآن ، دعونا نعدَّ خطة العملِ يا سادة .. (سلوى) ستكمل دراستها لكل ملفات المقاتلة الزمنية ، فى محاولة لكشف أسرار ثقوب الزمن ، أما (نشوى) ، فعليها البحث عن المرأة ، التى يمكن أن

تكون فارس الزمن الثانى .. أما أنت يا دكتور (ناظم) ، فعليك أن تبحث عما يعاوننا على كشف تلك المرأة المجهولة ، إذ أن التوصلَ إليها سيساعد على كشف الكثير والكثير من الغموض ، وربما يقودنا إلى وسيلة استعادة رفاقنا .
غمغمت (سلوى) ، وهى تجلس أمام جهاز الكمبيوتر الخاص بها :
ـ يارب .
وأومأ الدكتور (ناظم) برأسه متفهمًا ، قبل أن يقول فى حزم :
ـ فليكن أيها السادة .. ابذلوا جهدكم هنا ، وسأبذل جهدى هناك .
قالها ، واندفع نحو الباب ، وأضاف ، وهو يغادر الحجرة :
ـ وفقكم اللَّه (سبحانه وتعالى) .
أغلق الباب خلفه ، فران على الحجرة صمت عجيب ، وكل منِ فيها ينهمك فى عمله فى اهتمام بالغ شديد ، فتنفس (رمزى) الصعداء ، على الرغم من أن عاصفة عاتية كانت تنطلق فى أعماق عقله ..

عاصفة تكمن فى سؤال واحد ..

تُرى هل نجح (هولدشتاين) فى تنفيذ حكم الإعدام بالفعل ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

أطلَّت نظرة صارمة حادة ، من عيون الحارسين المسلحين ، داخل الزنزانة الضيقة ، التى تضمَ (نور) و (طارق) و (أكرم) ، المقيدين إلى الجدار ، والأخير يغمغم فى عصبية :

ـ هل سنستسلم لهذا الأمر ؟!

قال (طارق) بالعربية :

ـ وما الذى بيدنا لنفعله ؟!

قال (نور) :

ـ إننى أعتصر عقلى ، للبحث عن مخرج .

صاح بهم أحد الجنود فى صرامة :

ـ توقفوا عن الحديث ، وإلاَّ ..

قاطعه (طارق) فى سرعة ، بلغة ألمانية سليمة :

ـ اقترب أيها الحارس .

صاح الرجل فى غضب :

ـ اصمت أيها السجين .

قال (طارق) فى لهجة آمرة :

ـ قلت : اقترب .. لدى أمر مهم ، ينبغى أن تعرفه ، وسأحملك المسئولية كاملة ، أمام الجنرال (هولدشتاين) ، لو لم يَبْلغه ما لدى .

تبادل الجنديان نظرة قلقة ، ثم أشار الثانى لزميله بيده ، ورفع مدفعه الآلى ، مصوبًا إياه نحو الثلاثة ، فى تحفز تام ، فى حين اقترب الأوَّل من (طارق) فى حذر ، متسائلاً :

ـ ماذا لديك !

تطلَّع (طارق) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

ـ هذا المكان ضيق للغاية .. أليس كذلك ؟!

أراد الجندى أن يجيب بعبارة صارمة ، أو سباب قاس ، إلا أن شيئًا ما ، فى عينى (طارق) ، ألجم لسانه على نحو عجيب ، وجعله يحدِّق فى العينين المتطلعتين إليه ، واللتين بدتا وكأنهما تتسعان ..

وتتسعان ..

وتتسعان ..

أما صوت (طارق) ، فقد بدا له وكأنه يأتى من

أعمق أعماق مخه ، وهو يواصل حديثه ، قائلاً فى بطء :

- إنه لا يناسبنا جميعًا .. إنه يزداد ضيقًا .. ويزداد .. ويزداد ..

تراخت عضلات الجندى فى رفق ، وشعر بخدر يسرى فى جسده ، وينطلق فى عروقه ، ويجرى فيها مجرى الدم ، وراح عقله يغوص فى بئر عميقة ..

ويغوص ..

ويغوص ..

ولكن زميله شعر بتوتر بالغ ، من ذلك الجمود المباغت ، الذى أصاب زميله ، فصاح فى عصبية ، وهو يلوِّح بمدفعه الآلى :

- كفى .. لا تتحدَّثوا بحرف واحد .

ثم اندفع نحوهم مكررًا فى انفعال جارف :

- كفى .

تشبَّث (نور) بأغلال معصميه ، وقفز بقدمه ، يركل المدفع الآلى من يد الجندى المندفع ، فى حين وثب (أكرم) بالطريقة نفسها ، وركل الجندى فى معدته وفكه ، فى آن واحد ، وهو يهتف فى حماس :

- أحسنت يا (نور) .

سقط الجندى أرضًا فى عنف ، وانتفض جسد الجندى الآخر ، وكأنما انتزعه الانفعال مما أصابه ، إلا أن (طارق) حافظ على صوته الهادئ العميق ، وهو يقول له :

- لم يحدث شىء .. أنت لم تر أو تشعر بأىِّ شىء .. كل الأمور تسير على ما يرام .. كل الأمور .

استعاد جسد الجندى هدوءه واسترخاءه ، وعاد يتطلَّع إلى عينى (طارق) العميقتين ، فقال هذا الأخير ، فى بطء شديد :

- حل وثاق القائد (نور) .

أدار الجندى عينيه فى بطء ، إلى حيث أشار (طارق) ، ثم قال بصوت حائر :

- لست أمتلك مفاتيح القيود .

أجابه (طارق) :

- استخدم أية وسيلة .

تمتم الجندى :

- أية وسيلة ؟!

أجابه فى حزم :

- نعم .. أية وسيلة .

صمت الجندى لحظة ، ثم رفع مدفعه نحو الأغلال المعدنية ، فهتف (أكرم) مذعورًا :

- ماذا ستفعل أيهًا الغبى ؟!

وقبل حتى أن يتمّ عبارته ، ضغط الجندى زناد مدفعه الآلى ..

وانطلقت الرصاصات ..

وعبر كل شبر من بيت الثعالب ، دوى صوت الرصاصات ..

وكان هذا إيذانًا بفتح أبواب الجحيم على مصراعيها .. كل الأبواب .

★ ★ ★

٤ - الجحيم ..

اعتدلت الدكتورة (إلهام) ، خبيرة التفاعلات الحيوية ، بإدارة البحث العلمى ، فى مقعدها ، وأدارت عينيها نحو باب حجرتها ، استجابة لإشارة الرتاج الآلى ، وقالت عبر جهاز اتصال داخلى :

- من الطارق ؟!

أتاها عبر الجهاز نفسه صوت الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- الدكتور (ناظم) شخصيًا .

أغلقت جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وقالت بابتسامة هادئة :

- تفضّل يا دكتور (ناظم) .. إنك تمتلك كل شفرات الدخول ، بحكم منصبك .

مضت لحظة من الصمت ، ثم انزاح الباب فى هدوء ، وعبره الدكتور (ناظم) ، قائلاً فى جدية :

- مساء الخير يا دكتورة (إلهام) .. من حسن الحظ

أنك تعملين لوقت متأخر هنا ، فنحن بحاجة إلى خبراتك .

هزَّت كتفيها ، قائلة :

- كلنا هنا رهن إشارتك يا دكتور (ناظم) .

جلس على المقعد المقابل لها ، ونقر بأصابعه على منضدة البحث فى توتر ملحوظ ، جعلها تسأله فى اهتمام :

- هل الأمر بهذه الخطورة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- إنه كذلك .

ثم مال نحوها ، مستطردًا فى حزم :

- وهو بالغ السرية أيضًا ، حتى إنه من المهم جدًّا ألا يتجاوز ما سنقوله جدران هذه الحجرة .

بدت الجدية على وجهها ، وهى تقول :

- بالتأكيد .

التقط نفسًا عميقًا ، ثم راح يروى لها كلَّ ما يهمها معرفته ، بخصوص (طارق) ، ورحلة الزمن ، وهى تستمع إليه فى اهتمام بالغ ، وانبهار واضح ، حتى انتهى من روايته ، فسألته منفعلة :

- أأنت واثق من أنها ليست وقائع قصة متقنة ، من قصص الخيال العلمى ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وتنهَّد فى توتر ، مجيبًا :

- المؤسف أن كل ما سمعته مجرَّد حقائق محضة يا دكتورة (إلهام) .

ارتفع حاجباها ، واتسعت عيناها ، وهى تغمغم مبهورة :

- يا للهول !

ثم جاء دورها لتميل نحوه ، مستطردة :

- ولكن ما الذى يمكننى منحكم إياه ، فى هذا الشأن ؟

كرَّر قوله الأوَّل :

- إننا نحتاج إلى خبراتك .

سألته حائرة :

- فيم ؟!

لوَّح بسبَّابته ، مجيبًا :

- فى تحديد هويةَ فارس الزمن الثانى .

ارتفع حاجباها مرة أخرى ، وتعلَّقا فى جبهتها لحظة ، قبل أن ينخفضا ، وينعقدا على نحو قلق ، وهى تسأل فى حذر :

ـ كيف ؟!

أخرج من جيبه أسطوانة صغيرة ، قائلاً :

ـ (نشوى) و (سلوى) نجحتا ، فى استخلاص كل المعدّلات الحيوية لذلك الفارس الثانى ، والكمبيوتر يرجّح أن يكون امرأة وليس رجلاً ، ولكن البحث فى ملفات كل الذين تنطبق عليهم هذه الصفات يحتاج إلى وقت ضخم للغاية ، أما لو استخدمت خبراتك الخاصة بالتفاعلات البشرية الحيوية ، فربما أمكنك اختصار القائمة إلى الربع ، أو أدنى من هذا .

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهى تقول :

ـ نعم .. ربّما .

ثم التقطت الأسطوانة المدمجة من بين أصابعه ، وأشعلت جهاز الكمبيوتر مرة أخرى ، قبل أن تدسّها فى الفراغ الخاص بها ، قائلة :

ـ التفاعلات الحيوية أمر معقّد للغاية يا دكتور (ناظم) ، على الرغم من البساطة التى يبدو عليها ، فطلاّب المرحلة الثانوية ، ومدارس الطب ، وحتى رواد الفضاء ، يقومون بدراسة الخطوط العريضة لتلك التفاعلات ، وبعضهم يغوص شبرًا فيها ، فيتوهم أنه

قد بلغ الأعماق ، على الرغم من أن تلك الأعماق سحيقة للغاية .

ابتسم فى توتر ، مغمغمًا :

ـ نظرة فلسفية أنيقة .

ضغطت بعض الأزرار ، قائلة :

ـ بل نظرة علمية محضة يا دكتور (ناظم) .

وبدا عليها الاهتمام ، وهى ترصد محتويات الأسطوانة المدمجة ، قبل أن تقول :

ـ إنها تبدو بالفعل أشبه بالتفاعلات الحيوية لامرأة .

تنهّد الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

ـ عظيم .

إلاّ أنها استدركت فى سرعة :

ـ ولكنها ليست كذلك !

هتف مبهوتًا :

ـ ماذا ؟!

أكملت فى اهتمام :

ـ إنها تخصّ رجلاً ضئيل الحجم ، أو ..

صمتت لحظة ، فسألها فى لهفة :

ـ أو ماذا ؟!

راجعت البيانات ببصرها مرة أخرى فى سرعة ، قبل أن تجيب فى حزم واثق :

ـ أو أنه فى حالة سبات صناعى (*) .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ سبات صناعى ؟! يا إلهى ! لم يخطر هذا ببال أحدنا قط .

أشارت إلى الشاشة ، قائلة :

ـ ولكنه احتمال مرجَّح للغاية ، وربما يقودنا إلى احتمال أكثر خطورة .

جفَّ حلق الرجل ، وهو يسأل :

ـ أى احتمال هذا ؟!

أجابته فى اهتمام :

(*) السبات الصناعى : حلم يراود علماء الفضاء ، منذ بدأت رحلات السفر عبر النجوم ، وهو يعتمد على تجميد الجسم البشرى ، أوخفض معدلاته الحيوية إلى أدنى حد ممكن ، خلال الرحلات الفضائية إلى النجوم البعيدة ، والتى تستغرق عدة مئات من السنين ، بحيث لا يمضى العمر برواد الفضاء ، خلال تلك الرحلات ، فيصلون إلى أهدافهم فى أعمار شابة ، تمكنهم من أداء مهماتهم ، والعودة إلى عالم جديد ، مرت عليه قرون عديدة ، ولقد أجريت تجارب كثيرة فى هذا الشأن ، دون أن تحقق سوى نجاحات محدودة للغاية ، لا تفى بالغرض .

ـ لو أن (طارق) أيضًا خضع لذلك السبات العميق ، داخل المقاتلة الزمنية ، فهذا يعنى أن تلك المعدلات ، التى تم رصدها ، من سجلات المقاتلة ، لا تصلح لشخصين فحسب .

ثم استدارت إليه فى بطء ، مستطردة :

ـ ولكن لأربعة .

انتفض جسد الدكتور (ناظم) فى عنف ، وحدَّق فى شاشة الكمبيوتر فى ذهول ، كاد يبلغ حده الأقصى ..

فالواقع أن تلك النتائج ، التى توصَّلت إليها الدكتورة (إلهام) ، خبيرة التفاعلات الحيوية ، كانت خطيرة ومذهلة ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

حطَّمت رصاصة الجندى أغلال (نور) ، ولكن دويها تردَّد فى كل ركن من بيت الثعالب ، فهتف (أكرم) :

ـ يا إلهى ! أراهن على أن الجيش الألمانى كله يهرع إلى هنا الآن .

اختطف (نور) بندقية الجندى ، قائلاً :

- وهذا يعنى ضرورة أن نتحرَك بأقصى سرعة .

وقبل حتى أن يتمّ عبارتـه ، كـان يطلـق النـار على أغلال (طـارق) و (أكـرم) ، فوثـب الثـانى يلتقـط المدفـع الآلـى ، من يـد الحـارس الفـاقد الوعـى ، فـى حين هتف (طارق) ، فى الحارس المنوّم مغنطيسيًّا :

- اسقط .

لم يكد ينطقها ، حتى هوى الحارس فاقد الوعى ، كأنمـا أصابتـه لطمـة قويـة ، فـى نفس اللحظـة التـى تعالى فيها وقع أقدام ، تعدو مقتربـةً من الزنزانـة ، فهت (نور) :

- يبدو أنه لا مفرّ من القتال .

لم يكن (أكرم) بانتظـار عبارتـه ، وهو يثب إلى خارج الزنزانة ، حاملاً المدفع الآلى فى حزم وتحفز ، ولكن (طارق) لحق به ، هاتفًا :

- لا .. ربما لن نضطر للقتال .. الحقا بى .

قالها ، واندفع يعدو فى اتجاه مضاد لمخرج القبو ، الذى يحوى زنزانتهم ، فهتـف (أكـرم) فـى حـدة عصبية :

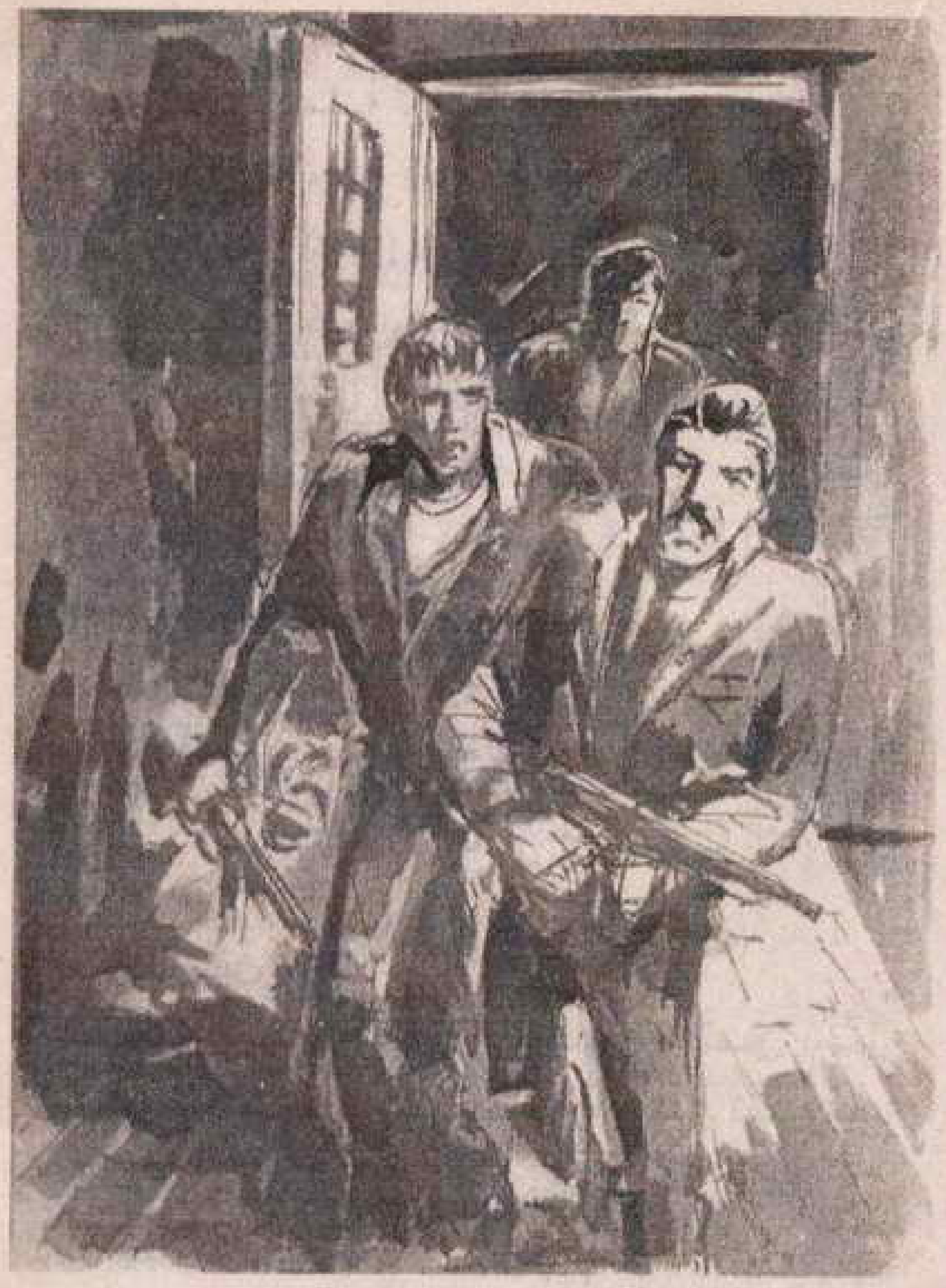

لم يكن (أكرم) بانتظار عبارته ، وهو يثب إلى خارج الزنزانة ، حاملاً المدفع الآلى فى حزم وتحفُّز ، ولكن (طارق) لحق به ..

- إلى أين أيها المتحذلق ؟!

دفعه (نور) أمامه ، قائلاً :

- اتبعه يا (أكرم) ، فمن الواضح أنه يعلم الكثير .

التقى حاجبا (أكرم) فى توتر ، ولكنه أطاع (نور) ، وراح يعدو معه خلف (طارق) ، الذى اتجه إلى حجرة فى نهاية القبو ، وأخذ يعالج رتاجها فى سرعة ومهارة ، راقبهما (نور) فى اهتمام بالغ ، فى حين اقترب وقع الأقدام أكثر وأكثر ، فالتفت (أكرم) نحوهما ، صائحًا فى حنق :

- أسرع يا رجل .. أسرع .

بدا ثلاثة من الجنود الألمان ، فى هذه اللحظة ، فضغط (أكرم) زناد المدفع الآلى ، وفتح النار فى غزارة ، هاتفًا :

- لا مفرّ من القتال .

انطلقت رصاصاته كالمطر ، وجاوبه الألمان بسيل من الرصاصات ، وإن عجزوا عن تصويب رصاصاتهم ، وهم يختبئون من رصاصات (أكرم) ، الذى هتف بالعربية :

- أسرع يا (طارق) .. أسرع بالله عليك .

انتهى (طارق) من الرتاج فى سرعة ، ودفع الباب فى قوة ، هاتفًا :

- هيا .

وثب الثلاثة داخل الحجرة ، التى أغلقها (طارق) خلفهم فى إحكام ، على الرغم من صوت الرصاصات التى ترتطم بالباب ، ووقع أقدام الجنود النازيين ، الذين يسرعون نحوه ، ويطلقون سيل رصاصاتهم الغاضبة ، وقال (نور) فى صرامة :

- أتعشّم أن يكون لديك سبب للقدوم إلى هنا يا (طارق) ، فهؤلاء الثائرون فى الخارج ، لن يستغرقوا سوى ثلاث دقائق على الأكثر ، قبل أن يقتحموا الحجرة ، ويغمرونا برصاصاتهم .

غمغم (طارق) ، وهو يتجه نحو الجدار الشرقى للحجرة :

- لدى سبب قوى بالتأكيد أيها القائد .

قالها ، وهو يضغط جزءًا من الجدار ، فدار حول نفسه ، كاشفًا عن فجوة كبيرة ، تقود إلى الحديقة الخلفية للمبنى المجاور ..

وفى دهشة ، هتف (أكرم) :

- يا إلهى ! كيف توصلت إلى هذا الممر السرى ؟!

دفع (نور) (أكرم) أمامه ، وهو يقول فى صرامة :

- فيما بعد يا (أكرم) ، فمن الواضح أن صديقنا (طارق) يعرف الكثير عن هذا العصر .

رمقه (طارق) بنظرة جانبية ، ثم قال ، وهو يعبر الفجوة :

- أسرعا .

كان النازيون يطلقون النار على الرتاج بالفعل ، عندما عبر الثلاثة تلك الفجوة ، وأعاد (طارق) الجدار إلى موضعه ، هامسًا :

- يوجد ثلاثة حراس هنا .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

- عظيم .. لكل منا حارس .

تحطم رتاج الحجرة فى تلك اللحظة ، واندفع النازيون داخل الحجرة ، وانطلقت رصاصاتهم نحو كل ركن منها ، قبل أن يهتف أحدهم :

- يا للشيطان !! أين ذهبوا ؟!

احتقن وجه الضابط ، المصاحب للجنود ، وهو يدير عينيه فى المكان ، ثم هتف :

- أطلقوا صفارة الإنذار الكبرى .

سأله أحد الجنود ، فى توتر شديد :

- هل نبلغ الجنرال ؟!

ازداد احتقان وجه الضابط ، وهو يجيب :

- لا مفرّ من هذا .

نطق عبارته هذه ، فى نفس اللحظة ، التى عبر فيها (نور) و (طارق) و (أكرم) تلك الحديقة الخلفية ، واتجهوا فى خفة نحو الحراس الثلاثة ، الذين انهمكوا فى حديث ما ، وهم يدخنون سجائرهم الألمانية ، و ..

وفجأة ، انطلقت صفارة الإنذار فى المبنى ..

واستدار الحراس نحوه فى سرعة متوترة ..

ووقع بصرهم على الثلاثة ..

وكان لا بد من الاصطدام ..

وبقفزة مدهشة ، انقضّ (أكرم) على أحد الحراس الثلاثة ، وركل مدفعه من يده ، وهو يهتف :

- ليس بهذه البساطة أيها الوغد .

أما الحارسان الآخران ، فقد رفعا مدفعيهما الآليين بالفعل ..

وأطلقا النار ..

وبحركة بارعة سريعة للغاية ، انزلق (نور) أرضًا ، وترك الرصاصات تعبر فوق رأسه ، قبل أن يركل ساقى أحد الحارسين ، الذى اختلَّ توازنه ، فسقط على ظهره ، ليتلقَى ركلة أخرى فى أنفه من (نور) ، فى نفس اللحظة التى حطَّم فيها (أكرم) فك الجندى الأوَّل بلكمة ساحقة ..

(طارق) وحده لم ينجح فى تفادى كل الرصاصات ، على الرغم من وثبته الجانبية المرنة ، فشعر بخيط من النار يخترق كتفه ، قبل أن يبلغ خصمه ، ويمسك ماسورة مدفعه ، ليدفعها إلى أعلى ، قائلاً :

ـ لقد أصبتنى .

ثم انطلقت قبضته نحو وجهه كالصاعقة ، مع استطرادته :

ـ وهذا لا يعنى انتصارًا .

صاح به (نور) ، والحارس الأخير يسقط فاقد الوعى :

ـ هل أصابك حقًا ؟!

كانت إصابة (طارق) تنزف بغزارة ، إلا أنه أجاب فى حزم :

ـ لا تجعل هذا يقلقك .

ثم أشار إلى سيارة عسكرية قريبة ، مستطردًا :

ـ المهم أن نبتعد عن هنا بأقصى سرعة .

انطلق الثلاثة نحو السيارة العسكرية الألمانية ، ووثب (أكرم) إلى مقعد القيادة ، هاتفًا فى جذل عجيب ، وكأنه يستمتع بكل لحظة من لحظات القتال :

ـ أعتقد أننى الشخص المناسب تمامًا لهذه المهمة .

كان فريق من الجنود النازيين يغادر بيت الثعالب ، فى تلك اللحظة ، ويندفع بمدافعه الآلية نحوهم ، فهتف (نور) :

ـ المهم أن تسرع يا رجل .

لم يكن مفتاح السيَّارة فى موضعه ، لذا فقد انتزع (أكرم) جزءًا من أسفل صندوق عجلة القيادة ، قائلاً :

ـ اطمئن يا (نور) .. إننى أعشق تلك الطرز القديمة من السيارات ، وأجيد قيادتها ، وفهم كل جزء منها .

نطق عبارته ، وهو يجذب سلكين من أسفل عجلة القيادة ، ثم يوصلهما أحدهما بالآخر فى سرعة ، فانطلق محرِّك السيارة يهدر ، فى نفس اللحظة ، التى

اندفع فيها النازيون نحوهم ، وهم يطلقون رصاصاتهم فى غزارة ، فهتف (أكرم) ، وهو يجذب عصا السرعة إلى اليمين والخلف :

- هيا أيها الأوغاد ، فلنر من منا أكثر مهارة .

انطلقت بهم السيارة إلى الخلف بأقصى سرعتها ، قبل أن يضغط (أكرم) فراملها ، ويدير عجلة قيادتها فى الوقت ذاته ، فدارت السيارة حول نفسها على نحو مخيف ، وهو يصرخ فى حماس :

- انطلقى يا جميلتى .. بأقصى سرعة .

انطلق صرير مخيف من إطارات السيَّارة ، عندما انتقلت قدمه ، من الفرامل إلى دوَّاسة الوقود ، واندفعت السيارة مبتعدة ، تطاردها الرصاصات النازية ..

وهتف ضابط ألمانى :

- انطلقوا خلفهم .. لا تسمحوا لهم بالفرار .

قفز أربعة جنود إلى سيارة أخرى ، فى حين وثب جنديان آخران إلى دراجتين آليتين ، وانطلق الجميع خلف السيارة ..

ولدهشة (نور) و(طارق) ، أطلق (أكرم) ضحكة جذلة عالية ، وهتف :

- عظيم .. هذا هو المناخ ، الذى يروق لى ..

ابتسم (طارق) ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

- تمامًا مثلما أعرفه .

أما (نور) فقد لاذ بالصمت التام ، وعقله يغرق فى لجَة من الأفكار ، فى حين انطلق (أكرم) بالسيارة العسكرية كالصاروخ ، وخلفه السيارة الألمانية والدراجتان الآليتان ..

كان من الواضح أنه شديد البراعة ، فى قيادة تلك الطرز القديمة من السيارات ، كما أنه شديد الجرأة ، فى محاوراته ومناوراته ، حتى إن قائد السيارة الألمانية الثانية شعر بتوتر بالغ ، عندما عجز عن ملاحقته ، فضغط دوَّاسة الوقود بأقصى سرعة ، محاولاً تجاوز سيارة (أكرم) ، واعتراض طريقها ، ولكن (أكرم) ضغط فرامل سيارته بغتة ، فانخفضت سرعتها على نحو مفاجئ ، مما أربك الألمانى ، فأدار عجلة قيادة سيارته بسرعة ، فى محاولة لتفادى الاصطدام بسيارة (أكرم) ، الذى هتف برفيقيه :

- تشبثا .

قالها ، وانحرف بسيارته إلى اليمين فى عنف ،

ليرتطم بمقدمة السيارة الأخرى ، ويدفعها نحو الجدار المجاور ..

وصرخ الضابط الألمانى :

ـ احترس أيها السائق ..

ولكن صرخته جاءت بعد فوات الأوان ؛ إذ اختلّ توازن السيارة ، مع انحرافها المباغت ، فوثبت فوق الإفريز ، وارتطمت بالجدار فى قوة ، وواصلت مسيرتها محتكةً به لبضعة أمتار ، قبل أن تميل على نحو مخيف ، وتنقلب فى عنف ..

وجنّ جنون راكبى الدراجتين الآليتين ، فزادا من سرعتيهما ، وهما يطلقان مسدسيهما خلف سيارة (أكرم) ، الذى بدا وكأنه سعيد بما يحدث ، وهو يطلق ضحكة عالية مجلجلة ، هاتفًا :

ـ رائع .. رصاصات تقليدية بدويها الموسيقى العذب .. كم يروق لى هذا العصر .. لا سيارات صاروخية ، أو مسدسات ليزر ، أو حتى أجهزة كمبيوتر ..

هزّ (طارق) رأسه ، مغمغمًا :

ـ يا إلهى ! حالته أصعب مما كنت أتصوّر بكثير .

انحرف (أكرم) إلى طريق جانبى ، فى سرعة مخيفة ، جعلت السيارة تميل فى عنف ، وإطاراتها تطلق صريرًا ، يكفى لإيقاظ (باريس) كلها ، وهو يهتف :

ـ فليكن أيها العبقرى .. ولكن أخبرنى .. أليس من الأفضل أن تقوم بعمل ما ، بدلاً من تركيز كل جهدك على تحليل شخصيتى الهمجية .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ أنت على حق .

ثم اعتدل فى مجلسه ، ممسكًا المدفع الآلى ، فى نفس اللحظة التى انحرفت فيها الدراجتان الآليتان خلف السيارة ..

وأطلق (نور) رصاصات مدفعه ..

وانفجر الإطار الأمامى للدرّاجة الآلية الأولى ، فقفزت قفزة مخيفة فى الهواء ، ودارت حول نفسها ، وقائدها يطير نحو الجدار ، قبل أن يسقط الاثنان ، ويرتطمان بالأرض فى عنف ..

وفى براعة ملحوظة ، تفادى راكب الدرّاجة الثانى رصاصات (نور) ، ومال إلى الجانب الآخر من

السيارة ، ثم صوب مسدسه إلى إطاراتها الخلفية ، وكأنه يطبق ما تعلمه ، مما فعله (نور) بزميله ..

وأطلق النار ..

وانفجر الإطار الخلفى الأيسر للسيارة ..

ومع الانفجار انحرفت السيارة بغتة فى عنف ، حتى أن الجندى الألمانى نفسه عجز عن تفادى الارتطام بها ، فاصطدم بمؤخرتها فى قوة ، ألقت به عن دراجته الآلية ، فى حين قبض (أكرم) على عجلة القيادة بكل قوته ، محاولاً السيطرة على السيارة ، التى واصلت انحرافها العنيف ، حتى ارتطمت بالإفريز ، فمالت بحدة ، ووثبت وثبة مخيفة ، قبل أن ترتطم بجدار أحد المبانى ، وتسقط مرة أخرى على إطاراتها ..

وفى توتر ، هتف (نور) :

- (طارق) .. (أكرم) .. أأنتما بخير ؟!

أجابه (طارق) ، وهو يثب فى خفة خارج السيارة :

- أنا بخير أيها القائد .

وفى حنق ، أزاح (أكرم) جزءًا من الباب ، انثنى بشدة ، وهو يقول :

- وأنا أيضًا ، ولكن فرصتنا فى النجاة ستنخفض كثيرًا ، بدون السيارة .

قال (نور) فى حزم :

- هذا صحيح ، ولن تمضى دقيقة واحدة ، حتى يكتظ المكان بالجنود الألمان ، وعلينا أن نبتعد عن هنا ، بأقصى قدر ممكن .

انطلق الثلاثة يعدون ، فى شوارع (باريس) الجانبية ، وأصوات سيارات الجيش الألمانى تدوى فى كل مكان ، والجنود النازيون يندفعون إلى كل الطرقات ..

وفى انفعال لاهث ، قال (طارق) :

- إنهم يحاصرون كل المداخل والمخارج .. لا يوجد مكان يمكننا أن نختبئ فيه الآن .

سأله (أكرم) فى عصبية :

- ماذا تعنى ؟! هل فشلنا ، بعد كل هذا ؟!

هز (طارق) رأسه فى أسى ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ، متسائلاً :

- ما رأيك أيها القائد ؟!

أدار (نور) عينيه فيما حوله ، ثم قال فى حزم :

- رأيى أننا نمتلك شيئًا ، يفتقر إليه هؤلاء القوم .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

- وما هو ؟!

التقى حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يجيب :

أشار إلى رأسه ، مجيبًا :

- العقل .

زوَى (طارق) ما بين حاجبيه ، محاولاً فهم ما يرمى إليه (نور) ، فى حين قال (أكرم) ، فى شىء من العصبية والتوتر :

- العقل ؟! وما الذى يمكن أن يفعله العقل ، فى موقف كهذا يا (نور) ؟! هل سيمنعهم من رؤيتنا ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

- بالتأكيد .

بدت عليه الدهشة ، فى حين هتف (طارق) :

- آه .. فهمت .

أدار (أكرم) بصره بينهما ، قبل أن يقول فى حنق :

- كالمعتاد ، يبدو لى أننى الوحيد العاجز عن الفهم هنا .

ربَت (نور) على كتفه ، قائلاً :

- اطمئن يا صديقى ، بعد دقيقة واحدة ، لن تكون الوحيد ، الذى يعجز عن رؤية الحقيقة .

وتضاعفت دهشة (أكرم) ..

وبدا له أن عبارة (نور) غامضة .. غامضة للغاية ..

★ ★ ★

« معذرة يا سيِّدى الجنرال ، ولكننى عاجز عن الفهم تمامًا هذه المرة .. »

نطق (فون دارك) ، رئيس الشرطة العسكرية الألمانية هذه العبارة ، فى عصبية واضحة ، وهو يتحدَّث إلى (هولدشتاين) ، الذى عقد كفيه خلف ظهره ، ووقف أمام النافذة ، متطلِّعًا إلى الطريق ، الممتدّ أمام بيت الثعالب ، والذى قال فى صرامة :

- أرح نفسك ، واكتف بتنفيذ الأوامر دون فهمها .

قال (فون دارك) فى حدة :

- أهذا قولك الأخير يا سيِّدى الجنرال ؟!

استدار إليه (هولدشتاين) فى بطء صارم ، وهو يقول :

- ما الذى تريد قوله بالضبط يا كولونيل ؟!

أجابه (فون دارك) فى غضب مكتوم :

- أريد أن أقول : إن تصرفاتك ، فى الآونة الأخيرة ، تبدو غامضة للغاية ، فى زمن الحرب .

رمقه (هولدشتاين) بنظرة صارمة مخيفة ، قائلاً :

- كولونيل هل تدرك معنى ما تقول ؟!

ارتفع صوت (فون دارك) أكثر ، وهو يقول :

- نعم .. أفهمه جيدًا يا جنرال ، وخاصة بعد ما أرسلتنا إلى الأنفاق ، وجعلتنا نبدو كالبلهاء ، ونحن نطارد الزواحف والفئران ، ونطلق عليها النار ، دون أن نعثر على رجل واحد ، من رجال المقاومة الفرنسية ، الذين زعمت حصولك على معلومات مؤكدة ، تفيد وجودهم هناك ، بل ومنحتنا خريطة لوكرهم أيضًا .

قال (هولدشتاين) فى صرامة :

- لقد حذرهم هؤلاء الجواسيس .

رفع (فون دارك) سبابته ، وهو يقول فى عصبية :

- خطأ يا جنرال .. خطأ .. ففى نفس اللحظة ، التى كنا نعدو فيها داخل تلك الأنفاق كالحمقى ، كنت

أنت تقود حملة مسرحية ، لإلقاء القبض على الجواسيس .

التقى حاجبا (هولدشتاين) على نحو مخيف ، وهو يقول :

- حملة مسرحية ؟!

أجابه (فون دارك) فى حدة :

- نعم يا جنرال .. حملة مسرحية مدروسة ، بحيث تبدو أمام الجميع أنك الرجل الذى أوقع بالجواسيس ، فى نفس الوقت الذى وزعت فيه أوامرك الصارمة على الجميع ، لمنع قتلهم ، مهما كان السبب .

صمت (هولدشتاين) لحظة ، وهو يرمق (فون دارك) بنظرة نارية ، قبل أن يقول :

- على الرغم من أن هذا ليس من شأنك يا (فون دارك) ، إلا أننى سأخبرك .

ثم عاد يلتفت إلى النافذة ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، مستطردًا :

- هؤلاء الجواسيس الثلاثة يخفون سرًا خطيرًا ، قد يتوقف عليه مصير الحرب كلها ، ولا بد لنا من انتزاع هذا السر منهم ، قبل أن نقتلهم .

قال (فون دارك) فى صرامة :

ـ ولكنهم سقطوا فى قبضتنا بالفعل ، وكان بإمكاننا انتزاع ذلك السر منهم ، بألف وسيلة ووسيلة ، ولدينا خبراء لا يشق لهم غبار ، فى هذا المضمار ، وعلى الرغم من هذا ؟ فقد أمرت بتيسير سبل الفرار لهم ، ومنعت الرجال من إطلاق النار عليهم مباشرة ، وكأنك تسعى لتحريرهم ، وإبعادهم عن قبضتنا .

صمت (هولدشتاين) لحظة ، ثم قال فى غضب :

ـ من الواضح أنك لا تعرف هؤلاء الرجال يا (فون دارك) .. إنهم فى قوة الفولاذ وصلابة الماس ، والموت نفسه لن يخيفهم ، أو يجبرهم على الإدلاء بما لديهم ، والوسيلة الوحيدة لكشف سرهم ، هى إيهامهم بأنهم مطلقو السراح ، وتعقُّبهم سرًّا ، حتى يقودونا إليه .

قال رئيس الشرطة العسكرية فى حدة :

ـ وكيف يمكننا أن نتعقَّبهم يا جنرال ؟!

مطَّ (هولدشتاين) شفتيه ، وقال :

ـ لدينا وسائلنا .

صمت (فون دارك) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع

فى غضب إلى الجنرال ، الذى يوليه ظهره ، قبل أن يقول فى لهجة جافة :

ـ إذن فهؤلاء الجواسيس يخفون سرًّا ، يتوقَّف عليه مصير الحرب كلها ؟

غمغم (هولدشتاين) فى ضجر :

ـ هذا صحيح .

قال (فون دارك) فى صرامة :

ـ من المؤكَّد إذن أن الفوهلر على علم بالأمر .. أو الهر (هملر) على الأقل .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، واستدار إليه فى بطء ، قائلاً :

ـ ماذا تعنى يا (فون دارك) ؟!

أجابه الرجل فى حدة صارمة :

ـ أعنى أنه لن يضيرك ، والحال هكذا ، أن أخبر الجنرال (هملر) ، رئيس الجستابو ، أو الفوهلر نفسه ، بما تفعله هنا .

لم ينبس (هولدشتاين) بحرف واحد ، وإن بدا عليه مزيج من الغضب والعصبية ، جعلا (فون دارك) يقول ، وهو يخرج ورقة من جيبه ، ويمسكها فى قوة :

- كنت أعلم أن هذا سيقلقك .. كنت أعلم هذا .

بدا صوت (هولدشتاين) صارمًا مخيفًا ، وهو يقول :

- يبدو أنك تجهل تمامًا ما تمضى إليه يا (فون دارك) .

أجابه الرجل فى تحد ، وهو يلوّح بقبضته الممسكة بالورقة :

- بل أعرفه جيدًا يا جنرال .. أعرف أنك تسعى لأمر ما ، لا يخصّ صالح الوطن قط .. أمر شخصى بحت ، أو ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

- أو خيانة .

ظلّ وجه (هولدشتاين) جامدًا صارمًا ، وهو يقول :

- لقد تماديت كثيرًا يا (فون دارك) .

هتف الرجل :

- بل قل : إننى اقتربت من الحقيقة كثيرًا يا جنرال .

صمت (هولدشتاين) لحظات أخرى ، خيّل لـ (فون دارك) خلالها أن عينيه تتحولان إلى جمرتين من نار ، قبل أن يقول بصوت رهيب مخيف :

- فليكن يا (فون دارك) .. إنك لم تترك لى الخيار .

تراجع (فون دارك) بحركة غريزية ، وهو يقول فى توتر :

- ماذا تقصد يا جنرال ؟!

استلّ (هولدشتاين) مسدسه بسرعة خرافية ، وهو يقول :

- هذا يا (فون دارك) .

اتسعت عينا (فون دارك) ، وتراجع فى سرعة ، ولكن رصاصة مسدس (هولدشتاين) كانت أكثر سرعة ، وهى تخترق جبهته ، وتغوص فى مخه ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، ولوّح بقبضته ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

وفى هدوء عجيب ، أعاد (هولدشتاين) مسدسه إلى غمده ، وهو يتمتم :

- إن وغدًا مثلك لن يفسد خطتى ، للسيطرة على التاريخ .

قالها ، وانحنى ينتزع تلك الورقة ، من بين أصابع (فون دارك) ، ثم اعتدل يفضّها فى سرعة ، و ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

اتسعت عينا (فون دارك) ، وتراجع فى سرعة ، ولكن رصاصة مسدس (هولدشتاين) كانت أكثر سرعة ، وهى تخترق جبهته ..

- اللعنة !!

فقد كانت تلك الورقة تحمل أمرًا مباشرًا من (فون دارك) ، لكل رجال الشرطة العسكرية الألمانية ، بإطلاق النار على (نور) و (طارق) و (أكرم) ، فور رؤيتهم ..

وبلا رحمة .

★ ★ ★

٥ - الخدعة ..

أدار الضابط الألمانى عينيه فيما حوله ، فى صرامة عصبية ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، قبل أن يقول لرجاله ، بلهجة حازمة آمرة :

- انتشروا فى المنطقة كلها ، وأطلقوا النار عليهم فور رؤيتهم ، و ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، دوت فرقعة قوية فى المكان ..

ثم انقطع التيار الكهربى عن المنطقة كلها ، دفعة واحدة ..

ومع انقطاعه ، سرى فى عروق الضابط وجنوده موجةٌ عنيفة من التوتر ، وهتف الضابط فى عصبية ، وهو ينتزع مسدسه من غمده :

- أضيئوا مصابيح السيارات .. هيا .. بسرعة .

أسرع الجنود إلى سياراتهم ، وامتدَّت أياديهم إلى أزرار إضاءة المصابيح ، و ...

وهنا اندفع (نور) و (طارق) و (أكرم) من مكمنهم ..

وفى نفس اللحظة ، التى أضيئت فيها مصابيح السيارات ، انقضَّ الثلاثة كالنسور ..

وتحطَّم فك الضابط الألمانى بلكمة كالقنبلة ، وفقد اثنان من الجنود مدفعيهما بركلتين قويتين ، فى حين شعر سائق إحدى السيارات بذراع كالفولاذ ، تنتزعه من مقعد القيادة ، ثم تضربه بالأرض فى عنف ، مع صوت ساخر ، يقول :

- هيا يا رجل .. انتهت رحلتك هنا .

صرخ أحد الجنود فى عصبية :

- إنهم هنا .. أطلقوا النار .

انطلقت صرخته ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (أكرم) إلى مقعد القيادة ، وقفز خلفه (نور) و(طارق) ، وكلاهما يطلق نيران مدفعه الآلى ، فوق رءوس الجنود ..

وعندما انحنى النازيون ، لتفادى الرصاصات المنهمرة كالمطر ، انطلق (أكرم) بالسيارة كالصاروخ ..

ومن المقعد الخلفى ، أمطر (نور) و (طارق) مصابيح السيارات الأخرى برصاصاتهم ..

وتحطَّمت المصابيح ..

وغرقت المنطقة مرة أخرى في ظلام دامس ، إلا من مصباحي سيارة (أكرم) ، ونيران المدافع الآليَة ، التي انطلقت خلفها ..

وبينما ينطلق بأقصى سرعته ، هتف (أكرم) :

- إلى أين ؟!

أجابه (طارق) في توتر :

- ما دام (هولدشتاين) خلفنا ، فلن نجد مكانًا واحدًا يمكن أن نختبئ فيه ، في (باريس) كلها أو حتى ..

هتف (نور) فجأة :

- أوقف السيَّارة .

ضغط (أكرم) الفرامل بحركة تلقائية ، وهو يقول في دهشة :

- أوقفها ؟!

توقَّفت السيَّارة ، وإطاراتها تطلق صريرًا عاليًا ، وهتف (طارق) :

- ماذا هناك أيها القائد ؟!

وثب (نور) خارج السيَّارة ، وهو يقول :

- إنهم يبحثون عن ثلاثة من الهاربين ، استولوا على واحدة من السيارات العسكرية الألمانية ، وسيقيمون الكمائن في كل مكان ، وهذا يعني أن أوَّل ما نفعله ، هو أن نغادر السيَّارة .

لم يكد يكمل عبارته ، حتى قفز (طارق) و(أكرم) من السيارة بدوريهما ، والأخير يهتف :

- رباه ! أنت على حق كالمعتاد يا (نور) .

أما (طارق) ، فتطلَّع إلى (نور) في إعجاب ، مغمغمًا :

- القائد عبقري يا (أكرم) .

تجاهل (نور) العبارتين ، وهو يقول :

- والآن دعونا نبتعد عن هنا بأقصى ما يمكننا .

أشار (أكرم) بيديه ، قائلاً :

- إلى أين تقترح .. الشرق أم الغرب ؟!

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- لا هذا ولا ذاك يا صديقي .. لن نجد شبرًا واحدًا للاختباء ، في (باريس) كلها ، كما قال (طارق) .. إنهم سيطلقون جنودهم في كل مكان بلا استثناء .. في الشوارع ، والطرقات ، وحتى أنفاق المترو ،

وسيفتشون كل البيوت ، والمنازل ، والمحال التجارية .. باختصار ، ستتحولَ (باريس) كلها إلى منطقة حرب ، لا يمكن أن تفلت منها بعوضة .

قال (طارق) فى حيرة :

- هل تعنى أنه لا يوجد أى مكان ، يمكن أن نذهب إليه ؟!

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

- بل يوجد مكان واحد ، لن يخطر ببال أحد قط .

سأله الاثنان فى آن واحد :

- وما هو ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- البيت .. بيت الثعالب نفسه .

حدَّق الاثنان فى وجهه بذهول ، قبل أن يهتف (طارق) مبهورًا :

- بيت الثعالب ؟! إننا بهذا كمن يلقى نفسه بين أنياب تمساح ، لينجو من جوعه .

هزَّ (نور) رأسه فى قوة ، وهو يقول فى حماس :

- على العكس .. إنهم يبحثون جميعًا عن ثلاثة من الهاربين ، يسعون بأقصى طاقتهم ، للابتعاد عن بيت

الثعالب ، وليس عن ثلاثة من المجانين ، الذين يسعون بأقدامهم إليه .

غمغم (أكرم) :

- فكرة مجنونة يا (نور) .

ثم استدرك فى سرعة ، وهو يطلق ضحكة عابثة :

- ولهذا ، فهى تروق لى جدًّا .

ارتسمت ابتسامة رصينة ، على شفتى (طارق) ، وهو يقول :

- ولى أيضًا .

همَّ (أكرم) بقول شىء ما ، وابتسامته تتراقص على شفتيه ، إلا أن تلك الابتسامة لم تلبث أن تلاشت بغتة ، وحلَّت محلَّها نظرة شديدة التوتر ، وهو يقول فى عصبية :

- هذا لو لم نعد إلى بيت الثعالب ، على الرغم منا .

لم يكد يتمَّ عبارته ، وقبل حتى أن يسأله أحدهم عما يعنيه بها ، أضيئت مصابيح قوية فى عيون الثلاثة ، وارتفع صوت صارم ، يقول بالألمانية :

- أنتم محاصرون .. حركة طائشة واحدة ، وتغمركم الرصاصات من كل صوب .

ومن خلف الصوت والأضواء ، ميَّز أبطالنا الثلاثة بضعة أزياء عسكرية نازية ، ومدافع آلية ..

عشرات المدافع الآلية ..

★ ★ ★

التقى حاجبا (نشوى) فى شدة ، وهى تتطلَّع إلى شاشة الكمبيوتر ، وتراجع بيانات المقاتلة الزمنية للمرة الخامسة ، قبل أن تهزَّ رأسها فى قوة ، قائلة :

- عجبًا !! لست أدرى كيف أكَّدت الدكتورة (إلهام) أن البيانات لرجل ضئيل الحجم .. الكمبيوتر مازال يصرّ على أن البيانات تناسب امرأة !!

أجابها الدكتور (ناظم) فى حزم :

- الكمبيوتر أداة تفكير جامدة ، تتعامل مع الحقائق المجرَّدة وحدها ، أما هى فعالمة بشرية ، وخبيرة فى مضمارها ، ومن الطبيعى أن ترى ما لا يراه الكمبيوتر .

ثم ضرب طرف المنضدة بأصابعه ، مستطردًا :

- ما زال البشر هم المحرك الرئيسى للحياة .

غمغم (رمزى) :

- حمدًا لله (سبحانه وتعالى) .

ثم استطرد فى اهتمام :

- إننى أعترف فى الواقع ، أن فكرة السبات الصناعى هذه ، لم تخطر لنا قط ..

لوَّح الدكتور (ناظم) بكفه ، قائلاً :

- ألم أقل لك إنها خبيرة ؟!

ثم التفت إلى (نشوى) ، يسألها :

- المهم ، ماذا سنفعل ، فى ضوء هذه المعلومات الجديدة ؟!

أشارت إلى الكمبيوتر ، مجيبة :

- سنبحث عن ذلك الرجل الضئيل .

غمغم (رمزى) :

- أو الرجال الثلاثة ، الذين غرَقوا فى سبات عميق ، خلال رحلة الزمن .

سأله الدكتور (ناظم) فى قلق :

- هل تميل إلى هذا الاحتمال ؟!

قبل أن يجيب (رمزى) ، قالت (سلوى) فى حزم :

- أنا أميل إليه .

التفت إليها الجميع فى دهشة متوترة ، وهتف الدكتور (ناظم) :

- حقًا ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تتراجع فى مقعدها ، قائلة :

- تصميم المركبة يحوى أربعة مقاعد ، وهذا يعنى أنه من المحتمل جدًا أن تكون قد حملت إلينا أربعة أفراد بالفعل .

مطت (نشوى) شفتيها ، مغمغمة :

- يبدو أن الدكتورة (إلهام) هذه عبقرية بالفعل .

أجابها الدكتور (ناظم) فى حماس :

- إنها كذلك .

رمقته بنظرة جانبية ، فاستدرك فى صرامة .

- إنها لم تر المركبة ، أو تشاهد تصميماتها ، وعلى الرغم من هذا ، فقد استنتجت وجود أربعة رجال ، وهذا يعنى أنه ما زال علينا أن نبحث عن ثلاثة جواسيس فى زمننا .

قال (رمزى) فى حزم :

- ليس بالضرورة .

التفت إليه الدكتور (ناظم) فى حدة ، قائلاً :

- الدكتورة (إلهام) ..

قاطعه (رمزى) :

- الدكتورة (إلهام) استنتجت أن المقاتلة كانت تحمل أربعة رجال ، ولكن هذا لا يعنى أن جميعهم قد نجح فى بلوغ عصرنا .

لوّح الدكتور (ناظم) بسبّابته فى عصبية ، قائلاً :

- اشرح ما تعنيه يا (رمزى) .

أجابه (رمزى) فى سرعة ، وكأنما لم يكن ينتظر العبارة :

- أعنى أنه لو أن الجزء الخاص بالضياع عبر الزمن ، فى قصة (طارق) ، صحيحًا ، فهذا يعنى أن طاقم المقاتلة قد خاض أهوالاً لا حصر لها ، منذ بدأ رحلته ، وحتى بلغ عصرنا ، ومن المحتمل جدًا أن بعضهم قد لقى مصرعه ، فى زمن أو آخر .

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تقول :

- نعم .. من المحتمل جدًا .. السفر عبر الزمن يحمل حتمًا مخاطر جمَّة .

أدرك (رمزى) على الفور أنها تقصد ما أصاب والدها ، فتابع ، محاولاً تهدئتها :

- وهذه مجرَّد نظرية بالطبع .

ران الصمت لحظات على المكان ، قبل أن يقول الدكتور (ناظم) فى حزم :

- الدكتورة (إلهام) وحدها ، يمكنها حسم هذا الأمر .

أجابته (نشوى) .

- فليكن .. دعها تراجع النتائج مرة أخرى .. أو مرات ومرات .. حتى تصل إلى نتيجة مؤكدة ، لا تقبل الشك .. إننا سنعتمد تمامًا على عملها .

ثم التفتت إلى أمها ، مستطردة :

- أليس كذلك يا أمى ؟!

بدت لها (سلوى) مشدودة بكيانها كله ، إلى شاشة الكمبيوتر ، التى تحمل خريطة ثقوب الزمن ، فهتفت بها مرة أخرى :

- أمى .

التفتت إليها (سلوى) بحركة حادة ، وجسدها ينتفض انتفاضة قوية ، وكأنما انتزعها هتاف ابنتها من سبات عميق ، وحدقت فى وجهها لحظة ، قبل أن تقول .

- معذرة يا (نشوى) ، ولكن ما توصل إليه الكمبيوتر أدهشنى كثيرًا .

هتف بها الدكتور (ناظم) فى لهفة :

- وما الذى توصل إليه الكمبيوتر ؟!

أشارت إلى الشاشة فى انفعال ، قائلة :

- لقد تمكن من حل شفرة تلك الرموز الحمراء ، المجاورة للثقوب .. إنها تحدد بالفعل كل زمن ، يمكن أن يقود إليه الثقب .

قال (رمزى) فى حيرة :

- ولكن هذا ما كنا نتوقعه يا (سلوى) .

أجابته بسرعة :

- هذا صحيح ، ولكن بعض هذه الثقوب يحمل ، إلى جوار التاريخ ، حرفى (ق . م .) .. أى أنها تقود إلى أزمان تعود إلى ما قبل الميلاد .

سألها الدكتور (ناظم) فى حذر :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابته فى حزم :

- يعنى أن مفهوم الزمن عند (طارق) ، هو نفس مفهومه لدينا ، أو بمعنى أدق ، أنه قد جاء من زمن ، ما زال يعتمد نفس نظم التوقيت ، التى اعتمدتها كل العصور الحديثة .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) وهو يقول :

- يا إلهى ! هل تعنين أن .. ؟!

قاطعته بلهجة حاسمة :

- نعم يا دكتور (ناظم) .. أعنى أن (طارق) لم يأت من الماضى ، كما حاول أن يوهمنا جميعًا .. بل أتى من المستقبل .

وشدَت قامتها ، مضيفة فى صرامة :

- مستقبلنا .

ولم ينبس أحدهم بحرف واحد ، تعقيبًا على قولها ، على الرغم من الانفعال الجارف ، الذى ارتسم على وجوههم جميعًا ..

فالواقع أن المفاجأة كانت عنيفة ..

عنيفة للغاية ..

★ ★ ★

لثانية أو ثانيتين ، تجمَد الموقف تمامًا ، فى ذلك الشارع الصغير ، فى قلب (باريس) ، وفكَر (أكرم) لحظة فى رفع مدفعه ، وإطلاق النار على أولئك ، الذين يصوبون إلى ثلاثتهم مدافعهم ، إلا أن لمحة من العقل ، جعلته يدرك أن هذا لن يؤدى إلا لمذبحة ،

يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، كيف يمكن أن تنتهى ، فهتف فى حنق :

- أراهن على أنكم قد أوقعتم بنا بمحض الصدفة فحسب .

نطقها بالألمانية ، إلا أن الجواب أتاه بالفرنسية ، وبصوت أنثوى مألوف ، يقول :

- هذا صحيح .

خفق قلب (طارق) فى قوة ، عندما سمع الصوت ، ورفع عينيه فى لهفة إلى مصدره ، فى حين عقد (نور) عينيه فى حذر ، وتطلَع إلى دائرة الضوء ، التى برزت منها فرنسية حسناء ، تكمل بابتسامة ساحرة .

- من حسن الحظ ..

هتف (طارق) بلهفة شديدة ، تمتزج بفرحة واضحة :

- (برجيت) .

لم يكن هتافه قد انتهى بعد ، عندما ألقت نفسها بين ذراعيه ، ودموعها تنساب على وجنتيها فى صمت ، فى حين غمغم (أكرم) فى ذهول :

- ماذا يحدث بالضبط ؟!

أتاه صوت (آلان) ، يقول فى عصبية :

- لقد اصطدمنا بكم ، فى أثناء استعدادنا لشنّ غارة على الألمان .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- لهذا ترتدون أزياء عسكرية ألمانية إذن .

هتفت (برجيت) فى حماس ، وهى تنساب من بين ذراعى (طارق) :

- بالضبط .. كانت غارة انتقامية ، بعد محاولتهم اقتحام وكرنا ، فى قلب أنفاق المترو ، وبعد أن أوقعوا بكم .

ثم عادت تلتفت إلى (طارق) ، قائلة :

- حمدًا لله على أنكم بخير ، على أية حال .

أشاح (آلان) بوجهه فى غضب ، وقال :

- معظم الرجال أصرّوا على أنها خدعة ، ولكن (برجيت) أقنعتهم بالعكس .

هتف أحد الرجال فى حدة :

- ولكن النازيين كانوا يحملون خريطة كاملة للأنفاق .

التفت إليه (نور) بحركة سريعة ، هاتفًا :

- خريطة للأنفاق ؟!

وتبادل نظرة متوترة مع (طارق) ، قبل أن يقول هذا الأخير :

- ولكن حتى هذا الزمن ، لم تكن هناك خريطة كاملة لأنفاق المترو .

تطلّع إليها (آلان) والرجال فى حيرة متوترة ، تحت أضواء المصابيح الكاشفة ، وغمغم أحدهم فى عصبية :

- ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- يعنى أن (هولدشتاين) ما زال يمتلك مصدرًا ما ، للحصول على كل المعلومات الدقيقة ، الخاصة بهذا العصر .

لم يستوعب الرجال تمامًا ما يعنيه ، فتبادلوا نظرات شديدة التوتر ، فى حين قال (آلان) :

- من الصعب علينا أن نتمشّى مع ما لديكم من علوم يا (نور) وهذا يجعل تعاوننا عسيرًا .

قال (نور) فى سرعة :

- على العكس يا (آلان) .. إننا نتكامل على نحو

رائع ، فنحن لدينا العلم والمعرفة المسبقة بالتاريخ ، وأنتم لديكم العدد والقوة ، وهذا يجعل بإمكاننا القيام بعمليات قوية للغاية .

سألته (برجيت) فى لهفة :

- مثل ماذا ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ؛ ليضمن التفات الجميع إليه ، وإنصاتهم لكلماته ، قبل أن يجيب فى بطء :

- لقد خرجتم لشن غارة عشوائية على الألمان ، فلماذا لا نجعلها غارة محدودة ، مدروسة ؟!

بدا الاهتمام القلق على وجوه الجميع ، حتى (طارق) و (أكرم) ، وسأله الأول فى حذر :

- أيها القائد .. هل تقصد ما أفكر فيه ؟!

أجابه (نور) ، فى حزم وحماس :

- بالتأكيد يا (طارق) .

ثم التفت إلى الجميع ، مضيفًا :

- سنهاجم بيت الثعالب نفسه .

انطلقت شهقة مكتومة من (برجيت) ، فى حين اتسعت عيون رجال المقاومة فى دهشة مذعورة ، و (أكرم) يغمغم فى سخرية :

- أراهن على أن قلوبهم تنبض فى أقدامهم الآن .

اخترقت غمغمته صمتًا عميقًا ، ران على المنطقة كلها ، قبل أن يهتف أحد الرجال :

- إنها خدعة جديدة .. سيلقوننا فى قبضة الألمان .. سنجد فخًا فى انتظارنا هناك .

هتفت (برجيت) :

- غبى .. لقد التقينا بهم مصادفة ، فكيف يعدُّون فخًا لنا هناك .

ارتبك الرجل مع منطقها السليم ، فى حين قال (آلان) فى صرامة :

- إنها مخاطرة كبرى ، فى كل الأحوال .

أجابه (نور) :

- بل هو الوقت المناسب تمامًا للهجوم ، والجميع يبحثون عنا خارج المبنى .

قال (آلان) فى حزم :

- الألمان ليسوا أغبياء أو ساذجين ، وإلا ما اجتاحوا (أوروبا) كلها .. صحيح أنهم أطلقوا وحوشهم خلفكم ، إلا أن هذا لا يعنى أنهم قد تركوا مقر قيادتهم بلا حراسة كافية .

أجابه (نور) :

- بالتأكيد ، ولكنهم الآن ينتظرون عودة هؤلاء الرجال ، ولو أنكم ذهبتم إلى هناك بأزيائكم العسكرية الألمانية هذه ، فسيمكنكم خداعهم بضع لحظات ، ستكون كافية لمفاجأتهم ، واقتحام المبنى كله ، فى غياب معظم رجال حراسته .

ران الصمت على المكان مرة أخرى ، قبل أن يقطعه أحد الرجال ، قائلاً فى حدة :

- هذا لن يكفى .. الألمان يقاتلون كالأسود ، عندما يواجهون الخطر ، ولن يكون اقتحام بيت ثعالبهم بالأمر السهل .

قال (طارق) فى سرعة :

- ليس إذا هاجمنا من محورين .

سألوه فى اهتمام حذر :

- وكيف هذا ؟!

أجابهم فى حماس :

- هناك مدخل سرى ، أمكننا الفرار عبره ، ويمكن لمجموعة منا أن تعبره إلى داخل المبنى ، فى نفس الوقت الذى تهاجم فيه المجموعة الأخرى المدخل

الرئيسى ، ومن المؤكد أن الألمان سيرتبكون فى شدة ، عندما يضطرون للقتال فى الداخل والخارج ، فى آن واحد .

أكمل (أكرم) ، فى حماس مماثل :

- ثم إنها ستكون ضربة قاصمة للنازيين ، وسيعلم بأمرها كل مخلوق ، فى (أوربا) كلها .

وجدت عبارته صدى فى أعماقهم ، وهوى فى نفوسهم ، خاصة مع شعورهم وتخيلهم لرد الفعل ، الذى سينجم عن هذه الواقعة ، والذى سيعلن أن المقاومة الفرنسية مازالت فى أوج قوتها ، على الرغم من كل الضربات التى تلقتها مؤخرًا ..

وفى حزم ، عبَّر (آلان) عن رأى الرجال ، قائلاً :

- لا بأس يا (نور) .

هتف (أكرم) فى حماس :

- رائع .

أما (نور) فلم يضع لحظة واحدة فى الانفعال ، وهو يقول :

- عظيم .. فى هذه الحالة سننقسم إلى فريقين .. فريق يتكوَّن من ثلث الرجال ، ويقوده (طارق) ،

نظرًا لمعرفته بأسرار ذلك المدخل الخفى ، وفريق آخر من باقى الرجال ، بصحبتنا ، (أكرم) وأنا ، لاقتحام المدخل الرئيسى .. سنضبط ساعاتنا ، لتحديد موعد ثابت للهجوم من الجانبين .. إنها الرابعة صباحًا ، وسنبلغ بيت الثعالب فى الرابعة والربع تقريبًا ، وسيتم الاقتحام فور وصولنا إلى هناك ، وما إن يبدأ إطلاق النار ، حتى تقتحم المجموعة الأولى المدخل السرى ، وتنقضَ على الألمان من الداخل ..

غمغمت (برجيت) :

- فكرة عبقرية .

تنهَّد (طارق) ، قائلاً بابتسامة إعجاب :

- إنك تتعاملين مع القائد (نور) .. أبرع رجل أمن فى عصره .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

- وبالنسبة لشخص مثلى ، فهو أبرع رجل أمن ، فى كل العصور .

تسللت أصابعها ؛ لتحتضن أصابعه ، وهى تهمس :

- وبالنسبة لى ، هناك من هو أكثر براعة منه .

خفق قلبه ، وهو يضغط أصابعها فى رفق ، قبل أن يقول (نور) فى حزم :

- هيا بنا .

انقسم الرجال إلى مجموعتين ، كما اقترح (نور) ، وانطلق (طارق) و (برجيت) مع المجموعة الأولى ، للدوران حول بيت الثعالب ، فى حين قاد (نور) و (أكرم) و (آلان) المجموعة الثانية ، و(نور) يقول :

- أنا و(أكرم) لا نرتدى الأزياء العسكرية الألمانية ، لذا فسنتظاهر بأننا قد وقعنا فى أسركم ، ورؤيتنا ستجذب أنظار الجنود ، وستشغلهم عن التحقق منكم ، وهكذا يكون للمفاجأة وقعها .

غمغم (آلان) :

- بالتأكيد .

لم ينبس أحدهم بعدها ببنت شفة ، والجميع ينطلقون نحو بيت الثعالب ، مرورًا ببعض وحدات التفتيش الألمانية ، التى لم يحاول أفرادها استيقاف الرجال ، باعتبارهم فريقًا من الجنود النازيين ، نجح فى أسر اثنين من الهاربين الثلاثة ، حتى اقترب الجميع من بيت الثعالب ..

ولكن فجأة ، اعترض أحد الضباط الألمان ورجاله مسيرة الفريق ، وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويتطلع إلى (نور) و(أكرم) بنظرة صارمة ، قائلاً :

- هل أوقعتم بهما ؟!

انفرجت شفتا (آلان) ، ليقول شيئًا ما ، إلا أن الضابط استطرد فى صرامة شديدة :

- أيها الغبى .. ألم تستمع للأوامر الجديدة ؟!

تبادل (نور) و (أكرم) نظرة متوترة ، فى حين غمغم (آلان) بالألمانية فى حذر :

- الأوامر الجديدة ؟!

لوَّح الضابط بأصابعه فى أناقة صارمة ، وهو يقول :

- نعم .. الأوامر الجديدة أيها الضابط .. لقد أصدر الجنرال (هولدشتاين) أمرًا بإلغاء كل الأوامر السابقة للكولونيل (فون دارك) ، الذى قتله الهاربون ..

ثم رمق (نور) و(أكرم) بنظرة صارمة أخرى ، قبل أن يشير لـ (آلان) ، قائلاً :

- تعال .

قفز (آلان) من السيارة ، واتجه مع الضابط إلى

ركن بعيد ، حيث راح هذا الأخير يتحدث إليه فى صرامة لبعض الوقت ، فهمس (أكرم) :

- هل تعتقد أنه يأمره بقتلنا ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يجيب فى حذر :

- كلاً .. وجه (آلان) يحتقن بشدة ، وهذا يعنى أن ما يقوله الضابط مفاجئ أو مخيف .

ازدرد (أكرم) لعابه فى صعوبة ، مغمغمًا :

- هل تعتقد هذا ؟!

لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى لمح (آلان) يؤدى التحية العسكرية للضابط الألمانى ، ثم يتجه نحوهم ، ووجهه محتقن بشدة ، فغمغم (نور) :

- سنعرف كل شىء بعد لحظات .

إلا أن (آلان) وثب إلى السيارة العسكرية الألمانية ، وقال لقائدها فى عصبية :

- انطلق .

كان محتقن الوجه فى شدة ، حتى إن (نور) سأله فى قلق :

- ماذا حدث يا (آلان) ؟!

عضَّ الفرنسى شفتيه ، دون أن يجيب ، ووجهه يزداد احتقانًا ، حتى انحرفت السيَّارة فى شارع جانبى ، فانفجر هاتفًا :

ـ خيانة .

وقبل أن يفهم (نور) و (أكرم) ما يعنيه ، كان يصوِّب مدفعه الآلى إليهما ، صائحًا فى غضب هادر :

ـ لقد خدعتمونا .. إنه فخ بالفعل .. فخ .

تفجَّرت موجة من التوتر العنيف بين الرجال ، إثر صيحة (آلان) ، وارتفعت كل فوهات المدافع الآلية نحو (نور) و(أكرم) فى انفعال شديد ، فهتف الأخير فى عصبية :

ـ اللعنة ! ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أما (نور) ، فهتف :

ـ ماذا حدث بالضبط يا (آلان) ؟!

صاح (آلان) ، وهو يلوِّح بمدفعه :

ـ ذلك الألمانى القذر وجَّه إلىَّ اللوم ؛ لأننى ألقيت القبض عليكما ، وأخبرنى أن الجنرال (هولدشتاين) طلب مطاردتكم على نحو روتينى فحسب ، ولكنه أمر بعدم إطلاق النار عليكم ، وتيسير سبل الفرار لكم ، فما الذى يعنيه هذا ؟!

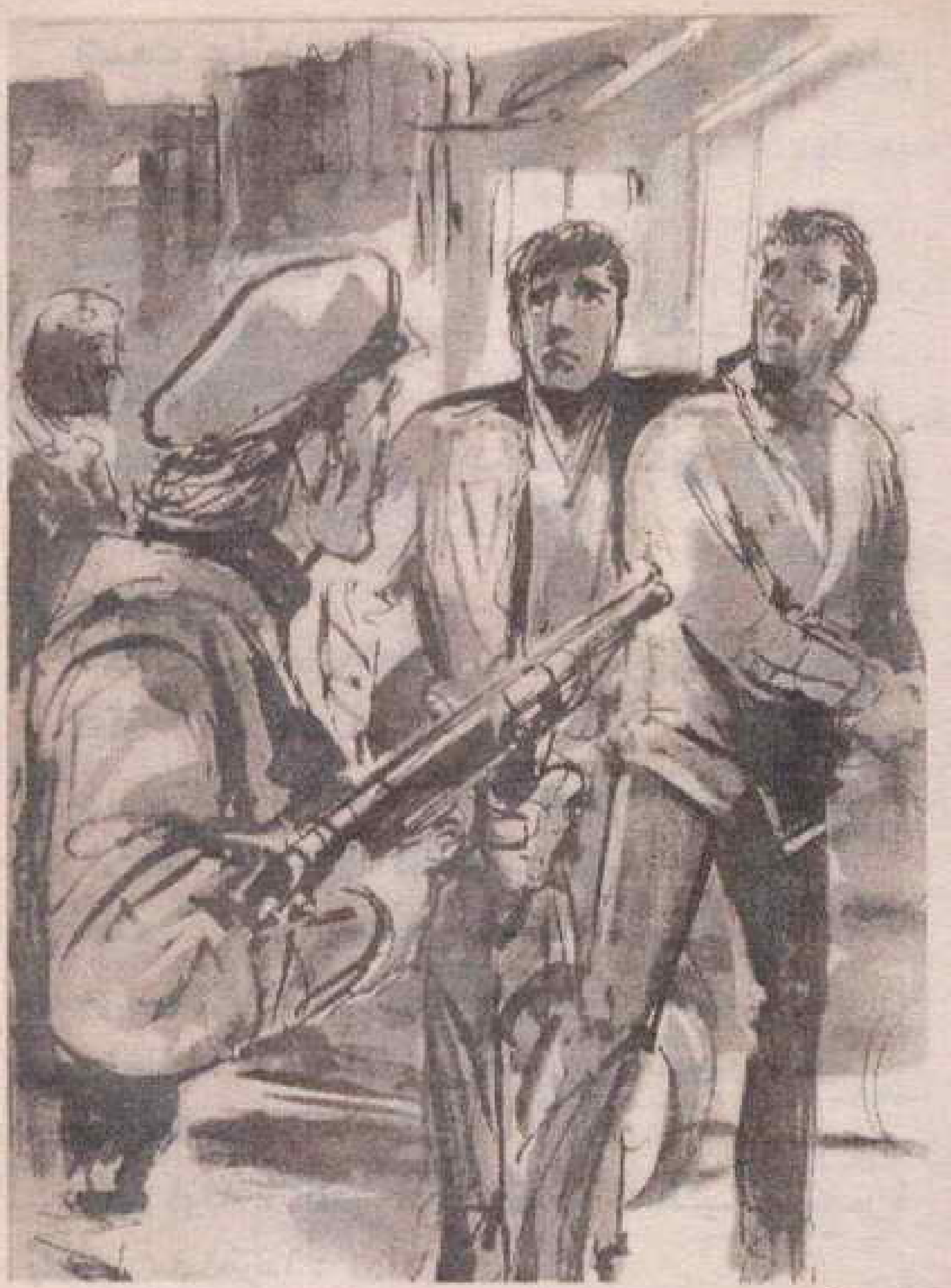

وقبل أن يفهم (نور) و (أكرم) ما يعنيه ، كان يصوِّب مدفعه الآلى إليهما ، صائحًا فى غضب هادر : ـ لقد خدعتمونا ! ..

اتسعت عينا (أكرم) فى ذهول ، فى حين هتف (نور) :

- يا إلهى ! (هولدشتاين) أمر بهذا ؟!

صاح به (آلان) :

- نعم .. لقد أراد حمايتكم أيها الخونة .

هتف (نور) :

- خطأ يا رجل .. لقد أراد تعقُّبنا ، حتى نوصله إلى ما يبتغيه .

صاح (آلان) :

- كاذب .. لن يمكنه تعقُّبكم ، ما لم يرسل رجاله خلفكم .

أجابه (نور) فى توتر :

- ربما كان هذا صحيحًا فى عصركم يا (آلان) ، أما فى عصرنا نحن ، فالأمر يختلف .

نطقها ، وهو يتحسَّس جسده فى سرعة ، ثم ينحنى لينتزع حذاءه ، ويفحصه فى اهتمام ، قبل أن ينتزع منه قطعة صغيرة ، فى حجم رأس الدبوس ، هاتفًا :

- أرأيت ؟!

وبكل قوته ، ألقى تلك القطعة المعدنية الصغيرة بعيدًا ، مستطردًا :

- لقد سمع كل كلمة نطقنا بها ، وهذا يعنى أن

(طارق) و (برجيت) والرجال فى خطر الآن .. سيعدَ لهم الألمان فخًا ، عند المدخل السرى .

صاح به أحد الرجال فى غضب ، وهو يصوِّب إليه فوهة مدفعه الآلى :

- سيحدث هذا بسبب خيانتك ، يا رجل المستقبل المزعوم .

قالها ، وضغط زناد المدفع ، فانقضَّ عليه (أكرم) بكل قوته ، هاتفًا :

- لا .. إلاَّ (نور) .

ارتفعت فوهة المدفع الآلى ، وانطلقت منها الرصاصات ، التى تردَّد صداها فى المنطقة كلها ، حتى بلغ أسماع (طارق) و (برجيت) ، ورجال المقاومة الآخرين ..

وبكل حماس ، وفور سماع الرصاصات ، هتف (طارق) :

- هيا .

نطقها ، وهو يقتحم المدخل السرى ، إلى داخل بيت الثعالب ، دون أن يدرى أنه يلقى بنفسه ومن معه فى فخ محكم ..

وقاتل .

* * *

٦ - التاريخ ..

راجع القائد الأعلى ذلك التقرير ، الذى حمله إليه الدكتور (ناظم) ، فى اهتمام بالغ ، مشوب بكثير من القلق ، قبل أن يرفع عينيه إليه ، قائلاً :

- هل تعتقد أن (سلوى) واثقة مما توصلت إليه ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى انفعال :

- تمام الثقة يا سيِّدى القائد .. لقد انتهت من فك رموز خريطة ثقوب الزمن ، ولم يعد لديها شك فى الأمر .

عاد القائد الأعلى يلقى نظرة على التقرير ، ثم هزَّ رأسه فى توتر ، قائلاً :

- ولكن لماذا لا يكون (طارق) قد استخدم التقويم نفسه ، المستخدم هنا ، بعد أن استقرَّ به المقام فى عصرنا ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

- لقد طرحت الاحتمال نفسه ، ولكنها فنَدته ببساطة يا سيِّدى ، فقد سألتنى :

ولماذا لا يوجد ثقب واحد ، يقود إلى تاريخ سابق لتقويمنا ، على الرغم من أن (طارق) قد أشار إلى وصوله إلى أزمنه تتفق مع الحضارة ، التى أتى منها ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه ، مغمغمًا :

- هذا صحيح .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يدور فى حجرته ، قائلاً :

- ولكن ما الذى يعنيه هذا ؟! لماذا جاء ذلك الشاب من المستقبل إلى عصرنا هذا ؟! ما الذى يسعى إليه بالضبط ؟!

أجابه فى سرعة :

- تغيير التاريخ .

توقَّف القائد الأعلى بحركة مباغتة ، والتفت إليه ، مكررًا :

- تغيير التاريخ ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. هذا هو أقرب تفسير منطقى ، فلقد وصل إلى هنا ، وزوَّر هوية له ، ولزملائه ، ثم راح جميعهم يجمعون المعلومات عن الفضاء المحيط بنا ، وعن طبيعة عصرنا ، فما الذى يعنيه هذا ؟!

قال القائد الأعلى :

- ولكن أحدهم لم يقم بأية خطوة ، من شأنها الإساءة إلينا .

هزَّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، قائلاً :

- ومن أدرنا ؟! لقد أوقعنا بـ(طارق) وحده ، ولسنا ندرى ما يفعله الآخرون .

عقد القائد الأعلى حاجبيه فى شدة ، وهو يفكِّر فيما قاله الدكتور (ناظم) ، قبل أن يقول فى اهتمام :

- ولكن هناك نقاطًا تثير الحيرة ، لو أننا وافقنا على هذا الرأى .

سأله الدكتور (ناظم) :

- مثل ماذا ؟!

أجابه بسرعة :

- لماذا لم يسع حارس المقاتلة إلى الفارس الثانى أيضًا ؟! ولماذا اقتصر بحثه عن (طارق) وحده ؟!

بُهِتَ الدكتور (ناظم) ، وكأنه لم يفكِّر فى هذا الأمر قط ، فى حين تابع القائد الأعلى بنفس الاهتمام :

- وهذا يقودنا إلى سؤال آخر : لماذا رحلت المقاتلة الزمنية ، فور وصول (طارق) إليها ، ولم تحاول انتظار الآخرين ؟!

ورفع سبَّابته أمام وجهه ، مستطردًا :

- هذا لو أنه هناك آخرون حقًّا .

هتف الدكتور (ناظم) :

- من المؤكد أن هناك واحدًا آخر على الأقل .. لقد اقتحم كمبيوتر الأمن بالفعل .

هزَّ القائد الأعلى رأسه فى قوة ، قائلاً :

- مجرَّد استنتاج افتراضى ، فمن الممكن جدًّا أن تكون عملية اختراق كمبيوتر الأمن هذه أحد أعمال الجاسوسية فى عصرنا هذا ، ولا علاقة لها بفارس زمنى آخر مزعوم .

قال الدكتور (ناظم) فى انفعال :

- ولكن أسلوب الاختراق متطوِّر للغاية .

قلب القائد الأعلى كفه ، قائلاً :

- هكذا أساليب التجسُّس العلمى دائمًا .. الخصم

يخترع وسيلة متطوِّرة ، ليخترق بها حصونك ، وأنت تتصدّى له بوسيلة أكثر تطورًا ، وهكذا .

ثم وضع يده على كتفه ، مستطردًا بلهجة حازمة ، آمرة :

ـ عد إلى فريق (نور) ، وإلى الدكتورة (إلهام) ، واطرح هذه الأسئلة على الجميع ، ودعهم يبحثون عن أجوبة شافية لها .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ سأفعل أيها القائد ، حتى ولو .....

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق أزيز خاص من ساعته ، فرفعها إلى شفتيه فى سرعة ، هاتفًا :

ـ ماذا هناك ؟!

أتاه صوت أحد رجال أمن مركز الأبحاث ، يجيب فى توتر :

ـ هناك محاولة اختراق جديدة يا دكتور (ناظم) .. لقد طلبت منا إبلاغك فور الـ ...

أنهى الدكتور (ناظم) الاتصال ، قبل أن يكمل الرجل عبارته ، وهتف ، وهو يضغط زرًا آخر فى ساعته :

ـ يا إلهى! محاولة اختراق جديدة .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يهتف فى انزعاج .

ـ محاولة جديدة ؟!

هتف الدكتور (ناظم) عبر جهاز الاتصال الدقيق فى ساعته :

ـ (نشوى) .. هل تسمعيننى ؟!

خرج صوتها من سمّاعة الساعة ، يقول :

ـ اسمعك جيدًا يا دكتور (ناظم) .. أهو اختراق جديد !؟

هتف بها :

ـ أسرعى باللّه عليك .. أسرعى .

أمسك القائد الأعلى يده فى قوة ، قائلاً :

ـ هل كنتم تتوقعون هذا ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه فى انفعال ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد ، وستتعقّب (نشوى) هذا الاختراق ، بأسرع ما يمكنها .

قبضت أصابع القائد الأعلى على معصمه ، وهو يقول :

- أتعشَّم هذا .. أتعشَّم هذا .

مضت لحظات من الصمت ، وكلاهما يتطلَّع إلى الساعة فى توتر ، حتى انبعث منها صوت (نشوى) ، وهى تقول فى عصبية :

- لقد انتهى الاختراق ، قبل أن نبلغ مصدره بالتحديد .

احتقن وجه القائد الأعلى ، وهو يعض شفته السفلى فى حنق ، فى حين هتف الدكتور (ناظم) :

- اللعنة !

ولكن (نشوى) استدركت فى سرعة :

- ولكننى استطعت تحديد المنطقة ، التى يأتى منها ، على نحو تقريبى .

سألها الدكتور (ناظم) فى لهفة :

- وما هى ؟!

صمتت لحظة ، وكأنها تراجع نتائجها ، قبل أن تجيب ، فى توتر ملحوظ :

- منطقتك يا دكتور (ناظم) .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، فى حين هتف الدكتور (ناظم) فى دهشة :

- منطقتى ؟!

أجابته (نشوى) :

- نعم يا دكتور (ناظم) .. لقد خرجت محاولة الاختراق من نفس المنطقة ، التى يحتلَّها المركز .. مركز الأبحاث العلمية .

واتسعت عينا الدكتور (ناظم) عن آخرهما ، وقلبه ينبض فى عنف ..

وفى ارتياع ..

★ ★ ★

فى نفس اللحظة ، التى اقتحم فيها (طارق) المدخل السرى ، قفزت إلى ذهنه تلك الفكرة ..

لماذا كان هروبهم سهلاً . إلى هذا الحد ؟!

لماذا لم تصبهم طلقة واحدة ، على الرغم من سيل الرصاصات ، الذى انهمر عليهم من كل صوب ؟!

حتى راكب الدرَّاجة البخارية ، لم يطلق النار نحوهم مباشرة !!

لقد اكتفى بتفجير إطار السيارة الخلفى !!

فلماذا ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

صحيح أنه كان يعرف موضع المخرج السرى ، من دراسته المكثفة لتلك الفترة الزمنية ، وكل ما يتعلق بها ، ولكن الممر كان خاليًا ، وكذلك الحجرة ، و ......

ومع تلك الأفكار الملتهبة ، التى دارت كلها فى رأسه ، فى ثانية واحدة ، لمح طرف زى ألمانى ، خلف الجدار المتحرّك ، للمدخل السرى ..

وهنا وثبت الحقيقة كلها إلى رأسه ..

إنه فخ ..

فخ محكم ..

وبمبادرة سريعة إلى حد مدهش ، تراجع (طارق) ، وجذب الجدار ليغلقه فى عنف ، صائحًا :

ـ تراجعوا .. إنه فخ .

كان الرجال يندفعون خلفه ، عندما انطلقت صيحته ، فاصطدم بعضهم بالبعض ، ثم تراجعوا فى توتر شديد ، وسرت بينهم همهمة قوية ، ترددت خلالها كلمة (فخ) عشرات المرات ، قبل أن تهتف بها (برجيت) :

ـ فخ ؟! ماذا تعنى يا (طارق) ؟!

لم تكد عبارتها تكتمل ، حتى برز الجنود الألمان ، من كل مكان ، فصرخ أحد رجال المقاومة فى غضب ثائر :

ـ خيانة .

ومع آخر حروف صيحته ، ارتفعت فوهات عشرات المدافع الآلية نحوهم ..

وتحرّك عدد من رجال المقاومة الفرنسية ، لتبادل إطلاق النيران مع الألمان ، ولكن (طارق) هتف بهم :

ـ لا .. سيتحوّل الأمر إلى مذبحة .

استدار إليه أحدهم بحركة حادة ، وهوى على فكه بكعب مدفعه ، صائحًا :

ـ لا تحاول أيها الخائن .. لقد انكشف أمرك .

صرخت (برجيت) فى هلع ، عندما ألقت الضربة (طارق) ، ليرتطم بالجدار المتحرّك فى قوة ، فى نفس اللحظة ، التى صرخ فيها رجل آخر ، من رجال المقاومة ، وهو يرفع مدفعه :

ـ الموت للمحتلّ النازى ..

ومع صرخته ، انطلقت رصاصات مدفعه ..

وانفتحت أبواب الجحيم ..

على مصراعيها ..

ومع دوى الرصاصات ، صرخ (آلان) ، ملوحًا بمدفعه فى وجه (نور) :

- لقد خدعتنا .. أنت قدتنا إلى هنا .

صاح به (نور) :

- اهدأ ، واستعد قدرتك على التفكير يا رجل .. إنك لن تربح حربك بالصراخ والغضب .. امنح عقلك فرصة إعادة تقييم الأمور .

هتف رجل آخر ، من رجال المقاومة :

- كل ما يمكننا منحك إياه ، هو رصاصة فى منتصف جبهتك ، يا رجل المستقبل المزعوم .

رفع (أكرم) مدفعه بدوره ، صائحًا فى صرامة :

- لو مسَّ أحدكم شعرة من رأس (نور) ، فسوف ..

قبل أن يتمَّ صيحته ، ارتفعت فوهات كل المدافع الآلية فى وجهه ، فصاح (نور) :

- أية حماقة تلك ؟! إنكم تتركون رفاقكم يقاتلون ، لتوجِّهوا لنا اتهامًا سخيفًا بالخيانة ! أى دليل لديكم على مثل هذا الاتهام ؟!

تراجع أحد الرجال فى حركة حادة ، وهو يهتف فى انزعاج :

- هذا .

التفت (نور) فى سرعة ، إلى حيث يشير الرجل ، فى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها صيحات غضب مذعورة من الآخرين ، وانعقد حاجباه فى شدة ..

فمن كل مكان حولهم ، برزت الدبابات الألمانية ، مصوبة مدافعها إليهم ، وانطلق فى المكان صوت (هولدشتاين) الصارم ، وهو يقول بالفرنسية :

- انتهى الأمر أيها السادة .. لقد وقعتم فى قبضتنا ، كما وقع رفاقكم .

انتبه الجميع عندئذ ، إلى أن دوى الرصاصات قد توقَّف تمامًا ، فهتف (آلان) فى مرارة :

- إنه على حق .. لقد وقعنا فى قبضتهم .

وغمغم رجل آخر ، فى حنق ساخط :

- انتهت المقاومة الفرنسية .

وازداد انعقاد حاجبى (نور) فى شدة ، فما قاله الرجل كان يعنى أن (هولدشتاين) قد نجح أخيرًا فى فرض سيطرته على الموقف ..

وعلى التاريخ ..
التاريخ كله ..

★ ★ ★

نهضت الدكتورة (إلهام) من خلف مكتبها ، لتستقبل الدكتور (ناظم) بابتسامة رقيقة ، وتصافحه ، قائلة :

- مرحبًا يا دكتور (ناظم) .. تُرى هل توصلتم إلى ما تبحثون عنه ؟!

أجابها فى رصانة متحفظة :

- ليس بعد .

ثم استدار يشير بيده إلى شخص ما ، خارج الحجرة ، فأدارت الدكتورة (إلهام) عينيها إلى حيث يدير ، قبل أن تهتف فى دهشة مستنكرة :

- ما هذا بالضبط ؟!

لم يكن ذلك الذى رأته مجرد شخص واحد ، وإنما ثلاثة أشخاص ، يحملون جهازًا إليكترونيًا حديثًا ، اندفعوا إلى معملها ، وراحوا يفحصون أثاثه وجدرانه بجهازهم ، والدكتور (ناظم) يقول :

- معذرة يا دكتورة (إلهام) ، ولكن ما سنتحدث

فيه مهم وسرى للغاية ، ولا بد من التأكد من أن أحدًا لن ينضمَ إلينا ، عبر أجهزة تنصُت أو مراقبة سرية .

لوَحت بيدها فى غضب ، قائلة :

- ولكن معملى يحوى عشرات الأجهزة الدقيقة ، التى يمكن أن يفسدها جهازكم هذا .

أشار إليها ، مجيبًا فى حزم :

- اطمئنى .. الرجال يعرفون عملهم جيدًا .

بدا عليها الغضب والتوتر ، وهى تتابع الرجال ببصرها ، حتى انتهوا من عملهم ، وأدى رئيسهم تحية عسكرية للدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- كل شىء نظيف .

بدا الارتياح على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- عظيم .. قفوا بالباب ، ولا تسمحوا لأحد بالدخول .

أدى الرجل التحية العسكرية مرة أخرى ، قائلاً :

- كما تأمر يا سيدى .

تضاعف توتر الدكتورة (إلهام) ، وهى تقول :

- ما الذى يعنيه كل هذا يا دكتور (ناظم) ؟!

ظلَ صامتًا ، حتى غادر الرجال الثلاثة الحجرة ، وأغلقوا الباب خلفهم ، ثم أجاب فى حزم :

- سبق أن أخبرتك يا دكتورة .. الأمر مهم وخطير للغاية .

تطلّعت إليه بعينين قلقتين ، متسائلتين ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وهو يدور فى معملها ، ويلقى نظرة على أجهزتها ، قبل أن يلتفت إليها ، قائلاً :

- لقد توصلنا إلى شخصية أحد جواسيس الزمن .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تهتف :

- توصّلتم إلى ماذا ؟!

قال ، متجاهلاً سؤالها :

- الواقع أن الأمر كان مفاجئًا للغاية .. بل مذهلاً ، لو شئنا الدقة .

عقدت ساعديها أمام صدرها ، وقالت فى عصبية :

- دكتور (ناظم) .. ما الذى تشير إليه بالضبط ؟!

أشار بسبّابته إليها ، هاتفًا :

- إليك يا دكتورة (إلهام) .

تراجعت كالمصعوقة ، هاتفة :

- أنا ؟!

خفض سبّابته ، وتنهّد ، قائلاً :

- نعم .. أنت يا دكتورة (إلهام) .

امتقع وجهها بشدة ، وتجمّدت الكلمات على شفتيها ، وأطلّ الذعر من عينيها ، قبل أن يكمل الدكتور (ناظم) :

- أنت أملنا الوحيد ، فى الإيقاع بذلك الجاسوس الزمنى .

حدّقت فى وجهه لحظة ، قبل أن ينطلق من صدرها زفيرًا ملتهبًا ، وهى تقول :

- يا إلهى ! لقد كدت تقتلنى هلعًا يا دكتور (ناظم) .

سألها فى دهشة :

- أنا ؟! ولماذا ؟!

أطلقت ضحكة عالية ، لتفرغ معها توترها ، قبل أن تلوّح بيدها ، قائلة :

- لا عليك .. لا عليك .

وعادت تجلس خلف مكتبها ، مستطردة :

- المهم .. كيف يمكننى مساعدتكم ، فى هذا الشأن ؟!

جذب مقعدًا ؛ ليجلس أمامها ، ويميل نحوها ، قائلاً :

- لقد توصلنا إلى موقع الجاسوس ، وبقى أن نعرف هويته .

سألته فى اهتمام :
- وما موقعه ؟!
خفض صوته أكثر ، وهو يجيب :
- هنا .
تراجعت كالمصعوقة ، هاتفة :
- هنا ؟! ماذا تعنى يا دكتور (ناظم) ؟!
هزَّ رأسه فى أسف ، مجيبًا :
- ما فهمته بالضبط يا دكتورة (إلهام) .. وللأسف الشديد ، فذلك الجاسوس الزمنى المجهول يعمل هنا .. فى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية .. أرفع جهاز أمنى ، فى العالم العربى كله .
شحب وجهها ، وهى تغمغم :
- هنا ؟!
عاد يهزَ رأسه فى أسف ، قائلاً :
- أمر رهيب للغاية يا دكتورة (إلهام) ، فمن الواضح أن جواسيس المستقبل هؤلاء بارعون للغاية ، وعلومهم تفوق علومنا بكثير ، حتى إنهم نجحوا فى اختراق كل نظم الكمبيوتر الأمنية ، وصنعوا لأنفسهم تاريخًا يستحيل كشف أمره ، بحيث أصبحوا ،

من الناحية الرسمية ، مواطنين مصريين شرفاء ، بل وشرفاء للغاية ، وإلى الحد الذى جعل اختيار المؤسسات الأمنية يقع عليهم بالذات ، للانضمام إلى أكثر المراكز أهمية وحساسية ، فنجد أحدهم يعمل فى مؤسسة الرياسة ، ثم ينضمَ إلى المخابرات العلمية ، والآخر يعمل هنا ، فى مركز الأبحاث .
التقى حاجباها ، وهى تتراجع فى مقعدها ببطء ، وتشبك أصابع كفيها أمام وجهها ، ثم تسأل فى بطء :
- وكيف أمكنكم التوصُّل إلى هذا ؟!
شرح لها ما توصَّلت إليه (نشوى) فى اختصار ، فهزَّت رأسها فى إعجاب ، وقالت :
- فريق (نور) هذا عبقرى بالفعل .
ثم عادت تعتدل فى مقعدها ، وتسأل فى اهتمام :
- ولكن هذا لا يجيب عن سؤالى .. كيف يمكننى مساعدتكم ؟!
أشار بيده ، قائلاً :
- (نشوى) و(سلوى) تفحصان ملفات الكمبيوتر ، الخاصة بكل العاملين ، فى مركز الأبحاث العلمية ، فى محاولة لكشف الجاسوس الزمنى ، ولكننا نؤمن

بأن هذا لن يؤدى إلى شىء ، فالملفات كلها ستكون دقيقة وسليمة للغاية ، واحتمال تكرار تلك المصادفة ، التى أدَّت إلى كشف أمر (طارق) ، لا يصل إلى واحد فى كل مليار ، وهذا يعنى أنه من الضرورى أن تكون لدينا وسيلة أخرى ؛ لكشف جاسوس الزمن .

سألته فى اهتمام :

- والمفترض أنه هناك صلة وثيقة ، بينى وبين تلك الوسيلة الأخرى .. أليس كذلك ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- بلى .. إنها تعتمد اعتمادًا رئيسيًا على خبراتك .

تراجعت مرة أخرى ، وهى تسأله :

- كيف ؟!

أجاب فى سرعة :

- نريد أن تراجعى التفاعلات الحيوية ، لكل العاملين هنا ، وتقومى بمقارنتها بالتفاعلات الحيوية للجاسوس .

رفعت حاجبيها ، وخفضتهما ، قائلة :

- وهل تعتقدون أن هذا سيؤدى إلى شىء ما ؟!

أومأ برأسه إيجابًا فى حزم ، وهو يقول :

- نعم .. نحن نعتقد هذا .

صمتت طويلاً ، وهى تتطلع إليه ، مفكرة فى عمق ، قبل أن تومئ برأسها بدورها ، قائلة :

- بالتأكيد يا دكتور (ناظم) .. صحيح أن التفاعلات الحيوية ليست من الأمور ، التى تتضمنها التقارير الطبية المعتادة ، ولكننى أعتقد أن فحصها قد يؤدى بالفعل إلى كشف أمر الجاسوس :

وتنفس الدكتور (ناظم) الصعداء ، مغمغمًا :

- عظيم .. عظيم ..

فقد كان هذا يعنى خطوة واسعة كبيرة ، فى الطريق إلى كشف جاسوس الزمن ..

الثانى ..

★ ★ ★

لم ير (نور) فى حياته كلها ، ابتسامة أكثر ظفرًا وشرًا وتشفيًا ، من ابتسامة (هولدشتاين) ، وهو يتطلع إليه ، وإلى (طارق) و (أكرم) ، داخل نفس الزنزانة الصغيرة ، قائلاً بالعربية :

- هل تصورتم حقًا ، أنكم تستطيعون الفرار من هنا ، دون أن أرغب أنا فى هذا ؟! يا لكم من حمقى !!

كل شىء هنا يحدث بإرادتى وحدها .. صحيح أننى تركتكم مقيدين ، مع اثنين من الحرس ، اخترتهم بعناية بالغة ، من بين أكثر الجنود غباءً ، إلا أننى كنت أعلم أنكم تستطيعون تدبير أمركم ، والفرار من هنا ، بأقل خسائر ممكنة .

ولوَّح بيده ، وهو يضع ساقًا فوق أخرى ، مستطردًا :

ـ ولكننى ، وعلى الرغم من كل هذا ، اتخذت كافة الاحتياطات اللازمة ، لضمان وصولكم إلى آلة الزمن سالمين .

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ أهذا ما كنت تسعى إليه ؟! آلة الزمن ، التى أحضرتنا إلى هنا ؟!

التفت إليه (طارق) فى بطء ، متسائلاً :

ـ ألم تكن تدرك هذا ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يغمغم فى سخط :

ـ هل نسيت ؟! إننى الوحيد الذى لا يفهم شيئًا فى المعتاد .

قهقه (هولدشتاين) ضاحكًا ، قبل أن يلوِّح بيده ، قائلاً :

ـ ليس إلى هذا الحد يا سيِّد (أكرم) .. صحيح أنك همجى وسريع التأثُّر ، كما قالت عنك كتب التاريخ ، ولكن هذا لم يمنعك من إنقاذ العالم كله يومًا .

هتف (أكرم) مبهورًا :

ـ أنا ؟!

مال (هولدشتاين) إلى الأمام ، قائلاً : فى صرامة مباغتة :

ـ كان هذا فى التاريخ القديم .

قال (نور) فى صرامة :

ـ التاريخ لم يتغيَّر بعد يا (هولدشتاين) .

ابتسم الجنرال الشيطانى فى سخرية ، قائلاً :

ـ هذا ما تتصوَّره يا (نور) .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بل هذه هى الحقيقة يا دكتور (خالد) .. الأمور ما زالت تسير على الوتيرة نفسها ، التى عرفناها فى عصرنا ، حتى بعد انتصارك علينا ، فنحن خارج التاريخ عمليًّا .

نهض (هولدشتاين) ، واقترب منه ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره فى قوة ، وقال :

- وماذا لو أنني جعلت (الفوهلر) يتفادى كل الأخطاء ، التي أدَّت إلى هزيمة (ألمانيا) ، في الحرب العالمية الثانية ؟! ماذا لو قدته إلى اختراع القنبلة الذرية ، قبل أن تفعل (أمريكا) ؟! ألن يغيِّر هذا سياق التاريخ ؟!

تطلّعَ (نور) إلى عينيه مباشرة ، وهو يجيب في تحد :

- وماذا يمكن أن تربح أنت من هذا ؟!

لوَّح بكفه ، هاتفًا :

- أنا جنرال ألماني عظيم ، وانتصار (ألمانيا) سيضعني على القمة .

سأله (طارق) في سخرية :

- وهل سيمنحك (الفوهلر) الفرصة لهذا ؟!

التفت إليه (هولدشتاين) ، قائلاً في صرامة :.

- عندما يتغيَّر التاريخ ، لن تقف قوة في طريقي ، وسأسحق أي شيء ، وأي شخص يعترض مسيرتي .

قال (أكرم) في حنق :

- وما الذي يمكن أن يمنحك القوة ، في أمر كهذا ؟!

التفت إليه (هولدشتاين) ، قائلاً في استخفاف :

- تمامًا كما كتبوا عنك .

ثم عاد يتحرَّك في هدوء ، مستطردًا بلهجة حازمة حاسمة :

- أشياء كثيرة عظيمة ، يمكن أن تحدث بعد الحرب ، عندما تصبح ألمانيا النازية ، على قمة العالم .. وخاصة مع وجود شخص مثلي .. كل الأراضي الخالية ، في العالم الجديد ، ستصبح ملكًا لي .. كل التكنولوجيا المتطوِّرة ، ستحمل اسمي .. أنا وحدي سأصبح إمبراطورية اقتصادية هائلة ، وقوة سياسية لا مثيل لها . وسينعكس هذا حتمًا على المستقبل .. على كل عصوره ، وسوف ..

قاطعه (نور) في حدة :

- ما لم يسحقه (هتلر) عن آخره .

التفت إليه (هولدشتاين) في غضب ، فتابع بنفس الحدة :

- إنه لن يستطيع التوقُّف ، بعد أن يمتلك سرّ القنبلة الذرية ، ومدافع الليزر ، والكمبيوتر النقَّال .. لن يستطيع التوقُّف ، قبل أن يسحق العالم أجمع .

التقى إليه (هولدشتاين) في شدة ، وهو يقول صارمًا :

- عندما تنتصر (ألمانيا) ، لن يكون هناك وجود لرجل مثل (أدولف هتلر) .

سأله (طارق) فى حذر :

- هل ستقتله ؟!

أجابه فى حدة :

- ليس هذا من شأنك .

ثم لوَّح بذراعيه فى غضب ، مستطردًا :

- أظننى سمحت لكم بالكثير من الحديث ، مما أفسد عقولكم ، وجعلكم تتصوَّرون أنكم تستطيعون مناقشتى ومحاورتى كما تشاءون .

وأطلت شياطين الثورة من عينيه ، وهو يسألهم فى شراسة :

- أين آلة الزمن ، التى أتت بكم إلى هنا ؟

بدت ملامحهم جامدة ، صارمة ، متحدِّية ، فهتف بوحشية :

- لا تتصوَّروا أننى عاجز عن انتزاع هذا السر منكم .

أجابه (نور) فى صرامة :

- فلتعترف بأن خطتك قد فشلت يا (هولدشتاين) ..

لقد عدنا إليك ، بدلاً من أن نقودك إلى آلة الزمن ، وأنت تعلم أنك لن تنتزع سرها منا ، حتى ولو مزَّقتنا إربًا .

هتف به (هولدشتاين) ، فى صوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

- وماذا عن الآخرين ؟!

تطلَّع إليه (نور) بنظرة متوترة ، دون أن يجيب ، فى حين هتف (طارق) فى انزعاج :

- أىّ آخرين ؟!

أدار (هولدشتاين) عينيه إليه ، مجيبًا بنفس الشراسة :

- رجال المقاومة الفرنسية .

سأله (أكرم) فى غضب :

- وما شأنك بهم ؟!

لوَّح الجنرال بكفه ، قائلاً :

- إنهم أسرى قبضتى .. أعظم انتصار تحقَّق فى (أوروبا) كلها .. منذ خمسة أشهر على الأقل .. تصوَّر ما سيفعله (الفوهلر) ، عندما يعلم أن (فريدريش هولدشتاين) ، جنراله الأثير ، قد سحق المقاومة الفرنسية كلها بضربة واحدة .

احتقن وجه (طارق) ، وهو يقول :

- اسمع يا هذا .. لو مسست شعرة واحدة من رأس (برجيت) ، فسوف ..

قاطعه (هولدشتاين) بعينين متألقتين :

- آه .. (برجيت) .. الفتاة تخصك إذن ؟!

أدرك (طارق) على الفور ذلك الخطأ ، الذى وقع فيه ، فعضَّ شفتيه فى غيظ ، فى حين غمغم (أكرم) فى حنق :

- لم يكن ينبغى أن تخبره .

قال (نور) فى بطء :

- لن يصنع هذا فارقًا .

أدار (هولدشتاين) عينيه إليه ، فى حركة حادة ، فتابع :

- ذلك الوغد كان ينوى قتل الجميع بلا رحمة .

رفع الجنرال سبَّابته ، قائلاً فى سرعة :

- هذا صحيح يا (نور) .

ثم مال نحوه ، مستطردًا بلهجته الشرسة :

- ولكن ، فى كثير من الأحيان ، يكون الموت هو أكثر ما ينتظر المرء رحمةً وهوانًا .

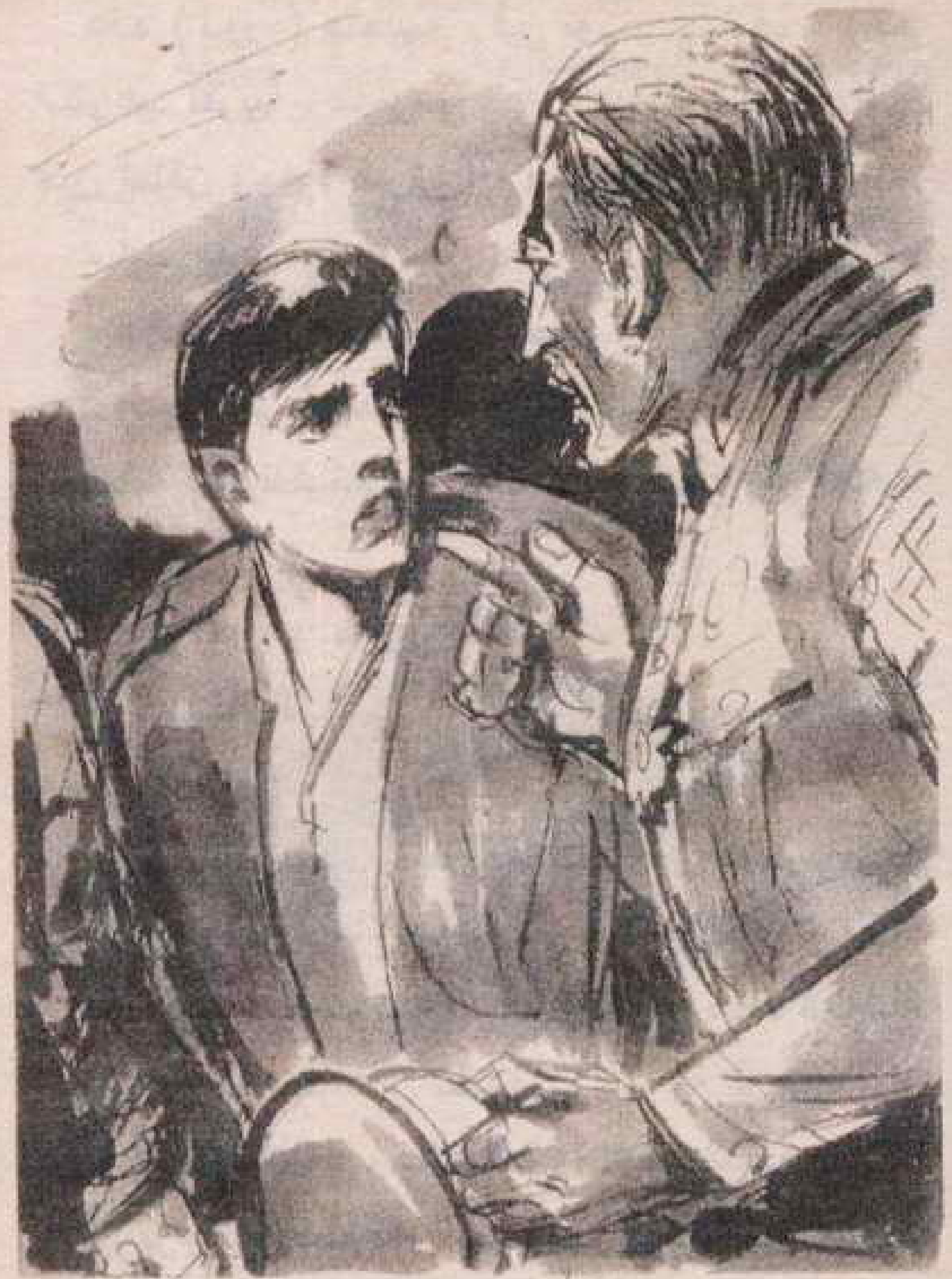

ثم مال نحوه ، مستطردًا بلهجته الشرسة :
- ولكن ، فى كثير من الأحيان ..

عقد (نور) حاجبيه ، فى توتر جارف ، وقد استوعب تقريبًا ، ما يرمى إليه (هولدشتاين) ، فى حين احتقن وجه (طارق) ، وهو يقول :

- أيها الوغد .

أما (أكرم) ، فهتف فى غضب :

- أعتقد أننى فهمت هذه المرة .

قهقه (هولدشتاين) ضاحكًا ، ولوَّح بذراعه ، وهو يقول :

- هذا لأنه أمر همجى مثلك .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يستطرد فى صرامة :

- اسمعونى جيِّدًا .. أمر إعدامكم ما زال ساريًا ، لم يتمّ إلغاؤه بعد ، وما زال أمامكم نصف الساعة ، قبل أن يحين موعد تنفيذه .. وسأمنحكم هذه المهلة لاتخاذ قراركم ، فإما أن تخبرونى أين آلة الزمن ، أو أجمعكم جميعًا ، مع رجال المقاومة الفرنسية ، فيما عدا (برجيت) بالطبع ، ويطلق رجالى النار عليكم بلا استثناء .

واستدار متجهًا نحو باب الزنزانة ، قبل أن يلتفت إليهم ، مضيفًا بلهجة صارمة ، قاسية ، مخيفة :

- مع مطلع الفجر .

قالها ، وصفق الباب خلفه فى عنف ، تاركًا الثلاثة يواجهون أصعب اختيار فى رحلتهم هذه .. بل فى تاريخهم كله .

★ ★ ★

٧ - الاختيــــار ..

بدا الانبهار واضحًا ، على وجه الدكتورة (إلهام) ، وهى تدخل إلى حجرة الفريـق ، فى مبنى المخـابرات العلمية ، ودارت عيناها فى المكان ، بانفعال ملحوظ ، قبل أن تتوقفا عند (رمزى) ، الذى نهض ليصافحها ، قائلاً :

- مرحبًا يا دكتورة (إلهام) .. الدكتور (ناظم) يؤكد أنك أفضل من يقوم بالمهمة ، التى نحن بصددها .

غمغمت مبتسمة :

- أتعشّم هذا .

ثم صافحت (سلوى) و (نشوى) ، مستطردةً :

- لقد قرأت كل ما توصلتم إليه ، منذ .. منذ رحيل تلك المقاتلة الزمنية .

بدا الحزن واضحًا ، فى صوت (سلوى) وملامحها ، وهى تقول :

- لا يمكنك أن تتصورى ، كم أتمنى عودتها .

أجابتها (إلهام) فى ثقة عجيبة :

- ستعود بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

ارتفع حاجبا (رمزى) فى دهشة ، لتلك الثقة القوية فى صوتها ، فاستدركت ضاحكة فى ارتباك :

- أعنى أننا سنبذل قصارى جهدنا جميعًا لهذا .. أليس كذلك ؟!

غمغمت (نشوى) :

- بالتأكيد .

ثم اتجهت إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، مستطردة فى اهتمام :

- لقد قمت بحصر محدود ، لكل من تنطبق عليهم الصفات الجسمانية ، التى اقترحها الكمبيوتر ، من بين كل العاملين فى مركز الأبحاث العلمية .

تطلّعت (إلهام) إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

- خمسة أشخاص فحسب .

أجابتها (نشوى) :

- عليك اختصارهم إلى شخص واحد فحسب .

لوّحت بيدها ، قائلة :

- سأبذل قصارى جهدى .

ثم عادت تدير عينيها فى المكان ، قبل أن تتابع :

- ولكننى أريد معرفة كل ما توصلتم إليه ، بشأن مقاتلة الزمن .

انعقد حاجبا (رمزى) وهو يجيب فى حزم :

- هذا غير متاح على الإطلاق .

استدارت إليه فى غضب ، قائلة :

- ماذا تعنى بأنه غير متاح ؟!

أجابها فى صرامة :

- أعتقد أن الأمر أبسط من أن يحتاج إلى توضيح ، يا دكتورة (إلهام) ، فطبقًا لأوامر القيادة ، تندرج كل المعلومات الخاصة بالمقاتلة الزمنية ، تحت بند السرية المطلقة ، وهذا يعنى أن الاطلاع عليها يحتاج إلى تصريح خاص ، على أعلى مستوى ممكن .

تضاعف الغضب فى ملامحها ، وبدا وكأنها تهمَ بقول شىء ما ، إلا أنها لم تلبث أن تراجعت فى سرعة ، وازدردت لعابها ، فى محاولة للسيطرة على أعصابها ، قبل أن تغمغم :

- كنت أظننى جزءًا من الفريق .

هزَّ رأسه فى هدوء ، مجيبًا :

- لم تصلنى أية تعليمات بذلك بعد .

تعلَّقت عيناها بعينيه لحظة ، ثم لم تلبث أن تنهَّدت ، قائلة :

- المفترض أن كل معلومة متاحة ، قد تساعد فى التوصل إلى فارس الزمن الثانى .

قالتها ، ولوَّحت بكفها ، مستطردة :

- ولكن لا بأس .. سأكتفى بالموجود .

وراحت تراجع بيانات الرجال الخمسة ، الذين انتقاهم الكمبيوتر ، من بين كل العاملين فى مركز الأبحاث العلمية ، و (نشوى) تسألها :

- هل يمكنك انتقاء أحدهم ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وقالت :

- الأفضل أن نسعى لاستبعاد بعضهم أولاً .

وصمتت طويلاً ، وهى تتطلَّع إلى شاشة الكمبيوتر ، ثم قالت متنهِّدة :

- ولكن الاختيار عسير للغاية .

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وقالت :

- الكمبيوتر أيضًا يرى هذا .

تراجعت الدكتورة (إلهام) ، قائلة :

ـ لهذا ينبغى أن نلجأ إلى اختبار من نوع آخر .

سألتها (سلوى) فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟!

أجابتها فى سرعة :

ـ اختبار تماثل .

تساءل (رمزى) فى حذر ، لم يدر لماذا تسلَّل إلى صوته ولهجته :

ـ تماثل ؟!

التفتت إليه الدكتورة (إلهام) ، قائلة :

ـ نعم يا دكتور (رمزى) .. اختبار تماثل .. لا بد أن نضع كلاً من المشتبه فيهم ، فى ظروف تتشابه مع ظروف كابينة المقاتلة الزمنية ، ونقوم بتسجيل تفاعلاته الحيوية ، فى تلك الظروف ، ثم نقارن تفاعلاتهم الاختبارية ، مع تلك التى تم تسجيلها داخل المقاتلة نفسها .

أومأت (نشوى) برأسها ، هاتفة :

ـ فكرة ممتازة .

وتمتمت (سلوى) :

ـ هل تعتقدون أن هذا يكفى ؟!

نهضت الدكتورة (إلهام) من مقعدها ، قائلة فى حزم :

ـ لو أنك تقصدين ما إذا كان هذا يكفى لاستعادة زوجك ، فالجواب هو أننى لست أدرى بالضبط يا سيِّدتى ، أما إذا كنت تعنين أنه يكفى لكشف فارس الزمن الثانى ، فالجواب هو نعم .

ألقت كلماتها هذه ، وهى تتجه نحو الباب ، وتفتحه ، ثم توقَّفت عنده لحظة فى صمت ، وهى توليهم ظهرها ، قبل أن تلتفت إليهم فى بطء ، وترمق (رمزى) بنظرة طويلة ، بدت له وكأنها تحمل لمحة من التحدِّى ، وهى تقول :

ـ أخبرونى ، عندما تستعدون لإجراء الاختبار .

ثم غادرت المكان ، وأغلقت الباب خلفها فى قوة ..

وفى توتر ، أدارت (سلوى) عينيها إلى ابنتها ، فقالت هذه الأخيرة :

ـ إنها عبقرية فى مجالها ، كما قال الدكتور (ناظم) .

أما (رمزى) ، فقد ظلَّ يتطلَّع إلى الباب ، الذى أغلقته الدكتورة (إلهام) خلفها ، وكأنه يحاول اختراقه ببصره ..

بل والنفاذ إلى أعماق أعماق الدكتورة (إلهام) نفسها ..

فعلى الرغم من عبقريتها الواضحة ، وخبراتها الواسعة فى هذا المضمار ، كان هناك شىء ما فى أعماقه ، لا يشعر نحوها بالارتياح ..

لا يشعر بهذا قط ..

★ ★ ★

« هل رأيت ما قادتنا إليه مقاتلتك اللعينة ؟! »

هتف (أكرم) بالعبارة فى حنق ، داخل الزنزانة الصغيرة ، فى قبو بيت الثعالب ، وهو يجاهد للتخلُّص من أغلاله المعدنية ، قبل أن يستطرد غاضبًا :

ـ لقد انتزعتنا من عصرنا ، وألقت بنا هنا ، فى زمن الدم هذا ، لنلقى مصرعنا ، قبل سنوات من مولدنا .

تمتم (طارق) ، فى أسى حقيقى :

ـ إننى لم أقصد هذا قط .

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى صرامة :

ـ حقًا ؟!

التفت إليه (طارق) فى صمت ، فتابع غاضبًا :

ـ أكان كل هذا من قبيل المصادفة حقًا يا (طارق) .

خفض (طارق) عينيه ، دون أن يجيب ، فنقل (أكرم) بصره بينهما فى عصبية ، قبل أن يهتف :

ـ (نور) .. أخبرنى ما الذى تعنيه بالضبط بقولك هذا ؟! لا تقل لى : إن (طارق) قد خدعنا مرة أخرى .

لم يحاول (طارق) التعليق على العبارة ، وهو يشيح بوجهه ، فى حين قال (نور) ، فى صرامة غاضبة :

ـ كل ما يمكننى قوله الآن ، هو أن صديقنا (طارق) لم يأت من حضارة سابقة ، كما نجح فى إقناعنا جميعًا ، وإنما أتى من المستقبل .. مستقبل التاريخ الذى نعرفه .

فغر (أكرم) فاه مشدوها ، وحدَّق فى (طارق) بضع لحظات ، قبل أن يهتف محنقًا :

ـ أهذا صحيح ؟! أهذا صحيح يا (طارق) ؟! أخبرنى بالله عليك .

تنهَّد (طارق) فى حرارة ، مغمغمًا :

ـ نعم .. هذا صحيح يا (أكرم) .

احتقن وجه (أكرم) فى شدة ، وهو يهتف :

- أيها الـ ... الـ ...

ارتج عليه ، فلم يستطع إكمال عبارته ، التى اختنقت فى حلقه ، حتى غصَّ بها ، فسعل مرتين على الأقل ، قبل أن يهتف :

- ولكن لماذا ؟! لماذا ؟!

لم ينبس (طارق) ببنت شفة ، فى حين قال (نور) :

- سأخبرك أنا لماذا يا (أكرم) .. صديقنا (طارق) ينتمى لجهة أمنية منظَّمة ، فى المستقبل ، وعندما حملته مقاتلة الزمن إلى عصرنا ، كانت لديه مهمة محدودة للقيام بها ، وكأى عميل فى مهمة سرية ، كانت هناك قصة بديلة ، يمكنه طرحها ، فى حالة كشف أمره ، حتى يُبعد الأذهان عن مهمته الحقيقية .. إنه إجراء أمنى معروف ، منذ زمن طويل(★) ..

(★) حقيقة ، ففى كل عمليات الجاسوسية ، يكون لدى الجاسوس ما يعرف باسم (الاعتراف البديل) ، وهو عبارة عن قصة محبوكة ، تتفق تمامًا مع كل ما تم كشفه عنه ، وقادرة على إقناع مستجوبيه ، على ألا يُدلى بها إلا بعد تعرُّضه لضغوط شديدة ، بحيث تبدو وكأنها اعتراف حقيقى ، لإبعاد النظر عن هدف مهمته الحقيقى ، ومنح زميل له الفرصة لإتمام المهمة .

هتف (أكرم) :

- قصة بديلة ؟! ولكن لماذا لجأ إلى قصة معقَّدة كهذه ؟! المفترض أن تكون تلك القصة البديلة قابلة للتصديق !

أجابه (نور) :

- هذا صحيح ، فى الظروف العادية يا (أكرم) ، ولكن (طارق) كان يواجه فريقًا علميًّا خاصًّا ، لذا فقد كان من الضرورى أن تكون قصته البديلة مثيرة ، وغير تقليدية ، حتى تجذب انتباههم ، ويمكنهم تصديقها .

ثم التفت إلى (طارق) ، مكملاً فى غضب :

- باختصار ، كل ما أخبرنا به (طارق) كذب فى كذب .

اعتدل (طارق) ، قائلاً فى حرارة .

- لا .. ليس كله أيها القائد .

أجابه (نور) فى صرامة :

- لا تحاول مرة أخرى يا (طارق) ، أو أيًّا كان اسمك ، فقد كشف (هولدشتاين) أمرك ، عندما تعرَّف العقار الذى تم حقنك به ، قبل رحلتك الزمنية ،

وأدرك اسمه أيضًا ، مما يؤكد أنك قادم من المستقبل ، وليس من الماضى السحيق كما ادعيت .

قال (طارق) :

ـ هذا صحيح أيها القائد .. أعترف أننى أتيت من مستقبلكم ، ولكن هذا لا يعنى أن قصتى كلها كاذبة .

سأله (نور) فى حدة :

ـ ما الجزء الصحيح منها إذن ؟!

انفرجت شفتا (طارق) ، وكأنه يهمّ بقول شىء ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه بغتة ، وتلفّت حولـه ، قبل أن يقول :

ـ لست أعتقد أن الوقت والمكان يناسبان هذا .

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يغمغم :

ـ أنت على حق .

وفى صوت خافت ، تمتم (أكرم) .

ـ فهمت .

ثم استدرك فى حدة مباغتة :

ـ ولكن هذا لا يمنـع أنه وضعنا ، على الرغم منا ، فى هذا الموقف العصيب .

تنهّد (طارق) ، قائلاً :

ـ إننى أعتذر .

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ تعتذر ؟! عظيم .. رائع .. أعدك أن أوصى بكتابة اعتذارك الأنيق هذا على قبرى .

قال (طارق) :

ـ ربما لا تصل الأمور إلى هذا الحد .

سأله فى عصبية :

ـ كيف أيها العبقرى ؟! هل تعتقد أن الرحمة ستجد طريقها خطأ ، إلى قلب عدونا الرقيق (هولدشتاين) ، فيأمر بالإفراج عنا جميعًا .

هزّ (طارق) رأسه فى حزم ، قائلاً :

ـ لا يمكننى الاعتماد على هذا قط .

ثم أضاف فى صرامة :

ـ ولكننى لن أسمح له بإيذاء (برجيت) .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ (برجيت) فقط .

التفت إليه (طارق) ، مجيبًا :

ـ سأقاتل لإنقاذ الجميع ، ولكنها وحدها تعنينى الآن .

لم يدر (نور) لماذا بدا لـه (طـارق) ، فى تلك اللحظة ، شبيهًا به نفسه ، منذ عدة سنوات مضت ؟!

شىء ما فى صوته ، أو ملامحه ..

أو ربما فى أسلوبه ..

شىء ما ، ذكّره بنفسه ، وجعله يقول :

ـ (طارق) .. إلى أىّ زمنٍ تنتمى ؟!

صمت (طارق) لحظة ، وهو يتطلّع إليه فى عمق عجيب ، قبل أن يجيب فى رصانة :

ـ كلنا الآن ننتمى إلى زمن الدم هذا أيها القائد ، وعلينا أن نقاتل بكل قوانا ، للعودة منه إلى زمننا .

هتف (أكرم) :

ـ نقاتل .. نقاتل .. لقد سئمت ترديد هذه الكلمة ، ونحن مقيَّدون بالأغلال المعدنية على هذا النحو يا رجل .

التفت إليه (طارق) ، قائلاً :

ـ ولكن (هولدشتاين) لم يترك رجال حراسة هذه المرة !

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم فى حذر :

ـ هذا صحيح .. لقد خشى أن نسيطر عليهم ، كما فعلنا فى المرة السابقة .

قال (أكرم) فى توتر :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

غمغم (طارق) فى حزم :

ـ الكثير .

ثم راح يثنى جسده فى مرونة ، مستطردًا :

ـ لقد أمر (هولدشتاين) رجاله بتفتيشنا جيدًا ، ليتأكَّد من أننا لا نخفى أية أسلحة ، ولكن المشكلة أن كلمة أسلحة هذه تختلف كثيرًا ، من عصر إلى آخر .

بدت الحيرة على وجه (أكرم) ، وهو يتساءل عما يعنيه (طارق) ، فى حين بدا الاهتمام فى وجه (نور) وصوته ، وهو يسأل (طارق) :

ـ ما الذى تخفيه هذه المرة ؟!

أجابه وهو يدير رأسه إلى اليمين فى صعوبة ، محاولاً التطلع إلى قيود (نور) مباشرة :

ـ قاذف ليزرى دقيق .

هتف (أكرم) فى دهشة :

ـ رباه ! وأين يمكن أن تخفى شيئًا كهذا ؟!

انفرجت شفتا (طارق) ، وهو يغمغم :

ـ سل طبيب أسنانى .

قالها ، وضغط أسنانه الأمامية بعضها ببعض ، وهو يستطرد :

- أبعد رأسك إلى اليمين بقدر الإمكان أيها القائد .

أبعد (نور) رأسه ، مغمغمًا :

- يبدو أن مفاجآتك لا تنتهى أبدًا يا (طارق) .

ومع آخر حروف كلماته ، انبعث خيط دقيق من أشعة الليزر ، من بين أسنان (طارق) ، وأصاب الجدار ، على بعد سنتيمتر واحد من أغلال (نور) المعدنية ، فهتف فى خفوت :

- احترس .

أمال (طارق) رأسه قليلاً ، فانحرف خيط الليزر ، وراح يشقّ الأغلال المعدنية فى بطء ، والثلاثة يحبسون أنفاسهم ، خشية أن يحضر (هولدشتاين) ، أو أحد رجاله ، قبل أن ينتهوا من عملهم ، وتمتم (أكرم) :

- رباه ! لم أشعر بمثل هذا التوتر فى حياتى قط ؟!

أجابه (نور) مبتسمًا فى عصبية :

- أعتقد أننى سمعت العبارة نفسها ، أكثر من خمس مرات من قبل .

واصل (طارق) عمله فى تماسك ، والعرق البارد يتصبّب على جبينه فى غزارة ، حتى انقسمت أغلال

معصم (نور) الأيسر بصوت خافت مكتوم ، فحررّ يده منها ، قائلاً :

- رائع .. إنه يستغرق بعض الوقت ، ولكن النتيجة مدهشة .

حاول (طارق) أن يبتسم فى إرهاق ، وهو يقول :

- عظيم .. التقط قاذف الليزر من بين أسنانى إذن ، وحررّ معصمك الأيمن أيضًا .

كان ذلك القاذف الليزرى دقيقًا للغاية ، يختفى أسفل لسان (طارق) ، وتطلّ فوهته من بين سنتيه الأماميتين ، على نحو غير ملحوظ على الإطلاق ، فالتقطه (نور) بطرف سبّابته وإبهامه ، وتأمّله لحظة ، قائلاً :

- من الواضح أن التقدّم التقنى قد بلغ حدًا مدهشًا فى المستقبل .

تمتم (طارق) :

- هذا أمر طبيعى .

أما (أكرم) ، فقال فى عصبية :

- ماذا لو حرّرت معصمك الأيمن أولاً ، ثم ناقشنا روعة المستقبل فى محاضرة أخرى ؟!

ابتسم (نور) فى توتر ، مغمغماً :

- بالتأكيد .

استغرق الأمر ثلاث دقائق كاملة ، قبل أن يحررُ (نور) معصمه الأيمن ، ثم يلتفت إلى (طارق) ، قائلاً :

- دورك يا صديقى .

غمغم (أكرم) :

- عظيم .. هذا يعنى أننى سأفوز بالمركز الأخير كالمعتاد .

لم يعلق أحدهما على عبارته ، و (نور) يستخدم خيط الليزر الرفيع ، لشقَ أغلال (طارق) ، الذى لاذ بالصمت التام ، حتى حرَّر (نور) معصمه الأيمن ، ثم التفت إلى الأيسر ، و ....

« يا للشيطان ! ماذا تفعلون ؟! »

انطلقت الصيحة فجأة ، من خلف (نور) ، وهتف (أكرم) ، و(نور) يلتفت إلى مصدر الصيحة بأقصى سرعته :

- كنت أعلم أن هذا أجمل من أن يتحقق .

فعند مدخل الزنزانة ، وأمامهم مباشرة ، كان يقف

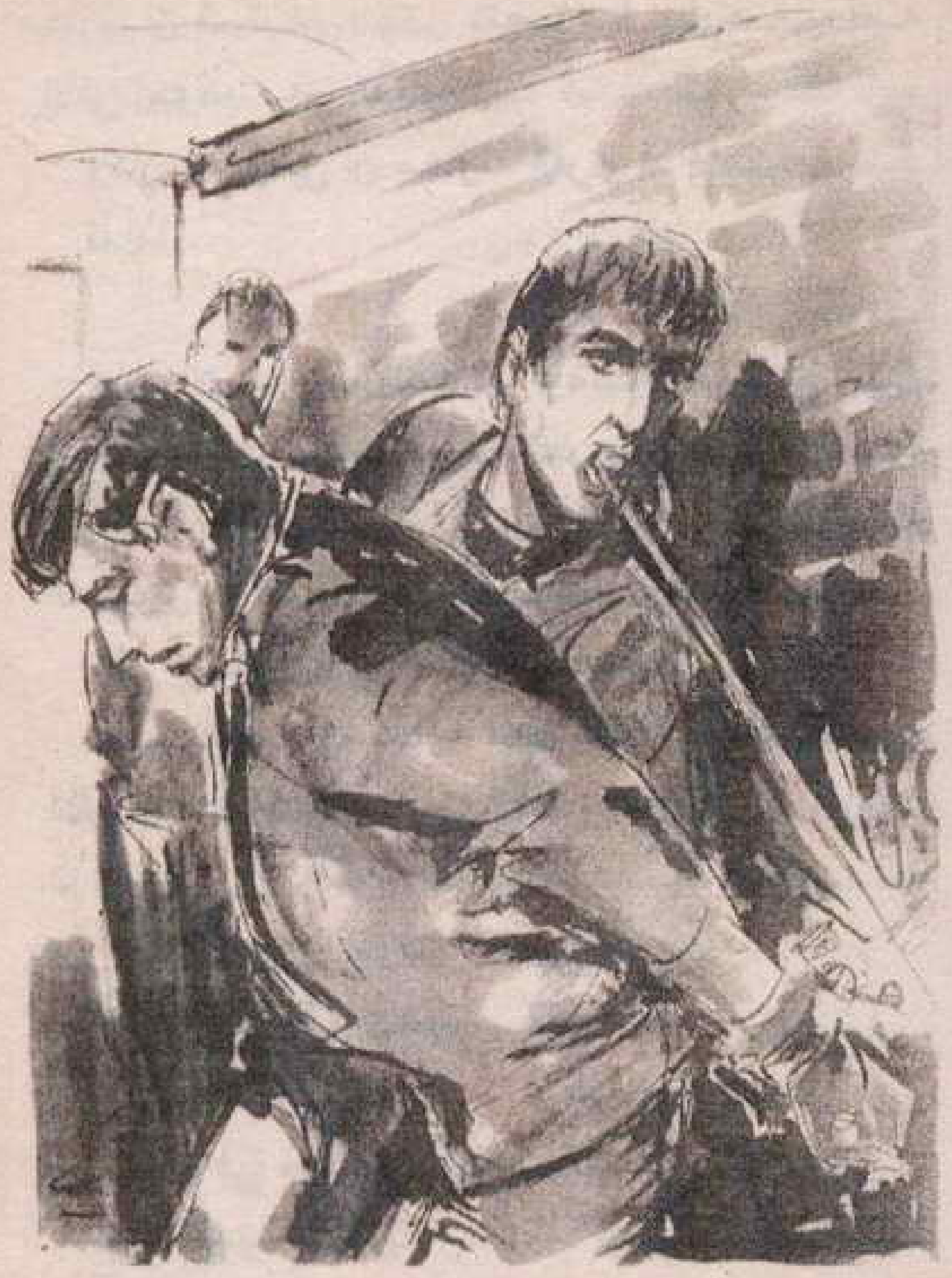

استغرق الأمر ثلاث دقائق كاملة ، قبل أن يحرر (نور) معصمه الأيمن ، ثم يلتفت إلى (طارق) ، قائلاً : - دورك ياصديقى ! ..

حارسان ألمانيان ، وكل منهما يرفع فوهة مدفعه الآلى نحوهم ، فى انفعال شديد ..

وكان هذا يعنى أن محاولة الفرار قد فشلت .. تمامًا ..

★ ★ ★

حفر الإرهاق ملامحه فى وضوح ، على وجه (مشيرة محفوظ) ، رئيسة الجريدة المرئية (أنباء الفيديو) ، وهى مستغرقة بكيانها كله ، أمام شاشة الكمبيوتر ، داخل مكتبها الخاص ، فى مبنى الجريدة ..

وفى إشفاق واضح ، غمغم مساعدها :

- سيِّدتى .. أنت بحاجة لبعض النوم .. لقد قضيت أكثر من عشر ساعات متصلة ، أمام شبكة المعلومات الرئيسية ، وأكثر من عشرين ساعة من البحث ، فى كل المكتبات ودور الوثائق المعروفة .

لوَّحت بكفها فى عصبية ، قائلة :

- لا وقت للنوم .

سألها فى حيرة :

- لماذا يا سيِّدى ؟! حسبما أعلم ، لا توجد أية أنباء عاجلة ، منذ فترة طويلة .

فركت عينيها فى إرهاق ، محاولة دفعهما لمزيد من التطلُّع والمتابعة ، والتقطت نفسًا أقرب إلى اللهاث ، وهى تغمغم :

- إنه أمر يتعلَّق بزوجى .

هتف مبهوتًا :

- السيِّد (أكرم) .

ثم تلفَّت حوله بحركة غريزية ، قبل أن يسألها فى حذر وخفوت :

- أهو أمر يتعلَّق بعمله فى الـ ...

قاطعته فى صرامة :

- نعم .. هو كذلك .

تراجع بحركة حادة ، كمن تلقَّى صفعة قوية ، وازدرد لعابه فى توتر ، متمتمًا :

- إنه أمر جلل إذن .

وعاد يتلفَّت حوله ، سائلاً فى همس :

- أيمكننى المعاونة ؟!

تراجعت فى مقعدها ، وأدارت عينيها إليه فى توتر صامت لبعض الوقت ، قبل أن تقول فى أسى مرير :

- لقد فعلت كل ما يمكن فعله .

جذب مقعدًا ، وهو يقول فى شىء من الحماس :
- ربما كان لدى جديد .
هزَّت رأسها فى مرارة ، مغمغمة :
- وما الذى يمكنك فعله ؟
أشار بسبَّابته ، مجيبًا فى حماس :
- ربما أمكننى أن أفعل الكثير ..
استدارت إليه فى لهفة قلقة ، فتابع :
- فقط أخبرينى ما الذى تبحثين عنه .
صمتت بضع لحظات ، وهى تتطلَّع إليه ، وكأنما تتساءل فى أعماقها ، عما إذا كان من الصواب أن تخبره بما لديها أم لا ، إلا أنها لم تلبث أن اعتدلت فى مقعدها ، على نحو يوحى بأنها قد حسمت أمرها ، وهى تقول :
- لدى وثيقة قديمة هنا ، من عهد الحرب العالمية الثانية ، تحمل حكمًا بإعدام ثلاثة من الجواسيس ، فى (باريس) المحتلَّة ، مع توقيع الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، قائد مخابرات النازى فى (أوروبا) ، فى ذلك الحين ، ولكننى أريد معرفة ما تم بشأن ذلك الحكم .

بدت الدهشة على وجه مساعدها ، وهو يقول :
- حكم بالإعدام ، فى زمن (ألمانيا) النازية ؟! وما علاقة أمر قديم كهذا بزوجك يا سيِّدتى .
أجابته فى عصبية شديدة :
- لا أسئلة يا رجل .. هل يمكنك المعاونة أم لا ؟
تطلَّع الرجل إليها لحظة ، أدرك خلالها كم تعانى ، ثم قال فى حسم :
- بالتأكيد .
قالت متوترة :
- لقد بحثت فى كل الأماكن الممكنة ، على شبكة (الأنترنت) .. كل المواضع الخاصة بالحرب العالمية الثانية ، والتاريخ ، والوثائق الخاصة ، وحتى المواضع ذات الطابع الحربى أو العسكرى .
اتجهت أصابعه إلى أزرار الكمبيوتر ، متسائلاً :
- وماذا عن الأبحاث والدراسات النفسية ؟!
بدت عليها الدهشة ، وهى تسأله :
- الأبحاث والدراسات النفسية ؟! وبم يمكن أن تفيدنا تلك المواضع ؟!
أجابها ، وهو يضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

- إنه موضع واحد ، يختص بدراسة وتحليل كل الشخصيات التاريخية المعروفة ، وغير المعروفة ، لمعرفة الأسباب التى جعلت منهم علامات بارزة ، سواء أكانت خيِّرة أم شريرة .

ثم سألها فى اهتمام :

- ما اسم ذلك الجنرال النازى ؟!

أجابته فى لهفة :

- (فريدريش هولدشتاين) ..

عقد حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

- (فريدريش هولدشتاين) .. عجبًا ! إننى من المهتمين بتاريخ الحرب العالمية الثانية ، وعلى الرغم من هذا ، فالاسم يبدو لى عجيبًا .

قالها ، ثم هتف فجأة :

- وعلى أية حال ، ها هو ذا .

بدا عليها مزيج من الاهتمام البالغ ، والتوتر الشديد ، وهى تتطلع إلى الشاشة ، التى حملت صورة (هولدشتاين) ، وإلى جوارها كل البيانات الخاصة به ، والتى راح مساعدها يطالعها فى اهتمام مماثل ، قبل أن يقول :

- يا إلهى ! لقد كان هذا الرجل شيطانًا حقيقيًا .. تاريخه كله مغموس فى دماء مئات الأبرياء ، الذين أعدمهم ، دون شفقة أو رحمة ، لمجرد الاشتباه .

هتفت به :

والوثيقة يا رجل .. الوثيقة .

أخبرته كل البيانات الخاصة بحكم الإعدام ، ويداه تتحركان فى سرعة ، لتغذية الكمبيوتر بكل المعلومات ، ثم قال :

- ها هى ذى .

ارتجف جسدها فى عنف ، وهى تحدِّق فى الوثيقة على الشاشة ، فى حين عادت أصابع مساعدها تعمل ، وهو يغمغم :

- والآن علينا أن نعرف ما إذا كان الحكم قد انتقل إلى مرحلة التنفيذ ، أم ...

لم يكن قد أتمَّ عبارته بعد ، عندما ظهرت النتيجة على الشاشة ، فاتسعت عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وصرخت :

- لا .. لا .. مستحيل !

فعلى الشاشة ، وبخط واضح للغاية ، كانت هناك عبارة تؤكِّد أن حكم الإعدام قد تم تنفيذه فى الجواسيس الثلاثة ..

عند الفجر .

* * *

٨ - الفجر ..

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وهو يستمع إلى (رمزى) ، داخل حجرة مكتبه الخاصة ، إلا أنه لم يحاول مقاطعته بكلمة واحدة ، حتى انتهى من حديثه ، فنهض الدكتور (ناظم) من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقطع أرجاء الحجرة فى صمت ، ثم لم يلبث أن التفت إلى (رمزى) قائلاً :

- إذن فأنت لا تشعر بالارتياح ، تجاه الدكتورة (إلهام) ، وتطالب بمنعها من دخول مقر قيادة الفريق مرة أخرى .

أجابه (رمزى) فى حزم مقتضب :

- بالضبط .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه فى حيرة متوترة ، قائلاً :

- ولكن الدكتورة (إلهام) هى خبيرة التفاعلات الحيوية الوحيدة فى الإدارة ، وهى الأفضل فى هذا

المضمار ، بشهادة كل العاملين فيه ، كما أنها محل ثقة الجميع ، وتقاريرها كلها ممتازة ، منذ التحقت بالعمل هنا .

أشار (رمزى) بسبَّابته ، وهو يقول :

ـ بمناسبة الحديث عن التقارير ، إننى أرغب بشدة ، فى مراجعة التقرير النفسى الخاص بها .

تطلَّع إليه الدكتور (ناظم) مرة أخرى فى دهشة ، ثم اتجه مرة أخرى إلى مكتبه ، وجلس خلفه ، وشبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلاً :

ـ ولكن ماذا لو احتاج الأمر لوجودها معكم ؟!

هزَّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لقد استشرت (سلوى) و(نشوى) فى هذا الأمر ، واتفق رأينا جميعًا على أن هذا لن يكون ضروريًا قط .. يمكننا أن نرسل إليها النتائج أولاً فأولاً ، دون أن تحتاج للقدوم إلينا .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه متفهمًا ، وغمغم :

ـ عجبًا !

ثم اعتدل مستطردًا فى لهجة حازمة :

ـ فليكن يا (رمزى) .. على الرغم من اعتراضى

على موقفكم هذا ، وثقتى الشديدة بالدكتورة (إلهام) ، بعد أن راجعت ملفها كله بنفسى ، فسأوافق على مطلبك هذا .

غمغم (رمزى) فى ارتياح :

ـ عظيم .

لوَّح الدكتور (ناظم) بيده ، على نحو لا يعنى شيئًا محدودًا ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً :

ـ هل يكفيكم هذا ، أم أن هناك مطالب أخرى ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة ، وكأنه ينتظر هذا السؤال بالتحديد :

ـ أريد مراجعة كل ما يخص (طارق) ثانية .

تضاعفت دهشة الدكتور (ناظم) هذه المرة ، وبدت واضحة أشدَّ الوضوح ، فى ملامحه وصوته ، وهو يهتف :

ـ كل ما يخصَّه ؟!

قال (رمزى) فى حزم :

ـ نعم يا دكتور (ناظم) .. كل ما يخصَّه بلا استثناء .. ملفه ، تقاريره السرية ، فى أثناء عمله فى مؤسسة الرياسة ، وبعد التحاقه بالعمل فى إدارة

البحث العلمى ، وحتى فى أثناء عمله معنا .. تقاريره الطبية ، والنفسية ، والرياضية .. ثم إننا سنعيد فحص منزله ثانية .

قال الدكتور (ناظم) :

- ولكننا فحصنا كل هذا مرتين على الأقل يا (رمزى) .

أجابه بنفس الحزم :

- هذا صحيح ، ولكننى كنت أفحص كل شىء ، مؤمنًا بأن (طارق) صادق فى كل ما قاله ، أما الآن ، فأحتاج إلى إعادة الفحص ، بعد أن تيقَّنت من أنه قد نجح فى خداعنا جميعًا .

هتف الدكتور (ناظم) :

- خداعكم وحدكم .. أنا لم أثق به قط .

لوَّح (رمزى) بيده ، قائلاً :

- فليكن .. المهم أننى واثق تمامًا ، من أن التوصُّل إلى الفارس الثانى ، يستلزم إعادة فحص ودراسة كل ما يتعلَّق بالفارس الأوَّل .. (طارق) .

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، وهو يفكِّر فى عمق ، قبل أن يقول فى حزم :

- فليكن يا (رمزى) .. راجعوا كل ما يتعلَّق بـ (طارق) ، ولكن بشرط واحد .

سأله (رمزى) فى حذر :

- وما هو ؟!

دقَّ سطح مكتبه بقبضته ، وهو يقول فى صرامة :

- أن نحصل فى النهاية على أجوبة .. أجوبة شافية ، تزيح الضباب عن كل هذا الغموض .

تطلَّع إليه (رمزى) لحظة ، بعينين لا تحملان أية تعبيرات على الإطلاق ، ثم قال فى بطء :

- سنبذل قصارى جهدنا .

ولم يرق هذا الجواب للدكتور (ناظم) .. لم يرق له أبدًا ..

★ ★ ★

كان الموقف شديد الدقة والصعوبة بالفعل ، فى تلك الزنزانة ، أسفل بيت الثعالب ، فى (باريس) المحتلَّة ، إبان الحرب العالمية الثانية ..

(نور) وحده مطلق السراح ، أعزل ، فى مواجهة اثنين من جنود النازية ، يحملان مدفعين آليين قويين ، بمقاييس ذلك العصر ، ويتحفزان لسحقه سحقًا ..

ولكن ، فى مثل هذه المواقف الدقيقة ، ينطلق شىء ما ، من أعماق الرجال ..

الأطباء يؤكدون أنها مادة (الأدرينالين) ، ذلك الهرمون ، الذى تنتجه الغدة الكظرية ، والذى يزداد إفرازه فى مجرى الدم ، مع التوتر والانفعال ، فتتضاعف معه دقات القلب ، وسرعة جريان الدم فى العروق ، وتلاحق الأنفاس ، وتبلغ سرعة الاستجابة حدًا مدهشًا ، يجعل المرء قادرًا على إتيان ما يعجز عنه ، فى الظروف العادية(*) ..

أما نحن ، فنؤمن بأنها الإرادة ..

غريزة البقاء ، التى يخفق بها قلب كل كائن حى ، والتى تنطلق من أعمق أعماقه ، عند الشعور بالخطر ، ليحافظ على بقائه ، وينقذ وجوده ..

وأيًا كانت الحقيقة ، ومهما كان التفسير ، فقد تفجَّرت قوة هائلة فى عروق (نور) ، فور رؤيته الجنديين ، ووثب وثبة مدهشة ، مباغتة ، قوية ، جعلته يبلغ الرجلين ، ويركل المدفع الآلى من يد أولهم ، ثم يدور حول نفسه فى خفة مدهشة ، ويركل الثانى

(*) حقيقة طبية .

فى أنفه مباشرة ، قبل أن تضغط سبَّابته زناد مدفعه .

وكانت الركلة قوية بالفعل ..

لقد انتزعت الجندى الثانى من مكانه ، ودفعته مترين كاملين إلى الخلف ، ليرتطم بقضبان الزنزانة فى عنف شديد ، كما لو أن سرعته كانت تكفى ، ليندفع ثلاثة أمتار أخرى على الأقل ..

وعندما ارتدَّ إلى الأمام ، بعد ارتطامه بالجدار ، استقبلته قبضتا (نور) ، فى أنفه وفكه ، بلكمتين متعاقبتين قويتين ، سقط بعدهما ليرتطم بالأرض فى عنف ..

ولكن الجندى الأوَّل صرخ غاضبًا ، وهو يثب نحو (نور) كالنمر الشرس ، ويحيط عنقه بذراعه القوية ..

وبمبادرة سريعة مدهشة ، انحنى (نور) إلى الأمام ، انحناءة مباغتة حادة ، اختلَّ معها توازن الجندى ، فوجد نفسه يطير فى الهواء ، ثم يرتطم بالجدار ، ويسقط أرضًا فى قوة ..

وفى انبهار وإعجاب ، هتف (أكرم) :

- ربَّاه ! أنت مقاتل رائع يا (نور) .

ولكن الجندى الألمانى قفز واقفًا على قدميه ، فى

سرعة مدهشة ، وكأن تلك الضربات العنيفة لم تترك أدنى أثر فى جسده ، واستلّ مسدسه الاحتياطى من غمده ، هاتفًا :

- لن تخرج من هنا حيًا أيها الجاسوس .

كان تحركه سريعًا للغاية ، حتى إن (نور) لم يكن قد استعاد توازنه بعد ..

ولكن (أكرم) تعلّق بأغلال معصميه ، المثبتة إلى الجدار ، وقفز ليركل الجندى بقدميه فى ظهره ركلة قوية ، هاتفًا :

- هل تراهن أيها الوغد ؟!

دفعت الركلة الجندى إلى الأمام فى عنف ، فاستقبله (طارق) بلكمة كالقنبلة ، قائلاً :

- خسرت .

سقط الجندى الثانى فاقد الوعى بدوره ، فهتف (أكرم) :

- أسرع يا (نور) .. أسرع بالله عليك .. حطم أغلالنا ، قبل أن تجذب الجلبة المزيد من هؤلاء الأوغاد إلى هنا .. استخدم قاذف الليزر بسرعة .

ولكن (نور) دسّ القاذف الليزرى الصغير فى جيبه ، وهو يقول فى حزم :

- سيستغرق هذا وقتًا طويلاً للغاية .

ثم انتزع سترته ، وكوّرها فى قبضته ، والتقط أحد المدفعين الآليين ، مستطردًا :

- هناك وسيلة أكثر سرعة .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

- ربّاه ! هل ستستخدم المدفع ؟! هذا سيوقظ كل ألمانى ، على مسافة عشرة كيلومترات يا (نور) .

أجابه (نور) فى حزم :

- اطمئن .

قالها ، وألصق سترته المكوّرة بأغلال معصم (طارق) الأيسر ، ثم رفع فيها فوهة المدفع الآلى ، وأطلق النار ..

وانتفض جسد (أكرم) ، مع ذلك الصوت الخافت المكتوم ، الذى انطلق من المدفع ، عندما اخترقت رصاصته أغلال (طارق) ، وحطمتها ..

وعندما انتقل إليه (نور) ، وجد نفسه يهتف مبهورًا :

- مازلت تصرّ على إبهارى دائمًا يا (نور) .. لقد اخترعت كاتمًا بسيطًا للصوت .

غمغم (نور) ، وهو يطلق رصاص المدفع ، على أغلال معصميه :

- إنه ليس اختراعًا حديثًا .. مجرَّد فكرة شاهدتها فى عشرات الأفلام السينمائية القديمة .

ربَّت (طارق) على كتفه ، وهو ينحنى لالتقاط المدفع الآخر ، قائلاً :

- المهم أن تجيد استخدام ما تتعلَّمه .

ومع آخر حروف عبارته ، تحرَّر (أكرم) أيضًا من أغلاله ، فوثب يلتقط مسدس الجندى ، هاتفًا فى صرامة :

- فى هذه المرة لن أسمح لهم بأخذى حيًّا ، سأقاتل بكل ما أملك من قوة ، من أجل حريتى .

أشار (طارق) إلى رأسه ، قائلاً :

- فى موقف كهذا ، الأفضل أن تقاتل بكل ما تمتلك من عقل وذكاء .

صاح به (أكرم) فى حنق :

- ماذا تعنى يا (طارق) ؟ هه .. ماذا تعنى ؟!

أشار إليه (نور) فى صرامة ، وهو يقول :

- (طارق) على حق تمامًا .. إنهم يفوقوننا عددًا

وعدَة ، والمواجهة المباشرة تعنى هزيمتنا حتمًا ، إذن فالوسيلة الوحيدة هى أن نلجأ إلى التحايل والخداع .

سأله (أكرم) :

- كيف يا (نور) ؟!

تلفَّت (نور) حوله ، وهو يهمس :

- عندى خطة بسيطة .. بسيطة للغاية ..

فى نفس اللحظة ، التى همس فيها بعبارته ، كان (كارل مانهايم) يدق باب حجرة الجنرال (هولدشتاين) فى حذر ، ثم يقف مشدود القامة ، فى حين هتف (هولدشتاين) من الداخل فى حدة :

- من بالباب ؟!

تنحنح (كارل) ، قائلاً :

- إننى (كارل) يا جنرال .

أتاه صوت (هولدشتاين) من الداخل ، يهتف :

- انتظر قليلاً .

احتقن وجه (كارل) فى حنق ، وضمَّ شفتيه فى غضب ، وهو يحافظ على وقفته الصارمة ، لنصف دقيقة كاملة ، قبل أن يقول (هولدشتاين) بلهجة صارمة :

- ادخل .

دفع (كارل) الباب ، ودلف إلى الحجرة هاتفًا :

- هايل (هتلر) .

رمقه (هولدشتاين) بنظرة جانبية ، قائلاً :

- ماذا هناك ؟!

احتقن وجه (كارل) أكثر ، وهو يجيب :

- لقد أحضرت الفتاة ، طبقًا لأوامرك يا جنرال .

عقد (هولدشتاين) حاجبيه ، قائلاً :

- أية فتاة ؟

كاد (كارل) يقضم شفتيه غيظًا ، وهو يجيب بلهجة متوترة :

- فتاة المقاومة الفرنسية .

هتف الجنرال ، وكأنه قد استعاد ذاكرته على التو :

- آه .. (برجيت) .. دعها تأت يا رجل .

ضرب (كارل) كعبيه ببعضهما ، وهو يقول :

- أمرك يا جنرال .

غاب فى الخارج لحظات قليلة ، ثم عاد وهو يدفع (برجيت) أمامه ، وقد أحاط قيد فولاذى قصير

بمعصميها ، وتبعثر شعرها ، على نحو يوحى بما لقيته من سوء معاملة ، فاسترخى (هولدشتاين) فى مقعده ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، متطلعًا إليها بابتسامة متشفية ، قبل أن يشير إلى (كارل) ، قائلاً :

- حِل معصميها ، واتركنا وحدنا .

حدَّق (كارل) فيه بدهشة ، قائلاً :

- سيِّدى الجنرال .. إنها فتاة مقاومة ، و ...

قاطعه بصيحة هادرة :

- نفذ الأوامر يا (كارل) .

احتقن وجه الجزَّار بشدة هذه المرة ، وكأنما اكتظ بكل دماء ضحاياه دفعة واحدة ، وغمغم بصوت متحشرج مختنق :

- أمرك يا جنرال .

وحلَّ قيودها فى عصبية ، ثم أدَّى التحية العسكرية ، وغادر الحجرة فى توتَر شديد ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى أدار (هولدشتاين) عينيه إلى (برجيت) ، وتأمَّلها من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، قبل أن يقول بابتسامة مخيفة :

- من الواضح أنك جميلة بحق .. ذلك المستقبلى محق فى أن يغرم بك إلى هذا الحد .

خفق قلبها بين ضلوعها فى قوة ، على الرغم من دقة الموقف ، وسألته بصوت متوتر :

- من تقصد ؟!

اتسعت ابتسامته المخيفة ، وهو ينهض ، قائلاً :

- أنت تعرفين من أقصده يا جميلتى .

تراجعت فى حذر ، وهى تقول فى عصبية :

- اسمع يا (هولدشتاين) .. لو أنك تتصوَّر أن ...

قاطعها فى سرعة :

- اسمعينى أنت يا جميلتى .. صديقك المستقبلى هذا لن يمكنه العناية بك بعد الآن ، ولكن هذا لن يمنعه من محاولة إنقاذك .

بدت الدهشة واضحة فى عينيها ، فتابع ، وهو يزداد اقترابًا منها :

- كلاَّ يا عزيزتى .. إنك لم تخطئى الفهم .. صديقك الولهان سيسعى بالفعل لإنقاذك ، وتحريرك من قبضتى .

ثم مال نحوها أكثر ، حتى التصقت بالحائط ، وهو يتابع :

- إنك تتساءلين ؟ كيف عرفت هذا ؟ أليس كذلك ؟!

أطلَّ مزيج من الخوف والتوتر من عينيها ، فتراجع مطلقًا ضحكة قوية ، جعلته يبدو أشبه بالشيطان ، وهو يقول :

- المشكلة الوحيدة ، التى تواجه أصدقاءك المستقبليين فى هذا العصر ، هى أنا يا جميلتى .. أنا (فريدريش هولدشتاين) ، الوحيد القادر على التصدِّى لهم ، وتدميرهم وقتما أشاء .. إنهم لا يدركون أننى ، وفى هذه المرة أيضًا ، سمحت لهم بالفرار ، وسمعت كل كلمة نطقوا بها فى زنزانتهم منذ قليل ، عبر جهاز اتصال دقيق ، زرعته فى جدران الزنزانة ، دون أن يدركوا هذا .

ارتجفت شفتاها فى توتر ، فتابع ، وهو يعود للاقتراب منها :

- لقد وضعوا خطة بسيطة ، تعتمد على قطع التيار الكهربى ، ثم الخروج من المدخل السرِّى ، واثنان منهم يرتديان زى الجنديين الألمانيين ، اللذين هزماهما فى الزنزانة ، وسيدورون حول المبنى ، ويحاولون إشعال بعض النيران ؛ لإرباك طاقم الحراسة ،

بحيث تتاح لهم الفرصة لتحرير رفاقك ، وتتاح لرفيقك المستقبلى الوسيم الفرصة للظهور أمامك بمظهر (طرزان)(*) ، وهو ينقذك من قبضة الألمان الأشرار .

ارتجفت شفتاها مرة أخرى ، وهى تقول :

- ما الذى تنوى أن تفعله يا (هولدشتاين) ؟!

أطلق ضحكة أخرى ، قائلا :

- سأتركهم يطلقون سراح الجميع يا جميلتى ، فيما عداك بالطبع .

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تتمتم :

- لـ ... لماذا ؟!

لوَّح بكفه ، قائلاً :

- لأنك ورقتى الرابحة يا جميلتى .. صديقك المستقبلى يخفى سرًا بالغ الخطورة ، أريد التوصُّل إليه بأى ثمن ، وهناك وسيلتان فحسب للحصول على

(*) (طرزان) : شخصية روائية أسطورية ، ابتكرها (إدجار رايس باروز) ، وهى لشاب بريطانى ، تركه والداه بعد رحيلهما ، وسط غابات (إفريقيا) ، فتبنته القرود ، ونشأ بينها ، وصار أسطورة وسط الأدغال ، والشخصية عنصرية واضحة ، يبدو فيها التباين بين الرجل الأبيض المتحضِّر الذكى ، والمواطن الإفريقى الضعيف ، الذى يخضع للرجل الأبيض ، وكأن هذا الخضوع أمر طبيعى غريزى .

ذلك السر .. إما أن أجبره على البوح به ، أو أدفعه دفعًا إليه .

لم تفهم ما يرمى إليه ، فتابع وكأنه يتحدَّث مع نفسه :

- ستكون صدمة عنيفة لفارسك الوسيم ، عندما يكتشف اختفاءك ، بعد أن ينتهى من تحرير الأسرى ، ويدرك أنك مازلت فى قبضتى ، وسيبلغ توتره أقصاه ، عندما يعجز عن العثور علينا ، أنت وأنا ، على الرغم من كل ما سيفعله ، وهنا لن يكون أمامه سوى الاستعانة ببعض أسلحته المستقبلية المتطوِّرة ، وهذا يحتِّم الاتصال بالمقاتلة الزمنية ، التى حملته مع (نور) و (أكرم) إلى هنا .

ثم طرقع سبَّابته وإبهامه ، مستطردًا فى شراسة :

- وعندما يتمَّ هذا الاتصال ، أكون قد بلغت غايتى .

اتسعت عيناها فى ارتياع شديد ، وغمغمت فى انفعال جارف :

- إنك .. إنك .

ثم صرخت بغتة ، وهى تنقض عليه بكل قوتها :

- أيها الوغد .

تراجع فى خفة ، ومال جانبًا فى ليونة ، متفاديًا انقضاضتها ، ثم هوى على فكّها بلكمة كالقنبلة ، قائلاً فى قسوة :

- إياك أن تنطقيها ثانية .

صرخت فى ألم ، وهى تسقط أرضًا ، فركلها فى معدتها ، مستطردًا :

- فى المرة القادمة سأقتلك .

تأوَّهت فى ألم شديد ، وهى تهتف مختنقةً :

- كيف تضرب امرأةً هكذا أيها الـ ...

ركلها فى فكها ، وهى ملقاة أرضًا ، قائلاً فى شراسة :

- قلت : إياك أن تنطقيها .

ثم انحنى يجذبها من شعرها فى قسوة ، ليجبرها على النهوض ، وصفعها على وجهها فى قوة ، مستطردًا :

- لست أظن فارسك الوسيم يرغب فى الاحتفاظ بامرأةٍ مشوَّهة .

كتمت (برجيت) دموعها فى صعوبة ، وهى تغمغم :

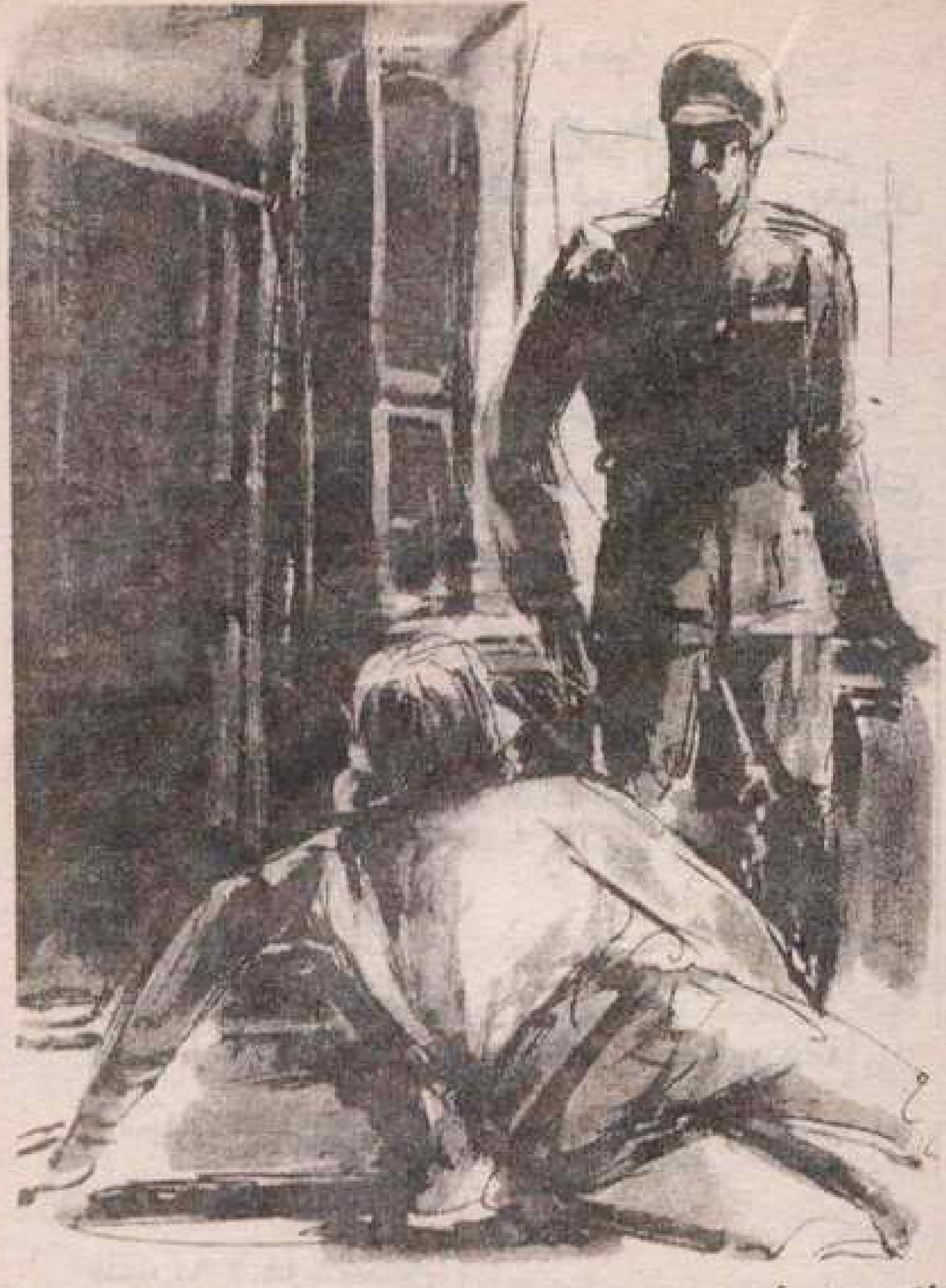

تأوَّهت فى ألم شديد ، وهى تهتف مختنقة :
- كيف تضرب امرأة هكذا أيها الـ ؟ ..

- أمثالك يستحقون القتل بلا رحمة .
قهقه ضاحكًا فى سخرية ، وهو يقول :
- أمثالى يبقون على القمة فى النهاية ، بعد أن تمتلئ الأرض بقبور الحمقى من أمثالكم .
قالت فى حدة :
- المثل يقول : من يضحك أخيرًا ، يضحك كـ ...
قبل أن تتمَ عبارتها ، دوى انفجار عنيف ، وانقطع التيار الكهربى كله دفعة واحدة ، فأمسكها (هولدشتاين) من ذراعها فى قوة ، وغرس أصابعه فى جلدها بقسوة ، وهو يقول :
- لقد بدءوا خطتهم .
ومع آخر حروف كلماته ، دوى انفجار آخر ، فهتف :
- يا للشيطان ! من أين حصلوا على القنابل ؟!
اقتحم (كارل) مكتبه ، فى هذه اللحظة ، هاتفًا :
- سيِّدى الجنرال .. الجواسيس الثلاثة نجحوا فى الفرار ، ونسفوا القبو كله .
هتف به (هولدشتاين) :
- من أين حصلوا على القنابل ؟!

صاح (كارل) :
- لست أدرى يا جنرال .. لا يوجد فى القبو سوى بعض المكاتب القديمة ، وأسطوانات الغاز ، و ...
قاطعه (هولدشتاين) فى توتر :
- أسطوانات الغاز ؟! آه .. فهمت !!
ثم استطرد فى صرامة :
- أرسل فريقًا من الرجال إلى المدخل السرى ، و ....
جاء دور (كارل) ليقاطعه هذه المرة ، هاتفًا :
- ولماذا المدخل السرى يا جنرال .. إنهم هنا .
اتسعت عينا (هولدشتاين) ، وهو يقول :
- هنا ؟!
ومع قوله ، دوًى انفجار ثالث ، ارتجَ له المبنى كله ، وتردَّد بعده دوى الرصاصات داخل المكان ، وهتف (كارل) :
- إنه أمر واضح يا جنرال .. القتال كله يدور داخل المبنى .
انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يغمغم :
- ماذا ؟! هؤلاء الأوغاد !!

قهقهت (برجيت) ضاحكة ، وهى تقول فى شماتة :

- لقد خدعوك أيها العبقرى .. لقد أدركوا أنك تتنصَّت على أحاديثهم ، فخدعوك كالغرّ الساذج ، ودفعوك لاتخاذ كل الاحتياطات ، لصد هجوم من اليمين ، ثم ركلوا مؤخرتك من اليسار .. لقد ..

هوى على فكها بصفعة قوية ، هاتفًا فى غضب :

- اخرسى أيتها الحقيرة .

ثم التفت إلى (كارل) ، مستطردًا فى لهجة آمرة صارمة :

- مُر الرجال بعدم تبادل إطلاق النيران معهم على الإطلاق .

اتسعت عينا (كارل) عن آخرهما ، على الرغم من الظلام ، وهتف :

- سيِّدى الجنرال .. إنهم ...

قاطعه فى غضب هادر :

- لا تناقش يا (كارل) .. لا تحاول حتى أن تفكِّر .. نفذ الأوامر فحسب .

أخفى الظلام احتقان وجه (كارل) وهو يغمغم :

- كما تأمر يا جنرال .. كما تأمر .

واستدار ليغادر الحجرة ، ودوى الرصاصات ما زال يتردَّد فى المكان كله ، فهتفت (برجيت) فى انفعال :

- هذا لا ينفى خسارتك يا (هولدشتاين) .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يهتف :

- (كارل) .

التف (كارل) إلى مصدر الصوت ، محاولاً اختراق حجب الظلام ببصره ، فتابع (هولدشتاين) بنظرة آمرة قاسية صارمة :

- اقتلوا كل الأسرى .

شهقت (برجيت) ، هاتفة فى ارتياع :

- لا .. إلا هذا .

انغرست أصابع (هولدشتاين) فى ذراعها أكثر ، وهو يكمل :

- الآن يا (كارل) .. على الفور .

هتف (كارل) فى حماس ، وكأنما أسعده هذا الأمر :

- كما تأمر يا جنرال .. كما تأمر .

واندفع يتحسَّس طريقه ؛ لتنفيذ ذلك الأمر الدموى ، فى حين جذب (هولدشتاين) (برجيت) فى قسوة ، إلى حيث مكتبه الكبير ، وهى تهتف :

- لقد خسرت يا (هولدشتاين) .. خسرت ، على الرغم من كل ما تفعله .

قال فى صرامة :

- ليس بعد .

وانتبهت فجأة إلى أنه يسير بثقة واتزان ، على الرغم من الظلام الدامس ، فشهقت هاتفة :

- يا إلهى ! إنك .. إنك ترى فى الظلام .

أجابها فى قسوة :

- ليس هذا هو الأمر الخارق الوحيد ، الذى يمكننى فعله ، فعدستى العينين ، اللتين أرتديهما تصلحان لكل الظروف .

ثم انتزع شيئًا ما من مكتبه ، مستطردًا فى صرامة :

- وأنا أيضًا لدىّ أسلحة مستقبلية .

شعرت بشىء رخو ، يلتفّ حول وسطها ، فصرخت مذعورة :

- ما هذا ؟ ما الذى تفعله ؟!

لم تكد تتمّ صرختها ، حتى انطلقت فى جسدها شرارات كهربية عنيفة ، وتألّق المكان كله بضوء أزرق عجيب ، بدت معه ملامح (هولدشتاين) أشبه

بملامح شيطان رجيم ، انطلق من أعماق الجحيم .

وفى هذه المرة ، أطلقت (برجيت) صرخة هائلة ..

صرخة ارتجّ لها كيانها كله ..

كيانها الذى بدا وكأنه يتفكّك إلى ألف قطعة وقطعة ..

وبمنتهى العنف .

* * *

٩ - لعبة الشيطان ..

استرخت الدكتورة (إلهام) فى مقعدها ، أمام شاشة كمبيوتر كبيرة ، داخل حجرة خاصة ، فى مبنى الأبحاث العلمية ، وهى تتطلع إلى أحد المشتبه فيهم الخمسة ، والذى يجلس داخل كابينة صغيرة ، شبيهة بتلك الخاصة بالمقاتلة الزمنية ، فى حين راحت المعدّلات الحيوية للرجل تتراص فى انتظام على الشاشة ، والدكتور (ناظم) و (رمزى) يتابعانها فى صمت ولهفة ، حتى انتهت مرحلة الفحص ، فأدار الاثنان عيونهما إلى (إلهام) ، التى ظلّت صامتة بدورها ، تراجع النتائج فى اهتمام ، قبل أن تغمغم :

- إنه الأخير .. أليس كذلك ؟!

أجابها الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- بلى .. إنه كذلك .

أما (رمزى) ، فقد تطلّع إليها فى اهتمام بالغ ، وكأنما يهتمّ بفحصها هى ، بأكثر مما يهتمّ بنتائج فحص المشتبه فيهم ، مما جعلها تبتسم ، قائلة :

- لم لا تسترخى فى مقعدك يا دكتور (رمزى) ؟

أجابها فى صرامة :

- أنا كذلك ؟!

أطلقت ضحكة قصيرة ، حملت لمحة من السخرية ، وهى تقول :

- حقًا ؟! هل انتهيت من فحصى ؟!

انعقد حاجباه فى توتر ، فتابعت بسخرية واضحة :

- ما رأيك الآن ؟! هل أبدو لك كحالة مثالية ، من حالات (البارانويا)(*)، أم أنها حالة (سكيزوفرانيا)(**) مركّبة ؟!

شعر بالضيق ، من أسلوبها الساخر هذا ، وهمّ بقول شىء ما ، إلا أن الدكتور (ناظم) هتف فى عصبية :

(*) البارانويا : مصطلح طبى ، يطلق على مزيج من الشعور بالعظمة وعقدة الاضطهاد ، فالمصاب بذلك المرض النفسى يتصوّر أنه شخص جيّد ، ولكن من حوله يرفضون الاعتراف بهذا ، مما يجعله شديد الحساسية تجاههم ، وربما ينتابه شعور بأن هناك من يحاول تحطيمه أو قتله .

(**) سكيزوفرانيا أو (شيزوفرانيا) : مصطلح طبى آخر ، خاص بعقدة نفسية ، يتصوّر المصاب بها أن هناك شخصًا آخر ، أو عدة أشخاص ، يصحبونه طوال الوقت ، ويناقشونه ، أو يختلفون معه فى عدة أمور ، يعانى من التوتر بشأنها فى عقله الباطن .

ـ دعونا من هذه المناقشات السخيفة الآن .. المهم أن نعرف مَنْ مِنْ هـؤلاء الرجـال الخمسـة ، يمكـن أن يكونَ الجاسوس الزمنى .

هزّت (إلهام) رأسها ، قائلة :

ـ هناك اثنان منهم ، تتشابه تفاعلاتهم الحيوية إلى حد كبير ، مع المعدّلات المطلوبة .

سألها فى لهفة :

ـ من هما ؟!

استدركت فى حزم :

ـ ولكنها لا تتطابق .

تراجع مبهوتًا ، وهو يسألها :

ـ ماذا تعنين ؟!

أشارت إلى الشاشة ، مجيبة :

ـ أعنى أنهم جميعًا أبرياء ، ولا يمكن أن يكون الجاسوس أحدهم .

انعقد حاجبا (رمـزى) فى شدة ، فى حين لهث الدكتور (نـاظم) ، من فرط الانفعال ، وهو يهتـف بصوت مبحوح :

ـ ربّاه ! ولكن كيف ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة فى استرخاء :

ـ هناك خطأ ما بالتأكيد .. ربما أخطأ فريق (نور) فى رصد وحساب المعادلات الحيوية الأوّلية ، أو أخطأ الكمبيوتر فى انتخاب من تنطبق عليهم تلك التفاعلات ، أو ...

صمتت بضع لحظات ، على نحو جعل الدكتور (ناظم) يسألها فى لهفة :

ـ أو ماذا ؟!

بدا عليها التردُّد بضع لحظات أخرى ، قبل أن تلوّح بيدها ، مجيبة :

ـ أو أن الأمر كله مجرَّد وهْم .

تراجع (رمزى) بحركة حادة ، فى حين هتف الدكتور (ناظم) :

ـ وهْم ؟! ماذا تعنين يا دكتورة (إلهام) ؟!

تردّدت مرة أخرى ، قبل أن تلوّح بكفها فى الهواء ، مجيبة :

ـ أعنى أنه من المحتمل ألا يكون هناك وجود لذلك الفارس الزمنى الثانى على الإطلاق .

كانت مفاجأة حقيقية للرجلين ، فتبادلا نظرة متوترة ، قبل أن يقول (رمزى) فى اهتمام شديد :

- هل يمكنك أن تشرحى لنا وجهة نظرك بوضوح أكثر ؟!

هزّت كتفيها ، مجيبة :

- بالتأكيد .

ثم اعتدلت فى مقعدها ، متابعة :

- لقد توصّلتم إلى ذلك الاستنتاج ، بناء على استخلاص التفاعلات الحيوية لـ (طارق) ، وخصمها من مجموع التفاعلات الحيوية ، التى سجّلتها مقاتلة الزمن ، ثم افترضتم أن ما تبقى هو عبارة عن التفاعلات الحيوية لفارس زمنى ثان ، كان يستقل المقاتلة نفسها .

غمغم (رمزى) فى اهتمام :

- بالضبط .

لوّحت بسبّابتها فى وجهه ، قائلة :

- وهنا يكمن الخطأ .

سألها الدكتور (ناظم) :

- أىَ خطأ ؟!

التفتت إليه ، مجيبة فى حماس :

- لقد تصوّرتم أن التفاعلات الحيوية لـ (طارق)

هذا ستظلّ على حالها طوال الوقت ، ولم يخطر ببال أحدكم أنه من المحتمل أن تتضاعف تلك التفاعلات مرتين على الأقل ، فى أثناء عبوره ثقوب الزمن .

ارتفع حاجبا (رمزى) فى دهشة ، وهو يقول :

- هذا لم يخطر ببالنا بالفعل .

ابتسمت ، قائلة :

- وهذا هو الفارق بينى وبينكم .

ثم مالت نحوه ، مستطردة :

- أنا خبيرة فى مجالى ، ويمكننى وضع كل الاحتمالات فيه .

التقت عيونهما لحظة ، شعر خلالها بالتوتر يسرى فى أعماقه ، قبل أن يسألها الدكتور (ناظم) فى توتر :

- وما احتمال صحة استنتاجك هذا ؟

التفتت إليه ، مجيبة :

- يزيد على الستين فى المائة ، فى الوقت الحالى .

ثم اعتدلت فى مقعدها مرة أخرى ، متابعة فى حسم واثق :

- لهذا افترض الكمبيوتر أن الفارس الثانى امرأة ، أو رجل ضئيل الحجم على الأقل ، لأن الزيادة الناجمة

من انفعالات عبور الثقوب الزمنية ، لم تكن تكفى لشخص قوى بالغ ، كما يفترض فى مقاتل فضائى ، أو فارس زمنى محترف .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يعيد التفكير فى الأمر ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

- استنتاج معقول للغاية ، ويجيب عن معظم التساؤلات ، التى طرحها القائد الأعلى .

قال (رمزى) فى توتر :

- وماذا عن محاولة اختراق كمبيوتر الأمن ؟!

عاد حاجبا الدكتور (ناظم) ينعقدان فى عصبية ، ولكن الدكتورة (إلهام) أجابت فى سرعة :

- إنه أمر مختلف على الأرجح .. جاسوس أرضى آخر ، يحاول التسلُّل إلى النظام الأمنى لإدارة البحث العلمى ، باستخدام برنامج متطوِّر .

هتف الدكتور (ناظم) ، ملوِّحًا بسبَّابته فى حماس :

- هذا بالضبط ما افترضه القائد الأعلى .

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو ينهض مستطردًا :

- نعم .. إننى أميل كثيرًا لهذا الاستنتاج .

هتف (رمزى) فجأة :

- هراء .

التفت إليه الاثنان فى دهشة بالغة ، فتابع فى صرامة :

- ميلك أو عدم ميلك للأمر لا يعنى شيئًا .. إننا نواجه مشكلة عويصة ، والسبيل الوحيد لحسمها هو العثور على أدلة مادية قوية ، ولا شأن للمشاعر قط بهذا الأمر .

احتقن وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- (رمزى) .. إنك ...

قاطعه (رمزى) فى صرامة أشدّ :

- الأدلَّة المادية يا دكتور (ناظم) .. الأدلة المادية فقط .

ازداد احتقان وجه الدكتور (ناظم) ، وبدا وكأنه سينفجر بعبارة ما ، ولكن الدكتورة (إلهام) تدخَّلت فى سرعة ، قائلة :

- فليكن يا دكتور (رمزى) .. ستحصل على الدليل المادى .

التفت إليها ، قائلاً :

- بشأن ماذا ؟!

بدت الحيرة على وجهها ، فتابع فى صرامة :

- هل ستثبتين عدم وجود فارس زمنى آخر ، أم وجود جاسوس أرضى ، يحاول التسلل إلى نظامنا الأمنى ؟!

تجمَّدت ملامحها لحظة ، ثم لم تلبث أن لانت فى بطء ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة ، لم يدر معناها بالضبط ، وهى تجيب :

- البحث عن جاسوس أرضى ليس مهمتى ، ولكننى أستطيع إثبات عدم وجود فارس زمنى ثان .

ثم لوَّحت بسبابتها ، مستطردة :

- ولكننى أحذرك .. ذلك الدليل سينبع من هنا ، من خلال دراسة دقيقة لكل ما سجَّلته المقاتلة الزمنية ، من تفاعلات حيوية .

أجابها فى حزم :

- وهذا يكفينا .

نطقها ، وغادر المكان فى خطوات ثابتة قوية ، دون أن ينتظر رد فعل الدكتور (ناظم) ، الذى وقف مشدوهًا ،

وقد خالجه شعور بأن الأمور تزداد تعقيدًا أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

أطلق (أكرم) رصاصات مدفعه الآلى فى غزارة ، وهو يتحرك فى نشاط ، ويقفز من ساتر إلى آخر فى خفة وجرأة لا مثيل لهما .

كان من الواضح أن هذا الطراز من القتال يناسبه تمامًا ، وكأنما خلق ليحيا فى ذلك العصر ، وليس فى المستقبل ، حيث تسيطر التكنولوجيا على نظم الحياة الحديثة ..

أما (طارق) و (نور) ، فقد تعاونا لإشعال أسطوانة غاز أخرى ، وإلقائها نحو الجنود الألمان ، الذين ما إن لمحوا الأسطوانة تتدحرج نحوهم ، والنيران تشتعل فيها ، حتى تخلوا عن مواقعهم ، وانطلقوا يعدون مبتعدين ، و ...

ودوى الانفجار ..

وانهار أحد جدران بيت الثعالب فى عنف ، وكاد دوى سقوطه يحجب صوت (طارق) ، وهو يهتف :

- ولكن أين رجال المقاومة الفرنسية ؟! أين يحتفظ بهم النازيون ؟!

أجابه (نور) بصوت مرتفع :

- أخبرنى أنت .. إنك تحفظ كل ما يخص هذا العصر عن ظهر قلب .

أشار (طارق) بيده ، قائلاً :

- هناك مكانان لا ثالث لهما .. إما الزنزانة الكبيرةَ ، فى مؤخرة المبنى ، أو الساحة الخلفية .. أيهما تقترح ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدرس الأمرين فى سرعة ، قبل أن يهتف فى حزم :

- إنها الساحة الخلفية .. سيضعونهم تحت حراسة مشدَّدة .. فالزنزانة الكبيرة لا يمكن أن تستوعب كل هذا العدد .

صاح (طارق) :

- فلنسرع إلى هناك إذن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت (كارل) ، وهو يهتف :

- اقتلوا الأسرى .. كلهم .. هكذا أمر الجنرال (هولدشتاين) .

اتسعت عينا (طارق) ، وهو يصرخ :

- لا .. ليس (برجيت) .

أطلق صرخته ، ثم وثب يختطف أحد المدافع الآلية ، وضغط زناده على نحو متصل ، وهو يعدو نحو الساحة الخلفية ..

وفى حماس ، انطلق خلفه (أكرم) ، هاتفًا :

- أحسنت يا (طارق) .. هكذا يكون القتال .

التقط (نور) مدفعًا آليًا بدوره ، وهو يغمغم :

- يبدو أنه لا مَفرّ يا (نور) .. فلتلق بغضك للقتل والتدمير خلف ظهرك ، ولتنضمّ على الرغم منك ، إلى زمن الدم هذا .

وكان المشهد مهيبًا بحق ..

النيران تشتعل ، فى أماكن شتَّى من المبنى ، الذى انهار أحد جدرانه ، وعلى وهجها بدأ أبطالنا الثلاثة كالأسود البواسل ، وهم يشقّون طريقهم نحو الساحة الخلفية ، مع سيل من الرصاصات ، ينهال على النازيين كالمطر .

وبكل الطابع الدموى فى أعماقه ، تجاوز (كارل مانهايم) ذلك الممر الطويل ، الذى يقود إلى الساحة الخلفية ، حيث وقف الأسرى فى توتر شديد ،

لم يتجاوزه سوى اضطراب حراسهم العشرة ، الذين يصوبون إليهم مدافعهم الآلية ، وهم يتساءلون عن ذلك القتال العنيف ، الذى تبلغ أصداؤه مسامعهم ، من داخل بيت الثعالب نفسه ..

وفى توتر بلا حدود ، همس أحد رجال المقاومة :

- ماذا يحدث هنا ؟! أهى محاولة لتحريرنا ؟!

هزّ (آلان) رأسه نفيًا ، وقال فى عصبية :

- ومن سيقوم بها ؟!

أجابه رجل آخر :

- ربما كانوا رجال المستقبل الثلاثة ، فالقتال يدور داخل المبنى ، كما يبدو لى .

انعقد حاجبا (آلان) فى شدة ، وهو يغمغم :

- هل تعتقد هذا ؟!

ثم هزّ رأسه فى عصبية ، مستطردًا :

- ستكون صدمة عنيفة لهؤلاء النازيين ، فقد استخدموا كل إمكانياتهم لتأمين بيت الثعالب ، بحيث تعجز فرقة كاملة عن اقتحامه ، ولكن لم يخطر ببالهم قط أن يقاتلهم أحد من داخله .

لم تكن كلمته الأخيرة قد انتهت بعد ، عندما اندفع

(كارل مانهايم) إلى الساحة ، وهو يلوّح بذراعيه ، صارخًا :

- اقتلوا الأسرى .. كل الأسرى .

كان التوتر العنيف ، الذى يسرى فى عروق الجنود ، مبررًا كافيًا ، ليحوّلوا ذلك الأمر إلى فعل مباشر ، بأقصى سرعة ممكنة ، لذا فقد ارتفعت فوهات مدافعهم الآلية بسرعة البرق ..

وانطلقت الرصاصات ..

ومع دوى الرصاصات ، صرخ (طارق) :

- لاااااا ..

لم يدر بعدها ماذا حدث بالضبط ..

لقد تفجّر فى عروقه بركان هائل من الغضب ، وشعر بنفسه يطير فى الهواء ، ورصاصات مدفعه تنطلق كالسيل ، ثم يقتحم الساحة ، وهو يصرخ :

- أيها الأوغاد ..

وامتزجت رصاصاته برصاصات (نور) و(أكرم) ، لتحصد النازيين حصدًا ..

وبكل ما يملك من قوة ، انطلق (كارل مانهايم) يعدو كالصاروخ ، ووثب عبر باب الساحة الخلفى ، وهو يصرخ :

- اللعنة ! اللعنة ! أين الإمدادات ؟! لماذا لم تأت النجدة بعد ؟!

وواصل العَدْو ، حتى قفز داخل إحدى سيارات الجيش ، وانطلق بها مسرعًا ، ومكملاً :

- اللعنة ! اللعنة !

وفى الساحة ، استمرّ (طارق) يطلق رصاصاته فى غضب ، حتى أمسك (أكرم) كتفه فى قوة ، قائلاً :

- كفى يا (طارق) .. كفى .. لقد انتهى أمرهم جميعًا .

رفع (طارق) سبّابته عن الزناد ، وهو يحدّق فيما أمامه فى ذهول ، قبل أن يخفض فوهة مدفعه الآلى ، مغمغمًا :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أدار (نور) عينيه فى الساحة ، التى غرقت فى بحيرة من الدم ، ثم عضّ شفتيه فى مرارة ، قائلاً :

- يا لها من مذبحة !

هزّ (طارق) رأسه ، مغمغمًا :

- لم أكن أقصد هذا .. صدقنى أيها القائد .. لم أكن أقصد هذا .

ربّت (نور) على كتفه ، قائلاً :

- أعلم هذا يا (طارق) .. أعلم هذا .

صمت (طارق) لحظة ، وكأنما يحاول استيعاب ما حدث ، ثم لم يلبث أن انتفض فى قوة ، هاتفًا :

- يا إلهى ! (برجيت) .

ثم اندفع نحو رجال المقاومة ، الذين سقط خمسة منهم صرعى ، برصاص النازيين ، فى حين أصيب العديدون بجراح شتى ، وهتف :

- (آلان) .. (جولفيد) .. أين (برجيت) ؟!

هتف (آلان) :

- لسنا ندرى يا (طارق) .. لسنا ندرى .. ذلك الوغد (هولدشتاين) أمر جزّاره باحضارها ، ولم نرها بعدئذ قط .

احتقن وجه (طارق) ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أما (نور) ، فقد لوّح بمدفعه ، هاتفًا :

- أسرعوا يا رجال .. اجمعوا كل ما يمكنكم من أسلحة ، واستولوا على كل ما تجدونه من سيارات ، وابتعدوا من هنا بأقصى سرعة ممكنة ، فلن تمضى

دقائق ، حتى يحيط جيش نازى كامل بالمكان .. أسرعوا بالله عليكم .

لم يسمع (طارق) حرفًا واحدًا من هتاف (نور) ، فلم يكد (آلان) ينتهى من عبارته ، حتى انطلق هو كالصاروخ ، باحثًا عن محبوبته الفرنسية ، وهو يهتف فى كل مكان :

- (برجيت) .. أين أنت ؟! أين أنت يا (برجيت) ؟!

ولكن هتافه تردَّد فى المكان طويلاً ..

بلا جواب ..

لقد اختفت (برجيت) مع (هولدشتاين) من بيت الثعالب ..

ودون أدنى أثر ..

* * *

« أين نحن ؟! »

ألقت (برجيت) السؤال بصوت مرتجف ، وهى تدير عينيها فيما حولها فى ذعر ، وتجاهد محاولة التخلُّص من تلك القيود الرفيعة ، التى تبدو أكثر صلابة من الفولاذ نفسه ، والتى قيَّدها بها (هولدشتاين) إلى فراش صغير ، فى ركن القاعة ،

التى أضيئت بضوء بنفسجى هادئ ، واكتظَّت بعدد من الأجهزة الإليكترونية الدقيقة ، التى لم تر ، أو تحلم حتى بمثلها ، فى أشدّ كوابيسها عنفًا ..

وفى لا مبالاة ، التفت إليها (هولدشتاين) ، قائلاً :

- اصمتى يا امرأة .

ارتجف صوتها أكثر ، وهى تسأل :

- ولكن كيف ؟! كيف أتينا إلى هنا ؟! كل ما أذكره هو ذلك الوهج الأزرق ، و ... و ...

لم تجد الكلمات المناسبة لشرح ما تشعر به ، فتلعثمت الحروف على شفتيها ، على نحو جعله يبتسم فى سخرة ، قائلاً :

- إنه الانتقال الآنى يا جميلتى .

هتفت مشدوهة :

- الانتقال الـ ... ماذا ؟!

ضغط أحد أزرار الكمبيوتر ، وهو يقول ساخرًا :

- لا تشغلى نفسك فى التفكير يا جميلتى .. إنه أمر لن يمكن حتى لأحفادك استيعابه .. تكنولوجيا متقدِّمة للغاية ، يحلم بها بعض العباقرة ، فى زمنك هذا ، ولكنهم لن يتمكنوا من تحقيق الخطوة الأولى منها ،

قبل منتصف الثمانينات(*) ، ولكن مع العديد من المشكلات .. أما الخطوة الكبرى ، فلن تتحقَّق إلا مع الربع الأوَّل من القرن الحادى والعشرين .. و ...

بتر عبارته ، ثم تابع فى شىء من الشراسة :

ـ ولكن كل هذا لا يعنيك .

ارتجفت شفتاها مرة أخرى ، وعادت تدير عينيها فى المكان ، وقلبها يخفق بين ضلوعها فى ذعر ، ثم انحدرت من عينيها دمعة ساخنة ، وهى تتمتم :

ـ ماذا ستفعل بى ؟!

أجابها ، وهو منشغل بعمله :

ـ لا شىء .

ثم توقَّف عن العمل ، والتفت يرمقها بنظرة مخيفة ، مستطردًا :

ـ فى الوقت الحالى .

انتفض جسدها فى ارتياع ، وحدَّقت فى وجهه مذعورة ، وهى تتساءل عما يعنيه بقوله : (فى الوقت الحالى) ، فى حين عاد هو إلى عمله ، متابعًا :

(*) حقيقة .

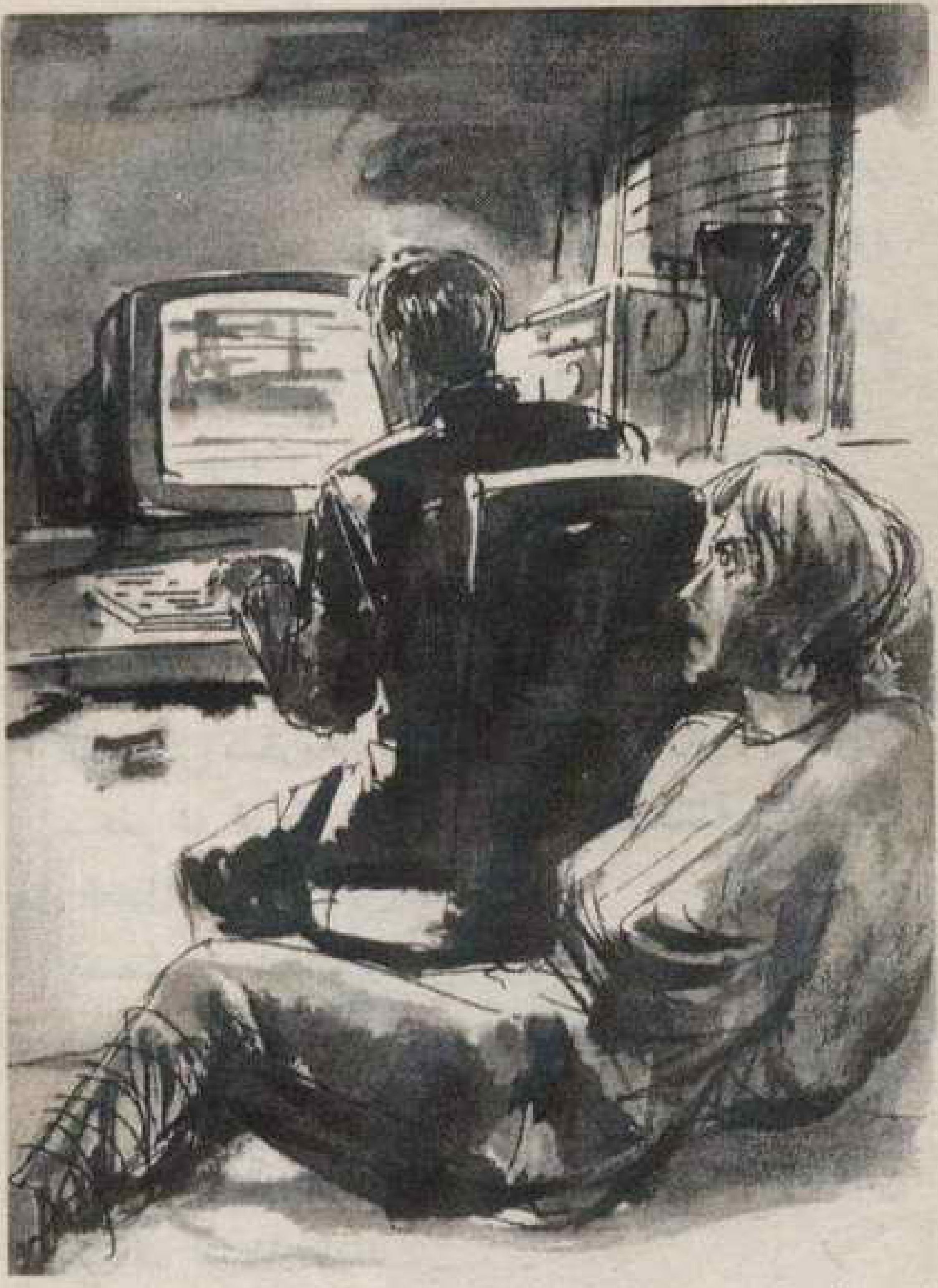

ارتجفت شفتاها مرة أخرى ، وعادت تدير عينيها فى المكان ، وقلبها يخفق بين ضلوعها فى ذعر ، ثم انحدرت من عينيها دمعة ساخنة ..

- ولكنك فى الوقت الحالى ، تمثلين فائدة هائلة لى ، ففارسك الوسيم سيقلب الدنيا بحثًا عنك ، وسيجن جنونه مع اختفائك ، وعندما يفيض به الكيل ، ويعجز عن الوصول إليك ، بكل الوسائل المتاحة ، لن يعود أمامه سوى اللجوء لأسلحته المستقبلية ، التى سيسعى للحصول عليها من مقاتلته الزمنية .

وتألقت عيناه ، وهو يبتسم فى شراسة ، مضيفًا :

- وهكذا يقودنى إليها مباشرة .

ازدردت لعابها فى توتر ، قبل أن تقول فى عصبية :

- (طارق) ليس بهذه السذاجة .

ابتسم فى سخرية ، فتابعت بأعصاب ثائرة :

- حتى لو اضطر للذهاب إلى تلك المقاتلة ، فسيتخذ من السبل ما يمنعك من تعقبه .

اتسعت ابتسامته لحظة ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى ضحكة عالية مجلجلة ، قبل أن يقول :

- اطمئنى يا جميلتى .. إذا ما ذهب فارسك إلى مقاتلته ، فلن توجد وسيلة فى الكون كله ، تمنعنى من كشف أمرها عندئذ .

قالها ، وعاد يطلق تلك الضحكة الرهيبة ، التى

خفق لها قلبها بين ضلوعها ، حتى كاد ينفطر من شدة الارتياع ..

فقد كان من الواضح أن ذلك الشيطان يلعب لعبة رهيبة ..

لعبة تكفى لفتح كل أبواب الجحيم ..

وبلا رحمة .

★ ★ ★

١٠ - الخطـــر ..

« يبدو أننى قد توصَّلت إلى نتيجة جديدة .. »

هتفت (سلوى) بالعبارة فى حماس ، وهى تجلس أمام الكمبيوتر ، فهرع إليها (رمزى) و(نشوى) ، والأوَّل يسأل فى لهفة :

- ما الذى توصَّلت إليه يا (سلوى) ؟!

لوَّحت بسبَّابتها ، وهى تشير إلى خريطة ثقوب الزمن ، المرتسمة على شاشة الكمبيوتر ، مجيبة فى انفعال :

- هذه الثقوب .. إنها تختلف .

ألقت (نشوى) نظرة على الخريطة ، متمتمة فى حذر :

- فيم ؟!

أما (رمزى) ، فقال فى اهتمام :

- الاختلاف الحجمى واضح .

أجابته (سلوى) :

- دعك من كل الاختلافات الشكلية الواضحة .. إننى أتحدَّث عن اختلاف مهم ، قد يكون له أكبر الأثر فى عملنا .

ثم ضغطت أزرار الكمبيوتر ، متابعة :

- لقد راجعت رحلة (طارق) كلها ، كما سجَّلتها أجهزة المقاتلة ، وقارنتها بالرموز والأرقام ، وتسلسل الثقوب فى الخريطة ، قبل أن أنتبه إلى أن كل ثقب من ثقوب الزمن ، له ذبذبته الخاصة .

هتفت (نشوى) فى انبهار :

- حقًّا ؟!

أجابتها (سلوى) فى حماس :

- نعم يا (نشوى) .. كل ثقب من ثقوب الزمن له ذبذبة خاصة ، تختلف عن ذبذبة أى ثقب آخر ، وهناك تناسب دقيق ، بين كل ثقب وآخر ، بحيث يمكننا معرفة علاقته بالثقوب الأخرى .

سألها (رمزى) فى لهفة :

- وكيف هذا ؟!

أجابته فى سرعة :

- انظر إلى هذا الثقب مثلاً .. إنه يقود إلى القرن التاسع

قبل الميلاد ، وذبذبته تبلغ واحدًا على اثنى عشر ، من ذبذبة ذلك الثقب الآخر ، الذى يقود إلى القرن العاشر الميلادى ، فى حين يقل هذا الأخير بنسبة أخرى ، عن ذلك الذى يقود إلى منتصف القرن الثانى الميلادى .

هتفت (نشوى) :

- يا إلهى ! إنه كشف رائع يا أمى .

نقل (رمزى) بصره بينهما ، قبل أن يسأل متوترًا :

- المهم ما الذى يمكن أن يقودنا إليه ؟!

التفتت إليه (نشوى) ، قائلة فى حماس :

- إلى كل شىء يا (رمزى) .. لقد توصَّلت أمى إلى العلاقة الرئيسية ، التى تربط كل ثقب زمنى بالآخر ، وهذا يعنى أننا ، لو درسنا تلك الذبذبات بمنتهى الدقة ، وباستخدام كل تقنية الكمبيوتر المتطورة ، من خلال الثقوب الخاصة ، التى حدَّد (طارق) أزمنتها بالفعل ، فسيمكننا بفحص ذبذبة أى ثقب جديد ، وتطبيق القاعدة نفسها عليه ، أن نحدَّد بشىء من الدقة ، إلى أى زمن يمكن أن يقودنا .

اتسعت عيناه فى انبهار ، وهو يهتف :

- ربَّاه ! إنه كشف رائع بالفعل .. إنك تستحقين

جائزة (نوبل)[*] عليه يا (سلوى) .. لقد توصَّلت إلى سر السفر ، عبر الثقوب الزمنية .. إنها الخطوة الأولى لصنع آلة زمن ناجحة وفعَّالة .

رفعت سبَّابتها ، قائلة فى حزم :

- كل ما يعنينى الآن هو كيف يمكننى استغلال هذا الكشف ، لاستعادة زوجى ورفيقيه يا (رمزى) .

أجابها فى حزم :

- من المؤكد أن كل خطوة ناجحة ، ستجعلنا أقرب إلى الهدف .

تنهَّدت ، قائلة فى مرارة :

- ولكن كيف ؟! كيف ؟!

هزَّ رأسه ، وهو يقول فى رصانة :

- لا أحد يدرى يا (سلوى) .. كل ما نملكه هو أن نبذل قصارى جهدنا ، ثم نترك الباقى لله (سبحانه وتعالى) .

(*) جائزة (نوبل) : ترك المخترع السويدى (ألفريد برنارد نوبل) ، بعد وفاته وصيته ، مع مليون دولار ، بحيث تمنح من فائدتها جوائز سنوية لأحسن عمل فى ميادين الفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، والفسيولوجيا ، والآداب ، ولأحسن عمل من أجل السلام الدولى ، على أن تمنح الجوائز دون اعتبار للجنسية أو الدين ، ولقد تم تقديم الجوائز لأول مرة ، فى عام ١٩٠١م .

هزّت رأسها فى أسى ، مغمغمة :

- نعم يا (رمزى) .. أنت على حق .

ثم اكتسى صوتها بحماس مباغت ، وهى تتابع :

- ولكننى سأواصل عملى بأقصى طاقتى ، حتى أجد الوسيلة المناسبة ، لاستغلال هذا الكشف الجديد ، فى استعادة الجميع ، وإعادتهم إلى زمننا هذا .

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتيه ، وهو يتمتم :

- بالتأكيد يا (سلوى) .. بالتأكيد .

نطقها ، وهو يقاوم بؤرة ملحّة فى أعماقه ..

بؤرة ما زالت تصرّ على أن عودة (نور) ورفيقيه إلى هذا الزمن ، لن تكون أبدًا بالأمر الهيِّن ، أو البسيط ..

وأنهم يواجهون حتمًا ، فى ذلك الزمن الذى ذهبوا إليه ، الكثير من الخطر ..

الكثير جدًّا ..

* * *

احتقن وجه (كارل مانهايم) فى شدة ، وهو يقف أمام (بيت الثعالب) ، الذى خبت نيرانه ، وبدت عليه آثار الدماء واضحة ، وغمغم فى حنق شديد :

- اللعنة ! كيف يمكن أن يتحوّل انتصارنا على رجال المقاومة الفرنسية إلى هزيمة ساحقة كهذه ؟! كيف ؟!

كان هناك جيش كامل من الجنود النازيين يحيط بالمبنى ، وينتشر فى كل الشوارع المحيطة به ، لعزله تمامًا عن المنطقة ، وفحص كل شبر منه ، إلا أن (كارل) شعر وكأنه يقف وحيدًا ، فى منتصف سفينة غارقة ، وهو يتطلّع إلى ما أصاب المبنى ، والشمس ترتفع فى الأفق ، وتلقى ظلالاً طويلة مخيفة حوله ..

وبخطوة عسكرية صارمة ، اقترب منه أحد الضباط ، وهتف رافعًا يده فى حزم :

- هايل (هتلر) .

التفت إليه (كارل) ، متسائلاً فى عصبية :

- ماذا لديك أيها الضابط ؟!

- خفض الضابط يده إلى جواره ، قائلاً :

- لا يوجد أحياء على الإطلاق يا سيِّدى ، ولم نعثر على أدنى أثر للجنرال (هولدشتاين) ، أو تلك الفتاة ، التى أخبرتنا عنها .

عقد (كارل) حاجبيه ، قائلاً فى توتر :

- ربَما تشوّه وجهه بقنبلة ما ، أو .....

قاطعه الضابط بهز رأسه نفيًا ، على نحو جعله يبتر عبارته ، ويقول فى حدة :

- لا يمكن أن يكون قد اختفى ، أو تلاشى من المكان .. لقد تركته فى حجرة مكتبه مع الفتاة .

هزّ الضابط رأسه نفيًا مرة أخرى ، وقال فى حزم :

- لا يوجد أدنى أثر لهما يا سيِّدى .

احتقن وجه (كارل) مرة أخرى ، وهو يغمغم :

- أين ذهب إذن ؟! أين ؟!

سأله الضابط فى حذر :

- هل من أوامر أخرى يا هر (ماتهايم) ؟!

- صمت (كارل) بضع لحظات ، وهو يعقد حاجبيه فى صرامة شديدة ، ثم التفت إليه ، قائلاً :

- أعلن أن رجال المقاومة شنّوا هجومًا على (بيت الثعالب) ، فى محاولة لإنقاذ الجواسيس الثلاثة ، ولكننا تصدينا لهم فى عنف ، وكبّدناهم خسائر فادحة .

بدت الدهشة لحظة على وجه الضابط ، إلا أنه لم يلبث أن قال فى استسلام :

- كما تأمر يا سيِّدى .. كما تأمر .

واستدار لتنفيذ الأمر ، ولكن (كارل) استوقفه ، قائلاً فى صرامة :

- أعلن أيضًا أنه قد تم تنفيذ الحكم فى الجواسيس الثلاثة ، على الرغم من الهجوم .. هل تفهم ؟!

قال الضابط فى توتر :

- ولكنهم ما زالوا مطلقى السراح يا سيِّدى .

أجابه فى صرامة :

- إننا نغطى الأوراق الرسمية فقط أيها الغبى .

مطّ الضابط شفتيه ، وتنهّد مغمغمًا :

- كما تأمر يا سيِّدى .

شدّ (كارل) قامته أكثر ، بعد انصراف الضابط ، وهو يقول محنقًا :

- لن يسخر منا الباريسيون أبدًا .

ثم استطرد ساخطًا :

- ولكن أين ذهب الجنرال والفتاة ؟! أين ؟!

- كانت أعماقه تشتعل غضبًا وثورة ، حتى إنه لم يحتمل البقاء ، فقفز داخل سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا ، وهو يعيد دراسة الموقف كله فى ذهنه ..

وانطلقت فى عقله تساؤلات شتى ..
واسترجع مواقف عديدة ..
وتضاعف شعوره بعدم الارتياح أكثر ..
وأكثر ..
وأكثر ..

وطوال الطريق إلى مكتبه الثانى ، فى قلب (باريس) ، تفجَّرت فى أعماقه عشرات الشكوك ، ولم يكد يستقر خلف مكتبه ، حتى هتف بمساعده :

- صلنى بالقيادة فى (برلين) .

بدا مزيج من الدهشة والقلق على وجه المساعد ، الذى يدرك جيِّدًا أن الاتصال بالقيادة ، فى غير مواعيد الاتصال المتعارف عليها ، يعنى وجود أمر جلل ، يحتاج إلى أوامر عليا للغاية ، وسأل (كارل) ، وهو يجرى الاتصال بالفعل :

- إلى من تريد أن تتحدَّث يا سيِّدى ؟!

- صمت (كارل) بضع لحظات ، ثم أجاب فى حزم :

- إلى الهر (هتلر) .. شخصيًّا .

واتسعت عينا المساعد أكثر وأكثر ..

فقد كان الاتصال بقائد (الجستابو) شخصيًّا ، يعنى أن الأمور هنا تمرّ بمرحلة من الخطر ..
الخطر الحقيقى ..
وأن الأمور ستتغيَّر حتمًا ، فى الأيام القادمة ..
ستتغيَّر كثيرًا ..
إلى الأسوأ ..

★ ★ ★

« إنها أخطر مهمة ، فى تاريخ الأرض كلها .. »

أغلق (طارق) عينيه ، وهو يستعيد تلك العبارة ، التى قالها قائده ، قبل أن يركب مقاتلته ، وينطلق بها فى رحلته الطويلة ..
الطويلة للغاية ..

كان يجلس على الأرض ، فى ركن ذلك المخبأ الجديد ، الذى انتقل إليه رجال المقاومة ، فى أطراف (باريس) ، ويضمّ ركبتيه بذراعيه إلى صدره ، ويسند رأسه إليهما ، وذكرياته تنطلق بعيدًا .. بعيدًا ..
عبر الزمان والمكان ..

« صدقنى يا ولدى .. مستقبل الأرض كله بين يديك .. »

« سأبذل قصارى جهدى يا سيِّدى .. »

« وستواجهك مخاطر شتى .. »

« لن أتوانى عن التصدِّى لها .. »

« إننا نجهل حتى ما ستواجهه .. ربما كانت رحلة بلا عودة.. أما زلت تصرّ على الذهاب ؟! »

« لن أتراجع يا سيِّدى .. »

« يا لك من بطل ! إنك تذكرنا بجدك العظيم ، وتاريخه المجيد .. »

« أتمنى هذا يا سيِّدى ، ولست أشكّ لحظة واحدة ، فى أنه لو كان فى موضعى هذا ، لما تردَّد فى القيام بتلك المهمة ، لإنقاذ الأرض ومن عليها .. »

« اذهب إذن يا ولدى .. انطلق على بركة الله .. »

« (طارق) .. »

اخترق ذلك الهتاف الأخير ذكرياته بغتة ، وانتزعه منها فى عنف ، فانتفض جسده انتفاضة خافتة ، قبل أن يلتفت إلى مصدر الصوت ، ويتطلَّع فى وجه (نور) ، الذى جلس إلى جواره ، قائلاً بصوت حنون :

- فيم تفكر ؟!

صمت (طارق) لحظة ، بعينين شاردتين ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، متمتمًا :

- لا شىء .. مجرَّد ذكريات .

تطلَّع إليه (نور) طويلاً ، وهو يزن الأمور فى رأسه بعمق ، ثم قال :

- ألم يحن الوقت بعد ، لتفصح عما لديك ؟!

هزَّ (طارق) رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى أسى :

- كل ما يشغل بالى الآن هو (برجيت) .

ثم التفت إليه بعينين دامعتين ، مكملاً :

- لست أدرى أين اختفى بها ذلك الشيطان .. وكيف ؟!

قال (نور) :

- ربما غادرا المبنى قبل وصولنا .

هزَّ (طارق) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- كلا أيها القائد .. الكل أكد أن (هولدشتاين) هو الذى أصدر أمر إعدام الأسرى بنفسه ، وهذا يعنى أنه كان داخل المبنى ، مع (برجيت) ..

تطلَّع إليه (نور) لحظة فى صمت ، ثم ربَّت على ظهره ، قائلاً :

- يا إلهى ! إنك تحبها بشدة !

أومأ (طارق) برأسه موافقًا ، وقال بصوت حزين :

- أكثر مما تتصوَّر أيها القائد .. أنا نفسى لم أكن

أتخيَّل أن يحدث لى هذا .. لقد مررت بتجارب عديدة ، وشاهدت عصورًا شتى ، ولكننى وقعت فى حب (برجيت) من اللحظة الأولى .

وتضاعف التأثُّر فى صوته ، وهو يتابع :

- وكأننى كنت أنتظرها طوال عمرى .

ربَّت (نور) على كتفه ثانية ، هامسًا :

- هذا يحدث يا صديقى .. هذا يحدث أحيانًا .

لم يكد يتمَّ عبارته ، حتى دلف (جولفيه) إلى المكان لاهثًا ، وهو يقول :

- لم نعثر على أدنى أثر لهما .

هبَّ إليه (طارق) ، متسائلاً فى لهفة :

- هل بحثتم جيِّدًا ؟!

أومأ (جولفيه) برأسه إيجابًا ، وقال :

- فى كل مكان ، ولكن من الواضح أن الجنرال (هولدشتاين) قد اختفى تمامًا .. حتى ضباطه يجهلون أين هو .. لقد تلاشى الرجل تمامًا .

احتقن وجه (طارق) ، وهو يقول :

- مستحيل ! إنه فى مكان ما هنا .

سأله (آلان) فى توتر :

- أين ؟!

هتف فى حدة :

- لست أدرى .. إنه هنا فحسب .

وقال أحد رجال المقاومة فى أسى :

- أخشى أن يكونا قد لقيا مصرعيهما ، داخل (بيت الثعالب) .

التفت إليه (طارق) ، قائلاً :

- لا .. هذا لم يحدث .

انبرى رجل آخر يقول :

- لقد شاهدت ذات مرة رجلين مزَّقتهما قنبلة ، وكان من العسير تعرُّف أشلائهما .

صاح به (طارق) فى حدة :

- قلت : هذا لم يحدث .

ثم راح يتحرَّك وسط الرجال ، متابعًا فى عصبية شديدة :

- لقد فعل (هولدشتاين) هذا عمدًا .. لقد اختفى مع (برجيت) ، حتى يدفعنا للبحث عنها وعنه .. إنه يستدرجنا للقتال فى مكان ما .

تبادل رجال المقاومة نظرة متوترة ، قبل أن يقول أحدهم فى تردُّد :

- صحيح أننا جميعًا نحب (برجيت) ، ولا نتردَّد فى التضحية بأرواحنا من أجلها ، ولكن من الحماقة أن نسمح لذلك الشيطان بأن يقودنا إلى فخ آخر .

لوَّح (طارق) بذراعه ، قائلاً :

- إنه لا يريدكم أنتم .. إنه يريدنا نحن .

صاح أحد الرجال :

- هذا صحيح .. منذ انضممتم إلينا ، تنهال على رءوسنا الضربات بلا رحمة .

وهتف آخر فى غضب :

- ارحلوا .. ابتعدوا عنا .. كفانا ما لقيناه منكم .

وصاح ثالث :

- فليرحل الغرباء .

وانطلقت صيحة من وسطهم :

- فليذهبوا إلى الجحيم .

كان من الواضح أن الموقف عدائى للغاية ، حتى إن (نور) اتجه نحو (طارق) ، وجذبه من ذراعه ، هامسًا فى أذنه :

- رويدك يا (طارق) .. الرجال ثائرون للغاية .

ولكن (طارق) تجاهل نصيحته ، وهتف فى صرامة :

- سأبحث عن (برجيت) ، حتى آخر نفس يتردَّد فى صدرى .

انطلقت صيحات غاضبة من الرجال ، وقال (أكرم) فى توتر :

- ربَّاه ! ماذا يحدث هنا ؟ ماذا أصابهم ؟!

أجابه (نور) ، وهو يجذب (طارق) فى قوة :

- إنه انفعال طبيعى ، بعد كل ما واجهوه أمس .

هتف (طارق) فى حنق :

- ولكنها قائدتهم .. المفترض أن يقاتلوا باستماتة ؛ لاستعادتها .

أجابه (نور) فى صرامة :

- إنهم لا يؤمنون بأنها مازالت على قيد الحياة .

صاح (طارق) :

- إنها كذلك .

قال (أكرم) فى حدة :

- كفى يا (طارق) .. ربما أعماك الحب عن رؤية الحقيقة ، ولكن ما من دليل واحد ، على أن محبوبتك الغالية ما زالت على قيد الحياة .

صاح به (طارق) :

- وما من دليل أيضًا ، على أنها قد لقيت مصرعها .

ثم أشار إلى رجال المقاومة ، مستطردًا فى حنق :

- والمفترض أن يقاتل هؤلاء الرجال من أجل ...

قاطعه صوت (آلان) فى صرامة جافة :

- ليس هذا من شأنك .

استدار إليه (طارق) بحركة حادة ، هاتفًا :

- بل هو من شأ....

قاطعه فى غضب هادر هذه المرة :

- قلت لك : ليس هذا من شأنك .

كانت شياطين الغضب كلها تتقافز فى وجهه ، وهو يندفع نحو (طارق) ، متابعًا :

- الرجال على حق تمامًا .. المصائب كلها تنصبُّ على رءوسنا ، منذ ظهرتم فى حياتنا .. هيا .. ارحلوا عنا .. لا شأن لكم بنا .. كفانا ما فقدناه ، منذ انضممتم إلينا .

كان (نور) يدرك تمامًا أن الموقف مشتعل للغاية ، وأن أفضل ما يمكن أن يحدث ، هو أن يتراجعوا مؤقتًا ، ولكن (طارق) تجاهل كل هذا ، وهو يقول فى تحدٍّ :

- لن نرحل حتى نستعيد (برجيت) .

انعقد حاجبا (آلان) على نحو مخيف ، وهو يقول :

- هكذا ! فليكن أيها المستقبلى .. إنك لم تدع لنا خيارًا .

ثم قفز إلى الخلف ، صائحًا :

- الآن يا رجال .

وقبل حتى أن تكتمل صيحته ، ارتفعت فوهات مدافع رجال المقاومة ..

وانطلقت الرصاصات ..

بلا هوادة ..

وبلا رحمة .

★ ★ ★

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع بإذن الله

(الفارس الثانى)

زمن الدم

- هل يسقط (نور) ورفيقاه فى قبضة شيطان الزمن (هولدشتاين) ؟!
- كيف يتصدى الثلاثة للقوات الألمانية ، فى قلب الحرب العالمية الثانية ؟!
- ترى لمن يكون النصر فى تلك الجولة ، ومن يربح المعركة .. فى (زمن الدم) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل المستقبل .

العدد القادم : الفارس الثانى

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

119

٣١١٧٩

الثمن فى مصر ٢٠٠ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

120

الفارس الثانى

د. نبيل فاروق

Looloo
www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - دماء عَبْر الزمن ..

ران صمت تام داخل تلك القاعة الكبيرة ، فى مركز أبحاث الفضاء التابع لإدارة البحث العلمى ، على الرغم من وجود العلماء العشرة ، الذين انتشروا داخلها ، فى مواضع مختلفة ، وتركَّزت عيونهم جميعًا على شاشة كبيرة ، تنقل إليهم مشهد مقاتلة فضائية ، تستقر على قاعدة إطلاق ، تميل بزاوية خمس وأربعين درجة ، والدخان يتصاعد من أنابيب العادم الخلفية بها ، على نحو يوحى باستعدادها للانطلاق ..

ثم بدأ العد التنازلى ..

واحتبست أنفاس العلماء العشرة ، وراحت قلوبهم تخفق فى قوة ، فى حين وقف الدكتور (ناظم) ، رئيس إدارة البحث العلمى وسطهم ، وهو يغمغم فى توتر بلا حدود :

- ترى هل ...

لم يتمّ تساؤله ، مع انفعاله الزائد ، وعيناه معلقتان بالمقاتلة ، وقلبه يخفق مع العد التنازلى المنتظم ، و ..

« سيادة القائد الأعلى ؟! »

انطلقت العبارة من بين شفتيه فى قوة ، عندما وقع بصره على القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذى دلف إلى القاعة فى خفة وصمت ، ووقف إلى جواره ، يتابع العد التنازلى بنفس التوتر والاهتمام ..

وفى بطء ، التفت إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ هل تتوقَّع نجاح التجربة ؟!

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى صوت متوتر :

ـ لقد بذل الرجال قصارى جهدهم .

اكتفى القائد الأعلى بالجواب ، وعاد يراقب شاشة الرصد ، وعقله يسبح فى ذكريات قريبة ..

ذكريات تمتدَ إلى سنوات طوال .

عَبْر الزمن ..

لقد بدأ الأمر بتلك الشكوك ، التى أحاطت بالعضو الجديد فى فريق (نور) (طارق) .. ذلك العالم الشاب ، الذى أثار إعجاب الجميع ، وأبلى بلاءً حسنًا ، فى مغامرته الأولى مع الفريق(*) ..

(*) راجع قصة (العدو الخارق) .. المغامرة رقم (١١٥) .

ومع تلك الشكوك ، كان من الضرورى أن يقوم الفريق ببعض التحريات حول (طارق) ..

وفى سرية تامة ..

ولكن (طارق) كشف الأمر ..

ولم يعد هناك مفرّ من المواجهة ..

وبعد صراع عنيف ، تم إلقاء القبض على (طارق) ، بوساطة المخابرات العلمية المصرية ، فى نفس الوقت الذى أشعل فيه (أكرم) جهازًا خفيًا ، فى منزل (طارق) ، أدَّى إلى تشغيل مقاتلة زمنية رهيبة ..

وبينما يتم استجواب (طارق) ، فى مبنى إدارة البحث العلمى ، كانت المقاتلة تبدأ عدًّا تنازليًا للانطلاق ، وتدافع عن وجودها بمنتهى القوة والشراسة .

وكان اعتراف (طارق) مفاجأة مذهلة ..

لقد أخبرهم أنه مقاتل فضائى ، جاء من حضارة قديمة ، سبقت عصر الديناصورات بعدة أعوام ، وأنه تائه فى نهر الزمن ، لا يدرى كيف يعود إلى زمنه ..

ومع نهاية اعترافاته ، انطلقت المقاتلة تبحث عن الفارس ..

فارس الزمن ..

وتوالت الأحداث على نحو مخيف سريع ، حتى وجد (نور) و(أكرم) نفسيهما على متن المقاتلة الزمنية ، ينطلقان مع (طارق) عبر الفضاء ..

وعبر الزمن .. وهبطت بهم المقاتلة فى زمن قديم ..

زمن (أوروبا) ، إبان الحرب العالمية الثانية ..

وبالتحديد فى (باريس) ..

حيث يكمن أخطر وأقوى أعداء (نور) ..

الدكتور (خالد) ..

أو الجنرال النازى الرهيب (فريدريش هولدشتاين)(*) .

وانفتحت أبواب الجحيم عن آخرها ..

وبدأ قتال من نوع جديد ..

وعنيف ..

عبر الزمن ..

وعبر العصور ..

ووقع (أكرم) فى قبضة (هولدشتاين) ، وعندما حاول (نور) و (طارق) إنقاذه ، وقعا بدوريهما فى قبضة الشيطان ..

(*) راجع قصة (شيطان الأجيال) .. المغامرة رقم (٥٦) .

واشتعلت معركة رهيبة ، بين (نور) و (أكرم) و(طارق) ، ورجال المقاومة الفرنسية فى جانب ، والجنرال الشيطان فى جانب آخر ...

وبخطة محكمة ، نجح (نور) ورفاقه فى اقتحام بيت الثعالب ، مقر الجستابو والمخابرات النازية ..

ولكن (هولدشتاين) كانت لديه خطة ..

خطة شيطانية ..

أما فى عصرهم ، فقد بذل (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) كل طاقتهم ، مع فريق علماء إدارة البحث العلمى ، للبحث عن وسيلة لاستعادة (نور) و(أكرم) و(طارق) من فخّهم الزمنى الرهيب ..

وتوصّلت (سلوى) إلى نظرية مدهشة ، كشفت سر السفر عبر ثقوب الزمن ..

وبقى أن تجد وسيلة لاستغلال هذه النظرية على الوجه الأمثل ، لاستعادة الجميع ..

أية وسيلة ..

وكان من الضرورى أن يتمّ هذا فى زمن قياسى ..

هذا لو أنه هناك معنى للزمن ، فى موقف كهذا .

ففى (باريس) الماضى ، نجح الشيطان فى

الاختفاء مع (برجيت) ، زعيمة المقاومة الفرنسية ، والفتاة التى وقع (طارق) فى حبها ..

وثارت ثائرة (طارق) ..

واصطدم مع (آلان) ، رفيق (برجيت) ، الذى اتهمهم بالخيانة ، وأمر رجاله بالهجوم عليهم ، فانطلقت الرصاصات ..

وسالت الدماء ..

عبر الزمن[*] ..

« سيادة القائد الأعلى .. »

همس الدكتور (ناظم) بالنداء ، وعلى الرغم من هذا فقد سرت ارتجافة عنيفة فى جسد القائد الأعلى ، وهو يلتفت إليه بعينين متسائلتين ، فأردف مشيرًا بسبَّابته :

ـ ستنطلق المقاتلة التجريبية .

حبس القائد الأعلى أنفاسه ، وتوقَّف قلبه تقريبًا عن النبض ، وهو يتطلَّع إلى الشاشة بكل كيانه ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة السابقة (فارس الزمن) ، و(ألف عصر) ، و(زمن الدم) ، المغامرات أرقام (١١٧) ، (١١٨) ، (١١٩) .

إنها التجربة الأولى ، فى مشروع صنع مقاتلة زمنية مصرية ..

أوَّل مقاتلة زمنية فى التاريخ المعروف ..

بل هى الأمل ، فى استعادة (نور) ورفيقيه ..

الأمل الوحيد ..

ومع انتهاء العد التنازلى ، انتفضت قلوب الجميع فى عنف ..

وانطلقت المقاتلة ..

انطلقت بأقصى سرعة ، يسمح بها أفضل وأقوى وقود أمينى ، فى القرن الحادى والعشرين ..

ومع انطلاقها ، تفجَّر فى كل العقول سؤال واحد ..

ترى هل تنجح التجربة ؟!

هل ؟!

وتعلَّقت الأبصار كلها بالمقاتلة ، وهى ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

وعبر آلة تصوير دقيقة ، فى مقدِّمة المقاتلة ، شاهد الجميع السماء تقترب بسرعة مخيفة ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وغمغم الدكتور (ناظم) ، بكل انفعال الدنيا :

ـ المفترض أن تبلغ الثقوب الزمنية بعد سبع ثوان ، ثم ..

قبل أن يتمَ عبارته ، دوت فرقعة قوية فى المكان .. فرقعة كادت تصمَ آذان الجميع ، من شدة قوتها ..

ثم اختفى كل شىء دفعةً واحدة ..

ولم تعد الشاشة تنقل شيئًا ..

لقد تلاشت المقاتلة تمامًا ..

ولثوان ، غلَّف الصمت كل شىء ..

كل شىء بلا استثناء ، قبل أن تنطلق من أعمق أعماق القائد الأعلى زفرة كالحمم البركانية الملتهبة ..

زفرة تعنى أن الأمل فى استعادة (نور) ورفيقيه ، قد تلاشى مع المقاتلة ..

وضاع عبر السماء ..

وعبر الزمن ..

★ ★ ★

« أغبياء !.. أغبياء !.. »

صرخ (هولدشتاين) بالكلمة فى حنق عصبى ، وهو يدور فى وكره السرى كالذئب الجريح ، وعيناه

محمرتان كقطعتين من الجمر ، ثم لوَّح بذراعه فى حدة ، هاتفًا :

ـ لا يمكن أن يقتلوهم على هذا النحو .

ارتجفت الكلمات على شفتى (برجيت) ، وهى تقول :

ـ ماذا تعنى ؟! مَنْ قتل مَنْ ؟!

التفت إليها بحركةٍ حادة ، قائلاً :

ـ رفاقك الأغبياء قتلوا رجال المستقبل .. أطلقوا عليهم النار ، بعد شجار سخيف .

امتقع وجهها بشدة ، وقالت :

ـ مستحيل ! مستحيل أن يفعل (آلان) هذا !! مستحيل !!

صاح فى وجهها ، وكأنه يحمّلها مسئولية ما حدث :

ـ ولكنه فعلها يا جميلتى .. زميلك المغوار التهبت أعصابه ، وفقد سيطرته عليها ، بعد أن فقد زميلته ومحبوبته ، وتصوَّر أن القادمين من المستقبل هم المسئولون عن هذا ، فأمر رجاله بإطلاق النار عليهم بلا رحمة .

ازداد وجهها امتقاعًا ، وتجلَّت عليه أسمى علامات

الذعر والفزع ، وانكمشت فى مكانها أكثر وأكثر ، وهى تقول فى عصبية :

ـ ولكن كيف أمكنك أن تعرف هذا ؟! إننا لم نغادر وكرك ، منذ نقلتنا إليه وسائلك الجهنمية !!

مال نحوها ، وعيناه تشتعلان غضبًا ، على نحو رهيب ، وهو يقول :

ـ بوسيلة جهنمية أخرى يا أميرة الحمقى .. شىء فى حجم رأس الدبوس ، غرسته فى فروة رأس فارسك ، عندما فقد وعيه ، وبوساطته يمكننى معرفة وسماع كل ما يحدث حوله ، دون أن أبرح مقعدى هذا .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وبدت فيهما أمارات عدم التصديق ، فتابع فى انفعال :

ـ أعلم أنك تعجزين عن استيعاب هذا يا جميلتى .. حتى أحفادك لن يمكنهم استيعابه فى سهولة ، وهذا ما يجعلنى متفوقًا عليكم جميعًا .

ثم اعتدل ، مستطردًا بلهجة شيطانية مخيفة :

ـ ويجعلنى قادرًا على تغيير التاريخ .

سرت فى جسدها ارتجافة خافتة ، وأطلّ ذعر قوى

من عينيها ، حاولت أن تتغلّب عليه ، وهى تقول فى عصبية :

ـ لست أصدّق أن يفعل (آلان) هذا .

قال فى حدة :

ـ ولكنه فعله .

هتفت محنقة :

ـ مستحيل ! ربما بدا (آلان) عصبيًا سريع الانفعال ، إلا أننى لم أعهده يومًا أحمقَ أو تافهًا .. قد يتهم (نور) و(أكرم) و(طارق) بإفساد الأمور ، أو يحمّلهم مسئولية فقدى ، إلا أن الأمر لن يبلغ منه مرحلةَ التهوُّر وفقدان العقل ، بحيث يقدم على قتلهم بهذا الأسلوب .

مطَّ شفتيه ، وهو يجلس أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به ، قائلاً :

ـ من الواضح أنك لا تعرفين زميلك (آلان) جيدًا .

هتفت :

ـ بل من الواضح أنك أنت تجهل الكثير عنه .. إنه لن يقتلهم على هذا النحو قط ، مهما بلغ غضبه أو ثورته .. على الأقل سيحاول استجوابهم أولاً ، ما دام يشكّ فى أمرهم .

انعقد حاجباه فى شدة ، وتوقَّفت أصابعه ، فى طريقها إلى أزرار الكمبيوتر ، وبدا لحظة وكأن كيانه كله قد تجمَّد ، فيما عدا حاجبيه ، اللذين التقيا فى بطء ، ليشتركا مع ملامحه ، فى منحه مظهرًا عجيبًا ، يوحى بانغماسه فى تفكير عميق ..

عميق ..

عميق ..

ثم ، وفى بطء شديد ، تمتم :

ـ لن يقتلهم .

لم تفهم (برجييت) ما يعنيه بهذا ، إلا أن اللهجة ، التى نطق بها الكلمة ، جعلتها ترتجف فى خوف شديد ، قبل أن تنكمش أكثر وأكثر فى مكانها ، فى حين نهض هو ، وراح يتحرَّك فى المكان فى بطء صامت هذه المرة ، قبل أن يتوقَّف ، ويكرِّر بنفس اللهجة المخيفة .

ـ لن يقتلهم .

نطقها هذه المرة ، ثم التفت إليها فى بطء ، وتألَّقت عيناه ، على نحو خفق له قلبها فى عنف ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا جميلتى .. أشكرك كثيرًا .

ثم غادر المكان كله ، وأطفأ الأنوار خلفه ، وتركها وحيدة ، مقيَّدة ، غارقة فى ظلام دامس ، وخوف كبير ..

خوف بلا حدود ..

★ ★ ★

لم يكن (كارل مانهايم) ، فى حياته كلها ، متوترًا وعصبيًّا ، مثلما كان فى ذلك اليوم ، وهو يدور فى أرجاء بيت الثعالب ، الذى تحوَّل إلى كتلة من التخريب والدمار ، حتى لقد بدا له أشبه بطعنة نجلاء ، فى أعمق أعماق الكيان النازى ..

وفى حدة شديدة ، صاح بأحد رجاله :

ـ هل أتممت الاتصال ؟! أريد إرسال برقية شفرية عاجلة إلى القيادة فى (برلين) .. هيا .

أجابه ضابط اللاسلكى فى توتر :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا يا سيِّدى ، ولكن الغارة ، التى قام بها رجال المقاومة ، أتلفت كل شىء .

صاح (كارل) فى غضب :

ـ ليس هذا من شأنى .. أصلح الأجهزة ، أو أحضر

أجهزة جديدة ، ولكن المهم أن أرسل تلك البرقية بأقصى سرعة .. هل تفهم ؟ بأقصى سرعة .. إنها برقية خطيرة .. خطيرة للغاية .

أتاه صوت صارم قاس ، يسأل :

ـ وما سبب خطورتها يا (كارل) ؟!

انتفض جسده كله فى عنف ، وهو يلتفت فى حدة إلى مصدر الصوت ، وحدَّق لحظة فى وجه (هولدشتاين) ، قبل أن يعتدل فى حركة أكثر حدة ، ويضرب كعبيه ببعضهما فى قوة مبالغة ، وهو يفرد ذراعه عن آخرها ، ويبسط كفه ، هاتفًا :

ـ هايل (هتلر) .

كرَّر (هولدشتاين) سؤاله ، بنفس الصوت الصارم القاسى :

ـ ما سبب خطورة تلك البرقية يا (كارل) ؟!

هتف (كارل) :

ـ أنت يا جنرال .

برقت عينا (هولدشتاين) ، وهو يقول فى شراسة :

ـ أنا ؟!

ارتبك (كارل) لحظة ، قبل أن يندفع ، قائلاً :

ـ لقد اختفيت تمامًا ، بعد تلك الغارة ، وكنت أنوى إبلاغ القيادة بهذا ، خشية أن يكون رجال المقاومة قد ...

قاطعه (هولدشتاين) فى صرامة :

ـ لم يعد هناك داع لإرسالها إذن .

عقد (كارل) حاجبيه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد يا جنرال .. بالتأكيد .

رمقه (هولدشتاين) بنظرة صارمة طويلة ، وكأنما يغوص فى أعمق أعماقه ، قبل أن يدير عينيه فى المكان ، محاولاً رصد الخسائر ، فى ضوء النهار ، ويقول :

ـ أسوأ مما توقَّعت .

ازدرد (كارل) لعابه ، قائلاً :

ـ الواقع يا جنرال أن ..

قاطعه (هولدشتاين) ، وكأنما لا يعنيه ما سيقوله :

ـ أريد عربة مصفَّحة ، وفرقة من الرجال .

حدَّق (كارل) فى وجهه بدهشة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع ، وهو يستدير ، ويتجه إلى الخارج فى خطوات قوية ، عاقدًا كفيه خلف ظهره :

- سنشن هجومًا آخر على رجال المقاومة .

ارتفع حاجبا (كارل) ، من فرط الدهشة ، وهو يغمغم :

- رجال المقاومة ؟! وأين هم رجال المقاومة ؟!

توقَّف (هولدشتاين) ، والتفت إليه فى بطء ، قائلاً فى صرامة :

- لا تفكِّر يا (كارل) .. نفذ فقط ما أمرتك به .. العربة المصفحة والرجال .

ثم عاد يواصل خطواته القوية ، مستطردًا :

- وبأقصى سرعة .

راقبه (كارل) فى صمت ، وهو يغادر المكان ، ثم التفت إلى أحد ضباطه ، قائلاً فى حدة :

- نفذ ما أمر به الجنرال .

رفع الضابط يده بالتحية النازية ، وانصرف بسرعة لتنفيذ الأمر ، فى حين استدار (كارل) إلى ضابط الاتصالات ، وقال فى صرامة عصبية :

- هيا يا رجل .. استعد لإرسال تلك البرقية .

رفع الضابط عينيه إليه فى دهشة ، فأضاف فى صرامة أكثر :

- الآن .

ولم يدر الضابط ما يحدث حوله .

لم يدر أبدًا ..

★ ★ ★

« هنا يا جنرال .. »

أشار عميل فرنسى إلى مبنى صغير من طابقين ، يكاد يختفى وسط الحقول ، المحيطة بالعاصمة الفرنسية ، وهو يقول للجنرال (هولدشتاين) فى توتر :

- كل رجال المقاومة يختبئون هنا ، فى ذلك المبنى الصغير .. لقد رأيتهم بنفسى ، عندما تبعتهم ، طبقًا لأوامرك .

سأله (هولدشتاين) ، وهو يختبئ مع الجنود ، خلف مبنى آخر :

- وماذا عن الرصاصات ، التى انطلقت هنا ؟!

تلفَّت العميل حوله ، وكأنما يخشى أن يسمعه أحد ، قبل أن يهمس :

- لقد قتلوا بعض الخونة .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى صرامة غاضبة ، فأضاف الرجل فى سرعة :

- ثلاثة رجال .. لقد أطلقوا النار على ثلاثة رجال ، ثم حملوهم إلى الخارج ، وأشعلوا النار فى جثثهم ، قبل أن يدفنوهم هنا .

ازداد انعقاد حاجبى (هولدشتاين) على نحو مخيف ، حتى إن الرجل هتف مرتجفًا :

- هذا ما حدث بالضبط يا سيِّدى الجنرال .. أقسم لك .

تراجع (هولدشتاين) فى بطء ، حتى اعتدل ، وعقد كفيه خلف ظهره ، ثم قال فى صرامة :

- فليكن .

ودون أن يضيف حرفًا واحدًا ، أشار بسبَّابته يمينًا ، ثم يسارًا ، وإثر إشارته انقسم جنوده إلى قسمين ، تحرَّك أحدهما فى خفة نحو اليمين ، فى حين تحرَّك الفريق الآخر نحو اليسار ، وبدأت عملية التفاف ومحاصرة متقنة لذلك المبنى الصغير ، وراح (هولدشتاين) يتابع الموقف فى صمت ، حتى اتخذ الرجال مواقعهم ، ثم وثب إلى العربة المصفحة ، وهو يشير إلى العميل الفرنسى ، قائلاً :

- اتبعنا .

ارتجف الرجل ، وهو يتمتم :

- كما تأمر يا جنرال .. كما تأمر .

وبإشارة من (هولدشتاين) ، انطلقت المصفحة نحو المنزل مباشرة ، وارتفع من داخلها ، عبر مكبِّر صوتى قوى ، صوت يقول فى صرامة :

- إلى كل رجال المقاومة الفرنسية بالداخل .. نحن نعلم أنكم هنا ، والمكان محاصر تمامًا .. أخرجوا مرفوعى الأيدى ، أو نطلق النار بلا رحمة .. أكرِّر .

قبل أن يعيد العبارة ، انطلقت فجأة عدة رصاصات ، من داخل المبنى ، وارتطمت بجسم المصفحة بدوى عنيف ..

وما إن حدث هذا ، وقبل حتى أن يلقى (هولدشتاين) أوامره ، انطلقت رصاصات جنود النازى وقنابلهم ، نحو ذلك المنزل الصغير كالمطر ..

ولم يعترض (هولدشتاين) ..

لقد بقى ساكنًا صامتًا ، معقود الحاجبين ، يراقب الرصاصات والانفجارات ، وكأنما يتابع فيلمًا سينمائيًا جيِّدًا ..

ومع شدة نيرانهم ، اكتسب الجنود مزيدًا من الثقة ، واندفعوا يحاولون اقتحام المبنى ، و ..

وهنا هبَّ (هولدشتاين) من مكانه ، هاتفًا بكل قوته ، عبر مكبِّر الصوت :

ـ لا .. لا اقتحام .

تراجع الجنود فى دهشة ، وواصلوا إطلاق النار ، وإلقاء قنابلهم ، وهم يتساءلون فى حيرة عن السبب ، الذى دفع قائدهم لمنع اقتحام المبنى ، على الرغم من سيطرتهم التامة على الموقف ..

ولكن دهشتهم هذه لم تلبث أن استحالت إلى ذهول تام ، عندما رأوا (هولدشتاين) يثب خارج المصفحة ، ويتجه فى هدوء واثق نحو المبنى ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، وكأنما لا يشعر بذلك القتال العنيف من حوله ..

ولثوان ، توقَّف الجنود عن إطلاق النار ، وراحوا يحدقون فى (هولدشتاين) ذاهلين ، وهو يواصل تقدّمه نحو المبنى ، حتى بلغ إحدى نوافذه ، فمال برأسه عبرها ، يلقى نظرة على المبنى من الداخل ، قبل أن يعتدل ، مغمغمًا فى حنق :

ـ كما توقَّعت بالضبط .

احتبست أنفاس الجميع ، عندما وثب عبر النافذة

إلى الداخل ، واختفى هناك ، فهتف ضابط الجنود فى انفعال :

ـ أوقفوا إطلاق النار ، والحقوا بالقائد .

اندفع الجنود ينفذون الأمر ، فاقتحم بعضهم باب المبنى الرئيسى ، وقفز الآخرون عبر النوافذ ، ثم توقَّف الجميع يحدِّقون فى غطاء معدنى كبير ، فى أرضية الطابق الأرضى ، يقف إلى جواره (هولدشتاين) ، وهو يخلع قفازيه الجلديين ، قائلاً فى غضب :

ـ لقد أطلقوا رصاصاتهم الأولى ، ثم هربوا عبر سرداب سرى .

اندفع الضابط نحو السرداب ، هاتفًا :

ـ يمكننا اللحاق بهم يا جنرال .

تراجع (هولدشتاين) ، وهو يصيح به :

ـ احترس أيها الغبى .

ولكن عبارته انطلقت ، بعد أن جذب الضابط النازى الغطاء المعدنى بالفعل ..

وقفز (هولدشتاين) مبتعدًا ، بأقصى قوته ..

ودوى الانفجار ..

وعلى الرغم من قفزة (هولدشتاين) القوية ، إلا أن الانفجار دفعه أمامه فى عنف ، حتى ألقى به عبر النافذة ، فى حين أطاح بالضابط ، وبخمسة من الجنود ، وأصاب أكثر من سبعة آخرين ..

وبكل غضب الدنيا ، نهض (هولدشتاين) يهتف :

- الغبى .. كان ينبغى أن يدرك أن رجال المقاومة الفرنسية قد تركوا فخًا ما خلفهم .

كان الجنود يسرعون لإنقاذ وإسعاف المصابين ، وفحص القتلى منهم ، عندما اندفع هو نحو العميل الفرنسى ، وجذبه فى قسوة ، قائلاً :

- أين دفنوا جثث الرجال الثلاثة ؟!

ارتجفت أصابع الرجل ، وهو يشير إلى نقطة وسط المزروعات ، هاتفًا :

- هنا يا سيدى الجنرال .. هنا .

دفعه (هولدشتاين) أمامه فى قسوة ، حتى بلغا ذلك المكان ، ثم صاح به فى صرامة آمرة :

- قم بالحفر .

شحب وجه الفرنسى ، وارتجف جسده كله ، وهو يقول :

- ولكن .. ولكن يا جنرال .

صاح به :

- احفر .

سقط الرجل على ركبتيه ، من شدة الفزع ، وراح يحفر الأرض بيدين مرتجفتين ، ووجه شاحب ممتقع ، حتى ارتطمت يده بجسد بشرى محترق ، فوثب صارخًا فى ارتياع :

- يا إلهى !.. يا إلهى !

لطمه (هولدشتاين) على وجهه فى قوة ، صارخًا :

- واصل الحفر أيها الغبى .. هيا .

كاد العميل يفقد الوعى ، وهو يحفر ، ويحفر ، ويحفر ، ثم لم يلبث أن شعر بغثيان رهيب ، عندما برزت الجثث الثلاث المحترقة أمامه ، فتراجع ليفرغ ما بجوفه ، وهو ينتفض كقط مبتل ..

أما (هولدشتاين) ، فقد ركله جانبًا فى قسوة ، وانحنى يحدق فى الجثث الثلاثة ، هاتفًا :

- لا .. مستحيل أن يكونوا قد فعلوها .. مستحيل !

وعلى الرغم من بشاعة المشهد ، اندفعت يده تعبث فى الرءوس المحترقة ، ثم لم يلبث أن انتزع

كاد العميل يفقد الوعى ، وهو يحفر ، ويحفر ، ويحفر ، ثم لم يلبث أن شعر بغثيان رهيب

من أحدها شيئًا صغيرًا ، فى حجم رأس الدبوس ، انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدِّق فيه ، ويضغط أسنانه ببعضها ، هاتفًا :

ـ اللعنة !

فقد كان جهاز التنصُّت الصغير ، الذى انتزعه من فروة الرأس المحترقة ، يثبت ، بما لا يدع مجالاً للشك ، أن هذه الجثث المحترقة الثلاث ، هى جثث الرجال الذين يبحث عنهم ..

رجال المستقبل .

★ ★ ★

٢ - الضحايا ..

جلس القائد الأعلى للمخابرات العلمية صامتًا مهمومًا ، داخل حجرة مكتبه الخاصة ، يتطلع إلى خريطة بيضاء كبيرة ، تمتلئ بثقوب سوداء ، إلى جوار كل منها مجموعة من الرموز والأرقام الحمراء ، تشير إلى الزمن ، الذى يقود إليه كل ثقب ، فى حين راح الدكتور (ناظم) يرسم بيده بعض الخطوط فى الهواء ، وكأنما يحاول الربط بين بعض الثقوب السوداء والبعض الآخر ، قبل أن يعتدل ، قائلاً :

- يا للعبقرية ! من الواضح أن نظرية (سلوى) سليمة تمامًا .. لقد نجحت فى صنع أوَّل خريطة لثقوب الزمن .

تنهَّد القائد الأعلى ، وهزَّ رأسه ، مغمغمًا :

- وما الفائدة !

شعر الدكتور (ناظم) بغصة فى حلقه ، وهو يلتفت إليه ، فواصل فى حنق واضح ، وهو يعتدل فى مجلسه :

- لقد أصبحنا نمتلك أوَّل خريطة لثقوب الزمن ، ولكننا لا نمتلك وسيلة واحدة للسفر عبرها .

تمتم الدكتور (ناظم) :

- إنها مسألة وقت فحسب .

لوَّح القائد الأعلى بيده ، وهو يعود ليستند إلى ظهر مقعده ، قائلاً فى سخرية مريرة :

- بالتأكيد .. إنها مسألة وقت .. أيام .. شهور .. أعوام .. قرون .. من يدرى .

تنهَّد الدكتور (ناظم) ، وقلب كفيه ، قائلاً :

- لقد بذلنا قصارى جهدنا ، واستخدمنا أفضل تقنية لدينا ، ولكن المشكلة تكمن فى الوقود .. من الواضح أن تلك المقاتلة الزمنية تستخدم وقودًا مدهشًا ، يفوق وقودنا الأمينى ، وهو أحدث ما توصَّلت إليه علومنا ، بعدة مرات ، مما يسمح لها بالانطلاق بسرعة رهيبة ، هى التى تدفعها إلى نهر الزمن .

قال القائد الأعلى فى عصبية :

- وإلى أن نتوصَّل إلى ذلك الوقود العجيب ، فلا أمل فى نجاح تجاربنا ، ولن يمكننا أبدًا إنتاج مقاتلة زمنية ، وهذا يعنى فقدان الأمل فى استعادة (نور) ورفاقه .

مطّ الدكتور (ناظم) شفتيه ، وهزّ رأسه فى أسى ، قائلاً :

- علماؤنا يدرسون الآن فكرة استخدام وقود خاص ، تم تطويره من أحد أنواع الوقود النووى ، وربما ..

قاطعه القائد الأعلى فى حدة :

- ربما ؟! الأمر لا يحتمل كلمة ربما هذه يا دكتور (ناظم) .. إننا نحتاج إلى وسيلة حازمة حاسمة ، وإلا أفلتت الأمور كلها من بين أصابعنا .

قال الدكتور (ناظم) فى دهشة :

- ولكنها مسألة وقت فحسب يا سيّدى ، والزمن قد لا يعنى كثيرًا ، فى مثل هذه الأمور .

ثم لوّح بسبّابته ، مستطردًا :

- ولا تنس أننا نتحدّث عن آلة زمن .

أشار إليه القائد الأعلى بسبّابته ، قائلاً فى حدة :

- بل لا تنس أنت أننا نتحدّث عن فارس الزمن الثانى .

بهت الدكتور (ناظم) للقول ، وتحرّك على نحو حاد ، وكأنما باغتته العبارة ، وردّد فى صوت عصبى :

- الفارس الثانى ؟!

أجابه القائد الأعلى :

- بالطبع يا رئيس مركز الأبحاث العلمية .. إننا لم نتوصّل بعد للفارس الثانى ، الذى ما زال يعبث وسطنا ، ويسطو على معلوماتنا ، دون أن نعرف هويته أو هدفه .

قال الدكتور (ناظم) فى حذر :

- وما شأن استعادة (نور) ورفيقيه بهذا ؟!

لوّح القائد الأعلى بكفه ، قائلاً :

- على الأقل يمكننا السيطرة على (طارق) ، فارس الزمن الأوّل ، الذى سيقودنا حتمًا إلى الفارس الثانى .

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- لست أظن هذا .

سأله القائد الأعلى فى دهشة :

- لست تظن ماذا ؟!

أجابه فى سرعة :

- لست أظن (طارق) يرشدنا إلى رفيقه ، مهما كان الثمن .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى توتّر ، فتابع الدكتور (ناظم) بنفس الحزم :

- إنه شاب قوى الإرادة على نحو مدهش ، صلب كالفولاذ ، عنيد كألف ألف صخرة ، ثابت الأعصاب ، منيعها ، حتى إنه لن يخبرنا بأمر يرغب فى إخفائـه ، مهما كان الأمر .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى فى شدة ، ولوَّح بذراعيه معًا ، قائلاً :

- هذا يعنى أننا لم نتوصَّل إلى شىء .

أشار الدكتور (ناظم) بسبَّابته ، قائلاً :

- أو ربما أننا قد توصَّلنا إلى كل شىء .

سأله فى دهشة حذرة :

- ماذا تعنى ؟!

أشار الدكتور (ناظم) إلى خريطة ثقوب الزمن ، مجيبًا :

- لقد توصَّلنا إلى وسيلة السفر عبر الزمن ، وربما غيَّر هذا وجه التاريخ ، منذ لحظة الكشف .

تضاعف التساؤل ، المطلّ من عينى القائد الأعلى ، فتابع الدكتور (ناظم) ، فى شىء من الحماس :

- ولو أن الجزء الخاص بالضياع عبر الزمن ، فى قصة (طارق) حقيقى ، فهذا يعنى أننا قد منحناه كل

المعلومات الخاصة بثقوب الزمن ، وسنتركها له عبر العصور ، بحيث لن يضل طريقه بينها قط فى المستقبل .

ثم مال نحوه ، متابعًا بحماس أكثر :

- وبهذا لن يأتى إلى زمننا قط .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، محاولاً استيعاب هذه الفلسفة الزمنية المعقَّدة ، و ...

ولكن فجأة ، ارتفع أزيز هاتف الطوارئ الخاص ، على مكتب القائد الأعلى ، فوثبت يده تضغط زره ، وهو يقول فى توتر :

- ماذا هناك ؟!

اقترب منه الدكتور (ناظم) ، فى محاولة لسماع الرسالة ، وأقلقه ذلك التوتر الشديد ، الذى ارتسم على وجه القائد الأعلى وأطلّ من عينيه ، قبل أن ينهى الاتصال ، ويرفع عينيه إليه ، قائلاً فى انفعال :

- فارس الزمن الثانى اقتحم دائرة الأمن الخاص مرة أخرى .

سأله الدكتور (ناظم) فى ذعر :

- هل اقتحم شبكة المعلومات الأمنية ثانية ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه فى قوة ، قائلاً :

- بل أكثر خطورة .

وارتجفت الكلمات على شفتيه ، من فرط الانفعال ، وهو يضيف :

- لقد اخترق شبكة المعلومات باللغة السرية ، لمؤسسة الرياسة نفسها .

وانتفض جسد الدكتور (ناظم) ..

بل انتفضت كل خلية منه ..

وبمنتهى العنف ..

★ ★ ★

ارتجفت أصابع الطبيب الشرعي الفرنسي ، وهو ينهي عمله مع آخر الجثث المحترقة ، واختلس نظرة جانبية للجنرال (هولدشتاين) ، قبل أن يقول :

- لا شيء .

صاح به (هولدشتاين) في غضب :

- ماذا تعني بكلمة (لا شيء) هذه ؟! لا بد أنه هناك شيء ما حتمًا .

أجابه الطبيب في خوف :

- بالتأكيد يا جنرال .. لقد عرفنا سبب وفاة الرجال الثلاثة ، فقد قتلتهم رصاصات مدافع آلية ، وتم حرق جثثهم بعد الوفاة ، و ...

قاطعه (هولدشتاين) في حدة :

- ليس هذا ما أقصده أيها الغبي .. إنني أتحدَّث عن أشياء مجهولة داخل الجثث .. قطع معدنية .. آلات دقيقة .. أي شيء .

قلب الطبيب كفيه مرتجفًا ، وهو يقول :

- لم نعثر على أي شيء من هذا يا سيِّدي الجنرال .. لقد حضرت العمل كله بنفسك .

بدت له ملامح (هولدشتاين) الغاضبة مخيفة ، على نحو جعله يهتف :

- أقسم لك إننا ....

قاطعه (هولدشتاين) بإشارة صارمة من يده :

- اصمت .

نطقها بلهجة رهيبة ، انعقد لها لسان الطبيب في حلقه ، في حين شرد (هولدشتاين) ببصره ، دون أن تفقد ملامحه صرامتها ، أو تتغيَّر وقفته العسكرية الصارمة ..

ما الذي يعنيه كل هذا ؟!

كيف يمكن أن يقتل رجال المقاومة الفرنسية (نور) و(أكرم) ، و(طارق) على هذا النحو ؟!

ولماذا أحرقوا الجثث ؟!

لماذا ؟!

ثم كيف لا يحتفظ (طارق) هذا بأى شىء يمكن أن يقوده إلى مقاتلة الزمن ؟!

تُرى هل استولى رجال المقاومة الفرنسية على كل ما كان معه ؟!

هل أصبحت وسيلة العثور على آلة الزمن فى قبضتهم ؟!

هل ؟!

عشرات الأسئلة والأفكار راحت تدور فى عقله ، وتنسج خيوطًا وتغزلها ، ثم تصنع منها ثوبًا من الأجوبة ، لم يستطع مخه ارتداءه فى سهولة ..

وكان واثقًا من أنه هناك نقطة غائبة ..

نقطة ما ، يمكن أن تربط كل ما حدث ببعضه .

نقطة حاسمة ..

باترة ..

« سيدى الجنرال .. هل ننصرف ؟! »

انتزعه سؤال الطبيب الفرنسى من أفكاره ، فالتفت

إليه بحركة صارمة ، وتطلّع إليه لحظات فى صمت ، وعلى نحو خُيِّل معه للطبيب المسكين أنه سيأمر بإعدامه ، قبل أن يقول فى بطء مخيف :

ـ ليس بعد .

أشار الطبيب بأصابع مرتجفة ، قائلاً :

ـ ولكننا انتهينا من عملنا ، و ...

قاطعه بنفس البطء المخيف :

ـ ما زال هناك أمر ، أرغب فى معرفته .

سأله الطبيب الشرعى فى قلق وحذر :

ـ أىّ أمر ؟!

تألّقت عينا (هولدشتاين) على نحو جفّت له الدماء فى عروق الطبيب ، وهو يقول فى اقتضاب شديد :

ـ سأخبرك .

ثم قبضت أصابعه الفولاذية على ذراع الرجل ، ودفعه فى قسوة نحو الجثث المحترقة ، وفى رأسه فكرة تشتعل ..

تشتعل كألف بركان ثائر ..

★ ★ ★

« وجدتها .. »

هتفت (سلوى) بالكلمة فى لهفة ، انتزعت (رمزى) من سباته ، وجعلته يقفز من مقعده ، ويندفع نحوها ، هاتفًا بدوره :

ـ هل توصَّلت إلى الوسيلة ؟!

وكاد قلب (نشوى) يثب من صدرها ، وهى تصيح :

ـ أماه .. أخبرينى ما توصَّلت إليه .

أجابتها (سلوى) فى انفعال جارف :

ـ تلك الذبذبة ، التى يتميَّز بها كل ثقب ، هى التى ستساعدنا على استعادة (نور) و(أكرم) و(طارق) .

سألتها (نشوى) فى لهفة شديدة :

ـ كيف ؟!

اختنقت الكلمات فى حلق (سلوى) ، من فرط الانفعال ، وهى تشير إلى شاشة الكمبيوتر ، فربَّت (رمزى) على ظهرها فى رفق ، قائلاً :

ـ رويدك يا (سلوى) .. رويدك .. التقطى أنفاسك أولاً .

التقطت أنفاسها بالفعل ، قبل أن تقول بصوت لاهث :

ـ على الرغم من أن لكل ثقب من تلك الثقوب ، ذبذبته الخاصة ، إلا أن كل الذبذبات تدخل تحت نطاق واحد ، مما يمنحها ذلك اللون الأسود المميَّز ، ولكن ماذا لو أننا تدخَّلنا بذبذبة خاصة ، يتم إطلاقها بمنتهى القوة ، وعلى نطاق واسع للغاية ، بحيث يمكنها تغيير لون الثقب الخاص بزمننا .

سألها (رمزى) فى دهشة :

ـ أهذا ممكن ؟!

أجابته بنفس الانفعال ، وأصابعها تجرى على أزرار الكمبيوتر :

ـ لقد طرحت الاحتمال على الكمبيوتر ، وها هى ذى النتيجة .

وبضغطة زر أخيرة ، راح أحد الثقوب على الشاشة يتلوَّن ، من الأسود إلى الأزرق الداكن ، ثم البنفسجى فالأحمر ..

وفى انبهار ، حدَّق (رمزى) و (نشوى) فى ذلك الثقب الأحمر ، الذى بدا شديد التميُّز ، وسط الفراغ الأبيض ، وكل الثقوب السوداء المنتشرة فيه ، ثم هتفت الأخيرة ، بصوت ينافس صوت أمِّها انفعالاً :

- هل سيبدو بهذا اللون ، داخل الفراغ الزمنى ؟!

أومأت (سلوى) برأسها فى حرارة ، قائلة :

- دون أدنى شك ..

ثم ازدردت لعابها ، فى محاولة للسيطرة على انفعالها ، قبل أن تتابع فى حماس :

- لن يختلف لونه عن الثقوب الأخرى فحسب ، بل وستنبعث منه ذبذبة خاصة للغاية ، يمكن للمقاتلة الفضائية التقاطها .

سألها (رمزى) ، فى شىء من الحذر :

- هل تعتقدين أنهم سيفهمون ما يعنيه هذا ؟!

ارتفع رأسها فى اعتداد ، وهى تجيب :

- ليس لدى أدنى شك فى ذكاء (نور) .

انفرجت شفتاه ، وكأنه سيقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبقهما ، وأومأ برأسه ، قائلاً :

- بالتأكيد .

عادت (سلوى) تشير إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

- ما إن يلمح (نور) ذلك الثقب الأحمر ، حتى ينتبه إلى تلك الذبذبة الخاصة ، المنبعثة منه ،

وسيدرك على الفور أنها رسالة خاصة ، وأننا وراء ذلك التغيير ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، مع تلك النظرة المطلّة من عينيه ، ثم سألته فى توتر :

- ماذا هناك يا (رمزى) ؟!

رسم على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- لا شىء يا (سلوى) .. لاشىء ..

لم يقل سوى هذه الكلمات القليلة ..

ولكنها فهمت ..

فهمت ما يعنيه بالضبط ..

فقد كان هذا هو نفس ما جال بخاطرها ، عندما رأت تلك النظرة المطلّة من عينيه ..

من المؤكد أن (نور) سيفهم طبيعة الثقب الأحمر على الفور ..

وأنه سيستخدمه للعودة إلى زمنه ، مع (أكرم) و (طارق) ..

ولكن بشرط واحد ..

أن يكونوا على قيد الحياة ..

فى مجرى الزمن ..

★ ★ ★

كانت الشمس فى بداية طريقها إلى رحلة الغروب ، فى تلك البقعة ، عند مشارف (باريس) ، عندما توقفت سيارة الجنرال (هولدشتاين) أمام ذلك المنزل القديم ، وقال سائقها فى احترام بالغ :

- وصلنا يا سيِّدى الجنرال .

غادر (هولدشتاين) السيَّارة فى هدوء ، والتفت إلى السائق ، قائلاً فى صرامة :

- لا تسمح لأحد بالدخول ، مهما كانت الأسباب .. هل تفهم ؟!

أجابه السائق فى سرعة :

- بالتأكيد يا سيِّدى الجنرال .. بالتأكيد .

رمقه (هولدشتاين) بنظرة صارمة أخرى ، قبل أن يتجه إلى وكره ..

وفى دقة ، كالمعتاد ، تجاوز كل النظم الأمنية السرية ، حتى بلغ مكتبه الخاص ، الذى يحوى كل أدواته وأجهزته ، والذى ترك فيه (برجيت) ، التى لم يكد الضوء يسطع أمام عينيها ، حتى هتفت فى سخط :

- اللعنة ! كيف تركتنى طوال اليوم هكذا ؟!

صاح بها فى غلظة :

- اصمتى أيتها اللعينة .

قالت فى عناد عصبى :

- وماذا لو لم أفعل ؟!

انتزع مسدسه من غمده ، قائلاً فى شراسة :

- سأجبرك على هذا .

صمتت لحظة ، جلس خلالها أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به ، ثم لم تلبث أن قالت فى حدة :

- ليس من الشجاعة والشهامة أن تعامل امرأة مقيَّدة بهذه القسوة .

أجابها فى صرامة ، دون أن يلتفت إليها ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده :

- ومن تحدَّث عن الشجاعة والشهامة ؟! هذه صفات الحمقى ، الذين تكتظ بهم القبور ، أما العباقرة أمثالى ، فهم الذين يرثون الأرض ومن عليها فى النهاية .

احتقن وجهها ، وهى تهتف :

- سنرى أيها الوغد .. من يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا .

ابتسم فى سخرية ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة ساخرة ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

ثم التفت إليها ، مستطردًا :

ـ وهذا ما فعلته ، أمام قبر فارسك الزمنى المغوار .. لقد أطلقت ضحكة ساخرة .

شحب وجهها فى ارتياع ، وهو يميل نحوها ، مضيفًا فى سخرية شرسة :

ـ وأخيرة .

لم يكد ينطقها ، حتى ارتفع فجأة أزيز خاص ، داخل الحجرة ، فاعتدل بحركة حادة عصبية ، قائلاً :

ـ اللعنة ! تُرى ماذا ..

كانت يده تندفع نحو مسدسه ، عندما اقتحم شخص ما المكان فجأة ، وهو يهتف :

ـ إياك أن تلمسه .

انتفض جسد (برجيت) فى عنف ، وهى تهتف :

ـ (أكرم) ؟!

أجابها (أكرم) ، وهو يقترب من (هولدشتاين) فى حذر ، مصوبًا إليه مسدسه التقليدى فى تحفز :

ـ نعم .. هو أنا يا (برجيت) .

ثم ابتسم فى سخرية شامتة ، وهو يستطرد ، متطلعًا إلى (هولدشتاين) :

ـ مفاجأة ! أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا (هولدشتاين) دون أن ينبس ببنت شفة ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها (نور) من خلف (أكرم) ، ثم اندفع من خلفه (طارق) ، نحو (برجيت) مباشرة ، وهو يهتف :

ـ (برجيت) .. أأنت بخير ؟!

ترقرقت عيناها بالدمع ، من فرط التأثر ، ولم تستطع نطق حرف واحد ، فى حين أخذ هو يحل وثاقها ، و(نور) يقول لـ (هولدشتاين) :

ـ هل تدهشك رؤيتنا يا دكتور (خالد) ؟!

هز (هولدشتاين) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول :

ـ ليس كثيرًا .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

ـ لقد كشفنا أمر جهاز التنصت الدقيق ، الذى زرعته فى فروة رأس (طارق) ، ولهذا أدينا تلك التمثيلية الهزلية ، مع رجال المقاومة ، ونحن واثقون

من أنك تسمع كل ما يدور بيننا ، وأقنعناك بأننا قد لقينا مصرعنا ، وقام رجال المقاومة بإشعال النيران فى جثث ثلاثة من قتلاكم ، بعد أن غرسنا جهاز التنصت فى فروة رأس أحدهم .

غمغمت (برجيت) :

- يا للبشاعة !

ربت (طارق) على كتفها مهدئًا ، فى حين قال (أكرم) فى استهتار :

- لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها .

لم يتوقف (نور) عند عبارتى (برجيت) و(أكرم) ، وتابع موجهًا حديثه إلى (هولدشتاين) ، الذى لاذ بالصمت التام :

- كنا نعلم أن مصرعنا سيثير جنونك ، وأنك ستسعى للبحث عن جثثنا ، مما يخرجك من وكرك ، فتقودنا إليه عند عودتك ، بحثًا عن وسيلة للعثور على مقاتلة الزمن .

ثم عقد ذراعيه أمام وسطه ، مستطردًا :

- وهذا ما حدث .

صمت (هولدشتاين) بضع لحظات ، ثم قال فى بطء :

- هذا لم يدهشنى كثيرًا .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

- بل يمكنك أن تقول : إننى كنت أتوقعه .

بدا القلق على وجه (طارق) ، واقتربت منه (برجيت) فى حركة آلية ، وكأنها تحتمى به ، وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين لوَّح (أكرم) بمسدسه فى عصبية ، قائلاً

- تتوقعه ؟! أى قول أحمق هذا يا رجل ؟! إنك تكره الاعتراف بالحقيقة .. هيا .. قلها يا رجل .. قلها .. لقد خسرت معركتك .

ابتسم (هولدشتاين) فى سخرية ، قائلاً :

- هل تعتقد هذا ؟!

ومع قوله ، رفع يده ، وطرقع سبابته وإبهامه .

وفجأة ، تألقت أسطوانة وهمية حول الرفاق الثلاثة و(برجيت) ، فصاح (أكرم) فى غضب ، وهو يطلق رصاصات مسدسه نحو (هولدشتاين) :

- أيها الوغد .

ارتطمت الرصاصات بجدار الأسطوانة المتألِّقة ، فتلاشت على الفور ، و (هولدشتاين) يقول ساخرًا :

- ألم أقل لكم ؟! لقد كنت أنتظركم فى الواقع .

نطقها ، ثم تحولَت ابتسامته الساخرة إلى ضحكة قوية مجلجلة ..

ضحكة شيطان .

★ ★ ★

نطقها ، ثم تحوّلت ابتسامته الساخرة إلى ضحكة قوية مجلجلة .. ضحكة شيطان

٣ - الشيطان ..

بدا الاهتمام واضحًا للغاية ، على وجه الدكتورة (إلهام) ، وهى تراجع البيانات ، الخاصة بكل العاملين فى إدارة الأبحاث العلمية ، قبل أن تهزّ رأسها ، قائلة للدكتور (ناظم) :

- لا أحد منهم .

أطلّ التوتر واضحًا ، فى عينى الدكتور (ناظم) وصوته ، وهو يقول :

- حاولى مرة أخرى .

لوّحت بيدها ، قائلة فى حزم :

- لقد حاولت مرتين ، وهذا يكفى .

تراجع فى مقعده يائسًا ، وهو يقول :

- ولكن هذا مستحيل ! فارس الزمن الثانى حقيقة لاشك فيها .. لقد اخترق شبكة أمن الرياسة الخاصة .

ارتفع حاجباها ، وهى تقول :

- شبكة أمن الرياسة ؟! يا إلهى ! يبدو أنه شخص عبقرى للغاية ، فكلنا نعلم أن شبكة الأمن الخاصة

بالرياسة تعتمد على نظام محكم للغاية ، لا يمكن حتى لخبراء الكمبيوتر اختراقه ، دون معرفة أرقام الكود السرية ، ذات النظام الثمانى المزدوج .

لوّح بسبّابته ، قائلاً :

- ولكنه اخترقها .

أومأت برأسها متفهّمة فى تأثّر ، قبل أن تميل نحوه ، وتسأله فى اهتمام :

- هل يمكننى معرفة نوع المعلومات ، التى سعى إليها بالضبط ؟

تنهّد ، مجيبًا :

- معلومات فلكية كالمعتاد .

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

- ترى ما الذى يسعى لمعرفته بالضبط ؟!

أجاب بسرعة :

- (طارق) حاول أن يوهمنا أنه يرصد مواضع النجوم ، لتحديد موقع عصرنا من عصره ، ولكن (سلوى) كشفت أمره ، وأثبتت أنه قادم من المستقبل ، وليس من حضارة سابقة كما ادّعى ، وهذا يعنى أن هناك هدفًا آخر ، لسعيه خلف تلك المعلومات الفلكية الخاصة .

تراجعت فى مقعدها ، تسأله :

- مثل ماذا ؟!

هزَّ رأسه ، قائلاً :

- من يدرى ؟!

ثم عاد يميل نحو الكمبيوتر ، مستطردًا :

- ألا يمكنك المحاولة مرة أخرى ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وقالت :

- لا فائدة .

انعقد حاجباه فى حنق ، وهتف :

- لا بد أن هناك وسيلة أخرى .. لا بد .

غرقت ملامحها فى تفكير عميق لبضع لحظات ، قبل أن تقول :

- ربما كانت هناك وسيلة أخرى بالفعل .

هتف فى لهفة :

- وما هى ؟!

أشارت بسبَّابتها ، مجيبة :

- البصمة الجينية .

انعقد حاجباه فى انفعال ، وهو يكرِّر :

- البصمة الجينية ؟!

أجابته فى سرعة وحماس :

- بالتأكيد .. التفاعلات الحيوية للبشر لن تختلف كثيرًا ، من زمن إلى آخر ، ولكن البصمات الجينية سيوجد بها اختلاف ما حتمًا ، مع تغيُّر العوامل المناخية والوراثية بمرور الزمن .

قال فى حيرة :

- ولكن هذا الاختلاف سيكون ضئيلاً للغاية ، كما أننا لا نستطيع استنباطه إلا بدراسة طويلة معقَّدة ، قد تستغرق عدة أشهر .

قالت بنفس الحماس :

- ليس إذا درسنا العينة، التى حصلنا عليها من (طارق) .

هتف ، وقد انتقل إليه حماسها :

- بالتأكيد .. المفترض أنه ، وفارس الزمن الثانى ، ينتميان إلى حقبة زمنية واحدة ، ولو أنه هناك تغيرات فى بصمة (طارق) الجينية ، فستكون قد حدثت بفعل نفس العوامل ، التى تعرَّض لها فارس الزمن الثانى .. صحيح أن هذا الأمر كان من المستحيل كشفه ، حتى نهايات القرن العشرين ،

ولكن الكمبيوتر فى هذا العصر ، يمكنه إنجاز الأمر ، خلال ساعات معدودة .

هتفت بدورها .

- بالضبط .

التقط الدكتور (ناظم) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى ارتياح :

- فكرة معقّدة ، ولكنها جديدة ومفيدة ، وربما تكشف أمر فارس الزمن الثانى بالفعل يا (إلهام) .. أهنئك .

رفعت كتفها وخفضته ، وهى تبتسم ، قائلة :

- أشكرك .

اندفع نحو الباب ، هاتفًا فى حماس :

- سأبدأ على الفور .

أشارت بيدها ، قائلة :

- وفقك الله .

غادر معملها فى سرعة ، والحماس يتفجّر من كل خلية من خلاياه ، فى حين بدت هى هادئة مبتسمة ، وهى تتطلّع إلى الباب ، الذى أغلقه خلفه ، ثم لم تلبث أن شبكت أصابع كفيها أمام وجهها ، وغمغمت :

- عظيم .. كل شىء يسير على ما يرام .. كل شىء .

نطقتها ، والابتسامة على شفتيها تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

★ ★ ★

تحرّك (كارل مانهايم) فى توتر ملحوظ ، عند ذلك المطار الحربى الصغير ، خارج العاصمة (باريس) ، وعيناه معلقتان بالسماء ، التى انتشرت فيها سحب داكنة ، تلوّنت أطرافها بحمرة الشمس ، التى شارفت الغروب ، وكأنه فى انتظار شىء ما ، فى اهتمام بالغ ، حتى إن طاقم الحراسة المصاحب له ، والذى وقف إلى جوار سيارتى (الجيب) العسكريتين ، التزم الصمت بدوره ، ولم يجرؤ أى فرد منه على النطق بحرف واحد ، خشية أن يستفز ضابط الجستابو الرهيب ، فيفرغ فيه توتره وثورته ..

ثم فجأة ، انتفض جسد (كارل) ، وهو يشير إلى السماء ، قائلًا فى انفعال :

- لقد وصل .

اعتدل رجال الطاقم ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وتعلّقت عيونهم بطائرة صغيرة ، تتجه نحو المطار

مباشرة ، ولم ينبس أحدهم بحرف واحد ، حتى هبطت الطائرة ، واستقرَّت على أرض المطار ، فاندفعوا نحوها ، وتفجَّرت من حلوقهم التحية النازية ، عندما برز من الطائرة رجل مألوف ، أسرع إليه (كارل) ، هاتفًا :

- هايل (هتلر) .. مرحبًا بك فى (باريس) النازية يا هر (هملر) .

رمقه (هملر) ، قائد (الجستابو) بنظرة صارمة ، قبل أن يغادر الطائرة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً :

- أتعشَّم أن تكون لديك أدلَّة كافية يا (كارل) ، بشأن تلك التهمة البالغة الخطورة ، التى أبلغتنا إياها .

ازدرد (كارل) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

- عندما أطرح الأمر كله أمامك ، ستدرك مدى خطورته يا سيِّدى الجنرال .

مطَّ (هملر) شفتيه ، وقال ، وهو يسير نحو السيارة الفاخرة السوداء ، التى تنتظره ، بين سيارتى الجيب والدراجات البخارية :

- البرقية التى أرسلتها كانت من الخطورة ، حتى

إنها أقلقت الفوهلر نفسه ، فأمر بالتحقيق فى الأمر على الفور ، وطلب منى القدوم بنفسى إلى هنا ، وتولى القضية بصفة شخصية .

غمغم (كارل) :

- هذا أفضل يا سيِّدى الجنرال .. أفضل كثيرًا .

استقلَّ (هملر) السيارة ، وجلس (كارل) إلى جواره ، مستطردًا :

- لقد بدأ الأمر كله ، بعد أن ألقينا القبض على ثلاثة من الجواسيس ، عقب ظهور مقاتلة عجيبة فى سماء (باريس) .

التفت إليه (هملر) بحركة حادة ، قائلاً :

- جواسيس ؟! مقاتلة عجيبة ؟! متى حدث هذا ؟!

أشار (كارل) بأصابعه ، مجيبًا :

- منذ يومين كاملين يا سيِّدى .. فى الثانية عشرة من ظهر الغد ، تكون قد مضت ثلاثة أيام .

احتقن وجه (هملر) فى شدة ، وهو يقول :

- يومان كاملان ؟! يومان ونصف اليوم تقريبًا ، لو شئت الدقة يا رجل ، دون أن يبلغنا أحد بالأمر !! هل جننتم هنا ؟! إنه أمر بالغ الخطورة ! ماذا لو أن تلك المقاتلة العجيبة اختراع حديث للحلفاء ؟!

غمغم (كارل) فى اضطراب :
- هذا احتمال وارد يا سيِّدى الجنرال .
صاح به (هملر) فى غضب ، والقافلة تبدأ تحرُكها :
- احتمال وارد ؟! بل هو الاحتمال الأكبر يا رجل .. ماذا دهاكم ؟! إنها أولويات العمل ، طبقًا لكل القواعد والأوامر .
وافقه (كارل) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :
- بالتأكيد يا سيِّدى .. بالتأكيد ، ولكن ..
قاطعه (هملر) فى حدة :
- وأين تلك المقاتلة العجيبة ؟! هل أسقطتموها أم ماذا ؟! وأين احتفظتم بها ؟! ما شكلها ؟! ما نوع محركاتها ؟!
ازدرد (كارل) لعابه مرة أخرى ، فى صعوبة بالغة ، وهو يجيب :
- احم .. الواقع أننا لم نعثر على أدنى أثر لها ، و ..
صرخ (هملر) :
- لم تعثروا عليها ؟!
ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مع انعقاد ساعديه أمام صدره ، وهو يستطرد فى صرامة شديدة :

- يبدو أن الأمور تحتاج بالفعل إلى تحقيق واسع .
وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف فى غضب :
- وصارم .. صارم للغاية .
وبعدها لم ينطق بكلمة واحدة طوال الطريق .. قط ..

★ ★ ★

ارتجف جسد (برجيت) فى عنف ، مع تلك الضحكة الشيطانية الساخرة ، الشامتة ، الظافرة ، التى انطلقت من بين شفتى (هولدشتاين) ، قبل أن ينهض ، قائلاً :
- خطتكم كانت متقنة للغاية ، وكان من الممكن أن تنجح فى خداعى ، لولا أننى شخص شديد الشك والحذر بطبعى ، كما أننى أتميَّز بعبقرية فريدة ، اعترفت بها كل العصور ، التى ذهبت إليها(*) .
واقترب فى شماتة من الأسطوانة العازلة ، مستطردًا :
- لقد أديتم أدواركم بدقة مدهشة ، حتى لقد صدَّقت أن (طارق) الهادئ الرصين قد فقد أعصابه بالفعل ، واشتبك مع (آلان) ورجال المقاومة ، مما اضطرهم

(*) راجع قصة (عبر العصور) .. المغامرة رقم (٥٤) .

لقتلكم جميعًا ، ولكن كلمات جميلتكم (برجيت) ، حول الفارق بين فقدان الأعصاب وفقدان العقل ، جعلنى أعيد التفكير فى الأمر مليًا .. صحيح أن أحدكم قد يفقد أعصابه ، مع الضغوط العنيفة ، ولكنكم لن تفقدوا عقولكم قط .. لذا فمن غير المنطقى أن يبلغ بكم التهوّر حد استفزاز جيش من الرجال المسلحين ، دون أن يكون بيدكم سلاح واحد .

ورفع سبّابته ، مع تألّق عينيه ، وهو يضيف :

ـ ثم كان هناك فحص الأسنان .

تمتم (نور) :

ـ آه .. هكذا إذن !

تابع (هولدشتاين) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ صحيح أن الطب الشرعى لم يتطوّر كثيرًا فى هذا العصر ، إلا أن فحص الأسنان أمر قديم للغاية ، يعود إلى القرن الذى يسبق هذا(*) ، وهو لم يتقدّم كثيرًا ، منذ ذلك الحين ؛ لذا فقد كان من السهل أن يتعرّف الأطباء الشرعيون الأعمار الحقيقية ، لأصحاب الجثث المحترقة .

(*) حقيقة ..

وأطلق ضحكة أخرى ، قبل أن يضيف ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره :

ـ وغنى عن الذكر أنها لم تكن تتفق قط مع أعماركم .

صاح به (أكرم) فى غضب :

ـ أيها الوغد .

استقبل (هولدشتاين) الصيحة فى صمت ، استغرق لحظة واحدة ، ثم لم يلبث أن انطلق على شكل ضحكة ساخرة عالية مجلجلة ، ختمها بقوله :

ـ لا داعى للغضب يا عزيزى (أكرم) ، ودعنى أستعيد عبارتك الأنيقة ..

ومال نحوه ، مستطردًا بلهجة شامتة ظافرة :

ـ هيا .. قلها يا رجل .. قلها .. لقد خسرت معركتك .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، فى حين قال (نور) فى حزم :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

التفت إليه (هولدشتاين) بحركة حادة ، قائلاً فى عصبية :

ـ ماذا فعلت يا (نور) ؟! ما الذى خططت له ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

- بل قل ما الذى حدث بالفعل ؟!

زوى (هولدشتاين) ما بين حاجبيه فى توتر بالغ ، متطلعًا إلى (نور) ، الذى تابع بابتسامة ساخرة :

- إننا لم نأت وحدنا يا رجل .. وكُرك كله محاصر بجيش من رجال المقاومة الفرنسية ، فى انتظار خروجنا ، وما لم نفعل ، فسينقضون على المكان كعاصفة عاتية ، وسيحيلونه إلى أثر بعد عين ، خلال دقائق معدودة ، وهذا يعنى أنه أمامك خياران لا ثالث لهما يا جنرال .. فإما أن ترضى بالعيش فى هذا العصر ، متنازلاً عن ذاكرتك للمرة الثانية ، أو تلقى مصرعك الآن .

صمت (هولدشتاين) بضع لحظات ، بدت ملامحه خلالها جافة جامدة ، قبل أن يقول فى صرامة :

- وماذا لو أنه هناك حل ثالث ؟!

سأله (نور) فى حذر :

- أى حل ؟!

التفت (هولدشتاين) إلى أجهزته ، مجيبًا :

- هذا .

قالها ، وهو يضغط زرًّا أزرق ، فى أحد الأجهزة ، ثم استطرد فى سخرية :

- الآن لن يجد رجال المقاومة الفرنسية ما يهاجمونه .

ومع قوله ، تألَّقت الحجرة كلها بلون أزرق باهت ، راح يومض وينطفئ فى إيقاع سريع ، فهتفت (برجيت) ، وهى تلتصق بـ (طارق) فى رعب :

- ما هذا ؟! ما الذى يحدث ؟!

أجابها (هولدشتاين) ساخرًا :

- تجربة انتقال آنى أخرى يا جميلتى .. المكان كله سينتقل إلى نقطة أخرى ، تبعد عشرات الأميال عن موقعه الأوَّل ، وفى لحظة واحدة .

ثم مال نحو (نور) ، مستطردًا فى سخرية شامتة :

- وبالمناسبة يا عزيزى (نور) .. تلك الأسطوانة ، التى تحتويكم ، مصنوعة من طاقة مجرَّدة ، وهى منفذة للضوء والصوت ، ولكنها - للأسف - غير منفذة للهواء ، وهذا يعنى أن الهواء داخلها سيكفيكم لساعة واحدة على الأكثر .

اتسعت عينا (برجيت) فى ارتياع ، وهتفت :

- يا إلهى ! يا إلهى ! ماذا سنفعل يا (طارق) ؟!

أدهشها أن (طارق) لم يكن يستمع إليها إطلاقًا ، على الرغم من دقة الموقف ..

لقد كان يتطلع ، بكيانه كله ، إلى أحد الأجهزة العديدة ، التى يكتظ بها المكان ..

جهاز واحد بالتحديد ، جذب انتباهه بشدة ، حتى إنه نسى كل ما يحيط به ..

أما (أكرم) ، فقد هتف فى حنق ، وهو يلوّح بمسدسه :

- يا لك من وغد !

قهقه (هولدشتاين) ضاحكًا مرة أخرى ، وهو يقول :

- معذرة أيها السادة ، ولكننى سأستعير عبارة أخرى ، عن لسان قائدكم (نور) .. هل تفضلون العيش إلى الأبد فى هذا العصر ، مع تسليمى مقاتلة الزمن ، أم الموت هنا ، داخل أسطوانة الطاقة ، كالفئران الحبيسة ؟!

انفرجت شفتا (نور) ، ليقول شيئًا ما ، لولا أن هتف (طارق) فجأة :

- إنه أنت !

التفت إليه الجميع فى دهشة ، مع تلاشى الوهج الأزرق ، وقال (هولدشتاين) فى دهشة حذرة :

- أنا ماذا ؟!

أجابه (طارق) فى غضب صارم ، وهو يزيح (برجيت) جانبًا ، ويشير إليه بسبَّابته مهددًا :

- أنت ذلك الشخص ، الذى أرسل رسائل الموت .

لم يفهم (نور) و(أكرم) ما الذى يعنيه (طارق) ، فى حين قال (هولدشتاين) فى حدة :

- رسائل الموت ؟! أية رسائل موت يا هذا ؟! أهى خدعة أخرى ؟!

صاح (طارق) ، وهو يشير إلى ذلك الجهاز :

- إنه جهاز بث فضائى .. أليس كذلك ؟!

التفت (هولدشتاين) إلى الجهاز ، وقال فى حذر :

- المفترض فيه أنه جهاز بث زمنى ، يمكننى بوساطته بث أية رسالة عبر الزمن والفضاء ، إلى أى عصر أشاء .

هتف (طارق) :

- بالتأكيد .. إنه أنت .. أنت المسئول عن دمار الأرض فى المستقبل .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ ماذا تقول يا (طارق) ؟ ماذا تعنى ؟!

وحدَّقت فيه (برجيت) فى دهشة ، فى حين غمغم (أكرم) فى حنق :

ـ ألا يمكن أن يشرح لى أحدكم ما يحدث ؟!

أما (هولدشتاين) ، فقال فى عصبية :

ـ ماذا تعنى أيها المأفون ؟!

صاح به (طارق) :

ـ أنت يا (هولدشتاين) .. أنت ذلك المجنون ، الذى بثَّ رسالة كونية ، يقول فيها إنه إمبراطور كوكب الأرض ، وإنه لن يلبث أن يصبح إمبراطور الكون كله .

انتفض جسد (هولدشتاين) ، وهو يتراجع هاتفًا :

ـ يا للشيطان ! كيف عرفت هذا ؟!

قال (طارق) فى غضب :

ـ كان ينبغى أن أدرك هذا منذ البداية .. كان ينبغى أن أدرك أنك الوحيد ، الذى يمكنه ارتكاب جريمة قذرة كهذه ..

صاح به (هولدشتاين) :

ـ ماذا تقصد يا هذا ؟!

أجابه (طارق) فى مرارة :

ـ أقصد أن تلك النزوة الحمقاء ، التى جعلتك تبث رسالتين بهذا المعنى ، عبر الفضاء والزمن ، ستتسبَّب فى تدمير كوكب الأرض عن آخره ، دون أن تكون هناك وسيلة واحدة لإنقاذه .

سأله (هولدشتاين) ، فى صرامة :

ـ كيف ؟!

أجابه (طارق) ، وهو يلوِّح بكفيه فى حدة :

الكون كله استقبل ذلك البث النرجسى المجنون ، وأحد كواكبه المأهولة ، اعتبرها رسالة تحذير ، وتمهيد لحملة استعمارية عنيفة ، لذا فقد اجتمع قادته ، واتخذوا قرارهم بتدمير كوكب الأرض عن آخره ، قبل أن يبدأ حملته الاستعمارية ، ولقد ساعدتهم تلك الخريطة الكونية ، التى أرسلتها مع البث ، والتى حدَّدت موقع الأرض ، داخل مجموعتنا الشمسية ، بمنتهى الدقة .. ولقد أطلقوا أقوى قنابلهم بالفعل ، بعد تلقيهم رسالتك الأولى ، وكادت تلك القنبلة تفنى الأرض بالفعل ، عندما وصلتها بعد عشرات السنين ،

على الرغم من انفجارها على بعد آلاف الكيلومترات من موقعها ..

انعقد حاجبا (نور) فى قوة ، وهو يقبض على ذراع (طارق) ، هاتفًا :

- رباه ! (طارق) .. هل تقصد تلك القنبلة الرهيبة ، التى صنعت دوّامة كونية ، كادت تبتلع كوكب الأرض كله(*) ؟!

أجابه (طارق) فى مرارة :

- بالضبط أيها القائد .. لقد كانت تلك هى القنبلة الأولى ، ولكن القنبلة الثانية ستفوقها عشر مرات على الأقل .

جفّ حلق (أكرم) ، وهو يقول :

- يا إلهى ! كم ستبلغ قوتها إذن ؟!

أجابه (طارق) فى ألم :

- ستصبح قادرة على تدمير المجموعة الشمسية بأكملها يا (أكرم) .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) ، وهو يغمغم :

- هراء .

(*) راجع قصة (الدوّامة) .. المغامرة رقم (١٠٩) .

أجابه (طارق) فى حدة :

- بل حقيقة أيها الشيطان .. عندما تسلَّم أولئك القوم ، أو استقبلوا رسالتك الثانية ، التى قلت فيها إنك إمبراطور الكون بلا منازع ، أصابهم خوف شديد ، وقرَّروا صنع قنبلة هائلة ، وإطلاقها نحو الأرض ! لتحقق ما قد تفشل فيه القنبلة الأولى ، ولقد استغرقوا بعض الوقت ، قبل أن يصنعوها ، ويطلقوها نحو الأرض بالفعل .. وفى هذه المرة لم تكن هناك وسيلة ، لمنعها من الانفجار فى قلب المجموعة الشمسية ، وتدميرها عن آخرها .

وانعقد حاجباه فى شدة ، مستطردًا :

- لم تكن هناك أية وسيلة على الإطلاق .

غمغم (نور) :

- بل كانت هناك وسيلة واحدة ، غير تقليدية .

ثم التفت إلى (طارق) ، مستطردًا :

- أليس كذلك ؟!

هتف (هولدشتاين) :

- هراء .. هراء .

ثم مال نحو (طارق) ، قائلاً :

- قصتك كلها مجرَّد هراء يا (طارق) .. مجرَّد محاولة لإخافتى ، وبث القلق فى نفسى فحسب .

واعتدل مرة أخرى ، مستطردًا فى سخرية :

- ثم إننى لم أرسل سوى رسالة واحدة .

تألَّقت عينا (طارق) ، وهو يقول :

- حقًّا ؟!

أجابه (هولدشتاين) فى سرعة :

- ولكننى سأرسل الثانية حتمًا ، بعد أن يتحقَّق انتصارى كاملاً .

ولوَّح بيده ، هاتفًا :

- بعد أن تصبح مقاتلة الزمن فى قبضتى ، وأستعيد سيطرتى على التاريخ .

واشتعلت عيناه على نحو مخيف ، وهو يضيف :

- ولست أعتقد أننى سأنتظر كثيرًا .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، مكملاً :

- سينتهى كل شىء ، بعد أقل من خمسين دقيقة .

قالها ، واتجه نحو باب الحجرة ، مطلقًا ضحكة أخرى ، وقال ، قبل أن يغلق بابها خلفه :

- أراهن على أن رجال المقاومة الفرنسية يضربون أخماسًا فى أسداس الآن .

ومع إغلاقه الباب فى قوة ، تجمَّدت مشاعر الجميع لحظة ، وران عليهم صمت رهيب ، قبل أن يهتف (أكرم) :

- اللعنة ! لقد فعلها مرة أخرى .

وارتجفت (برجيت) ، قائلة :

- هل سنموت هنا حقًّا ؟!

ضمَّها (طارق) إليه فى رفق ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين سأله (نور) فى اهتمام واضح :

- أهذه هى المهمة ، التى أتيت من أجلها ؟!

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وغمغم :

- نعم أيها القائد .

تطلَّع إليه (نور) لحظة فى صمت ، ثم قال فى حزم :

- أعتقد أننى أرغب فى سماع قصتك يا (طارق) .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

- الآن ؟! ألن نفكِّر فى وسيلة ؛ للخروج من هنا ؟!

رمقه (نور) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

ـ كلى آذان مصغية يا (طارق) .

تنهَّد (طارق) ، ولاذ بالصمت بضع لحظات بدوره ، قبل أن يقول :

ـ سأخبرك .. سأخبرك بكل شىء أيها القائد ..

وبدأ يروى قصته ..

قصة أخطر مهمة عرفها التاريخ .. والزمن .

★ ★ ★

٤ ـ مهمة مستحيلة ..

داعب الدكتور (ناظم) ذقنه فى توتر ، وهو يطالع ذلك المشروع ، الذى قدَمته له (سلوى) ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه إليها ، قائلاً :

ـ هل تعلمين كم يمكن أن يتكلَّف هذا المشروع يا (سلوى) ؟! هل تدركين كم من الأموال نحتاج ، لإقامة أبراج البث الفضائى هذه ؟! ألا يمكننا إطلاق تلك الذبذبة ، من أحد أقمارنا الصناعية ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، قائلة :

ـ مستحيل ! لا بد أن ينطلق البث من داخل الكرة الأرضية ، وليس خارج غلافها الجوى .

تنهَّد مغمغمًا :

ـ لست أدرى يا (سلوى) .. الواقع أن التكلفة ..

قاطعته فى حدة :

ـ أية تكلفة يا دكتور (ناظم) ؟! إنكم تتحدَّثون طوال الوقت عن مستقبل الأرض ، وأهمية استعادة

(طارق) بأى ثمن ، وعندما أجد وسيلة لإعادة الجميع إلى زمننا ، تتحدثون عن التكلفة !! ماذا دهاكم ؟ وما الذى تسعون إليه بالضبط ؟!

لوَّح بالأوراق فى وجهها ، هاتفًا :

ـ إننا نسعى لاستعادة الجميع بالتأكيد ، ولكن ما قدمته لنا مجرَّد نظرية ، لم تدعَمها أية تجارب عملية ، ولا يمكننا إنفاق ما يقرب من مليار دولار ، من أجل نظرية .

أجابته فى غضب :

ـ النسبية أيضًا كانت مجرَّد نظرية ، دون أى تطبيق عملى ، وعلى الرغم من هذا فقد غيَّرت وجه العالم كله(*) .

مطَّ شفتيه فى توتر ، وقال :

ـ (سلوى) .. حاولى أن تفهمى .

قالت فى حدة :

ـ أفهم ماذا ؟! هل تعنيكم عودة (نور) أم ماذا ؟!

(*) حقيقة ، فعلى العكس مما يتصوَّر الجميع ، لم يدخل (ألبرت أينشتين) ، واضع النظرية النسبية ، معملا قط ، وإنما وضع نظرياته كلها من خلال معادلات رياضية فحسب .

أجاب متوترًا :

ـ بالتأكيد ، ولكن ..

قاطعته (نشوى) فى حنق :

ـ ولكن ماذا ؟! كم وضعتم ثمنًا لأبى ، لا ينبغى أن تتجاوزه محاولات إنقاذه واستعادته ؟!

أجابها فى حدة :

ـ نحن لا نتحدَّث عن والدك وحده يا (نشوى) .

صاحت (سلوى) :

ـ إنكم تتحدَّثون عن المال .. المال وحده ، وليس عن حياة الـ ... الـ ...

لم تستطع إكمال عبارتها ، مع الدوار العنيف الذى أصابها ، والذى جعلها تتراجع بحركة حادة ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

صاحت (نشوى) مذعورة :

ـ أمى .. ماذا أصابك ؟!

أما (رمزى) فقد أسرع يتلقَّفها ، قبل أن يختلَّ توازنها ، وعاونها على الجلوس على أقرب مقعد ، قائلًا :

ـ اهدئى يا (سلوى) .. اهدئى .. كل شىء سيسير على ما يرام بإذن الله .

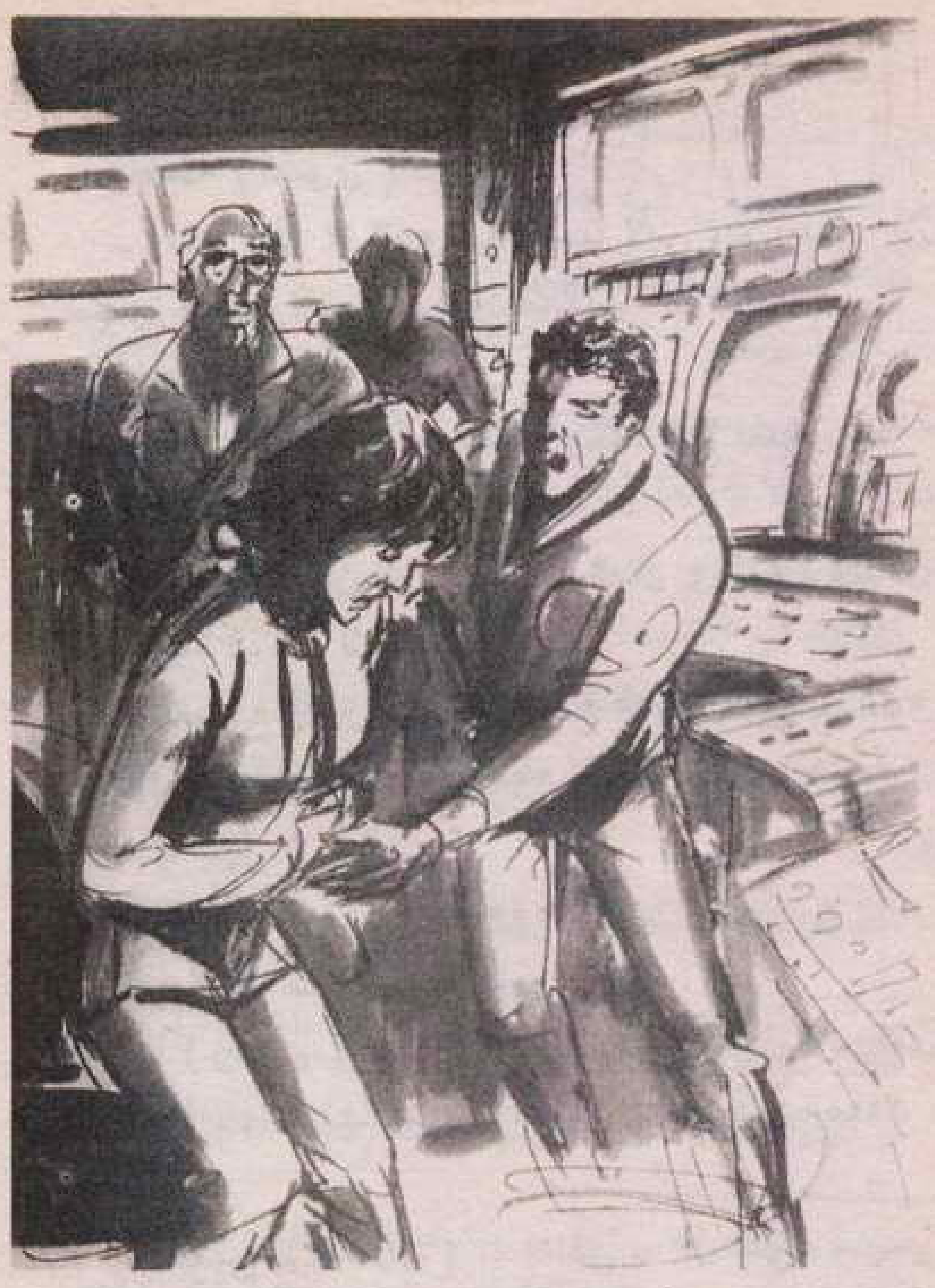

أما (رمزى) فقد أسرع يتلقَّفها ، قبل أن يختلَّ توازنها ، وعاونها على الجلوس على أقرب مقعد ..

وارتبك الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- إننى لم أقصد هذا .. لم أقصد شيئًا سيئًا .. إننى ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، أطلقت (سلوى) شهقة قوية ، ومالت إلى الأمام بحركة حادة ، ثم أفرغت ما بجوفها فى عنف ، فهتفت (نشوى) :

- ربَّاه ! أمى .. ماذا أصابك ؟!

اعتدل (رمزى) ، وانعقد حاجباه ، وهو يقيس نبضها ، قائلاً :

- أعتقد أننى أعرف ما أصابها .

رفعت (نشوى) عينيها إليه فى توتر ، فاستطرد فى حزم :

- إنها تعانى من متاعب بدايات الحمل .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وهتفت (نشوى) :

- الحمل ؟!

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، وغمغمت فى مرارة :

- هذا صحيح .

تهلَّلت أسارير (نشوى) ، وهى تحتضن أمها ، :

- يا إلهى ! يا إلهى ! هل سيصير لى أخ ؟! كم يسعدنى هذا يا أماه ! كم يسعدنى هذا !

اغرورقت عينا (سلوى) بالدموع ، وهى تقول :

- كنت أتمنى أن يولد فى وجود أبيه .

تجمّدت الابتسامة على شفتى (نشوى) ، ثم لم تلبث أن تلاشت فى بطء ، وهى تقول فى حنان حزين :

- سيولد بين يديه بإذن الله يا أمى .. سيولد بين يديه .

بكت (سلوى) فى مرارة ، مغمغمة :

- كيف ؟!

أجابها الدكتور (ناظم) فى حزم :

- سنبذل كل ما فى وسعنا ، من أجل هذا .

قالها ، واتجه نحو الباب فى خطوات قوية ، ثم توقّف عنده ، واستدار إليها ، مضيفًا فى حزم :

- مهما كان الثمن .

وأغلق الباب خلفه فى قوة ، وقد فتح بكلماته بابًا جديدًا للأمل ..

الأمل فى استعادة (نور) ورفيقيه ..

لو أنهم ما زالوا على قيد الحياة ..

★ ★ ★

وعاونها

« الأرض تواجه أكبر خطر ، فى تاريخها كله .. »

نطق القائد العبارة ، وهو يضع يده على كتف (طارق) ، الذى قال فى حزم وحماس :

- لا يمكننا أن نقف ساكنين ، أمام هذا الخطر أيها القائد .

هزّ القائد رأسه نفيًا ، وقال :

- لقد درسنا الأمر من كل الوجوه يا ولدى ، ولكن الأمل فى النجاة يكاد يبلغ الصفر ، فتلك القنبلة الرهيبة تجاوزت حدود مجموعتنا الشمسية بالفعل ، وهى تتجه نحونا بسرعة مخيفة ، ولو أننا أرسلنا قنبلة مضادة لتفجيرها ، فستبلغها عند كوكب (المشترى) ، طبقًا لتقديرات العلماء ، وإذا ما نسفتها هناك ، فموجة الانفجار الناشئة ، ستطيح بكوكب الأرض ، خلال يومين فحسب .

سأله (طارق) فى قلق :

- ألا يمكن تغيير مسارها على الأقل ؟!

هزّ القائد رأسه نفيًا مرة أخرى ، قائلاً :

- ليس هذا بالأمر السهل ، ولكن حتى لو نجحنا ، هذا لن يغيّر من الأمر شيئًا ، إذ إن الدراسات ،

التى أجراها علماؤنا ، عبر التليسكوبات الفلكية العملاقة ، أشارت إلى أن تلك القنبلة مزوَّدة بجهاز توقيت دقيق للغاية ، بحيث تنفجر عند اقترابها من كوكب الأرض ، فى موعد محدود ، وهذا يعنى أنه حتى لو غيرنا مسارها ، فستنفجر فى موقع آخر ، وسيحدث انفجارها نفس الموجة العنيفة ، التى تكفى لسحق مجموعة شمسية كاملة .

هزَّ (طارق) رأسه ، قائلاً فى اضطراب :

ـ لا بد أنه هناك سبيل لمنع هذا .. لا بد .

تطلَّع إليه القائد لحظة ، قبل أن يجيب بصوت خافت :

ـ هناك سبيل بالفعل يا ولدى ، ولكن ...

سأله فى لهفة :

ـ ولكن ماذا ؟!

تنهَّد القائد فى عمق ، ومسح شعره الأشيب الكثيف براحته ، ثم تحرَّك بضع لحظات فى صمت ، داخل حجرته الواسعة ، قبل أن يستقرَّ خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ البث الذى تلقَّاه علماؤنا ، منذ عدة سنوات وعاونها

يؤكِّد أن السبب فى إرسال هذه القنبلة الرهيبة إلينا ، هو رسالتان ، تم بثهما من الأرض إلى الفضاء ، فى أحد الأزمنة الماضية ، يقول مرسلهما إنه إمبراطور الأرض المطلق ، وإمبراطور الكون السابق ، ولقد أصاب الذعر سكان أحد الكواكب البعيدة ، الذين تصوَّروا أنها بداية لغزو كونى شامل ، يبدأ من كوكب الأرض ، وقرَّروا نسف كوكبنا ، قبل أن يبدأ غزوه .. ولقد أرسلوا قنبلة رهيبة بالفعل ، فور تلقيهم الرسالة الأولى ، ونجت منها الأرض ، ولكنهم أرسلوا هذه القنبلة الهائلة ، بعد الرسالة الثانية ، وبثوا رسالتهم فى الوقت ذاته ، ليعلنوا أنهم مضطرون لنسف مجموعتنا الشمسية كلها ، حفاظًا على سلامة الكون .

وتنهَّد مرة أخرى ، قبل أن يضيف :

ـ وها نحن أولاء نواجه أيامنا الأخيرة ، بسبب رسالة فضائية حمقاء غير مسئولة ، انطلقت من نقطة ما ، فى أحد الأزمان الماضية .

سأله (طارق) فى لهفة :

ـ ما الوسيلة التى تحدَّثت عنها أيها القائد ؟!

تطلَّع إليه القائد فى صمت ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ منع بث الرسالة الثانية .. وبأى ثمن .

تراجع (طارق) فى دهشة ، قائلاً :

ـ وكيف هذا ؟! لقد تم بثُّها فى زمن ماض ، كما تقول !!

أومأ القائد برأسه موافقًا ، ثم نهض من خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ نعم يا ولدى .. الرسالتان تم بثُّهما من أكثر من قرن من الزمان .. من مكان ما فى تاريخ الأرض ، واستغرقتا زمنًا طويلاً لبلوغ ذلك الكوكب ، الذى أطلق القنبلتين ، وهذا يعنى أن عدوًّا ما من الماضى قد فعل هذا ، دون أن يدرى ما يمكن أن تؤدى إليه حماقته ، والسبيل الوحيد لمنع هذه الحماقة ، وإنقاذ كوكب الأرض ، من المصير المظلم الذى ينتظره ، هو العودة إلى الماضى ، والبحث عن ذلك العدو المجهول ، ومنعه من إطلاق رسالته الثانية .

فغر (طارق) فاه ، فى دهشة بالغة ، وهو يتساءل :

ـ وهل هناك سبيل للعودة إلى الماضى ؟!

تطلَّع إليه القائد لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ بالتأكيد .

هبَّ (طارق) من مقعده ، من فرط الدهشة ، فأشار القائد بيده ، مكملاً فى حزم :

ـ لدينا مقاتلة زمنية تجريبية بالفعل ، ولكن المشكلة أن خرائط الزمن لم تكتمل بعد ، كما أن أجهزة التحكم فى الانتقال ما زالت فى مرحلة الاختبار الأولى .

قال (طارق) فى اهتمام :

ـ هذا يعنى أن الانطلاق بالمقاتلة الزمنية مخاطرة كبيرة ، فالمسافر بها عَبْر الزمن ، قد يضلَّ طريقه إلى الأبد .

أومأ القائد برأسه ، متمتمًا فى أسى :

ـ هذا احتمال وارد .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد فى مرارة :

ـ ولكن ليس لدينا سبيل آخر .

غلَّفهما الصمت طويلاً ، وكلاهما يتطلَّع إلى الآخر مباشرة ، قبل أن يشدَّ (طارق) قامته ، ويقول فى حزم :

ـ سيِّدى .. إننى أرغب فى القيام بهذه المهمة .

تطلَّع إليه القائد فى صمت وتأثُّر ، فتخلَّى عن

وقفته العسكرية ، وهو يقول ، فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

- أبى .. أعلم جيِّدًا أن عاطفة الأبوة فى أعماقك ، ستمنعك من إرسالِ ابنك ، فى مهمة شديدة الخطورة كهذه ، ولكننى أؤكد لك أننى الشخص المناسب تمامًا لهذا العمل .. لقد عهدك الجميع دائمًا قائدًا من الطراز الأوَّل ، وتاريخك كله يقول : إنك لم تؤثر قط صالحك على الصالح العام ، وإنك مستعد دائمًا للتضحية بكل عزيز لديك ، من أجل سلامة كوكب الأرض .. أرجوك يا أبى .. إننى ...

بتَر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى عينى القائد .. قبل أن يهتف :

- أبى .. أعنى سيِّدى القائد ... إنك تبكى !!

أطلَّ التأثُّر واضحًا ، من عينى القائد وصوته ، وهو يقول :

-لقد طرحنا الأمر على الكمبيوتر ، فانتخب شخصين .. أنت أحدهما يا ولدى ..

اتسعت عينا (طارق) لحظة ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، قائلاً :

- وأنا فى غاية الاستعداد يا أب ... يا سيِّدى القائد ..

وضع القائد يده على كتفه ثانية ، وهو يقول فى تأثُّر جارف :

- أعلم هذا يا ولدى .. أعلم هذا ..

وهكذا بدأت المهمة ..

أخطر مهمة فى تاريخ الكون كله ..

★ ★ ★

لم يقاطع (نور) و(أكرم) و(برجيت) (طارق) لحظة واحدة ، حتى انتهى من قصته ، وبعدها ساد الصمت التام لدقيقة أو يزيد ، قبل أن يقطعه (نور) بقوله :

- من الواضح أن كل شىء تم إعداده بدقة بالغة .. اختيار الشخص المناسب ، ووضع قصة للطوارئ ، وتزويدك بكل المعلومات اللازمة .. كل شىء ..

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وقال :

- هذا أمر طبيعى أيها القائد .. إنه نفس ما كنت ستفعله ، لو أنك فى الموقف ذاته .. لقد انطلقنا بالمقاتلة الزمنية ، و ...

قاطعه (نور) فى توتر :

- انطلقنا ؟! أتعنى أنك لم تكن وحدك ؟!

تطلَّع إليه (طارق) لحظة فى صمت ، قبل أن يجيب :

- فى مهمة كهذه ، لا بد من وجود بديل ، فنحن نجهل الكثير عن ثقوب الزمن ، ونجهل كم من الوقت سنستغرق ، قبل أن يتوصَّل كمبيوتر المقاتلة لتحديدها وكشف أسرارها ، ومن المحتمل جدًّا أن يلقى أحدنا مصرعه ، فى أحد الأزمان ، وعندئذ ينبغى للثانى أن يكمل المهمة .

تمتم (أكرم) :

- يا إلهى ! من يصدِّق هذا ؟!

هزَّ (طارق) رأسه ، قائلاً :

- الحقيقة كثيرًا ما تفوق الخيال يا (أكرم) .

سأله (نور) :

- إذن فقد كنت تعلم أن ذلك الثقب سيقودنا إلى هنا .

صمت (طارق) طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب :

- الجزء الخاص بضياعنا فى مجرى الزمن صحيح تمامًا أيها القائد .. لقد تنقَّلنا عشوائيًّا ، من زمن إلى آخر ، ولكن كمبيوتر المقاتلة كان يدرس كل رحلة ، ويخزِّنها فى ذاكرته ، حتى يمكنه تحليل الأمر ،

والتوصُّل إلى سر ثقوب الزمن السوداء .. وعندما انطلقنا نحو الثقب ، الذى قادنا إلى هنا ، كان كمبيوتر المقاتلة يشير إلى أنه يتصل بزمن ما ، فى القرن العشرين ، ولكنه لم يحدِّد هذا الزمن بدقة .

سأله (نور) :

- وماذا لو أننى اخترت ثقبًا آخر ؟!

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

- لم تكن لتفعل ، فوسط تلك الفوضى هناك ، كنت ستنتقى الثقب المواجه للمقاتلة مباشرة .. هذا يتناسب مع شخصيتك كما ..... كما قرأت عنها .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- إذن فقد كنت تقود المقاتلة ، بحيث تواجه ذلك الثقب طوال الوقت ، دون أن نشعر نحن بهذا ، وسط الفراغ اللانهائى .

أومأ (طارق) برأسه ، مغمغمًا :

- إننى أعترف بهذا .

هتف (أكرم) :

- عظيم .. هذا يعنى أنك الشخص المسئول عن هذا الموقف السخيف ، الذى نحن فيه الآن .. ألديك إذن وسيلة للخروج منه يا عبقرى المستقبل ؟!

تطلّع (طارق) إلى جدران الطاقة المتألّقة ، مغمغمًا :

- لست أدرى .. أسطوانة الطاقة هذه تعود إلى زمن يسبقنا بكثير .

هتف (أكرم) فى حنق :

- رائع .. سنموت مختنقين إذن كالفئران الحبيسة ، كما قال ذلك الوغد .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

- لست أعتقد هذا .

التفت إليه (أكرم) ، هاتفًا :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه (نور) فى سرعة ، وملامحه توحى بأنه مازال يواصل التفكير فى عمق :

- الدكتور (خالد) مازال يحتاج إلى وجودنا بشدة ، حتى يحصل على المقاتلة الزمنية ، التى ستضمن له العودة إلى زمنه ، بعد أن ينجح فى تغيير التاريخ هنا ، وما دام يجهل موضعها ، فلن يجازف بالقضاء علينا قط ، و ...

« بالضبط .. »

قاطعه ذلك الصوت الصارم ، قبل أن يبرز (هولدشتاين) أمامهم مستطردًا :

- أنت على حق كالمعتاد يا (نور) .. لا يمكننى أن أجازف بالقضاء عليكم ، قبل أن أحصل على تلك المقاتلة الزمنية .

قال (أكرم) فى سخرية عصبية :

- لا يمكنك أن تتصوّر كم أسعدنى هذا .

أشار (هولدشتاين) بسبّابته ، قائلاً :

- ولكننى فى الوقت ذاته لن أدخر وسعًا ، للحصول عليها .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وراح يتحرّك فى المكان ، متابعًا :

- كيف إذن يمكن حل معادلة صعبة كهذه ؟! إنكم لن تستسلموا قط ، حتى لو كان الأمر يتعلّق بحياتكم .

ودار حول نفسه بحركة سريعة ، وهو يضغط شيئًا ما فى جيبه ، هاتفًا :

- ولكن ماذا عن تلك الفرنسيةَ الحسناء ؟!

قبل حتى أن يتمّ عبارته ، كانت (برجيت) تطلق شهقة مذعورة ، عندما شعرت بقوة عجيبة تنتزعها

من مكانها ، وتخرجها من تلك الأسطوانة المتألِّقة ، لتلقى بها إلى مسافة متر واحد منها ، حيث أحاطت بها فجأة أسطوانة طاقة أخرى ..

وبكل غضب وثورة الدنيا ، صرخ (طارق) :

ـ دعها وشأنها أيها الوغد .

أطلق (هولدشتاين) ضحكة عالية ساخرة ، وقال :

ـ لا تحاول يا فارس الزمن الوسيم .. لقد أخبرتكم أننى لن أدخر وسعًا ، للحصول على مقاتلتكم الزمنية .

ثم أشار إلى (برجيت) ، مستطردًا :

ـ إنكم لا تهابون الموت ، ولكننى سأترككم تراقبون رفيقتكم الفاتنة ، وهى تختنق داخل تلك الأسطوانة الصغيرة ، التى لن تمنحها سوى ما يكفى من الهواء لعشر دقائق فحسب ، وهى كل المهلة الممنوحة لكم .

وعادت عيناه تتألَّقان ، وهو يضيف بلهجة شيطانية :

ـ والآن ، دعونى أسألكم .. هل ستحتمل قلوبكم الرقيقة هذا المشهد ؟!

ألقى سؤاله ، ثم انفجر يطلق ضحكته الشيطانية الرهيبة ..

ضحكة رجل بلا قلب .

على الإطلاق ..

★ ★ ★

لو أن فنانًا قديرًا قلب الدنيا كلها ، بطولها وعرضها ، بحثًا عن صورة تعبِّر عن الذعر والانبهار والذهول فى أسمى صورها ، لما وجد مشهدًا أفضل من رجال المقاومة الفرنسية ، وهم يحدِّقون فى المساحة الخالية أمامهم ، عند مشارف (باريس) ، والتى كان يحتلها منذ قليل وكر (هولدشتاين) ، قبل أن يتألَّق بغتة ، ويتلاشى أمام عيونهم ، وكأنه لم يكن ..

ولقد استغرق ذهولهم هذا ما يقرب من دقيقة كاملة ، وقفوا خلالها جامدين كالحجر ، متسعى الأعين ، مفغورى الأفواه ، وكأن على رءوسهم الطير ..

ثم فجأة ، هتف (جلوفيه) :

ـ هل رأيتم هذا ؟!

غمغم أحدهم ، والذهول لم يفارقه بعد :

ـ لقد تلاشى أمام أعيننا .

وتمتم آخر مبهورًا :

- أكان هناك حقًا ، أم ..

والتفت إلى (آلان) ، متابعًا بصوت مرتجف :

- أم أن كل هذا مجرَّد وهم ؟!

لم يجب (آلان) على الفور ، وإنما خفض فوهة مدفعه الآلى فى بطء ، وهو يواصل التحديق فى موقع المنزل ، ثم لم يلبث أن غمغم فى توتر بالغ :

- لا قبل لنا بهذا .

سأله الرجل فى دهشة :

- ماذا تقول يا (آلان) ؟!

التفت إليه (آلان) بحركة حادة ، هاتفًا :

- أقول : إنه لا قبل لنا بمثل هذه الأمور الشيطانية .. ربما كان هؤلاء المستقبليون قادرين على مواجهة بعضهم البعض ، بمثل هذه الأفعال الرهيبة ، فهذا لا ينطبق علينا .. إننا لا ندرى حتى ما الذى نواجهه .

سأله أحد الرجال فى توتر :

- وماذا عن (برجيت) ؟!

انعقد حاجبا (آلان) فى شدة ، وهو يلوذ بالصمت التام لبضع لحظات ، قبل أن يقول فى خشونة ، تشفَّ عن مدى ما يعانيه فى أعماقه :

- لقد فقدنا الكثيرين ، منذ بدء هذا الصراع الجهنمى .

بُهت الرجال للجواب ، فران عليهم الصمت وهلة ، قبل أن يهتف أحدهم فى عصبية :

- ماذا تعنى ؟!

لوَّح (آلان) بذراعه فى حدة ، هاتفًا :

- أعنى ما فهمتموه جميعًا .. ألا يمكنكم استيعاب هذا ؟!

صاح أحدهم محتجًّا :

- هل تعنى أن نتخلَّى عن (برجيت) ؟!

صرخ (آلان) ، على نحو يوحى بأن أعصابه لم تعد تحتمل :

- ومن قال : إننا نستطيع استعادتها ؟!

لم يحر أحدهم جوابًا ، وهو يتابع فى مرارة :

- هل أصابكم العمى ؟! ألم تروا ما حدث أمام أعينكم جميعًا ؟! ها نحن أولاء قد اتبعنا كل ما أشار به (نور) هذا ، ونفذنا خطته بحذافيرها ، فماذا كانت النتيجة ؟! إننا لم نظفر بأى شىء ، بل كان من الممكن أن نتلاشى مع ذلك المنزل الشيطانى ، الذى اختفى أمامنا ، وكأنه لم يكن ، بعد أن احتوى رجال

المستقبل الثلاثة !! ماذا كان يمكننا أن نفعل إزاء كل هذا ؟! هل نمتلك وسيلة لمواجهة ذلك السحر الرهيب ؟! هل نفهم حتى كيف يحدث ؟!

ثم شدَّ قامته ، وازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يستجمع كل ما أمكنه من صرامته ، مستطردًا ، وهو يواجه الجميع :

- لقد فقدنا (برجيت) أيها الرجال .. فقدناها ولن يمكننا استعادتها مرة أخرى .. ربما كان من الصعب عليكم استيعاب هذا أو هضمه ، ولكن ليس أمامكم سوى هذا .. إنها ليست المرة الأولى ، التى نفقد فيها أحد الأصدقاء أو الأحبة .. إنها الحرب .. لا بد أن نتقبَّل فقد أى شخص ، مهما كانت مكانته .. لا أحد يمكنه الإفلات من الموت .. لا أحد على الإطلاق .

غلَّفهم الصمت مرة أخرى ، وارتسم مزيج من الحزن والأسى والإحباط على وجوههم ، وحاول بعضهم كتمان دموعه فى مرارة ، فى حين عجز واحد أو اثنين عن هذا ، فانهمرت دموعهم غزيرة ، و (آلان) يزدرد لعابه مرة أخرى فى صعوبة بالغة ، ويتنحنح مرتين ، ثم تابع بكل مرارته وآلامه :

- واجبنا يقتضى أن ننسى كل ما حدث ، وكأننا لم نلتق برجال المستقبل هؤلاء قط .. لن نتوقَّف لنجتر الدموع والأحزان .. الحرب لن تتوقَّف ، حتى ننتهى من إفراغ عواطفنا وشجوننا ، و(باريس) لا يمكنها أن تفتقد المقاومة ورجالها طويلاً .. إننا الأمل الوحيد ، الذى يغسل به الفرنسيون جراحهم ويضمدونها طوال فترة الاحتلال ..

وعاد يشدّ قامته فى حزم حقيقى ، مستطردًا :

- فلننس رجال المستقبل ، وكل أفعالهم العجيبة .. ولننس حتى (برجيت) نفسها ، ولكننا لن ننسى وطننا قط .. مهما كان الثمن .

وكان هذا يعنى أن المقاومة الفرنسية قد خرجت نهائيًا من الصراع ..

صراع (نور) ورفاقه ، فى مواجهة (فريدريش هولدشتاين) ..

الشيطان ؟!

★ ★ ★

من أعجب الأمور المتعلِّقة بالزمن ، أنه يمضى فى بطء شديد عندما نتعجَّله ، ويعدو كجواد جامح ، عندما نحتاج إليه ..

لهذا مضت الدقائق بسرعة الصاروخ ، داخل وكر الشيطان ، وبدأت (برجيت) تشعر بالاختناق ، و(نور) يهتف بها :

- حاولى السيطرة على مشاعرك يا (برجيت) .. التوتر يزيد من سرعة تنفسك ، ويستهلك المزيد والمزيد من الأكسجين .

كانت تبذل جهدًا حقيقيًا ، للسيطرة على أعصابها ، إلا أن كل ذرة فى كيانها كانت ترتجف خوفًا وذعرًا ، مع صعوبة التنفس ، التى تشكو منها رئتاها منذ لحظات ، فغمغم (أكرم) فى عصبية :

- ذلك الوغد لن يتركها تموت .. إنه يحتاج إليها .. لن يجرؤ على هذا .

أجابه (طارق) فى عصبية :

- من الواضح أنك لم تنجح فى فهمه قط يا (أكرم) .. إنه ليس وغدًا فحسب ، بل هو شيطان آدمى ، سيطرت عليه فكرة مجنونة بالسيطرة على العالم ، حتى إنها أخمدت كل مشاعره البشرية الأخرى ، وجعلته أشبه بالوحوش المفترسة ، التى لا تنتعش إلا بمذاق الدم .

قال (نور) فى هدوء عجيب ، لا يتفق مع صعوبة الموقف :

- حتى الوحوش المفترسة لها نقاط ضعف .

لم يفهم (أكرم) ما يعنيه (نور) بالضبط ، أما (طارق) ، فقد التفت إليه ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة بنظرة متساءلة ، فتابع (نور) بنفس الهدوء :

- من الواضح أن جدار الطاقة هذا منفذ للصوت والضوء ، ولكنه غير منفذ للأشياء المادية ، مثل الأجسام وذرات الهواء وغيرها .

سأل (أكرم) فى حيرة :

- وبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، مجيبًا :

- ربما أفادنا كثيرًا .. أكثر مما تتصوّر .

تطلّع (طارق) إلى عينى (نور) لحظة أخرى ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لا أيها القائد .. الوقت لا يسمح بالتفكير والتدبير .. لن أترك (برجيت) تلقى مصرعها أمام عينى .

ثم استدار هاتفًا :

- (هولدشتاين) .. أين أنت ؟!

أمسك (نور) ذراعه فى قوة ، هاتفًا :

- هل جننت يا (طارق) ؟! لا يمكنك أن تستبدل حياة امرأة واحدة بمصير العالم أجمع ، مهما بلغ حبك لها .

صاح به (طارق) فى حدة :

- لا تحاول أيها القائد .. لقد اتخذت قرارى .

ثم صرخ مرة أخرى :

- أين أنت يا (هولدشتاين) ؟! اظهر أيها الوغد .

لم يكد يتمَ عبارته ، حتى شعر ببرودة قارصة تحيط به ، ثم انتزعته قبضة قوية من مكانه ، وألقت به على مسافة متر آخر من أسطوانة الطاقة ، حيث غلفته أسطوانة أخرى ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها (هولدشتاين) ، قائلاً فى ظفر :

- هأنذا يا فارس المستقبل .. أظنك قد اتخذت قرارك بالفعل .

صاح (نور) :

- لا يا (طارق) .. لا تفعلها .

ولكن (طارق) ألقى نظرة على (برجيت) ، التى بدت محتقنة الوجه ، وقد انهارت جالسة داخل أسطوانة الطاقة المحيطة بها ، ثم قال فى حزم :

- قلت لك : لقد اتخذت قرارى .

وعاد يواجه (هولدشتاين) ، مستطردًا بنفس الحزم :

- اتركها يا (هولدشتاين) .. أطلق سراحها ، وسأمنحك مفتاح مقاتلة الزمن .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (هولدشتاين) ، وهو يمد يده ، قائلاً :

- المفتاح أوَّلاً .

قال (طارق) فى حدة :

- أطلق سراحها يا (هولدشتاين) .

أجابه (هولدشتاين) فى صرامة شديدة :

- المفتاح يا فارس الزمن .

انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، وهتف (نور) مرة أخرى :

- لا يا (طارق) .. أرجوك .. إنك تضحى بمستقبل الأرض كلها .

بدت المرارة واضحة فى صوت (طارق) وملامحه ، وهو يقول :

- آسف أيها القائد .. ليس أمامى سوى هذا .

ثم دس يده فى جيبه ، وأخرجها ليفردها أمامه ،

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (هولدشتاين) ، وهو يمد يده ، قائلاً : ـ المفتاح أولاً ! ..

فى اتجاه (هولدشتاين) ، وهى تحوى كرة فضية صغيرة ..

وكان من الواضح أن تلك الكرة الفضية هى المفتاح ..

مفتاح مقاتلة الزمن .

* * *

٥- المستقبل ..

« لقد اتخذنا كل الإجراءات اللازمة .. »

نطق الدكتور (ناظم) العبارة فى حزم ، وهو يواجه أفراد الفريق ، الذين بدا عليهم الارتياح ، وخاصة (سلوى) ، التى سألت فى لهفة :

- ومتى يبدأ البث ؟!

ألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب :

- ما زالت أمامنا ست ساعات .

ضمَّت قبضتيها أمام وجهها ، الذى رفعته إلى أعلى ، هاتفة ، من أعمق أعماق قلبها :

- ساعدنا يا إلهى ! ساعدنا على استعادتهم :

ربَّتت (نشوى) على كتفها فى حنان ، قائلة :

- اطمئنى يا أمى .. أنا واثقة من أننا سننجح ، بإذن الله (سبحانه وتعالى) فى استعادة والدى ورفيقيه .

قال الدكتور (ناظم) فى حماس :

- بإذن الله .

ثم أضاف بسرعة :

- عندما تكتمل الاستعدادات ، سنبث تلك الذبذبة الفائقة على الفور ، وسيتم نقلها ، عبر المحطات الأرضية ، لتحيط بالكوكب كله ، وتمنح الثقب الخاص بزمننا ذلك اللون الأحمر .

تمتم (رمزى) :

- سيدرك (نور) الأمر على الفور .

لم ينجح فى إخفاء ذلك القلق ، الذى يعصف بأعماقه ، فتطلَّعت إليه (سلوى) فى توتر ، جعل (نشوى) تهتف بحماس بالغ :

- ليس لدى أدنى شك فى هذا .

كان من الواضح أن التوتر سيسود الموقف ، لذا فقد أسرع (رمزى) يقول ، محاولاً تغيير دفة الحوار :

- ولكن كيف أمكنكم إعداد كل شىء ، بهذه السرعة المدهشة يا دكتور (ناظم) ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة ، وكأنما يشاركه المحاولة نفسها :

- كان الأمر فى حكم المستحيل ، لو فكرنا فى بناء

سلسلة محطات بث ، لإطلاق تلك الذبذبة ، حول الكرة الأرضية كلها ، ولكن القائد الأعلى أشار إلى أننا نمتلك بالفعل سلسلة من المحطات ، كانت تستخدم فى بداية القرن ، لإجراء بعض التجارب الفضائية المشتركة ، ثم لم تلبث أن أصبحت عتيقة الطراز ، مع إطلاق الجيل الجديد من أطباق البث الصناعية ، بعد الاحتلال مباشرة(*) ، ولم يعد استخدامها واردًا ، وهنا قامت قنواتنا الدبلوماسية بالاتصال بكل الدول ، التى توجد بها محطات البث ، لإخطارها بأننا سنعيد استخدامها ، للقيام ببعض التجارب العلمية المهمة ، ومع الحصول على موافقة الدول المعنية ، بدأنا فى إعداد سلسلة المحطات ، لبث تلك الذبذبة الخاصة .

أومأ (رمزى) برأسه ، قائلاً :

- عظيم .. هذا يوحى بالارتياح .

سألت (نشوى) فى اهتمام :

- وماذا عن ذلك الفارس الثانى ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بسبابته ، قائلاً :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

- الدكتورة (إلهام) ، خبيرة التفاعلات الحيوية ، اقترحت فكرة مبتكرة للغاية ، تعتمد على التغيرات الطفيفة ، التى تحدث فى الجينات ، من عصر إلى عصر .. تلك التغيرات التى تم كشفها عام ألفين وثلاثة ، والتى لم يكن من الممكن تصنيفها فيما مضى ، قبل اختراع الجيل السابع من أجهزة الكمبيوتر .. لقد افترضت الدكتورة (إلهام) أن فارسى الزمن أتيا من مدينة واحدة ، من مدن المستقبل ، أى أنهما ترعرعا فى ظروف واحدة ، مما يرجِّح وجود التغيرات الجينية نفسها عند كليهما ، ولو أننا أعدنا فحص البصمة الجينية لـ (طارق) ، وتركنا الكمبيوتر يقارنها بكل البصمات الجينية لدينا ، فمن المحتمل أن نتوصَّل إلى صاحب البصمة الجينية المقاربة ، التى تحوى نفس التغيرات الطفيفة ، وسيكون هو ، على الأرجح ، فارس الزمن الثانى .

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يقول :

- عجبًا ! إنها فكرة معقَّدة للغاية ، ولا تستند إلى قواعد علمية مؤكَّدة .

أدهشه أن تنهَّد الدكتور (ناظم) فى أسف ، مغمغمًا :

- هذا صحيح .

ثم استدرك فى سرعة :

- ولكننا نتشبَّث بأية لمحة ، يمكن أن تقودنا إلى ذلك الفارس الثانى .

وتنهَّد فى أسى ، متابعًا :

- لا يمكنك أن تتصوَّر كم يقلق هذا الأمر مؤسسة الرياسة كلها ، وخاصة بعد أن نجح ذلك الفارس المجهول فى اختراق نظامها الأمنى ، البالغ السرية .

هزَّت (نشوى) رأسها ، قائلة :

- هذا ليس بالأمر العسير .

التفت إليها الدكتور (ناظم) فى دهشة ، هاتفًا فى استنكار :

- ماذا تقولين يا (نشوى) ؟! ألا تدركين صعوبة شفرة الدخول إلى شبكة أمن الرياسة ؟! إنها مكوَّنة من ...

قاطعته فى هدوء :

- أعلم كل هذا يا دكتور (ناظم) .. لا تنس أننى خبيرة كمبيوتر من الطراز الأوَّل .. لقد درسنا نماذج للشفرات الأمنية شديدة التعقيد ، المشابهة لشفرة شبكة

أمن الرياسة السرية ، وهى تحتاج إلى وقت طويل للغاية ، لكشف أسرارها ، ومفاتيح الدخول إليها ، كما أنها مزوَّدة بنظام أمنى خاص ، يكشف كل محاولات التسلُّل ، ويضاعف من تعقيد الشفرة ، كلما انتقل المتسلِّل من نقطة إلى أخرى .. كل هذا صحيح .

وانعقد حاجباه ، وهى تكمل فى حزم :

- بالنسبة لزمننا هذا .

تراجع الدكتور (ناظم) فى دهشة ، قائلاً :

- ماذا تعنين ؟!

أجابته على الفور :

- أعنى أن برامج الكمبيوتر تتطوَّر بسرعة خرافية ، تفوق كل الصناعات والابتكارات الأخرى بعشرات الأضعاف ، وهذا يعنى أن ما يبدو شديد التعقيد اليوم ، لن يلبث أن يتحوَّل إلى أمر تقليدى ، بعد عام واحد ، فما بالك بفارس من المستقبل ؟!

اتسعت عيناه لحظة فى ارتياع ، قبل أن يقول مبهوتًا :

- يا إلهى ! أنت على حق يا (نشوى) .. على حق تمامًا .. إننا نواجه فارسًا مستقبليًا ، يمكنه التعامل

مع تكنولوجيتنا ، كما لو كانت لعبة طريفة ، من ألعاب زمنه .

ثم صمت بضع لحظات ، ارتسمت خلالها على وجهه علامات تفكير عميق ، ليتابع بعدها فى حزم شديد :

ـ وهذا يعنى أنه من المحتم أن نعثر على ذلك الفارس الثانى .. مهما كان الثمن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز هاتف الفيديو ، فضغط (رمزى) زره ، قائلاً :

ـ هنا مقر فريق (نور) .

ارتسمت على الشاشة صورة أحد علماء مركز الأبحاث ، وهو يسأل فى توتر :

ـ هل يمكننى التحدُث إلى الدكتور (ناظم) .. لقد أخبرونى أنه لديكم .

أجابه (رمزى) فى قلق :

ـ إنه هنا .. ماذا يحـ .....

قبل أن يتم عبارته ، أزاحه الدكتور (ناظم) من أمام الشاشة ، وهو يسأل العالم فى اهتمام بالغ :

ـ هل توصَّلتم إلى شىء ؟!

أجابه العالم بنفس التوتر :

ـ البصمة الجينية لذلك المستقبلى (طارق) ، تشابهت كثيرًا مع بصمة جينية خاصة للغاية .

سأله الدكتور (ناظم) فى قلق :

ـ أية بصمة تلك ؟!

غمغم العالم :

ـ سترى بنفسك .

وبضغطة زر واحدة ، نقل العالم صورتى البصمتين الجينيتين المتقاربتين إلى شاشة هاتف الفريق ..

واتسعت عينا الدكتور (ناظم) عن آخرهما ..

فقد كانت المفاجأة مذهلة ..

وإلى أقصى حد ..

★ ★ ★

بدا وجه (هملر) قائد الجستابو النازى ، صارمًا متجهمًا بشدة ، وهو يستمع فى اهتمام تام إلى كل ما يرويه له (كارل مانهايم) ، الذى راح يلوِّح بذراعيه فى انفعال ، قائلاً :

ـ ما أقوله ليس وهمًا أو تجنيًا يا هر (هملر) ، ولكنها كلها حقائق مجرَّدة ، ولدى أكثر من شاهد ،

على كل حقيقة منها ، فالجنرال (هولدشتاين) تظاهر بالحزم والصرامة ، مع الجواسيس الثلاثة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد سمح لهم بالفرار مرة ، وأمر رجالنا بعدم إطلاق النار عليهم مرة أخرى ، ثم أخذ يتصرَّف على نحو بالغ الغرابة مع الموقف ، مدعيًا أن الأمر بالغ السرية والخطورة ، على الرغم من أنكم فى القيادة تجهلون كل شىء عنه ، وأخيرًا اختفى تمامًا ، مع زعيمة المقاومة الفرنسية ، عندما هاجم هؤلاء بيت الثعالب ، على الرغم من أنه لم يمر بأى جندى من جنودنا ، فكيف يمكنك تفسير هذا ؟!

ظلَّ (هملر) صامتًا ، صارمًا ، متجهمًا ، مما شجَّع (كارل) على الاستطراد :

- الأكثر أهمية من هذا ، هو أن لدى ما يؤكِّد أن الجنرال (فريدريش هولدشتاين) شخصيًا ، هو الذى قتل الكولونيل (فون دارك) ، وليس رجال المقاومة .

انتفض (هملر) فى عنف ، عند هذه النقطة ، وقال فى حدة :

- هذا قول بالغ الخطورة يا (ماتهايم) .

أشار (كارل) بيده ، قائلاً :

- قلت إن لدى الدليل يا هر (هملر) .

مال (هملر) نحوه ، متسائلاً فى اهتمام :

- أين هو ؟!

أجابه (كارل) فى حماس :

- الحارسان الخاصان لمكتب الجنرال (هولدشتاين) ، أكَّدا أن الكولونيل (فون دارك) كان على قيد الحياة ، بعد هروب الجواسيس الثلاثة ، وأنه طلب مقابلة الجنرال ، وقضى معه بعض الوقت ، قبل أن يسمع الحارسان دوى رصاصته ، لم يريا بعدها الكولونيل على قيد الحياة قط .

ازداد انعقاد حاجبى (هملر) فى شدة ، على نحو عجيب ، وبدا وكأن التوتر الذى يملأ نفسه قد انتشر فى كيانه كله ، قبل أن يقول فى صرامة عصبية :

- إنه مجرَّد دليل ظرفى .

دسَّ (كارل) يده فى جيب سترته ، وأخرجها برصاصة طويلة ، بين سبَّابته وإبهامه ، وهو يقول فى حزم :

- وماذا عن هذه ؟!

حدَّق (هملر) فى الرصاصة ، متسائلاً فى حذر :

ـ وما هذه ؟!

أجابه (كارل) فى سرعة :

ـ الرصاصة التى قتلت الكولونيل (فون دارك) .. لقد استخرجها الطبيب الشرعى ، بناء على طلبى .. انظر إليها جيدًا يا هر (هملر) .. إنها ليست رصاصة عادية ، يمكن أن تنطلق من أى مسدس تقليدى .. إنها رصاصة خاصة ، من الطراز المستخدم فى مسدسات القادة فحسب .

ثم مال نحوه ، مستطردًا بلهجة خاصة :

ـ مثل مسدس الجنرال (فريدريش هولدشتاين) .

وصمت (هملر) تمامًا ..

بل غرق فى لجة عميقة من الصمت لدقيقة كاملة .. دقيقة ، بدت أشبه بدهر كامل ، بالنسبة لـ(كارل) ، قبل أن يشدّ (هملر) قامته فى مقعده ، ويقول فى صرامة :

ـ أرسل فى طلب ضابط اللاسلكى على الفور .. أريد التحدُّث إلى (الفوهلر) شخصيًا .

ثم أضاف فى حدة :

ـ وحدى .

وعلى الرغم من حدته هذه ، اعتدل (كارل) بابتسامة عريضة على شفتيه ، وهو يقول :

ـ أوامرك يا سيِّدى الجنرال .

فالنظرة التى تطلّ من عينى (هملر) ..

واللهجة التى تحدَّث بها ..

وتلك الارتجافة الصارمة لشفتيه ..

كل هذه الأشياء كانت تؤكِد أن (كارل مانهايم) قد نجح فيما يرمى إليه ..

وإلى أقصى حد ..

★ ★ ★

تألَّقت عينا (هولدشتاين) فى ظفر ، وهو يتطلَّع إلى الكرة الفضية الصغيرة ، فى قبضة (طارق) ، فى حين هتف (نور) فى مرارة :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟!

خفض (طارق) عينيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين قال (هولدشتاين) ، بلهجة شامتة ، ظافرة ، ساخرة :

ـ لم يكن أمامه سوى هذا .

قالها ، وامتدَّت يده تخترق أسطوانة الطاقة ، وهو يمسك حزامه فى قوة ، و ...

وفجأة ، اندفع (طارق) إلى الأمام ..

واتسعت عينا (أكرم) فى دهشة بالغة ، عندما رآه يخترق أسطوانة الطاقة ، وكأنها لم تكن ، ويلكم (هولدشتاين) لكمة كالقنبلة ، ألقت هذا الأخير مترين كاملين إلى الخلف ، قبل أن يرتطم بأحد أجهزته ، ويسقط أرضًا فى عنف ..

ولكن سقطة الشيطان لم تطل كثيرًا ..

بل ولم تتجاوز حتى الثانية الواحدة ..

لقد سقط أرضًا ، ثم وثب واقفًا على قدميه فى سرعة مذهلة ، واندفعت يده نحو حزامه ، وهو يهتف :

ـ أيها الـ ...

وثب (طارق) نحوه بخفة مدهشة ، وأمسك معصمه بقبضة من فولاذ ، قبل أن تبلغ أصابعه حزامه ، وقال فى صرامة :

ـ لا تحاول أيها الوغد .. نحن نعلم أن أجهزة التحكُّم كلها داخل حزامك هذا .. لقد انتبهنا إلى كل تحركاتك ، منذ فعلت بنا ما فعلت .

لطمه (هولدشتاين) فى قوة ، هاتفًا :

ـ وهل تعتقد أن بإمكانك التصدِّى لى ؟!

كانت اللطمة من العنف ، حتى إنها دفعت (طارق) إلى الخلف فى قوة ، إلا أنها لم تنجح فى إبعاد أصابعه عن معصم (هولدشتاين) ، فجذبه معه فى قوة ، ثم انقضَّ عليه مرة أخرى ، وهو يهتف :

ـ ليس أمامى سوى هذا .

ولكمه فى معدته لكمة كالمطرقة ، مستطردًا :

ـ مهما كانت النتائج .

انثنى (هولدشتاين) مع عنف اللكمة ، إلا أنه عاد يعتدل فى سرعة خرافية ، تشفّ عن مدى قوته وفتوّته ، وانطلقت من حلقه صرخة غاضبة مخيفة ، وهو يجذب (طارق) من سترته ، قائلاً :

ـ فليكن يا فارس الزمن .. فلتتحمَّل النتائج إذن .

تحرَّكت يدا (طارق) فى سرعة مدهشة ، قبل أن يقول ساخرًا :

ـ ولتتحمَّلها أنت أيضًا أيها الوغد .

تفجَّرت شياطين الغضب فى أعماق (هولدشتاين) ، عندما رأى حزامه فى قبضة (طارق) ، وصاح :

ـ اللعنة !

أطلق صيحة ، ورفع (طارق) عن الأرض بقوة خرافية ، ثم ألقاه نحو الحائط ..

وصاح (أكرم) فى غضب ، عندما رأى (طارق) يرتطم بالجدار فى عنف ، ثم يسقط أرضًا :

ـ لا تستسلم يا (طارق) .. قاتل يا فتى .. قاتل بكل قوتك .

ثم استطرد فى حنق ساخط :

ـ أريد أن أخرج من هنا .. لا يمكننا أن نترك (طارق) وحده .

هتف (نور) فى حماس :

ـ سنخرج يا (أكرم) .. سنخرج بإذن اللّه (سبحانه وتعالى) .

انطلق هتافه ، و (طارق) ينهض من سقطته ، ويواجه (هولدشتاين) ، الذى انقضَّ عليه كالثور الهائج ، صارخًا :

ـ مت يا فارس المستقبل .. مت .

انحنى (طارق) فى خفة ، متفاديًا لكمة كالقنبلة ، وجَّهها إليه (هولدشتاين) ، ثم مال جانبًا ، للإفلات من ركلة قوية ، قبل أن يمسك حزام الجنرال بكفيه ، ويهوى به على وجهه بكل قوته ، هاتفًا :

ـ خذها أيها الوغد .

كانت الضربة من القوة ، حتى إن (هولدشتاين) أطلق شهقة عجيبة ، وهو يندفع إلى الخلف فى عنف ، ثم يهوى أرضًا بلا حراك .

وفى اللحظة نفسها ، تلاشى غلاف الطاقة ، المحيط بـ (نور) و (أكرم) ، فاندفعا معًا نحو (طارق) و (أكرم) يهتف :

ـ أخيرًا .

أما (نور) ، فقد انحنى يفحص (هولدشتاين) ، ثم نهض مغمغمًا فى توتر :

ـ لقد مات .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ مات ؟! عجبًا ! الضربة لم تكن أبدًا بالقوة الكافية ، لقتل ثور مثله !!

أما (طارق) ، فقد تجاهل كل هذا ، وهو يقول فى عصبية :

ـ مازال غلاف الطاقة يحيط بـ (برجيت) .

كانت (برجيت) قد تهالكت تمامًا ، عند قاع الأسطوانة ، وقد ازداد احتقان وجهها بشدة ، وسرت فيه زرقة مخيفة ، وصدرها يعلو ويهبط فى صعوبة ،

وقد انسدل جفناها ليخفيا نصف عينيها ، على نحو يوحى بأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

وفى توتر بالغ ، هتف (نور) :

ـ يا إلهى ! إنها تحتضر .

أمسك (طارق) حزام (هولدشتاين) يفحصه فى توتر ، وهو يقول :

ـ كل أجهزة التحكُّم هنا .. أنا واثق من هذا .. لقد راقبته وهو يفعل كل ما فعله بنا .. ولكن أين هو ؟! أين ؟!

تلفَّت (أكرم) حوله فى توتر ، بحثًا عن أى شىء ، يصلح لتحطيم جدار الطاقة ، فى حين قال (نور) ، وهو يفحص الجدار المتألِّق فى اهتمام :

ـ مهلاً .. هذه الأسطوانة تنبع من سقف الحجرة إلى أرضيتها ، وربما كانت إحدى النقطتين هى مصدر وجودها ، ولو أننا صنعنا حاجزًا بينها وبين السقف أو الأرضية ، فربما ...

قاطعه (طارق) فى توتر شديد :

ـ معذرة أيها القائد ، ولكن من الواضح أن هذا لن يصلح .. ليس لدينا الوقت الكافى للتجربة .

ثم عاد يفحص الحزام ، ويضغط كل نقطة منه فى توتر أكثر ، قائلاً :

ـ جهاز التحكُّم هنا .. مكان ما يمكننا أن نضغطه ، فتتلاشى أسطوانة الطاقة هذه .

هتف (أكرم) ، وهو يختطف مقعدًا ثقيلاً :

ـ لن يضيرنا أن نقوم بمحاولة ما .

قالها ، وهوى بالمقعد بكل قوته ، على أسطوانة الطاقة ..

ودوت فى المكان طرقعة قوية مخيفة ، وتألَّق كله بضوء أزرق مبهر ، فى حين شعر (أكرم) وكأنما أصابته صاعقة قوية ، سرت فى جسده ، ودفعته إلى الخلف فى عنف ، فطار فى الهواء عبر الحجرة ، وارتطم بجدارها كالقذيفة ، ثم سقط على وجهه أرضًا ، وهو يهتف :

ـ اللعنة ! هذا مؤلم للغاية .

حاول النهوض فى صعوبة ، إلا أن كل خلية فى جسده كانت تئن وتشكو ، وتعانى آلامًا رهيبة بلا حدود ، مما جعله يستلقى أرضًا ، ويغمغم :

ـ أى عبث شيطانى هذا ؟!

هتف (أكرم) ، وهو يختطف مقعدًا ثقيلاً :

ـ لن يضيرنا أن نقوم بمحاولة ما !

هتف به (نور) :

ـ لقد استخدمت مقعدًا معدنيًا ، لضرب جدار من الطاقة ، وهذا رد فعل طبيعى .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، دون أن يحاول النهوض ، فى حين هتف (طارق) :

ـ يا إلهى ! لا بد أن نجد وسيلة ما .. لا يمكننى أن أراها تحتضر أمامى على هذا النحو .

تمتم (أكرم) فى مرارة :

ـ اللعنة ! اللعنة ! إننى لم ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يحدِّق فى جسد (هولدشتاين) ، الملقى أرضًا ، فى دهشة بالغة ..

لقد رأى أصابع الجنرال الشيطانى تتحرَّك ..

ليس لديه أدنى شكّ فى هذا ..

لقد رأى الحركة بعينيه !!

ولكن مستحيل !

(هولدشتاين) لقى مصرعه ، كما قال (نور) ..

مات بضربة من حزامه ..

هذا ما رآه بنفسه ..

وانفرجت شفتاه ، ليهتف محذرًا (نور) و(طارق) ، لولا أن الأوَّل هتف فى حزم :

- انتظر يا (طارق) .. لقد تلاشت أسطوانة الطاقة المحيطة بنا ، عندما هويت بالحزام على وجه (هولدشتاين) .

اتسعت عينا (طارق) ، وهو يهتف :

- آه .. أنت على حق أيها القائد .

ثم رفع يده بالحزام ، صائحًا :

- ربما كان هذا هو الحل ..

رآه (أكرم) يهوى بالحزام ، على الجدار ، بكل ما يملك من قوة ، فهتف :

- لا .. ليس هكذا !

ومع آخر حروف كلماته ، ارتطم الحزام بالجدار ..

وكانت الفرقعة قوية عنيفة هذه المرة ..

كانت أشبه بانفجار ، دفع (طارق) و (نور) إلى الخلف فى قوة ، ليسقطا أرضًا فى عنف ، والمكان كله يتألق بضوء مبهر ..

مبهر للغاية ..

ثم ساد هدوء رهيب مباغت ..

واستقرَّت الأجساد كلها أرضًا ، فى صمت وسكون مخيفين ..

ولثوان ، لم تصدر عن أحد أدنى حركة ..

ثم تحرَّك أحد الأجساد حركة عنيفة ، قبل أن يرفع صاحبه رأسه ، وينهض فى بطء ، ويلقى نظرة مخيفة على الآخرين ، الذين بدوا أشبه بالجثث الهامدة ..

وكان صاحب ذلك الجسد ، هو آخر شخص ينبغى أن يستيقظ ، فى هذه اللحظة الحرجة ..

كان (هولدشتاين) ..

الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ..

الشيطان .

★ ★ ★

٦ـ نبض السكون ..

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، وهو يقرأ تقرير مقارنة البصمات الجينية للمرة الخامسة ، قبل أن يرفع عينيه إلى الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

ـ ولكن كيف حدث هذا ؟! الأمر عمليًا غير منطقى أبدًا .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه ، وهو يقول فى توتر :

ـ أنا أيضًا فى حيرة من أمرى أيها القائد ، ولكننى راجعت نتائج الكمبيوتر مرتين بنفسى ، ولم يكن هناك مجال لأدنى خطأ .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، مغمغمًا :

ـ عجبًا !!

وعاد يتطلَّع إلى التقرير مرة أخرى ، قبل أن يسأل :

ـ وكيف يمكن أن يحدث هذا فى رأيك ؟!

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، ثم أجاب :

ـ المفترض علميًا ، ألا تتشابه البصمات الجينية قط

إلا بالنسبة لأقارب الدرجة الأولى وحدهم ، أما التطابق ، فهو مستحيل تمامًا ، حتى بين التوائم المتشابهة ، إذ لا بد من وجود فارق ، ولو ضئيل للغاية(*) .. وفى حالتنا هذه ، نجد تشابهًا مدهشًا ، بين البصمة الجينية لفارس المستقبل (طارق) ، وبصمة رجلنا الجينية ، وهذا يمكن أن يشير إلى أنهما قريبين من الدرجة الأولى .. شقيق وشقيقه ، أو والد وابنه .. ولكن رجلنا شخص لا يمكن أن تتطرَّق إليه الشكوك قط ، ومن المستحيل أن يكون هو فارس الزمن الثانى ، مهما كانت الأسباب !

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ هذا صحيح .

أشار الدكتور (ناظم) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ فى هذه الحالة ، يكون أمامنا الاحتمال الثانى والأخير .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام ، وهو يشبك أصابعه أمام وجهه :

ـ وما هو ؟!

(*) حقيقة علمية .

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- الواحد فى كل سبعة ملايين .

أطلَّ التساؤل من عينى القائد الأعلى ، فتابع الدكتور (ناظم) ، فى اهتمام :

- من الناحية العلمية أيضًا ، يحتمل أن تتشابه البصمة الجينية لرجلين ، فى كل سبعة ملايين حالة ، ولكن هذا يحدث فى المجتمعات المغلقة وحدها ، التى لا يتزاوج أفرادها إلا من بعضهم .

سأله القائد الأعلى ، فى حذر متوتر :

- وما صلة هذا بما لدينا ؟!

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، قائلاً :

- نحن لا ندرى ماذا سيحدث فى المستقبل !

شاركه القائد الأعلى صمته هذه المرة ، ثم سأل فى صرامة عصبية :

- هذا لا يحل مشكلة فارس الزمن الثانى .

تنهَّد الدكتور (ناظم) ، مغمغمًا :

- بل أظنه أضاف إلينا المزيد من الغموض .

ولمرة أخرى ، ران عليهما صمت مهيب ..

صمت يحمل عشرات الأسئلة ..

بلا جواب ..

★ ★ ★

نهض (هولدشتاين) فى بطء ، وسط ذلك الصمت الرهيب ، داخل وكره السرى ، ووقف على قدميه ، يتطلَّع إلى (نور) و (أكرم) ، و (طارق) ، و (برجيت) ، الذين سقطوا فاقدى الوعى ، بعد أن تحرَّرت الأخيرة من أسطوانة الطاقة ، التى أحاطت بها ..

وفى غضب مكتوم ، أدار الجنرال عينيه فيما حوله ، قبل أن يهتف :

- اللعنة !

انطلق هتافه ، وهو يضغط زرًّا خاصًا فى سترته ، ليوقف عمل جهاز الأمن ، الذى خفَّض نبضات قلبه إلى أدنى حد ، عندما فقد الوعى ، ليوحى بموته ، ثم استدار يفحص أجهزته الخاصة ، مغمغمًا :

- كل شىء على ما يرام .

وعاد يتطلَّع إلى الأربعة الفاقدى الوعى ، قبل أن يخرج من جيبه جهاز اتصال صغيرًا ، ويقول عبره فى صرامة :

- هنا الجنرال (هولدشتاين) .. فليبدأ تنفيذ الخطة (ب) .

ألقى نظرة على الجميع مرة أخرى ، ثم التقط حزامه المحطَّم ، وأخذ يفحصه فى سرعة واهتمام ، ليهتف بمنتهى السخط :

- اللعنة ! لقد أتلف ذلك المجنون كل أجهزة التحكُّم عن بعد .. لا انتقال آنيًّا بعد الآن .

كان يشعر بحنق لا حدود له ، ولكنه تجاهل مشاعره كالمعتاد ، وانحنى يجذب (نور) الفاقد الوعى نحو مقعد خاص فى ركن الحجرة ، بدا بحجمه الضخم ، والأسلاك المتصلة به ، أشبه بالكرسى الكهربى(*) ، وراح يضعه عليه فى إحكام ، ثم يوصل جسده ببعض الأسلاك ، وهو يتمتم فى وحشية عجيبة :

- ما دمت لست الشخص ، الذى يحمل مفتاح مقاتلة الزمن ، فسيسعدنى للغاية أن أعدمك بنفسى

(*) الكرسى الكهربى : وسيلة أمريكية لإعدام المجرمين ، فى جرائم القتل العمد واختطاف الأطفال ، وهو عبارة عن مقعد تتصل به أسلاك كهربية سميكة ، يسرى فيها تيار قوى ، يزيد على ثلاثة آلاف فولت ، مع طاقية معدنية ، توضع على رأس المحكوم عليه ، بحيث يلقى مصرعه فى لحظات قصار .

أيها الرائد (نور) ، يا أعظم رجل أمن عرفه التاريخ ، كما تقول عنك المراجع المجسَّمة فى عصرى .

كان يحكم وضع (نور) على مقعد الإعدام ، وهو يواصل :

- لن يمكنك أن تتصوَّر كم سيبهجنى هذا .. إنه ليس كرسيًا كهربيًّا تقليديًّا قديمًا ، كما ستكتشف بنفسك ، عندما تسرى فى جسدك طاقة صافية ، لا يمكن لأى جسد بشرى احتمالها .

ثم قهقه على نحو عجيب ، متابعًا :

- سيتحوَّل جسدك ، فى لحظة واحدة إلى كومة من الرماد .. حفنة رمادية داكنة ، هل كل ما سيتبقَى من أعظم عقلية بوليسية عرفها العالم .. يا لها من سخرية !

وضحك مرة أخرى ، وهو يضع اللمسة الأخيرة ، ويتراجع مستطردًا :

- إنك لن تعرف حتى من هو (طارق) هذا ، الذى لم أنتبه إلى هويته ، إلا وهو يقف إلى جوارك ، داخل أسطوانة الطاقة .. لن تعرف قط .

أتاه صوت من خلفه ، يقول فى صرامة عصبية :

- أينطبق علىَّ هذا أيضًا ؟!

استدار (هولدشتاين) فى سرعة مدهشة ، نحو مصدر الصوت ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما وقع بصره على (أكرم) ، الذى نهض فى صعوبة ، وهو يصوِّب إليه مسدسه التقليدى ، مستطردًا فى صرامة :

- هيا .. كن لطيفًا يا جنرال الأوغاد ، وأخبرنى .. ما هوية (طارق) الحقيقية ؟!

تراجع (هولدشتاين) خطوة فى حذر ، وهو يقول فى عصبية :

- كيف استعدت وعيك بهذه السرعة ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يبذل جهدًا خرافيًا ، للوقوف على قدميه ، والسيطرة على اتزانه :

- ربما كان هذا لسوء حظك فحسب .

ثم هتف فى غضب ، والحجرة كلها تدور أمام عينيه :

- هيَا .. كف عن تراجعك يا رجل ، وإلا نسفت رأسك برصاصة من مسدسى هذا .

وثبت يد (هولدشتاين) فى سرعة ، لتقبض على ذراع معدنية صغيرة ، فى مسند المقعد ، الذى يجلس عليه (نور) ، وهو يهتف :

- إننى أتساءل : هل ستجرؤ حقًا على هذا ؟!

صاح به (أكرم) ، بكل ما تبقَى فى جسده من قوة :

- هل ترغب فى خوض التجربة ؟!

تشبَّثت أصابع (هولدشتاين) بتلك الذراع المعدنية أكثر ، وهو يجيب :

- ولِمَ لا ؟! ستكون تجربة رهيبة لكلينا بالتأكيد .. أنت تطلق النار علىَّ ، وأنا أسحق قائدك (نور) سحقًا .

بدا التوتر واضحًا ، فى ملامح (أكرم) وصوته ، وهو يقول :

- لن يمكنك أن تفعل .. سأقتلك قبل أن ...

قاطعه (هولدشتاين) فى سخرية :

- خطأ أيها الهمجى .. خطأ .. حتى لو أطلقت النار على رأسى مباشرة ، فستجذب يدى تلك الذراع الصغيرة عند سقوطى ، فتنطلق دفعة رهيبة من الطاقة ، عبر تلك الأسلاك ، وتسرى فى جسد قائدك ، فتحيله إلى أثر بعد عين .

تابعت عينا (أكرم) تلك الأسلاك ، التى أشار إليها (هولدشتاين) ، وهو يغمغم فى عصبية :

- إنك تحاول خداعى .

قهقه (هولدشتاين) ضاحكًا ، وهو يقول :

- خداعك ؟! ولماذا أحاول أيها الهمجى .. إنك أقلهم ذكاءً وبراعة .. كل مواهبك تقتصر على القفز والنشاط .. وإطلاق النار ، مثل أبطال العصور التقليدية .. لن يمكنك قط مواجهة عقليات علمية مثلنا .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يتابع الأسلاك بعينيه مرة أخرى ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه آهة صغيرة خافتة ، من بين شفتى (طارق) ، وهو يستعيد وعيه فى صعوبة ، فى حين هتف (هولدشتاين) فى صرامة شرسة :

- هيا .. اتخذ قرارك فى سرعة أيها الهمجى .. هل ستلقى مسدسك ، أم أجذب الذراع ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) ، وبدت عليه علامات التفكير العميق لبضع لحظات ، قبل أن يشدَّ قامته ، ويقول فى حزم وصرامة :

- إنك ستجذبها على أية حال ..

قال (هولدشتاين) فى حدة :

- ما الذى يعنيه هذا ؟

رفع (أكرم) مسدسه فى سرعة ، هاتفًا :

- يعنى أننى اتخذت قرارى أيها الوغد .

ومع آخر حروف عبارته ، وفى حركة واحدة تقريبًا ، أطلق (أكرم) النار ، وجذب (هولدشتاين) ذراع مقعد الموت فى اللحظة نفسها ..

وبكل قوته ..

★ ★ ★

انتفض جسد (نور) فى عنف ، مع دوى الرصاصة ، واعتدل رأسه بحركة حادة ، وهو يفتح عينيه ، محدقًا فيما أمامه ..

كان (أكرم) يقف على مسافة ثلاثة أمتار منه ، والدخان يتصاعد من فوهة مسدسه ، ومن خلفه ينهض (طارق) فى صعوبة ، ويحاول مساعدة (برجيت) ، التى تتأوَّه فى ضعف ، وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

وإلى جواره ، كان يقف (هولدشتاين) ، ممسكًا ذراعًا صغيرة ، متصلة بمسند ذلك المقعد الصغير ، الذى قُيِّدت إليه ذراعاه وساقاه ..

ولوهلة ، لم يفهم (نور) ما يحدث ..

كل ما لاحظه هو أن وجه (هولدشتاين) محتقن بشدة ، فى حين ترتسم ابتسامة ساخرة كبيرة ، على شفتى (أكرم) ، وهو يقول :

ـ معذرة أيها الوغد ، ولكن هل لك أن تكرِّر محاضرتك السخيفة حول همجيتى ، وضعف عقليتى العلمية أمام عقولكم .

تمتم (هولدشتاين) بصوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

ـ كيف .. كيف فعلتها ؟!

أجابه (أكرم) فى سخرية :

ـ لم يكن الأمر بحاجة إلى عبقرية فريدة ، لأفهم الموقف كله أيها الوغد .. لقد عدت من الموت بوسيلة ما ، وحاولت سحق (نور) ، على ذلك المقعد السخيف .. ثم أخبرتنى بنفسك أن الطاقة التى ستسحقه ، تسرى عبر تلك الأسلاك .

ولوَّح بسبَّابة يسراه ، مضيفًا :

ـ وكان هذا أكبر خطأ ارتكبته .

عضَّ (هولدشتاين) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد .

تضاعفت نبرة الشماتة والسخرية فى صوت (أكرم) ، وهو يجذب إبرة المسدس مرة أخرى ، مكملا :

ـ ولهذا لم يكن من المنطقى أن أطلق النار عليك يا جنرال الأوغاد ، وإنما على تلك الأسلاك ، التى تحمل فيض الطاقة .

وأطلق ضحكة ساخرة ، مستطردًا :

ـ وببساطة شديدة ، انتصرت عقليتى الهمجية البسيطة ، على عقليتك العلمية الفذَّة ، يا جنرال الأوغاد .

أدار (هولدشتاين) عينيه فى الجميع فى حذر ، وهو يقول :

ـ ربما فى هذه المرة فحسب .

صوَّب إليه (أكرم) مسدسه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ لن تكون هناك مرة قادمة .

ولكن (هولدشتاين) وثب إلى الخلف ، بحركة غاية فى الرشاقة ، ومال جانبًا بخفة مدهشة ، متفاديًا تلك الرصاصة ، التى أطلقها نحوه (أكرم) ، والتى دوت فى المكان كالقنبلة ، قبل أن يقفز متجاوزًا باب الحجرة ، ويضغط زرًّا خفيًّا فى إطاره ، وهو يطلق ضحكة شيطانية عالية ، ارتجَّ لها المكان كله ..

وعلى الرغم من ضعفه وتهالكه ، هتف (طارق) :

- لا .. لا تسمحوا له بالفرار .

وقاوم (نور) قيوده فى صعوبة ، فى حين وثب (أكرم) ، محاولا اللحاق بالجنرال الشيطانى ، و ...

ولكن حاجزًا شفافًا سميكًا هبط فجأة ، عند باب الحجرة ، فارتطم به (أكرم) فى قوة ، وارتدَّ فى عنف ، و(هولدشتاين) يطلق ضحكة ساخرة أخرى ، قائلاً :

- فات الأوان أيها الهمجى .. قلت لك : إنك لن تتفوَّق قط على عقلية علمية فذَّة مثلى .

وعاد يدير عينيه فى وجوههم ، وتوقَّف لحظة عند (طارق) ، الذى حلَّ قيود (نور) فى سرعة ، ثم تابع فى صرامة شرسة :

- لقد أصبحتم معزولين داخل هذه الحجرة ، واشتعل فى الوقت ذاته جهاز دفاعى آخر ، ولن تمضى دقيقة واحدة ، حتى تنطلق خيوط الليزر القاتلة ، من كل مكان بالسقف ، لتصنع شبكة محكمة ، تسحق كل كائن حى يعترضها .. وبلا رحمة .

ومال نحو الحاجز الشفاف السميك ، الذى يفصله عنهم ، مضيفًا فى شماتة ظافرة :

- دقيقة واحدة ، وينتهى أمركم تمامًا .

قال (طارق) فى حدة :

- وماذا عن المقاتلة الزمنية ؟! هل ستتنازل عن فكرة الحصول عليها ؟!

هزَّ (هولدشتاين) رأسه ، قائلاً بابتسامة ساخرة :

- مطلقًا .. إنك تحمل مفتاح التوصُّل إليها ، وسألتقط تلك الكرة الفضية من بين أشلائك ، عندما تنتهى خيوط الليزر من عملها .

أجابه (طارق) فى سرعة :

- تلك الكرة الفضية ؟! هل خدعك هذا يا رجل ؟! إنها ليست مفتاح الحصول على مقاتلة الزمن بالتأكيد .. بل هى آخر سلاح تبقَّى لى ، من أسلحتى المستقبلية .. إنك لن تحصل على شىء بعد موتى .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) لحظة ، ثم قال فى صرامة :

- سأجد وسيلة ما داخلك .. هذا ما كانوا يتبعونه فى زمنك .. شىء ما يتم زرعه داخلك ، ليربط بينك وبينها .. سأعثر عليه حتمًا .. صدقنى .

انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، على نحو يوحى

بأن (هولدشتاين) على حق ، فقهقه هذا الأخير ساخرًا ، وألقى نظرة على ساعته ، قائلاً :

- ست وأربعون ثانية فحسب .. الوداع يا مغامرى المستقبل .. ربما التقينا ثانية فى الجحيم .

قالها ، واستدار يغادر المكان كله ، فصاح (أكرم) فى غضب ، وهو يطلق النار على ذلك الجدار الشفاف :

- اذهب إلى الجحيم وحدك أيها الوغد .

ارتطمت رصاصاته بالحاجز المنيع ، وارتدَّت عنه فى عنف ، فهتفت (برجيت) مذعورة ، وهى تحمى رأسها بذراعها :

- احترس يا (أكرم) .. ستقتلنا يا رجل .

هتف بها فى مرارة :

- أنا ؟! وماذا عن خيوط الليزر ، التى تحدَّث عنها ذلك الوغد ؟! هل ستكتفى بدغدغتنا فحسب ؟!

كان (نور) يفحص أجهزة الوكر فى اهتمام ، وهو يقول :

- ربما أمكننا إيقاف عملها ، قبل أن تبدأ .

تنهَّد (طارق) ، قائلاً :

- لن يمكننا هذا .. كل أجهزة التحكُّم فيها خارج الحجرة .

ثم اتجه نحو (أكرم) ، قائلاً فى حزم :

- هل يمكنك أن تعيرنى هذا المسدس ؟!

ناوله (أكرم) المسدس ، وهو يسأله فى حيرة :

- ولماذا ؟!

أجابه (طارق) فى صرامة ، وهو يصوِّب المسدس نحو أحد الأجهزة ، التى يكتظ بها المكان :

- لو أنه لم تتبقَ فى حياتى سوى لحظة واحدة ، فسأنفقها فى محاولة تدمير جهاز البث الكونى هذا .. لا بد أن نمنع ذلك الوغد من إرسال تلك الرسالة ، التى ستنسف مجموعتنا الشمسية كلها .

قالها ، وأطلق رصاصات المسدس كلها نحو الجهاز ، الذى تحطَّمت شاشته وأزراره ، وتطايرت أجزاؤه على نحو عنيف ، و (نور) يتطلَّع إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى أنه لم يعد أمامهم سوى ست عشرة ثانية ؟!

خمس عشرة ..

أربع عشرة ..

ثلاث عشرة ..

وكان هذا يعنى أن الوقت يمضى بسرعة البرق ..

وأن المـوت سـيلتهمهم حتمًـا ، داخـل وكـر (هولدشتاين) ، كما قال ذلك الأخير تمامًا ..

بـلا رحمـة ..

★ ★ ★

« يبدو أنه لا فائدة يا (نور) .. »

نطق (أكرم) العبارة فى يأس ، وهو يتطلّع إلى الساعة القديمة التى يرتديها ، والتى أشارت عقاربها ، التى تعدو كخيل السباق ، إلى أنه لم يعد أمامهم سوى سبع ثوان فحسب ..

سبع ثوان ، وتنطلق خيوط الليزر من السقف .. وتسحقهم سحقًا ..

ست ثوان ..

خمس ..

ولكن (نور) لم يكن من ذلك الطراز ، الذى يمكن أن يستسلم ..

لم يكن من ذلك الطراز أبدًا ..

لقد انطلق عقله ، يبحث عن وسيلة للخروج من تلك الأزمة ..

أية وسيلة !!

وفجأة ، هتف برفاقه ، الذين بلغ بهم اليأس مبلغه :

- أسرعا .. دعونا ننتزع ذلك الجانب المصقول من المنضدة ..

اندفع (أكرم) و (طارق) نحـوه ، دون أن يلقى أحدهما سؤالاً واحدًا ، وتعاون الثلاثـة لجذب الجانب المصقول للمنضدة ، و (برجيت) ترتجف كعصفور مبتل ، وتتساءل : مـا الـذى يسعى إليـه (نـور) بالضبط ، والثوانى تمضى بهذه السرعة ..

أربع ثوان ..

ثلاث ..

اثنتان ..

وانـتزع الثلاثـة ذلـك اللـوح المصقـول ، وصـاح (نور) :

- (برجيت) .. أسرعى .. تحت اللوح .

قالها ، وهو يرفع اللـوح المصقـول فوق رءوسهم كالمظلة ، فوثبت (برجيت) تحتمى به بدورها ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها خيوط الليزر الرفيعة ، بصوت أشبه بفحيح ألف ألف أفعى ..

وارتطمت عشرات الخيوط القاتلة باللوح المصقول ..

وتعاون الثلاثة لجذب الجانب المصقول للمنضدة ، و (برجيت) ترتجف كعصفور مبتل !

ثم انعكست عنه ، كما يحدث لأى شعاع فى الضوء ..

وهتف (أكرم) مبهورًا :

ـ ربّاه ! إنها فكرة عبقريةً بحق يا (نور) .. ذلك الوغد صنع أدواته من مواد مصقولة ، بحيث لا تفسدها خيوط الليزر ، إذا ما اقتضى الأمر إطلاقها ، وأنت استخدمت ذلك اللوح المعدنى اللامع ، لتعكس عنا أشعة الليزر ، وتحمينا من تأثيرها .. يا لك من عبقرى ! لقد أنقذتنا تمامًا .

أجابته (برجيت) فى عصبية :

ـ ولكن إلى متى ؟!

التفت إليها فى قلق ، فتابعت فى حدة :

ـ صحيح أن ذلك اللوح المصقول يحمينا من خيوط الليزر المنهمرة ، ولكن إلى متى ؟! هل سنظلّ نحمله على رءوسنا إلى الأبد ؟!

غمغم (طارق) :

ـ لست أظن خيوط الليزر ستنطلق لفترة طويلة .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ومن يمكنه الجزم ؟!

سأله فى قلق :

- هل تعتقد أن (هولدشتاين) سيتركها تنطلق هكذا طويلاً ؟!

أجابه بسرعة :

- ربما لا يرغب فى ترك أى شىء للمصادفة .. إنها ستنطلق طويلاً ، ليضمن القضاء علينا تمامًا ، ثم إن حرارة الحجرة سترتفع إلى حد لا يطاق ، كما ولا بد أنكم قد لاحظتم .

سألته (برجيت) مذعورة :

- ماذا سنفعل إذن ؟!

أجابها فى حزم :

- لا نكتفى بالدفاع فحسب .

هتف (أكرم) فى حماس :

- بالضبط .. سنتبع نظرية (نابليون بونابرت) .

أكمل (طارق) مبتسمًا .

- بالتأكيد .. الهجوم خير وسيلة للدفاع .

ثم التفت إلى (نور) ، يسأله :

- ولكن ما الهدف ، الذى سيتجه إليه هجومنا أيها القائد ؟!

أشار (نور) إلى باب الحجرة ، الذى يغطيه الحاجز الشفاف المنيع ، مجيبًا فى حزم :

- إطار هذا الباب .

نطقها ، وهو يميل باللوح المصقول قليلاً ، فانحرفت خيوط الليزر ، بعد ارتطامها ، وانطلقت كلها نحو إطار الباب .

ومرة أخرى ، انطلق فى المكان صوت أشبه بفحيح تنين عملاق ، وغمغمت (برجيت) :

- تلك الأشياء المستقبلية مخيفة ، ولكن هل ..

لم تتم سؤالها ، مع تلك النيران ، التى انبعثت من إطار الباب ، قبل أن تنطلق فرقعة قوية عنيفة ، ويهوى الباب كله كتلة واحدة ، مرتطمًا بالأرض ..

وشهقت (برجيت) غير مصدِّقة ، فى حين قال (نور) بلهجة آمرة :

- لا تندفعوا .. تحرَّكوا جميعًا بخطوة رجل واحد ، حتى نبلغ الباب .. هيَّا .

ظلَّوا يحملون اللوح المصقول فوق رءوسهم ، حتى بلغوا الباب ، فهتف (نور) :

- الآن .

وثب أربعتهم دفعة واحدة عبر الباب ، تاركين اللوح المصقول يهوى خلفهم ، ويرتطم بالأرض فى عنف ،

وخيوط الليزر تنعكس فوقه ، لترتطم بأجهزة (هولدشتاين) العديدة ، فى كل الاتجاهات ..

وفى حماس ، هتف (أكرم) :

- ربّاه ! لقد نجونا !

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وتنهّد فى عمق ، متمتمًا :

- المهم أننى أنهيت مهمتى .

تطلّع إليه (نور) فى صمت ، فى حين هتف (أكرم) :

- حقًا ؟! أتعنى أن الأرض لن تواجه تلك القنبلة الرهيبة ، التى تهدّد المجموعة الشمسية كلها بالفناء ، أو تلك التى صنعت الدوّامة ، التى كادت تهلكنا على كوكب الطغاة(*) ؟!

هزّ (طارق) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- كلا .. الرسالة الأولى تم إرسالها بالفعل ، وهذا يعنى أن القنبلة الأولى ستنطلق ، وسيحدث منها كل ما مررتما به ، أما القنبلة الثانية ، فقد منعنا إطلاقها ،

(*) راجع قصة (الدوّامة) .. المغامرة رقم (١٠٩) .

عندما نسفنا جهاز البث الكونى ، قبل أن يرسل (هولدشتاين) رسالته الثانية !

بدت الحيرة على وجه (أكرم) ، وهو يسأله :

- ولكن لو أن القنبلة الثانية لم تنطلق ، فما الذى سيبرّر رحلتك عبر الزمن ؟!

هزّ (طارق) رأسه نفيًا ، وقال :

- ربما ستكون عندئذ ، مجرّد رحلة استكشافية .

سأله فى إصرار :

- وكيف سيعلمون إذن أنك قد نجحت فى مهمتك ، ما دامت لا توجد أية مهمة على الإطلاق ؟!

ارتسمت ابتسامة باهتة ، على شفتى (طارق) ، وهو يتطلّع إلى (نور) بضع لحظات ، ثم يقول فى حزم واثق :

- اطمئن .. سيعلمون .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين غمغم (أكرم) :

- كيف ؟!

أجابته (برجيت) فى سرعة :

- أنتم ستخبرونهم .

التفتت إليها العيون ، فتابعت :

ـ أعنى أنكم تعلمون ما حدث ، وعندما تعودون إلى عصركم ، ستدونون كل هذا ، وسيقرؤه المستقبل كله .

قال (نور) فى خفوت :

ـ هذا لو عدنا إلى عصرنا .

أصابتهم عبارته هذه فى الصميم ، فلاذوا بالصمت بضع لحظات ، ثم قال (أكرم) فى حزم مباغت :

ـ دعونا نبذل قصارى جهدنا فحسب .

ثم أطلّت نظرة خبيثة من عينيه ، وهو يخرج جسمًا بيضاويًّا من جيبه ، مستطردًا :

ـ وبالمناسبة .. لقد أحضرت هدية لصديقنا (هولدشتاين) .

وانتزع زناد القنبلة اليدوية العتيقة ، التى يحملها فى راحته ، ثم ألقى بها داخل حجرة الأجهزة ، هاتفًا :

ـ اخرجوا بأقصى سرعة .

انطلقوا جميعًا يعدون خارج المنزل ..

ومن خلفهم ، دوىّ الانفجار ..

ومع الدوىّ والموجة التضاغطية ، اندفعت أجسادهم

إلى الأمام فى عنف ، وطارت فى الهواء لمتر أو يزيد ، قبل أن تسقط أرضًا وتتطاير الشظايا الرفيعة من حولها ..

ولقد استغرق هذا ثوانى قليلة ، قبل أن تهدأ الأمور ، ويهتف (أكرم) ، وهو يرفع عينيه إلى ما أمامه :

ـ كم حلمت بهذه اللحظة ، منذ أن ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وشاركه الجميع انفعاله ودهشته ، عندما انبعث من على بعد أمتار قليلة منهم ، صوت صارم ساخر ، يسأل :

ـ منذ ماذا يا هر (أكرم) ؟!

وانتفضت أجسادهم كلها ، وهم يحدقون فى الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، وتلك الفرقة من جنود النازية ، الذين أحاطوا بهم ، وأفواه مدافعهم الآلية مصوبة فى تحفز ، نحو رءوسهم .. مباشرة .

★ ★ ★

٧ ـ وجهًا لوجه ..

تطلّعت (نشوى) فى إشفاق ، إلى أمها ، التى انهمكت فى تركيب أجهزة البث الخاصة ، فى المحطة الأرضية الرئيسية ، على مشارف (القاهرة الجديدة) ، ثم اقتربت منها ، وربّتت على كتفها فى حنان ، قائلة :

ـ أمى .. إنك تحتاجين إلى قليل من الراحة ، فلم يغمض لك جفن ، منذ مساء الأمس .

تنهّدت (سلوى) قائلة فى توتر :

ـ لا بد من إتمام هذا العمل ، بأسرع وقت ممكن .

قالت (نشوى) فى إشفاق :

ـ هذا صحيح ، وهناك فريق كامل من العلماء والفنيين ، يشرف على هذا ، فلا داعى لإجهاد نفسك أكثر مما ينبغى ، وخاصة مع الأشهر الأولى للحمل .

لم تجب (سلوى) بحرف واحد ، وإنما بدت شديدة العصبية ، وهى توصل أحد الأسلاك ، فهمست (نشوى) :

ـ أماه !

لم تكد الكلمة تتجاوز شفتيها ، حتى انفجرت (سلوى) باكية ، وانهمرت الدموع من عينيها كالمطر ، فأحاطت (نشوى) كتفيها بذراعها ، وقالت متعاطفة :

ـ إنه ليس الحمل أو التعب .. أليس كذلك ؟!

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، وهى تحاول تجفيف دموعها ، قائلة :

ـ بلى .. إننى لا أستطيع منع نفسى من التفكير فيما فعله الدكتور (ناظم) .

ثم التفت إليها ، مستطردة فى حدة :

ـ لماذا أخفى عنا ما توصّل إليه العلماء ، بشأن الفحص الجينى ؟! ولماذا بدا شديد الاضطراب ، وهو يحاول عبثًا إقناعنا بضرورة عودته إلى مكتبه لسبب عاجل آخر ؟! ما الذى دعاه إلى كل هذا ؟! ما الذى يحاول إخفاءه عنا ؟!

أصابت كلماتها وترًا حساسًا فى أعماق ابنتها ، التى تشاركها نفس المخاوف والأحاسيس ، فغمغمت فى خفوت شديد ، وكأنها تخشى أن يفصح صوتها عن مكنون نفسها :

ـ كلنا نعمل لهدف واحد يا أماه ، ولو أن الدكتور (ناظم) يخفى عنا شيئًا ، فهو لصالح المهمة بالتأكيد .

أدارت (سلوى) عينيها إليها ، قائلة :

ـ المفترض أننا القائمون بالمهمة ، وعلينا أن نعلم كل ما يحيط بها ، مهما بلغت درجة سريته .

ولم تجد (نشوى) قط ما تقوله ..

إنها تتفق تمامًا مع رأى أمها ..

إنهم المسئولون عن هذه المهمة ، من الألف إلى الياء ..

فلماذا يخفى الدكتور (ناظم) عنهم أمرًا ما ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

قطع أفكارها صوت زوجها (رمزى) ، وهو يسأل :

ـ كيف يسير العمل ؟!

أجابته (نشوى) فى سرعة ، وكأنها تنتزع نفسها من توترها :

ـ على خير ما يرام .

وقالت (سلوى) فى عصبية :

ـ كلا .. ينبغى أن يسير بسرعة أكبر .

التفت إليها (رمزى) ، قائلاً فى إشفاق :

ـ ما الذى يقلقك إلى هذا الحد يا (سلوى) ؟! كل شىء يسير على ما يرام والحمد لله (العلى القدير) !

هتفت فى حدة :

ـ وماذا لو لم ننته من العمل ، ونبدأ البث فى الوقت المطلوب ؟!

سألها فى تعاطف :

ـ أى وقت يا (سلوى) ؟! إننا نتحدث عن رحلة فى نهر الزمن ، حيث يتوقف كل شىء ، ولا تعود هناك قيمة للزمن .

هتفت :

ـ خطأ يا (رمزى) .. خطأ .. الزمن هو دائمًا سيد الموقف ، حتى عندما يتعلق الأمر بموقف كهذا .. بل وربما يتسيد موقفنا هذا ، فى هذه الظروف بالتحديد .

غمغم :

ـ أعلم هذا ، ولكن ..

قاطعته مكملة فى عصبية :

ـ وطبقًا لسجلات المقاتلة ، فالزمن يتوازى بين الثقوب ، بعضها وبعض ، خلال فترات الانتقال ،

بمعنى أن كل يوم يمضى هنا ، سيساوى فترة زمنية مقاربة ، عبر أى ثقب آخر ، ولو صحَّت هذه النظرية ، فسيعنى هذا أن (نور) ورفيقيه أمامهم ست ساعات فحسب ، قبل أن تصبح مقاتلتهم قادرة على القيام برحلة زمنية جديدة ، ولو افترضنا أنهم سينطلقون بها فور استعدادها لذلك فسيعنى هذا حتمية أن ننتهى من إعداد كل شىء ، وإطلاق الذبذبة المنشودة ، خلال هذه الساعات الست فحسب ، وإلاَّ ...

ارتجف صوتها ، وهى تنطق الكلمة الأخيرة ، فتطلَّع إليها (رمزى) لحظة فى صمت ، قبل أن يقول :

- هذه النظرية تخالف كل ما أعرفه عن السفر عبر الزمن يا (سلوى) ، فمعلوماتى تقول :

- إن المسافر عبر الزمن ، يمكنه أن ينتقل من أية نقطة ، إلى أية نقطة زمنية أخرى ، دون أى اعتبار للتوافق الزمنى بينهما .

هزَّت رأسها فى عنف ، قائلة :

- هذا صحيح ، بالنسبة للسفر عبر نهر الزمن الممتد ، كما فعلنا من قبل ، عندما ...

بترت عبارتها لحظة ، قبل أن تضيف فى مرارة :

- عندما فقدنا (محمود)(*) .

انتقلت تلك الغصة فى حلقها إلى (رمزى) و(نشوى) ، وشعرا بمرارتها فى كيانهما كله ، قبل أن تنتزع هى نفسها من ذلك الشعور العارم بالأسى ، متابعة :

- أمَّا فى حالتنا هذه ، فالأمر يختلف تمامًا ، إذ إن المقاتلة تقود إلى منطقة تعادل مدهشة ، فى مجرى الزمن ، حيث تثبت كل العوامل ، وتتحوَّل مداخل الحقب الزمنية إلى ثقوب .. مجرَّد ثقوب سوداء ، يقود كل منها إلى بقعة بذاتها ، من زمن ما ، وهذا يختلف تمامًا ، إذ إنك ، والحال هكذا ، لا تستطيع ولوج أىّ عصر ، إلاَّ من نقطة الدخول وحدها ، وليس من أية نقطة تشاء ، كما يحدث فى نهر الزمن الممتد ..

حدَّق (رمزى) فيها لحظة ، قبل أن يطلق ضحكة محدودة ، قائلاً :

- يا إلهى ! ماذا أصابك يا (سلوى) ؟! لقد تألَّق عقلك على نحو مدهش ، حتى صرت أكثر عبقرية من كل العلماء ، الذين عرفهم التاريخ .

(*) راجع قصة (الزمن يساوى صفرًا) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

تنهدت متمتمة فى أسى :

ـ الحاجة أم الاختراع يا (رمزى) .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت فى خفوت حزين :

ـ لقد فعلت كل هذا من أجل (نور) .

ثم رفعت عينيها إليه ، مستطردة :

ـ من أجله وحده .

ونطقت عبارتها الأخيرة بصوت يقطر دمعًا .. بل يقطر دمًا ..

★ ★ ★

قبضت أصابع (هولدشتاين) على شعر (طارق) ، ليجذبه فى قسوة ، وهو يقول فى شراسة عنيفة :

ـ اسمع يا فارس الزمن .. مقاومتك هذه لن تُجدى قط .. أخبرنى أين أخفيت تلك الكرة الفضية ، وإلاَّ مزَّقتك إربًا ، وانتزعت كل عظمة من عظامك .

كان (طارق) متهالكًا للغاية ، بعد ليلة كاملة من التعذيب والإيلام ، وعلى الرغم من هذا ، فقد رسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول فى ضعف :

ـ ماذا دهاك أيها الوغد ؟! ألم تقتنع بعد بأنه لا شأن لتلك الكرة الفضية بمقاتلة الزمن ؟! عجبًا !

المفترض أنك من عصر يعقب عصرى بكثير ، وينبغى أن تعلم كل شىء عن وسائلنا .

صاح به (هولدشتاين) فى غضب :

ـ لا تحاول خداعى يا هذا .. أنت وأنا نعلم جيدًا أن وسائل الاستدعاء تتخذ عشرات الأشكال ، منذ تم اختراعها ، ولا يوجد ما يمنع كون تلك الكرة الفضية وسيلة استدعاء خفية .

ثم عاد يجذب شعره فى قسوة ، مستطردًا :

ـ ولو لم تكن كذلك ، فسأضطر لتشريح جسدك كله ، للعثور على وسيلة الاستدعاء المختفية فيه ، على الرغم من افتقارى للوسائل الحديثة ، القادرة على كشف وجودها .

ومال نحوه ، مضيفًا فى وحشية :

ـ ومن المؤسف أننا لا نمتلك عقاقير تخدير كافية ، مما سيضطرنا للقيام بعملية التشريح كلها دون مخدِّر .

انهمرت دموع المرارة والارتياع من عينى (برجيت) ، وهى تهتف :

ـ أخبره يا (طارق) .. أرجوك .

كانت مقيَّدة ، مع (نور) و(أكرم) ، إلى جدار تلك

الزنزانة الرطبة الصغيرة ، فى حين تم تقييد (طارق) ، بأغلال معدنية إلى مقعد كبير ، على بعد متر واحد منهم ، ليشاهدوا بأعينهم كل ما تعرّض له ، طوال أكثر من أربع ساعات كاملة ، دون أن يفصح عما يبحث عنه (هولدشتاين) ، الذى التفت إلى (برجيت) ، قائلاً فى حدة :

- نعم يا جميلتى .. اقنعيه بالبوح بما لديه ، وإلا فسيحين دورك بعد قليل .

وعاد يستدير إلى (طارق) ، قائلاً :

- من المؤكد أنه سيؤلمك كثيرًا رؤية ما سنفعله بها ، لو لم تفصح عن موقع تلك الكرة الفضية .

لهث (طارق) فى تهالك ، وهو يغمغم :

- حاول أن تصدّق يا رجل .. تلك الكرة الفضية ليست سوى سلاح سرى خاص ، من أسلحة المخابرات العلمية فى زمنى .

سأله فى حدة :

- ما الذى سيفعله ذلك السلاح إذن ؟!

لاذ (طارق) بالصمت ، ولم ينبث ببنت شفة ، فأكمل (هولدشتاين) فى صرامة :

- أنا أعرف كل الأسلحة ، التى تم ابتكارها فى العصور الحديثة ، التى تسبق زمنى ، ولو أنك أخبرتنى طبيعة ذلك السلاح ، فسأتعرّفه على الفور .

ومال نحوه أكثر وأكثر ، مضيفًا بلهجة مخيفة :

- ما طبيعته .. أخبرنى .

صمت (طارق) بضع لحظات أخرى ، ثم قال فى حزم :

- إنه مجرّد سلاح .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وتراجع معتدلاً فى بطء ، دون أن يرفع عينيه عن (طارق) ، واحتقن وجهه تدريجيًا ، ليشفّ عن تلك الثورة ، التى تعتمل فى أعماقه ، قبل أن يهوى على وجه (طارق) فجأة ، بصفعة قوية ، صارخًا :

- كاذب .

صرخت (برجيت) مذعورة مع الصفعة ، وصاح (نور) فى غضب :

- أيها الحقير .

أما (أكرم) ، فصاح ساخطًا :

- أيها الوغد .. أية شجاعة تلك فى أن تصفع رجلاً مقيّدًا .

ولكن (هولدشتاين) لم يبال بكل هذا ، وهو يصرخ فى وجه (طارق) :

ـ هل تتصورَّ أنك قادر على خداعى ؟! هل تعتقد أنك يمكن أن تهزمنى ، أو تعترض خطتى للسيطرة على العالم ؟!

غمغم (طارق) :

ـ المهم أننى أفسدت حماقتك ، التى ستؤدى إلى تدمير الأرض كلها فى المستقبل .

لوَّح (هولدشتاين) بذراعه كلها ، هاتفًا :

ـ هراء .. هراء .. إنك لم تحقق انتصارًا ساحقًا كما تتصورَّ يا فارس المستقبل .. صحيح أنك نسفت كل أجهزة وكرى هنا ، ولكن هذا لا يعنى أننى قد فقدت كل شىء .

ثم مال نحوه مرة أخرى ، وهو يشير بيده بعيدًا ، مستطردًا فى حدة :

ـ مازال لدى وكر مماثل فى (برلين) .

احتقن وجه (طارق) فى شدة ، وانعقد حاجباه على نحو يشف عن مدى توتره ، وهو يقول :

ـ وكر آخر !

تراجع (هولدشتاين) ، مطلقًا ضحكة عالية مجلجلة ، وهو يقول :

ـ هل أدهشك هذا ؟!

ثم لوَّح بذراعه ، مستطردًا فى صرامة شامتة :

ـ هذا يعنى أن مهمتك قد فشلت أيها الفارس .. أليس كذلك ؟! إنك لم تنجح فى منع تقدمى ، ولا فى منعى من إرسال تلك الرسالة الثانية .

قال (نور) فى توتر :

ـ وما مصلحتك فى إرسال تلك الرسالة الكونية الثانية يا رجل ؟! إنك ستجلب الوبال على الأرض ، التى تسعى للسيطرة عليها .

هتف (هولدشتاين) :

ـ خطأ يا (نور) .. خطأ يا عبقرى عباقرة كل الزمان .. تلك القنبلة ستجلب الوبال للمجموعة الشمسية كلها ، لأن الأرض لم تكن مستعدة لمواجهتها .. أما الآن ، فلدى كل المعلومات الخاصة بها .. إننى أعلم أين ومتى ستبلغ المجموعة الشمسية ، وما مدى قوتها ، وعندما تحين لحظة وصولها ، سأكون مستعدًا لمواجهتها ، وسأثبت للكون كله أننى إمبراطوره بلا منازع .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة مخيفة ، وعيناه تتألقان بشدة ، مستطردًا :

- سأعيدها إلى مرسلها ، مع خالص تحياتى ..

قال (أكرم) فى دهشة مستنكرة :

- هل ستنسف مجموعة شمسية أخرى كاملة ، لمجرد إثبات أنك الأكثر قوة وبراعة ؟!

التفت إليه الجنرال ، قائلاً فى سخرية :

- ألديك وسيلة أخرى ؟!

هتف (أكرم) :

- أيها الـ ...

صاح (هولدشتاين) يقاطعه فى غضب :

- إياك أن تنطقها ، وإلا قطعت لسانك .

احتقن وجه (أكرم) ، واحتبست الكلمات فى حلقه لحظة ، قبل أن يهتف بغتة :

- أيها الوغد .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وأطلّ الغضب من كل خلية من خلاياه ، قبل أن يصرخ فجأة فى ثورة :

- أيها الحرّاس .

لم يكن هتافه قد اكتمل بعد ، عندما اندفع اثنان من الحرّاس إلى الزنزانة ، ومدفعاهما متحفزان للانطلاق ، عند أوّل إشارة ، وهتفا معًا ، وهما يرفعان ذراعيهما بالتحية النازية :

- هايل (هتلر) .

تراجع (هولدشتاين) ، وجلس على ذلك المقعد الوثير الخاص به ، وهو يشير إلى (أكرم) ، قائلاً بلهجة صارمة آمرة :

- اقطعا لسانه .

شهقت (برجيت) فى ارتياع ، وعقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وهتف (طارق) :

- لا .. لا تفعل هذا يا (هولدشتاين) .

أما (أكرم) فقد راح يضرب بيديه وقدميه ، محاولاً عبثًا التخلص من قيوده المعدنية ، فى حين اندفع الحارسان نحوه ، ولكمه أحدهما فى فكه بقوة ، فى حين استلّ الثانى من حزامه خنجرًا ماضيًا ، فهتف (أكرم) فى غضب :

- أيها الأوغاد الـ ...

قبل أن يتمّ هتافه ، دفع أحدهما قطعة معدنية بين

أسنانه ، بحيث لم يستطع إغلاق فمه ثانية ، فى حين مد الثانى يده ليمسك لسانه ، وكأنها ليست المرة الأولى ، التى ينفذان فيها أمرًا وحشيًا كهذا ..

وفى سخرية وحشية شامتة ، قال (هولدشتاين) ، وهو يضع إحدى ساقيه فوق الأخرى :

ـ من المؤكد أن قطع لسانه سيعفينا من سماع عشرات الكلمات البذيئة .

صاح به (نور) :

ـ دكتور (خالد) .. لو أنك مسست شعرة واحدة من (أكرم) ، فسوف تندم ما تبقى من .....

قاطعه (هولدشتاين) بسرعة فى سخرية :

ـ من ماذا يا (نور) ؟! حياتى أم حياتك ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ بل من الزمان كله .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) ، مع صرامة العبارة ، وتطلّع إلى (نور) فى مقت وغضب ، و ...

« لقد أمسكنا لسانه يا جنرال .. »

نطق أحد الجنديين بالعبارة ، فانتزع (هولدشتاين) من أفكار سوداء ، عربدت بعقله ، وجعله يلتفت إليه بحركة حادة ، فتابع الجندى :

ـ هل نقطعه يا جنرال ؟!

انفرجت شفتا (هولدشتاين) ، وارتفعت سبَّابته ، على نحو يوحى بأنه سيلقى أوامره ، فهتفت (برجيت) :

ـ لا .. لا تفعلها باللّه عليك .

ولكن (هولدشتاين) ابتسم فى سخرية ، وخفض سبابته ، و ...

« لا .. »

صرخ بها (طارق) ، فى ارتياع شديد ، فالتفت إليه (هولدشتاين) ، مكررًا فى سخرية :

ـ لا ؟! هل تعنى ألا أقطع لسانه ؟!

غمغم (طارق) فى مرارة :

ـ لا تفعل .

مال (هولدشتاين) إلى الأمام ، وهو يسأل بلهجة ملؤها الخبث والسخرية :

ـ مقابل ماذا ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وحبست (برجيت) أنفاسها ، واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، والجندى يجذب لسانه فى قسوة ، فى حين خفض (طارق) عينيه ، وتمتم فى مرارة شديدة ، خفقت لها قلوبهم جميعًا :

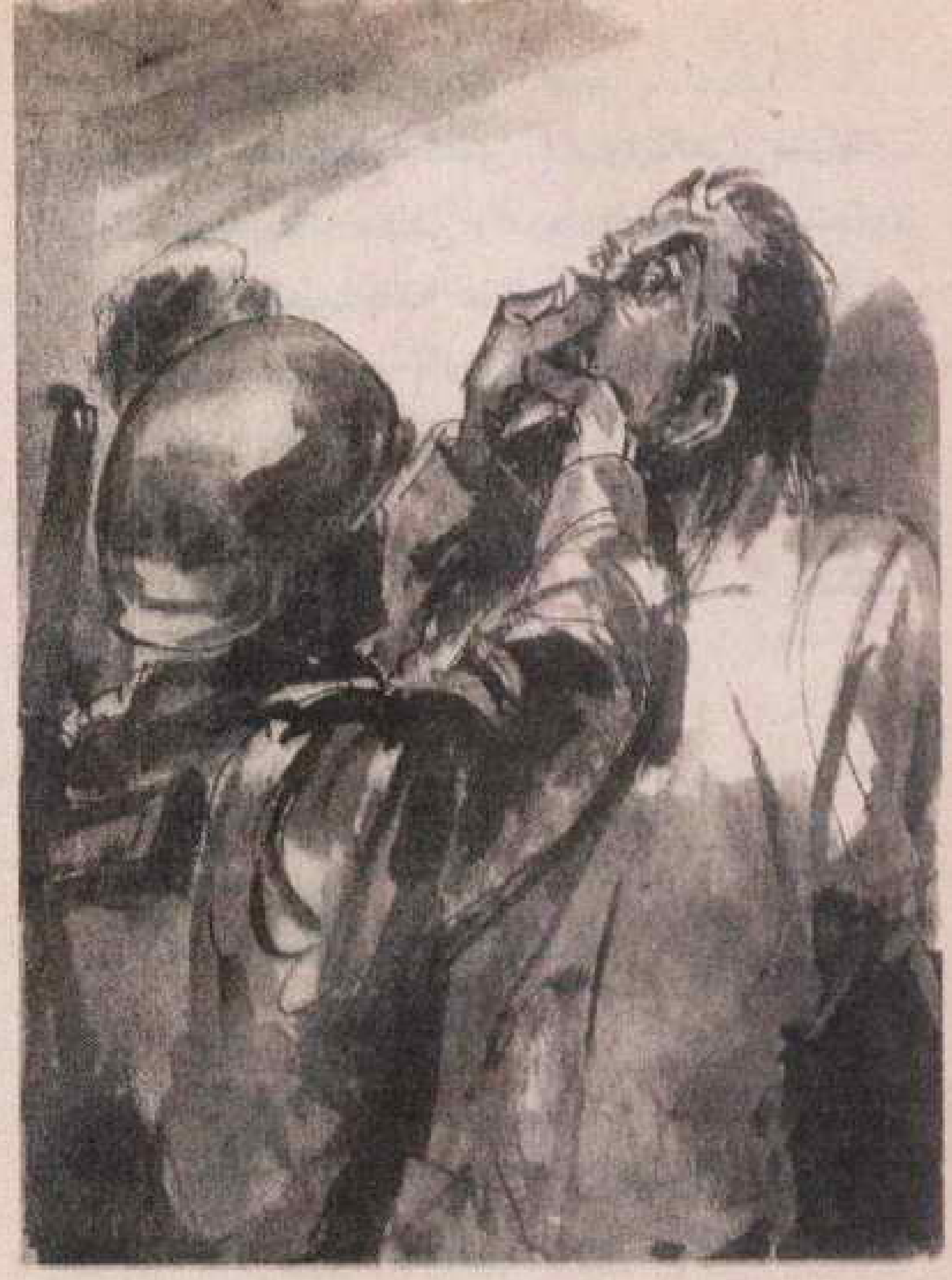

واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، والجندى يجذب لسانه فى قسوة ، فى حين خفض (طارق) عينيه ..

ـ سأرشدك إلى مقاتلة الزمن .

تألَّقت عينا (هولدشتاين) ، وهو يقول :

ـ أهى خدعة أخرى ؟!

هزَّ (طارق) رأسه فى حزم ، قائلاً :

ـ مطلقًا .

سأله (هولدشتاين) ، وهو ينهض من مقعده ، ويقترب منه أكثر :

ـ ومن يضمن هذا ؟!

تنهَّد (طارق) ، قائلاً :

ـ اقتلنا ، لو أنها كذلك .

صمت (هولدشتاين) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إليه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، مفكِّرًا فى عمق ، ولما طال صمته ، تمتم أحد الجنديين :

ـ هل نقطع لسانه يا جنرال ؟!

بقى (هولدشتاين) صامتًا ، بضع لحظات أخرى ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ ليس الآن .

تراجع الجنديان ، واتخذا وقفة عسكرية صارمة ، دون أن يتخلَّى أحدهما عن خنجره ، أو يعيده إلى

حزامه ، ودون أن ينتزعا تلك القطعة المعدنية ، التى تبقى فم (أكرم) مفتوحًا ، فهتف هذا الأخير محتجًا ، بصوت أشبه بالهمهمة ، فى حين قال (هولدشتاين) فى صرامة :

- إنها تلك الكرة الفضية .. أليس كذلك ؟!

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا فى استسلام ، وهو يقول :

- نعم .. إنها هى .

تألَّقت عينا الجنرال فى ظفر ، وهو يهتف :

- كنت واثقًا من هذا .

ثم مال يسأله فى لهفة :

- أين هى ؟!

ازدرد (طارق) لعابه فى صعوبة ، وقال :

- معى .

سأله (هولدشتاين) فى عصبية :

- أين ؟! لقد فتشناك أكثر من مرة .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستدرك فى توتر :

- هل تستخدم وسيلة ما لإخفائها ؟!

هزَّ (طارق) رأسه نفيًا ، وأجاب فى ضيق :

- كلاَّ .. إنها مزوَّدة بنظام أمن خاص ، بحيث تتخذ صورة أخرى من صور المادة ، حتى تلمسها أصابعى .

تألَّقت عينا (هولدشتاين) ، هاتفًا :

- آه .. كيف لم يخطر هذا ببالى ؟! إنها تلتصق بقميصك ، أو جيب سروالك ، أو ياقتك .. إنه نظام أمنى قديم ، حتى إننى لم أذكره .. النظام المعروف باسم (الحرباء) .

أومأ (طارق) برأسه موافقًا ، وهو يقول :

- بالضبط .. ستتخذ شكلاً يجعل من المستحيل تمييزها ، مع الوسط المحيط بها ، ولن تستعيد شكلها الأصلى ، أو قدراتها العادية ، إلا عندما تلمسها أصابعى .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- أصابعى وحدها .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يقول :

- آه .. هذا يعنى ضرورة أن نحل وثاقك .

اعتدل رأس (طارق) ، وهو يقول فى هدوء :

- بالضبط .

صمت (نور) تمامًا ، وهو يتساءل عما يرمى

إليه (طارق) بالضبط ، وتطلّع إليه (برجيت) فى توتر ، فى حين عقد (أكرم) حاجبيه ، وصدرت عن فمه المفتوح قسرًا همهمة غاضبة ..

أما (هولدشتاين) ، فقد صمت بدوره ، وهو يتطلّع إلى (طارق) فى شك ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وتجمّد تمامًا ، حتى بدا أشبه بتمثال من الحجر ، ثم لم يلبث أن قال فى صرامة :

- فليكن .

والتفت إلى أحد حارسيه ، مستطردًا بلهجة آمرة :

- حل وثاق يده اليمنى وحدها .

ثم أشار إلى الحارس الآخر ، مضيفًا فى صرامة :

- وأنت .. صوّب إليه مدفعك الآلى ، من مسافة مترين ، ولو ندّت منه أية حركة ، تدعو إلى أدنى شك ، أطلق النار عليه مباشرة .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

- وعليهم جميعًا .

ثم ابتسم فى سخرية ، قائلاً لـ (طارق) :

- هل يناسبك هذا ؟!

أجابه (طارق) فى هدوء :

- لا بأس ..

أشار (هولدشتاين) بيده ، فأسرع الحارس الأوّل يحل وثاق يد (طارق) اليمنى ، فى حين تراجع الثانى ليصوّب مدفعه إليه فى تحفز ، وسرعان ما انضم إليه زميله ، و(هولدشتاين) يقول فى صرامة :

- هيّا .. أعطنى تلك الكرة الفضية .

تجمّد الموقف كله لحظة ، والعيون كلها تحدّق فى (طارق) ، الذى بدا ساكنًا تمامًا ، ثم لم يلبث أن كسر ذلك الجمود ، وهو يمدّ يده ، ويتحسّس عنقه بأصابعه فى رفق ..

واتسعت عيون الجنديين ، وتراجعا فى ذهول مذعور ، عندما بدا لهما أن حنجرته تمتدّ إلى الأمام ، ثم تتكوّر على نحو عجيب ، قبل أن تسقط بين أصابعه ، ويتغيّر لونها إلى الفضى اللامع ، فهتف أحدهما :

- أى سحر هذا ؟!

صاح بهما (هولدشتاين) فى صرامة :

- اصمتا ، وصوّبا سلاحيكما جيدًا .

بذل الرجلان جهدًا مستحيلاً ؛ ليتماسكا أمام هذا الأمر الرهيب ، فى حين تعلقت عيون الآخرين بتلك الكرة الفضية ، بين أصابع (طارق) ، والتى تطلَّع إليها (هولدشتاين) فى لهفة ، قائلاً :

- أعطنى إياها .

دارت عشرات الأسئلة والتساؤلات ، فى رءوس (نور) و(أكرم) و(برجيت) ، عندما تطلَّع (طارق) إلى الكرة الفضية ، وضغطها بأصابعه ، وتصوَّر ثلاثتهم أنه يعدّ خدعة جديدة ، ليواجه بها (هولدشتاين) ، إلا أنه لم يلبث أن مد يده بها للجنرال الشيطانى ، والمرارة ، كل المرارة ، ترتسم على وجهه ..

وبكل لهفة الدنيا ، اختطف (هولدشتاين) الكرة الفضية ، وتألَّقت عيناه فى ظفر مخيف ، وهو يقلِّبها بين أصابعه ، مغمغمًا :

- أخيرًا .

قال (طارق) فى توتر :

- والآن أطلق سراحنا يا رجل .. لقد حصلت على ما تبتغى ، ولم تعد هناك فائدة من الاحتفاظ بنا .

تألَّقت عينا (هولدشتاين) مرة أخرى ، وهو يقول :

- أنت على حق .. لم تعد هناك فائدة من الاحتفاظ بكم .

ثم أطلق ضحكة شيطانية ، مستطردًا :

- لم تعد هناك أية فائدة .

واستدار إلى الحارسين المتحفزين ، قائلاً بلهجة آمرة ، صارمة ، لا تحتمل النقاش :

- أطلقوا النار عليهم ..

وصرخت (برجيت) فى رعب ..

فلم يعد هناك مفرّ من الموت ..

أى مفر ..

★ ★ ★

٨ـ الضربة ..

ألقى الدكتور (ناظم) نظرة سريعة على ساعته ، قبل أن يقول للقائد الأعلى ، فى انفعال ملحوظ :

ـ سبع عشرة دقيقة ، ويبدأ البث .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، وهو يراجع تقرير مقارنة البصمات الجينية للمرة الثلاثين ، مغمغمًا :

ـ أتعشَّم أن يفلح هذا .

هزَّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، قائلاً :

ـ هذا يتوقَّف على عوامل عديدة .. أن تنجح الفكرة ، ويتغيَّر لون الثقب الخاص بنا بالفعل ، وأن يدرك (نور) ما يعنيه هذا ، والنقطة الأخيرة تتطلَّب عاملين رئيسيين ، أولهما أن يكون (نور) ورفيقاه فى مجرى الزمن بالفعل ، وقت إطلاق البث ، و ....

بتر حديثه بغتة ، فرفع القائد الأعلى عينيه إليه ، مكملاً :

ـ وأن يكونوا على قيد الحياة .

ثم تنهَّد ، متمتمًا :

ـ نعم .. أنت على حق .

قالها ، وعاد يلقى نظرة على التقرير ، فقال الدكتور (ناظم) :

ـ الأمر عجيب للغاية بالفعل ، ولكن الخبراء حسموه ، على نحو لا يقبل الشك .

مرة أخرى ، وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ أعلم هذا يا دكتور (ناظم) .. أعلم جيِّدًا ، ولكن من العسير علىَّ تقبّله .

وتنهَّد ، ثانية ، ليضيف :

ـ فما زالت تصاريف القدر تدهشنى !

جلس الدكتور (ناظم) على مقعد قريب ، وهو يسأل :

ـ هل تعتقد أنه من الحكمة أن نعلن هذا ؟!

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، وهو يفكِّر فى عمق ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه فى حزم ، قائلاً :

ـ كلاَّ .

ثم اعتدل مستطردًا فى صرامة :

- إعلان حقيقة كهذه ، من الممكن أن يزيد الأمور تعقيدًا ألف مرة ، كما أنه لن يفيد أحدًا .. كل ما فى الأمر أنه قلب الأمور رأسًا على عقب ؛ إذ لا يمكننى الآن أن أتصوَّر أن (طارق) هذا يمكن أن يسعى لإيذاء عصرنا ، بأية صورة كانت .

قال الدكتور (ناظم) فى حماس :

- بالتأكيد .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

- ولكن ماذا عن فارس الزمن الثانى ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

- ما دامت مهمتهما مشتركة ، فكلاهما لايقصد شرًا بالتأكيد .

قلب الدكتور (ناظم) كفيه فى حيرة ، قائلاً :

- لماذا إذن جمع المعلومات الفلكية ، واختراق شبكات الأمن بالغة السرية ؟!

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، وتحرَّك داخل الحجرة فى صمت ، حتى توقَّف أمام الخريطة الكبيرة لـ (مصر) ، وقال :

- هذان الفارسان أتيا إلى عصرنا لهدف ما .. واليوم ، وبعد كل ما تكشَّف من حقائق ، أكاد أن أجزم بأن هذا الهدف لصالحنا ، ومن أجل حماية مستقبلنا .

سأله الدكتور (ناظم) فى حذر :

- إذن ؟!

التفت إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى حزم صارم حاسم :

- إذن فمن الطبيعى أن نبذل قصارى جهدنا ، لإنجاح مهمتهما ، بدلاً من أن نقاتلهما على هذا النحو .... أعنى لو عاد (طارق) إلينا .

سأله الدكتور (ناظم) :

- وماذا عن تقرير مقارنة البصمات الجينية ؟!

صمت القائد الأعلى لحظة ، قبل أن يجيب :

- سيبقى ذلك سرًا ، يندرج تحت بند السرية المطلقة يا دكتور (ناظم) .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف :

- وإلى الأبد .

* * *

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما فى ذهول ، وهو يفرك معصميه ، ويحدق فى ذلك المشـهد العجيب أمامه ...

لقد كان مطلق السراح ، هو و(نور) و(طـارق) ، و(برجيت) ، داخل تلك الزنزانـة الصغيرة الرطبـة ، و(طارق) منهمك فى تهدئة (برجيت) ، فى حين راح (نـور) يتطلّـع فـى اهتمـام إلـى (هولدشـتاين) وحارسيه ، الذين وقفوا جامدين فى أمـاكنهم ، بـآخر انفعـال يذكره لهم ، حتـى إن عينـا الجنرال لـم تفقـدا بريقهما ، مـع تلك الابتسـامة السـاخرة الظـافرة علـى شفتيه ، ويده لا تزال ممسكة بالكرة الفضية ..

وبانتفاضة عنيفة ، هتف (أكرم) :

ـ ما هذا بالله عليكم ؟!

التفت إليه (طارق) فى سرعة ، هاتفًا فى صوت خافت :

ـ رويدك يا رجل .. اخفض صوتك ، وإلا أفسدت كل شىء ..

أدار (أكرم) عينيه مرة أخرى فى المكان ، ثم قال فى توتر :

ـ مـا الـذى أصابهـم ؟! وكيـف أصبحنـا مطلقى السراح ؟!

أجابه (نور) هذه المرة :

ـ تلك الكـرة الفضيـة ، كانت بالفعل أحد أسلحة (طارق) ، بل يمكنك أن تقول :

ـ إنها أقوى أسلحته على الإطلاق .

عاد (أكرم) يدير عينيه فى الوجوه الجامدة ، قبـل أن يسأل فى عصبية :

ـ أى سلاح هذا ؟!

أجابه (طارق) :

ـ شىء يمكن أن تطلق عليه اسم (قنبلـة الزمـن) يـا (أكرم) .. ولقـد أشـعلت تلـك القنبلـة ، عندمـا ضغطتها بأصابعى ، قبل أن أعطيها لـ (هولدشتاين) ، الذى لم يكد يمسك بها ، ويأمر رجالـه بقتلنـا ، حتـى انطلقت بكل تأثيرها .

ردّد (أكرم) مبهورًا :

ـ تأثيرها ؟!

أجابه (طارق) فى سرعة :

ـ نعم .. لقد أوقفت الزمـن بالنسبة للجميـع ، فى دائرة قطرها عشرون مترًا ..

الجميع فيما عداى بالطبع ؛ لأننى محصَّن ضدَّها ..

قال (أكرم) فى عصبية :

- هذا يشملنا إذن .

أجابه (نور) :

- بالتأكيد يا (أكرم) ، ولكن (طارق) حلَّ وثاقنا ، بعد أن تخلص من قيوده ، بوساطة يده الحرَة .

سأله متوترًا :

- كيف استعدنا إحساسنا بالزمن إذن ؟!

أجابه (طارق) هذه المرة :

- أى مؤثِّر خارجى يمكن أن يؤدِّى إلى هذا .. صوت مرتفع .. ضوء مبهر .. أو حتى وخزة دبوس صغيرة ، كما حدث معكم .

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وكأنما يعجز عقله عن استيعاب كل هذا ، فى حين قال (طارق) ، وهو يتطلَّع إلى ساعته :

- المقاتلة ستصبح جاهزة للإقلاع ، خلال اثنتين وعشرين دقيقة بالضبط ، وينبغى أن نتجه إليها بأقصى سرعة ، قبل أن تتعقَّد الأمور أكثر .

سأله (نور) فى توتر :

- وماذا عن (هولدشتاين) ، ووكره فى (برلين) ؟!

مال (أكرم) يلتقط مسدسًا ، من جراب أحد الحارسين ، ثم أدار فوهته نحو (هولدشتاين) ، مجيبًا فى صرامة :

- عندى حل بسيط لهذا .

هتف به (طارق) :

- لا .. لا تفعلها .

ولكن (أكرم) كان قد ضغط الزناد بالفعل .. وانطلقت الرصاصة ..

ومع دويها ، انتفض الحارسان فى عنف ، وحدَّقا أمامهما فى ذهول ، فى حين اتسعت عينا (هولدشتاين) عن آخرهما ، وتراجع خطوة إلى الخلف ، هاتفًا :

- اللعنة ! إنها قنبلة زمنية .

ثم دار على عقبيه ، وانطلق يعدو بأقصى قوته هاربًا ، فى نفس اللحظة التى رفع فيها الحارسان مدفعيهما ، على الرغم مما يعتريهما من دهشة وارتباك ، فوثب (نور) نحو أحدهما ، وكال له لكمة كالقنبلة ، فى أنفه مباشرة ، أعقبها بأخرى ساحقة فى أسنانه ، ليسقط فاقد الوعى ، فى نفس الوقت

الذى ركل فيه (طارق) الحارس الثانى فى معدتـه ، ثم وثب يركله فى فكه ، ليلحق بزميلـه على أرضيـة الزنزانة ..

وفى ذهول ، هتف (أكرم) :

ـ ولكننى أطلقت النار على رأسه مباشـرة .. أقسم إننى لم أخطئ الهدف .

صاح به (طارق) فى حنق :

ـ بل كل ما فعلته هو أن أعطيته المؤثر المثالى ، لانتزاعه من حالة الجمود ، قبل أن نصل إلى ما نبتغى .

هتف (أكرم) :

ـ وماذا عن الرصاصة ؟!

أجابه (طارق) ، وهو ينتزع أحد المدفعين الآليين ، ويلقى الآخر لـ (نور) :

ـ النظام الأمنى الذى يستخدمه ، يحيط جسده بغلاف واق ، عندما ينام ، أو يفقد الوعى ، أو يتعرَّض لأى شىء ، يمكن أن يفقده إدراكه ، بأية صورة من الصور .

قال (نور) فى حزم :

ـ أعتقد أن أفضل مـا نفعلـه الآن ، هـو أن نسارع بالفرار من هنا .

قرن أربعتهم القول بالفعل ، فالتقطت (برجيت) مسـدس الرجـل الآخـر ، وانطلقـوا جميعًا يشـقون طريقهم إلى خارج ذلك المبنى الصغير المنعزل ، الذى نقلهم إليه (هولدشتاين) ..

لم يكن مكانًا حصينًا ، مثل (بيت الثعالب) ، إلا أن الجنود العشرة ، الذين يقومون على حراسته ، كانوا يقاتلون فى شراسة مدهشة ، بناء على أوامر (هولدشتاين) ، الذى راح يصرخ فيهم ، بكل ما يعتمل فى نفسه من غضب :

ـ اقتلوهم .. لا تسمحوا لهم بالفرار ، مهما كان الثمن .

كان الفريقان يتخذان موقعين حصينيـن ، بحيث يمكن أن يتبادلا إطلاق النار إلى الأبد ، دون أن يربح أحدهما القتال ، لذا فقد هتفت (برجيت) :

ـ لا بد أن نجد وسيلة للخروج من هنا .

سألها (نور) ، وهو يطلق النار :

ـ وماذا تقترحين ؟!

أشارت بسبَّابتها ، قائلة :

ـ لقد لمحت سيارتى (جيب) ، فى الساحة الخلفية ، يمكننا استخدام إحداهما للفرار .

أجابها (طارق) :

ـ الأمر ليس بهذه البساطة ، فمع كل ما لديهم من أسلحة ، يمكنهم سحقنا سحقًا ، قبل أن تقطع السيارة عشرة أمتار فحسب .

ولوَّح (نور) بيده ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .. سيطلقون النار على السيارة فور رؤيتها .

هتف (أكرم) :

ـ بالضبط .

التفت إليه (نور) بنظرة متسائلة ، فتابع فى حماس :

ـ وفى هذه الحالة لدى خطة بسيطة .

نطقها ، وعيناه تحملان ابتسامة عابثة .. وغامضة ..

★ ★ ★

« سيِّدى الجنرال ... لقد توقَّف إطلاق النار .. »

هتف أحد الجنود العشرة بالعبارة ، فانعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وقال فى عصبية :

ـ ما الذى يعنيه هذا .. هؤلاء الرجال لا يمكن أن يتوقَّفوا عن إطلاق النار ، إلا إذا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، اخترقت سيارة (جيب) فجأة مدخل المبنى ، وانطلقت بأقصى قوتها مبتعدة ، فصرخ الجنرال :

ـ أطلقوا النار .

وقبل حتى أن تكتمل صرخته ، كانت رصاصات الجنود العشرة تنهال على (الجيب) كالمطر ...

وتحقَّق ما تنبأ به (طارق) تمامًا ..

فقبل حتى أن تقطع السيارة عشرة أمتار ، كانت رصاصات النازيين قد نسفت إطاراتها الأربعة ، واخترقت جدرانها ، وأشعلت النيران فى مؤخرتها ، و ....

وبينما يحدث كل هذا ، وثبت السيارة (الجيب) الثانية ، عبر المدخل المحطم وانحرف بها (أكرم) فى مهارة مدهشة ، جعلت إطاراتها تطلق صريرًا عنيفًا ، قبل أن تنطلق بسرعتها القصوى ، فى الاتجاه المضاد للسيارة الأولى ، و(طارق) و(نور) يلقيان منها قنبلتين نحو مدخل المبنى ، والأخير يهتف :

ـ يبدو أن أساليبك تفلح أحيانًا يا (طارق) ..

وتفجَّر غضب (هولدشتاين) إلى الذروة ، مع انفجار القنبلتين ، وصاح برجاله ، وهو يثب فى أقرب سيارة إليه :

وبينما يحدث كل هذا ، وثبت السيارة (الجيب) الثانية ، عبر المدخل المحطَّم وانحرف بها (أكرم) فى مهارة مدهشة ..

ـ الحقوا بهم .. اللعنة ! لا تسمحوا لهم بالفرار ..

وانطلقت ثلاث سيارات عسكرية ، خلف (الجيب) ، التى يقودها (أكرم) بأقصى سرعة ومهارة ، و(طارق) يهتف به :

ـ أمامنا سبع عشرة دقيقة فحسب ، وبعدها سينطلق الحارس الآلى للذود عنا ، بعد أن تبدأ المقاتلة عملها .

هتف (أكرم) فى سخرية عصبية ، وهو ينحرف بالسيارة فى عنف :

ـ سبع عشرة دقيقة فحسب ؟! العالم كله يمكن أن ينقلب رأسًا على عقب ، فى ربع هذه المدة يا صديقى .

ربَّت (نور) على كتفه ، قائلاً :

ـ انطلق نحو الهدف فحسب يا (أكرم) .

كان (أكرم) يبذل قصارى جهده بالفعل ، وينطلق بالسيارة فى مهارة مدهشة ، جعلت (هولدشتاين) يهتف فى سخط :

ـ اللعنة ! إنهم يتجهون إلى خارج العاصمة .. نحو نفس البقعة ، التى شوهدت فيها مقاتلتهم من قبل .. من الواضح أنهم يسعون للفرار .. لابد من منعهم بأية وسيلة ممكنة ، من مغادرة هذا الزمن ..

لا بد أن تبقى المقاتلة الزمنية هنا ، مهما كان الثمن .

ثم اختطف بوق اللاسلكى ، هاتفًا عبره :

ـ الجواسيس الثلاثة يحاولون الفرار .. أريد محاصرة وإغلاق كل مداخل ومخارج (باريس) ، وخاصة عند الناحية الشرقية .. هنا الجنرال (فريدريش هولدشتاين) هذا أمر للجميع .

استقبل جهاز اللاسلكى ، فى السيارة (الجيب) هذه الرسالة ، فهتف (نور) :

ـ إنه يحاول إغلاق الطريق أمامنا .

أجابه (أكرم) فى حزم ، وهو يواصل الانطلاق بأقصى سرعة :

ـ دعه يحاول .. لن يمكننا التراجع عن الهدف الآن .

تضاعف عنف المطاردة ، عبر الشوارع الباريسية ، على نحو لم تعهده العاصمة الفرنسية قط ، حتى فى أشد لحظات صراعها ، حتى إن الباريسيين اختبئوا فى منازلهم ، واكتفوا بالمراقبة الحذرة ، من خلف نوافذهم ..

وراح الوقت يمضى فى بطء مخيف ، حتى لقد خُيِّل للجميع أن دهرًا قد مضى ، قبل أن يهتف (أكرم) فى توتر :

ـ رباه ! كم تبقَّى لنا !!

أجابه (طارق) :

ـ ثلاث عشرة دقيقة أخرى .

صاح (أكرم) فى حنق :

ـ ألم أقل لك ؟!

كانوا يتجهون نحو المخرج الشرقى للمدينة مباشرة ، و ....

وفجأة ، اعترضتهم عربة مصفحة ، تحمل شعار النازية ، فهتف (نور) :

ـ احترس .

انحرف (أكرم) بالسيارة فى عنف ، حتى إن إطاريها الأيسرين ارتفعا عن الأرض عدة سنتيمترات ، وهمَّ بالانطلاق مرة أخرى ، ولكن سيارتين أخريين اعترضتا طريقه ، وبرز منهما أكثر من عشرة جنود مدججين بالسلاح ، فى نفس الوقت الذى اندفعت فيه دبَّابة (شيرمان) نحوهم ، فهتف (أكرم) ، وهو يستلّ مسدسه :

ـ اللعنة ! سوف أنسف ..

أمسك (نور) معصمه فى سرعة ، قائلاً :

- رويدك يا رجل .. لو انطلقت من مسدسك رصاصة واحدة ، فسيسحقنا هؤلاء الأوغاد سحقًا .

مع آخر حروف كلماته ، برزت دبابة أخرى ، من خلفهم مباشرة ، وارتفع صوت صارم ، يقول :

- لا سبيل للفرار .. استسلموا أو نطلق النار بلا رحمة .

ارتبكت (برجيت) بشدة ، وانكمشت بجسدها بين ذراعى (طارق) ، الذى غمغم :

- يبدو أنه ليس أمامنا سوى هذا .

هتف (أكرم) محنقًا :

- هل نستسلم بهذه البساطة ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- تذكَّر أن الحارس الآلى سيسعى إلينا بعد إحدى عشرة دقيقة فحسب ، وهذا يعنى أن الاستسلام هو أملنا الوحيد فى النجاة .

انعقد حاجباه لحظة ، قبل أن يغمغم :

- فهمت .

فى نفس اللحظة التى سلَّموا فيها أسلحتهم ، واستسلموا للنازيين ، توقَّفت سيارة الجنرال

(هولدشتاين) إلى جوارهم ، ووثب منها هذا الأخير ، هاتفًا :

- آه .. وقعتم فى قبضتى مرة أخرى .

أجابه (طارق) فى هدوء :

- ربما ليس لفترة طويلة كالمعتاد .

أطلق (هولدشتاين) ضحكة ساخرة ، وقال فى صرامة :

- هل تنتظر نجدة من نوع ما هذه المرة ؟!

أجابه (نور) :

- من يدرى ؟!

التفت إليه (هولدشتاين) ، قائلاً فى سخرية :

- أنا أدرى يا (نور) .. أنا أتيت من زمن متقدِّم للغاية ، حتى إننى أعرف كل الخدع ، التى يتوقَّعها فارسك الزمنى .

ثم أدار عينيه إلى (طارق) ، متابعًا :

- إنك تتوقَّع وصول حارسك الإليكترونى ، فور تشغيل المقاتلة .. أليس كذلك ؟!

شعر (أكرم) بتوتر عنيف يسرى فى جسده ، فى حين عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وقال (طارق) فى عصبية :

ـ آه .. نسيت أنك تعلم حتمًا بأمره ، فهو مجردَ تاريخ بالنسبة لك .

لوَّح (هولدشتاين) بذراعه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .. ذلك الطراز القديم من المقاتلات الزمنية ، الذى يحتاج إلى ثلاثة أيام كاملة ، حتى يشحن بطارياته بالطاقة الكافية ، للقيام برحلة زمنية أخرى ، والذى يشعل الحارس الآلى ، فور استعداد المقاتلة ، للبحث عن قائدها ، وتأمين وصوله إليها .. كل هذا أعرفه بالطبع .

وتألقت عيناه ، وهو يضيف :

ـ وأستعدَ لمواجهته منذ البداية .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، مستطردًا :

ـ الآن ، وبعد أن استقرَّت كل الأمور ، تكفى ضغطة بسيطة على هذا الزر ، فى طرف ساعتى ، لتنطلق موجة كهرومغنطيسية ، من قمة برج (إيفل) ، لتغمر المدينة كلها ، وتخفى كل أثر لكم عن ذلك الحارس الذهبى .

قالها ، وهو يقرن القول بالفعل ، ويضغط ذلك الزر الصغير ، فى طرف الساعة ، فغمغم (أكرم) فى إحباط :

ـ أعتقد أن كل شىء قد انتهى الآن .

أجابه (هولدشتاين) بلهجة ظافرة :

ـ هذا صحيح تمامًا ؛ فالمقاتلة ستظهر للأعين ، بعد سبع دقائق على الأكثر ، ولدى وسيلة مأمونة ومضمونة ، لإيقاف عمل كل وسائلها الدفاعية ، وإخضاعها لسطوتى وسيطرتى ، بحيث تصبح خادمًا مطيعًا لى ، عندما تحين اللحظة المناسبة ، وأستعد للعودة إلى زمنى ، بعد أن أنجح فى السيطرة على المنعطف التاريخى هنا .

وانطلقت من حلقه ضحكة مجلجلة ، قبل أن يلوِّح بقبضته ، هاتفًا :

ـ ستكون لى السيطرة الكاملة على العالم أجمع .

انبعث من خلفه صوت صارم ، حازم ، يقول :

ـ هذا بالضبط ما أردت التحدُّث معك بشأنه يا جنرال (هولدشتاين) .

غمغم (نور) مبهورًا :

ـ رباه ! إنه (هملر) شخصيًا .

أما (هولدشتاين) ، فقد استدار فى سرعة ، ليواجه (هملر) ، وهو يهتف فى دهشة بالغة :

- سيِّدى الجنرال ؟! ما الذى .. أعنى أية رياح طيبة ألقت بك ...

قاطعه (هملر) فى صرامة ، وهو يتجه نحوه ، عاقدًا كفيه خلف ظهره :

- لدى أمور كثيرة بشأنك يا (هولدشتاين) .. أمور بالغة الخطورة ، وخاصة لو اضفناها إلى ما سمعتك تنطق به الآن .

لوَّح (هولدشتاين) بكفه ، قائلاً :

- لا تسئ الفهم يا سيِّدى الجنرال .. إننى أدين بكل الولاء لك ، وللفوهلر ، و(ألمانيا) ، و ....

أشار (هملر) بيده ، قبل أن يكمل (هولدشتاين) عبارته ، فاندفع ستة من الجنود يصوبون مدافعهم الآلية إلى الجنرال الشيطانى ، فى حين انقضَّ عليه جنديان من الخلف ، وكبَّلا معصميه خلف ظهره ، بأغلال فولاذية ، فصرخ :

- لا .. لا تفعل بى هذا يا جنرال .. إننى أعرف الكثير .. الكثير مما يمكن أن يقود (ألمانيا) إلى النصر .. سأخبركم سر القنبلة الذرية ، وسأتصدَّى للحلفاء ، عندما يحاولون الهبوط فى (نورماندى) .. وسأضمن لكم النصر فى الجبهة الروسية .

برز (كارل ماتهايم) فجأة ، وهو يهتف :

- لا تصدَّقه يا جنرال .. لقد سمعت بنفسك ما قاله .. إنه خائن .. خائن .. انظر إلى ساعته العجيبة ، وأوراقه .. إنها أشياء لم نرها من قبل قط .

صرخ فيه (هولدشتاين) :

- أيها الوغد الحقير .. إنك تحاول النيل منى فحسب .. أيها الـ ..

أشار (هملر) بيده مرة أخرى ، فهوى اثنان من الرجال بكعبى مدفعيهما ، على مؤخرة عنق (هولدشتاين) ، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهوى عند قدمى (هملر) فاقد الوعى ، فغمغم (أكرم) فى سخرية :

- يبدو أن دور (هولدشتاين) قد انتهى هنا .

تمتم (نور) :

- بل قل حياته نفسها .

وأضاف (طارق) فى ارتياح :

- وخطره على مستقبل الأرض .

كان الجنود يحملون (هولدشتاين) الفاقد الوعى ، ويلقونه داخل سيارة مصفحة ، عندما سأل (كارل) الجنرال (هملر) ، وهو يشير إلى (نور) ورفاقه :

ـ وماذا عنهم ؟! ماذا نفعل بهم ؟!

أدار (هملر) عينيه إليهم فى برود ، ثم أشار بيده ، قائلاً فى اقتضاب صارم :

ـ اقتلوهم .

ومع آخر حروف كلمته ، ارتفعت فوهات المدافع الآلية ، نحو (نور) ورفاقه ، و ...

ودوت الرصاصات على مشارف (باريس) .. بلا رحمة .

★ ★ ★

٩ ـ فرسان الزمن ..

انتفض جسد (برجيت) فى عنف ، وأغلقت عينيها فى قوة ، مع دوى الرصاصات ، وخيل إليها أنها قد اخترقت جسدها فى كل موضع ، دون رحمة أو هوادة ..

ولكنها سمعت فجأة صوتًا يهتف بالفرنسية :

ـ أنا هنا يا (برجيت) .

فتحت عينيها فى لهفة ، ورأت أمامها أحد رجال المقاومة الفرنسية ، يثب فوق أقرب دبَّابة إليها ، ويلقى عبوة ناسفة داخلها ، عَبْر فتحة إطلاق النار ، ثم يقفز مبتعدًا ، فى نفس الوقت الذى اندفع فيه رفاقه من كل صوب ، وهم يطلقون مدافعهم الآلية نحو النازيين ، الذين تراجعوا فى سرعة ، متبادلين إطلاق النار معهم ، فى حين أسرع (هملر) يحتمى بالسيَّارة المصفحة ، هاتفًا ، مع دوى الانفجار :

ـ قاتلوا يا رجال .. قاتلوا بكل قوتكم .

وثب (طارق) يلكم أقرب الجنود إليه ، وينتزع مدفعه الآلى ، صائحًا :

- يبدو أن القدر لم يحسم أمرنا بعد يا رفاق .

ركل (أكرم) جنديًا آخر ، وهو يهتف :

- لأوّل مرة أتفق معك فى الرأى .

أما (نور) ، فقد جذب (برجيت) جانبًا ، ليبعدها من مرمى النيران ، وهو يلكم جنديًا ثالثًا فى معدته ، ثم يرتفع بقبضته ، ليحطِّم أنفه ، صائحًا :

- احتموا بأقرب مكان إليكم .

برز (آلان) فى هذه اللحظة ، وهو يطلق نيران مدفعه الآلى ، هاتفًا :

- إننا هنا يا (برجيت) .

صاح به (أكرم) ، وهو يشاركه إطلاق النار :

- أؤكد لك أنكم قد وصلتم فى الوقت المناسب تمامًا يا صديقى .

كانت الدبَّابة الثانية تدور حول نفسها ، لتشارك فى القتال ، ولكن (جولفيه) وثب فوقها ، وهو يهتف :

- فلتحيا (فرنسا) .

ومع هتافه ، انتزع قنبلة يدوية من حزامه ، ومال ليلقى بها عبر فتحة الهواء للدبَّابة ، ثم قفز مبتعدًا عنها ، و (هملر) يصرخ :

- أطلقوا النار عليه .. لا تسمحوا له بالفرار .

ولكن انفجار القنبلة داخل الدبَّابة أصدر دويًّا رهيبًا ، مع دخان كثيف ، اختفى داخله (جولفيه) ، الذى انطلقت نحوه مئات الرصاصات ..

وفى حزم صارم ، جذب (آلان) (أكرم) ، خلف واحدة من السيارات ، حيث يقف (نور) و(طارق) و(برجيت) ، وصاح فى الأوَّل :

- ارحلوا .

سأله (نور) فى دهشة !

- ماذا ؟!

صاح به فى حدة :

- أقول : ارحلوا .. ابتعدوا عن هنا .. عودوا إلى زمنكم .. لقد هرعنا إليكم ، لنساعدكم على هذا .

هتف به (أكرم) فى دهشة :

- وكيف عرفتم أننا هنا ؟!

لوَّح (آلان) بمدفعه ، مجيبًا :

ـ لدينا جهاز لا سلكى يتلقَى موجاتهم .
ثم استطرد فى حدة :
ـ هيا .. ارحلوا .. لا تفسدوا ما فعلناه .
سأله (نور) :
ـ وماذا عنكم ؟!
أجابه فى سرعة :
ـ لا تقلقوا بشأننا .. سنقاتل لبعض الوقت ، حتى نؤمِّن فراركم ، ثم ننسحب ، دون أن ينال منا هؤلاء الأوغاد ... إنها ليست أوَّل مرة نفعل فيها هذا .. على الأقل سنفعلها هذه المرة ؛ من أجل مستقبلنا .
ثم استدرك فى حدة :
ـ لا تضيعوا الوقت فى هذه الأحاديث ... هيا .. ارحلوا .
تبادل الثلاثة نظرة صامتة ، ثم مدَّ (طارق) يده إليه ، قائلاً :
ـ دعنى أصافحك ، قبل أن ...
قاطعه (آلان) ، وهو يلوِّح بمدفعه :
ـ لا وداع .. إننى أبغض هذا كثيرًا .
هتفت (برجيت) فجأة :

ـ سأصحبهم .
بدت الدهشة على وجوه الثلاثة ، فى حين انعقد حاجبا (آلان) ، وهو يتطلَّع إليها فى صمت ، قبل أن يقول فى عصبية :
ـ (برجيت) .. المفترض أن ...
قاطعته بلهجة صارمة ، لا تقبل النقاش :
ـ إنه قرار يا (آلان) .
ازداد انعقاد حاجبيه أكثر ، ورفع عينيه يتطلَّع إلى (طارق) فى مقت ، قبل أن يشيح بوجهه عنه ، قائلاً :
ـ هذا شأنك .
قالها ، ووثب مبتعدًا ، وهو يطلق النيران فى عنف ، يشفَّ عما يعتمل فى نفسه ، وهو يصرخ بكل ما تموج به أعماقه من انفعال :
ـ فلتحيا (فرنسا) .
تبادل الجميع نظرة أخرى ، ثم قال (نور) فى حزم :
ـ هيا بنا .
كان القتال يشتعل بشدة خلفهم ، عندما انطلقت بهم

(الجيب) مبتعدة ، فى طريقها إلـى حيث تستقر المقاتلة ..

مقاتلة الزمن ..

★ ★ ★

انتشرت الشمس فوق أعواد القمم الذهبية ، فتألقت على نحو مبهج ، فى الريف الفرنسى ، وبدا معها المشهد بديعًا ، حتى إن ذلك الضابط النازى قد التقط نفسًا عميقًا ، وابتسم ابتسامة كبيرة ، وهـو يقـول لزميله ، فى أثناء تجوّالهما بين الحقول :

ـ يا له من صباح جميل ! إننـى أشعر بالابتهاج ، كلما جولت بين هذه الحقول الفرنسية .

أشار زميله بسبَّابته ، قائلاً :

ـ إنهـا أفضـل ما أمكننـا ضمّـه إلى إمبراطوريتنا النازية .

وافقه الضابط بإشارة من يده ، وهو يقول :

ـ هذا صحيـح .. لقد توسّط والـدى لـدى الجنـرال (دوينتز) نفسه ، حتى يتمَ نقلى إلى هنا ، وربما لو ...

قبل أن يتمَ عبارته ، تألق شىء ما بغتة ، بين الأشجار القريبة ، فأمسك معصم زميله فى قوة ، هاتفًا :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

انعقد حاجبا زميله فى شدة ، وهو يقول :

ـ لقد شاهدت بريقًا .

ثم استلّ مسدسه ، مستطردًا فى حزم :

ـ دعنا نتحرّ الأمر .

انتزع الضابط مسدسه بدوره ، واتجه الاثنـان نحو تلك البقعة ، وقبل حتى أن يتجـاوزا الأمتـار العشرة ، بدت لهما المقاتلة واضحة ، فتراجع الضـابط ، هاتفـا فى ارتياع :

ـ رباه ! إنها تلك المقاتلة ، التـى تحدَّثـوا عنهـا .. لقد تصوَّرت أنها مجرَّد هذيان طيَّار سكير .

حدَّق زميله فى المقاتلة لحظة ، ثم سأل فى توتـر بالغ :

ـ وماذا علينا أن نفعل يا رجل ؟!

أجابه الضابط فى سرعة :

ـ أسرع لاستدعاء القوة كلها يا رجـل .. الجنـود ، وطاقم الدبابات ، وحتـى القـائد نفسـه .. أسـرع بالله عليك .

انطلق النـازى يعدو لتنفيذ الأمـر ، فى حين لـوّح الضابط بمسدسه ، قائلاً فى صرامة :

ـ أما أنا ، فسأمنع أى كائن كان من الاقتراب منها .. مهما كانت الظروف .

وفى نفس الوقت ، الذى كان فيه أبطالنا ينطلقون نحو مقاتلة الزمن ..

وفى غياب الحارس الذهبى الإليكترونى ، بسبب تلك الموجات الكهرومغنطيسية ، التى أطلقها (هولدشتاين) ، قبل الإيقاع به ..

كان النازيون يحكمون الحصار حول آخر أمل لفرساننا ، فى العودة إلى عصرهم ..

حول المقاتلة ..

مقاتلة الزمن ..

★ ★ ★

« ابدأ البث ... »

نطق الدكتور (ناظم) الأمر فى توتر ملحوظ ، وهو يقف داخل محطة البث الأرضية الرئيسية ، فضغط مسئول المحطة زر التشغيل ، وراقب المؤشرات ، التى ارتفعت على نحو ملحوظ ، انعقد له حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يغمغم :

ـ رباه ! هذا أكثر مما كنا نتوقَّع .

أشار المسئول إلى المؤشرات ، قائلاً :

ـ من الواضح أن أجهزة المحطة غير مؤهَّلة لاحتمال هذه الذبذبة .

سأله فى قلق :

ـ هل تعتقد أنها ستنهار ؟!

أجابه المسئول فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

ثم استدرك مشيرًا بسبَّابته :

ـ ولكن ليس على الفور .

بدا الاهتمام والتساؤل فى عينى الدكتور (ناظم) ، فتابع الرجل :

ـ هذه الذبذبة عالية أكثر مما ينبغى ، ولكن الآلات والأجهزة يمكنها احتمالها لبعض الوقت .. ربما ساعة أو ساعتين .. أو ست ساعات على الأكثر .

سأله الدكتور (ناظم) فى قلق :

ـ ثم ؟!

أجابه ، وهو يفرقع سبَّابته وإبهامه :

ـ ثم ينهار كل شىء .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى توتر شديد ، وهو يحكَ ذقنه بسبَّابته ، قبل أن يقول فى قلق :

- وما الذى يمكن فعله ، مع أمر كهذا ؟!

هزَّ المسئول كتفيه ، قائلاً :

- الانتظار .

تراجع الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وهو يقول :

- الانتظار ؟!

أجابه الرجل فى حزم :

- بالتأكيد ، فبناء محطة بث جديدة ، طبقًا للمواصفات المطلوبة ، أو حتى تحديث سلسلة محطات البث الحالية ، سيحتاج إلى ثلاثة أشهر ، على أقل تقدير ، وهذا يعنى حتمية استخدام ما لدينا الآن .

هتف الدكتور (ناظم) مستنكرًا :

- ولكن الأجهزة ستنهار .

أجابه المسئول فى سرعة :

- لسنا ندرى متى ، وكل ما نملكه هو أن نواصل البث ، بأفضل ما يمكننا ، حتى ...

قبل أن يتم عبارته ، دوت فرقعة محدودة ، وتراقصت المؤشرات لحظة ، قبل أن تواصل عملها مرة أخرى ، فمطَّ المسئول شفتيه ، وغمغم فى أسف :

- حتى تنهار الأجهزة .. بأسرع مما كنا نتصوَّر .

واتسعت عينا الدكتور (ناظم) ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

فلم يعد هناك ما يمكن أن يقال ..

قط ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (طارق) فى توتر شديد ، وهو يراقب الموقف من بعيد ، مع (نور) و(أكرم) و(برجيت) ، وجميعهم يحتمون بشجرة ضخمة ، وقال فى صوت خافت ، حاول أن يخفى به انفعالاته الجمَّة :

- إنهم يحاصرونها بمنتهى الإحكام ، ويحاولون الاقتراب منها فى حذر .

غمغم (نور) :

- من الواضح أن الموجة الكهرومغنطيسية ، التى يبثُّها (هولدشتاين) ، مازالت تمنع عمل الحارس الإليكترونى .

قال (أكرم) فى توتر :

- إنه جيش كامل من جنود النازى ، ولن يمكننا مواجهتهم جميعًا ، ولكن لو أننا انتظرنا هبوط الليل ، فربما ..

قاطعه (نور) فى ضيق :

ـ ومن سيسمح لنا بالانتظار .. لقد رأوا المقاتلة ، وسيبلغون قادتهم ، ولن تمضى ساعة أخرى ، حتى لا تجد هنا موضعًا لقدم ، من كثرة الجنود النازيين ، الذين سيكتظ بهم المكان .

تنهّد (طارق) ، قائلاً :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكنهم سيزدادون جرأة ، مع مرور الوقت ، ولن يطول بهم الأمر ، حتى يقتحموا المقاتلة ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، أى تلف سيؤدى إليه هذا .

تراجع (أكرم) ، وهو يقول محنقًا :

ـ اللعنة ! هل فقدنا الأمل إذن ، فى العودة إلى عصرنا ؟!

هزّ (طارق) رأسه ، مجيبًا :

ـ الأمل الوحيد الآن ، هو أن يعود الحارس الآلى إلى العمل .

قالت (برجيت) فى توتر :

ـ ماذا لو أجرينا اتصالاً بـ (آلان) ، وطلبنا منه إرسال من ينسف ذلك الجهاز ، فوق برج (إيفل) ؟!

أجابها (طارق) فى ضيق :

ـ سيستقبل النازيون البث ، وسيحاولون منعه من إتمام المهمة .

ولوّح (أكرم) بكفه ، قائلاً :

ـ ثم إن هذا سيستغرق ساعتين على الأقل .

بدا له صوت (طارق) شديد الانفعال والعصبية ، وهو يقول :

ـ لست أعتقد أننا نستطيع الانتظار لنصف هذه الفترة .

قالها ، وهو يشير إلى السيارة العسكرية ، التى توقّفت بالقرب من المقاتلة ، والتى هبط منها مجموعة من المهندسين العسكريين ، مع أدوات قطع المعادن ، فهتف (أكرم) :

ـ رباه ! إنهم سيمزقونها إربًا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ لا ينبغى أن نسمح لهم بهذا .

سأله (طارق) فى مرارة :

ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟!

شدّ (نور) قامته ، واتجه نحو الجيب ، التى تختفى خلف مجموعة من الأشجار القريبة ، مجيبًا :

- سننفذ خطة (برجيت) ، ونتصل بـ (آلان) .

بدت الدهشة على وجوه ثلاثتهم ، فأضاف ، وهو يلتقط بوق اللاسلكى :

- مع شىء من التطوير .

لم يفهم أحدهم ما يعنيه بالضبط ، إلا أنه ابتسم ابتسامة هادئة ، وهو يقول ، عَبْر جهاز اللاسلكى :

- من (نور) إلى (آلان) .. أعلم أنك تسمعنى .. إننا نواجه خطرًا داهمًا .. لقد أوقعوا بحليفنا (هولدشتاين) ، ولكنه ما زال يرتدى تلك الساعة .. حاول استعادتها بأى ثمن .

تألّقت عينا (طارق) ، وهو يهتف :

- آه .. فهمت .

وانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يحاول استيعاب الأمر ، فى حين تابع (نور) ، وهو يبتسم نفس الابتسامة الهادئة :

- حاول أن تمنعهم فى ضغط ذلك الزر الصغير فى جانب الساعة ، وإلا خسرنا كل شىء .. حاول يا (آلان) .

هتفت (برجيت) ، وقد استوعبت اللعبة :

- أخبره أن (ميتشا) يرسل إليه تحياته ، وسيفهم أنها خدعة .

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو ينهى اتصاله اللاسلكى ، قائلاً :

- وبالمناسبة .. (ميتشا) يرسل إليك تحياته .

هتف (أكرم) فى حماس ، عندما أنهى (نور) الاتصال :

- آه .. فهمت .. يا لها من خدعة عبقرية يا (نور) !

ثم لوّح بذراعيه ، مستطردًا فى جذل :

- أكاد أتخيّل ما يحدث الآن ... لقد التقط النازيون رسالتك حتمًا ؛ لأنك تبثُّها على نفس موجتهم ، وسيتصوَّرون أنهم يستطيعون إحباط خطتنا ، بإعادة الضغط على ذلك الزر .

أشار إليه (نور) بسبّابته ، قائلاً :

- بالضبط .

قهقه (أكرم) ضاحكًا ، وهو يقول :

- رباه ! هل تروا ما أراه بعين الخيال ؟! الجنرال (هملر) ينتزع الساعة من معصم (هولدشتاين) عنوة ، وهذا الأخير يصرخ محاولا تحذيره دون جدوى ، ثم يضغط (هملر) ذلك الزر ، و ....

تألقت عينا (طارق) ، وهو يشير بعينيه ، هاتفًا :

ـ وينطلق الحارس الآلى .

كان ينطقها ، فى نفس اللحظة التى اندفعت فيها تلك الكرة الذهبية ، خارج المقاتلة الزمنية ، وانقضَّت على النازيين المحيطين بها ..

ومع ضرباتها القاصمة ، الحاسمة ، هتف (أكرم) :

ـ هيا بنا .

انطلق أربعتهم يعدون نحو المقاتلة ، فى نفس الوقت الذى ركض فيه النازيون مبتعدين عنها ، وهتف (أكرم) فى حماس :

ـ لقد انتصرنا .. انتصرنا يا رفاق .

التقط الحارس الإليكترونى صوت (أكرم) ، فاستدار نحوه فى سرعة ، ولكن (طارق) هتف فى حماس :

ـ لا .. كلهم أصدقائى .

تراجع الحارس الآلى ، وراح يدور حول المقاتلة فى بطء ، ليحميها من أية محاولة اعتداء ، فصاح (طارق) بـ (نور) و (أكرم) :

ـ أسرعا .. اتخذا مجلسيكما .. سنقلع على الفور .

ثم التفت إلى (برجيت) فى تأثُّر ، قائلاً :

ـ (برجيت) .. لست أدرى ماذا أقول ، ولكن ..

وضعت أصابعها الرقيقة على شفتيه ؛ لتمنعه من الاستطراد ، قائلة :

ـ سيكون لدينا الكثير لنقوله ، فى أثناء رحلتنا عَبْر الزمن .

أزاح أصابعها ، هاتفًا :

ـ رحلتنا ؟! لا يا (برجيت) .. هذا مستحيل ! الله (سبحانه وتعالى) يعلم كم أتمنى هذا ، ولكن من الخطأ أن أنتزعك من عصرك وزمانك .

هزَّت رأسها ، قائلة :

ـ زمانى هو حيث تكون يا (طارق) .. لن يمكننى العيش دونك قط .

قال فى شىء من التخاذل :

ـ لن يكون من السهل عليك التعايش فى عصرى ، الذى يفصلك عنه قرن أو أكثر من الزمان .

ضحكت ، قائلة :

ـ بالتأكيد .. سيكون هناك الكثير لأتعلَّمه .

ثم مالت نحوه ، وتطلَّعت إلى عينيه مباشرة ، هامسة فى حب :

ـ وسأعتمد عليك تمامًا فى هذا .

التقت عيونهما بضع لحظات ، قبل أن يجذبها من يدها ، قائلاً فى حزم :

ـ هيا بنا .

وثبت داخل المقاتلة فى فرحة غامرة ، فابتسم (نور) فى حنان ، وهزَّ (أكرم) كتفيه ، وهو يغمغم :

ـ يا للنساء !

أما (طارق) ، فقد اتخذ مقعد القيادة ، وهو يقول فى حماس :

ـ الكل مستعد للإقلاع ؟!

أجابه (أكرم) :

ـ نعم يا رجل .. أقلع بنا من هذا العصر الدموى .. هيا .

غمغم (طارق) وهو يدير أجهزة المقاتلة :

ـ لسنا ندرى إلى أى زمن ستقودنا رحلتنا هذه المرة .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

ـ لن يكون هناك ما هو أسوأ من هذا .

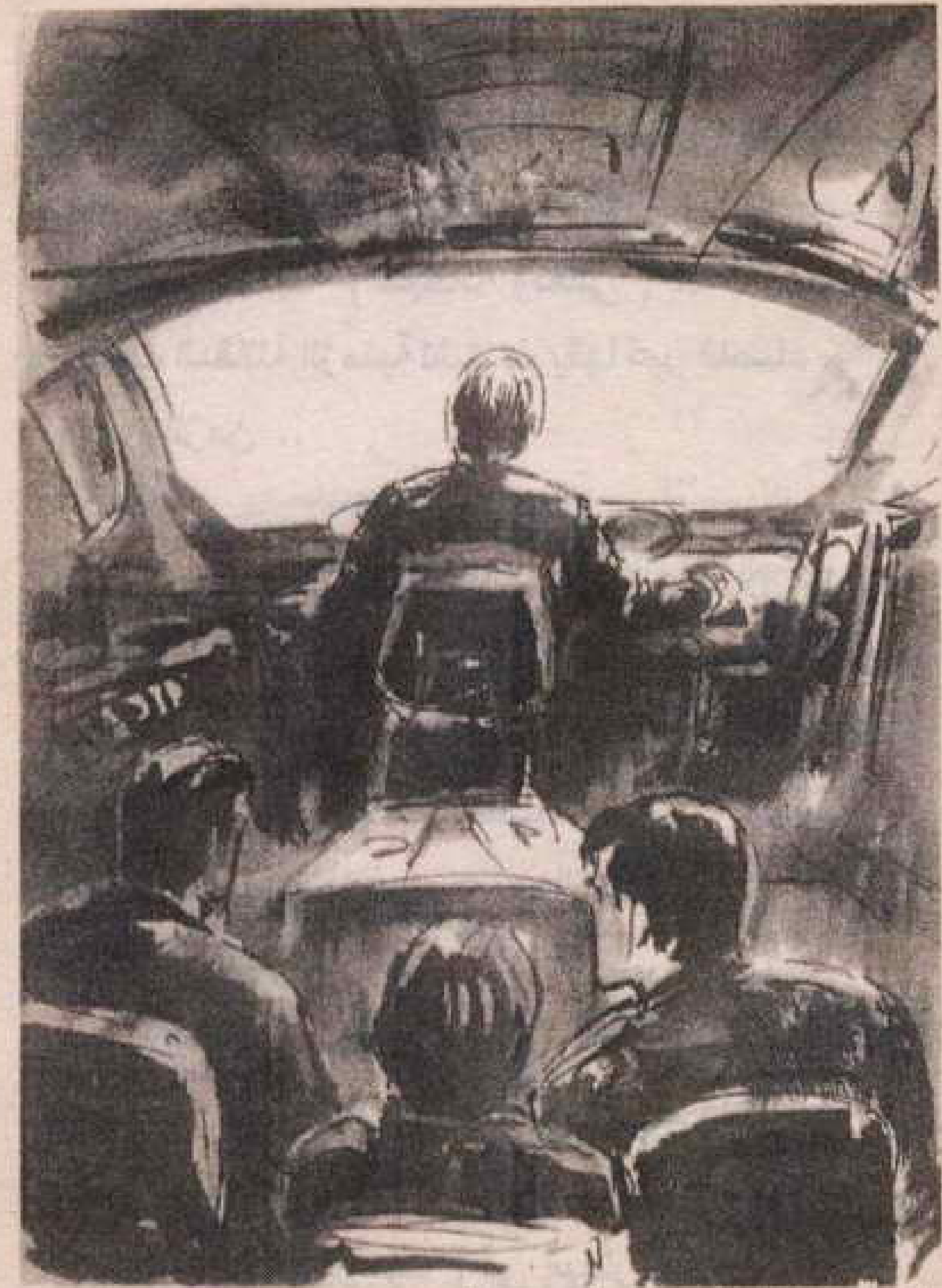

أما (طارق) ، فقد اتخذ مقعد القيادة ، وهو يقول فى حماس :
ـ الكل مستعد للإقلاع ؟! ..

ظهرت مقاتلتان ألمانيتان فى الأفق ، فى تلك اللحظة ، فجذب (طارق) ذراعًا صغيرة ، وهو يقول فى حزم :

– على بركة الله (سبحانه وتعالى) ..

وانطلقت المقاتلة الزمنية تشق طريقها عبر الفضاء ..

وعَبْر الزمن ..

★ ★ ★

الشمس أشرقت وغابت ألف مرة ، خلال ثوان معدودة ، وغاصت المقاتلة وسط عاصفة عاتية ، من مختلف الألوان ، وشعرت (برجيت) بضغط هائل على عنقها وصدرها ، فأطلقت صرخة رهيبة ، وانكمشت فى مقعدها فى رعب هائل ، و ....

وفجأة ، انتهى كل شىء ...

بلغت المقاتلة مجرى الزمن ، وتوقَّفت حركتها دفعة واحدة تقريبًا ، وراحت تسبح وسط ذلك الفراغ الأبيض اللانهائى ، الملىء بالثقوب السوداء .

واتسعت عينا (برجيت) فى انبهار ..

وساد صمت مهيب رهيب داخل المقاتلة ..

كان الجميع يديرون أعينهم فى تلك الثقوب السوداء ، المنتشرة وسط الفراغ الأبيض اللامحدود ، وهم يتساءلون : إلى أين ستأخذهم مقاتلة الزمن هذه المرة ..

إلى أى عصر ؟!

وأى زمن ؟!

ترى هل ستلقى بهم بين أنياب ديناصور عملاق ؟!

أم يواجهون المستقبل المجهول ؟!

هل سيقاتلون فى جيش (صلاح الدين الأيوبى) ، أم يواجهون غزاة من كوكب آخر ؟!

عشرات الأسئلة والتساؤلات التهمت عقولهم ، ومشاعرهم ..

بل وكيانهم كله ، دون أن تجرؤ ألسنتهم على البوح بما تموج به نفوسهم .

ثم قطع (طارق) ذلك الصمت المهيب ، وهو يغمغم :

– إلى اليمين أم إلى اليسار .

تمتم (نور) ، وهو يشير إلى الثقب المواجه مباشرة :

ـ ما زالت أفضل الخطوط المستقيمة ، التى ..

ثم بتر عبارته بغتة ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! انظروا هناك .

أدار الجميع عيونهم إلى حيث يشير ، وهتف (أكرم) بدوره :

ـ إنه ثقب أحمر .

أجابه (طارق) فى انفعال :

ـ ليس كذلك فحسب ، ولكنه يطلق أيضًا ذبذبة خاصة للغاية .

انعقد حاجبا (نور) لحظة ، قبل أن يهتف فى حماس :

ـ (سلوى) ؟!

ثم صاح ، مشيرًا إلى ذلك الثقب الأحمر :

ـ إلى هناك .. اتجه إلى ذلك الثقب مباشرة يا (طارق) .

سأله (طارق) فى لهفة ، وهو ينطلق بالمقاتلة نحو ذلك الثقب الأحمر بالتحديد :

ـ هل تعتقد أنها إشارة ؟!

أجابه (نور) فى حماس :

ـ إنها تبدو لى كذلك :

ثم هزَّ كتفيه ، مستطردًا بابتسامة جذلة :

ـ ثم إننا لن نخسر شيئًا .

هتف (طارق) :

ـ بالتأكيد .

كان ذلك الثقب بعيد نسبيًّا ، إلا أن لونه الأحمر كان يميِّزه فى وضوح ، وسط عشرات الثقوب المحيطة به ، فانطلق (طارق) نحوه بأقصى سرعة ، تسمح بها محركات المقاتلة ، و ...

وفجأة ، وبلا مقدمات ، اختفى ذلك البريق الأحمر .. واستعاد الثقب لونه الأسود ، ككل الثقوب المحيطة به .

وفى توتر بالغ ، هتف (أكرم) :

ـ يا إلهى! ماذا حدث ؟!

أما (نور) و (طارق) ، فقد انعقدت حواجبهما فى شدة ، وهما يحدقان فى عشرات الثقوب السوداء أمامهما ..

وفى آن واحد تقريبًا ، أدرك كلاهما الحقيقة الجديدة ..

فمع تلك الحركة المستمرة ، لذلك الفراغ الزمنى ، ومع غياب اللون المتميِّز للثقب المنشود ، تصبح العودة إلى زمن (نور) مستحيلة !

مستحيلة تمامًا .

★ ★ ★

١٠ـ الختام ..

اتسعت عينا (سلوى) ، حتى بلغتا حدها الأقصى ، وهى تنهار على أقرب مقعد إليها ، هاتفة فى ارتياع مذعور :

ـ لا .. لا .. مستحيل ! لا تخبرنى أننا قد فقدنا الوسيلة الوحيدة ، لإعادة (نور) إلى زمنه !

بدا الأسى على وجه الدكتور (ناظم) ، فأشاح به بعيدًا ، فى حين قال مسئول محطة البث الأرضية الرئيسية فى توتر :

ـ لم يكن بيدنا ما نفعله يا سيِّدتى .. الذبذبة التى ابتكرتها كانت قوية للغاية ، حتى إن الأجهزة العتيقة لم تحتملها ، فانهارت كلها دفعة واحدة .. لقد كان الأمر يحتاج إلى أجهزة أكثر تطوّرًا .

رددَت فى انهيار :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

وهتفت (نشوى) :

- ولماذا لا نحضر هذه الأجهزة المتطوِّرة ؟!

تنهَّد الدكتور (نــاظم) ، وقلب كفيه فى صمت ، فى حين أجاب (رمزى) فى أسى :

- هذا سيحتاج إلى ثلاثة أشهر على الأقل ، كما أكَّد لى الدكتور (ناظم) .

اتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، وهى تهتف :

- ثلاثة أشهر كاملة ؟!

أجابها الدكتور (ناظم) هذه المرة :

- وما قيمة ثلاثــة أشــهر ، فـى أمر يتعلَّق بالسفر عبر الزمن يا (سلوى) .. دعينــا نـؤدِّ العمل كمــا ينبغى هذه المرة ، حتى لا نتعرَّض لفشل كهذا ثانية .

احتوت (سلوى) رأسها بين كفيها ، وهزَّتـه فـى قوة ، قائلة فى مرارة :

- ثلاثة أشهر كاملة ؟! هل سنتــركهم يواجهــون الخطر ، طوال ثلاثة أشهر كاملة ؟! من يدرى ما الذى يمكن أن يحدث ، فى فترة كهذه ؟!

هتف فى عصبية :

- ربما كانت هذه الأشهر الثلاثة بمثابة يوم واحد ، بالنسبة لهم .

هزَّت رأسها مرة أخرى فى قوة ، قائلة :

- خطأ .. خطأ .

وتهنَّد (رمزى) ، قائلاً :

- لقد توصَّلت إلى نظرية جديدة .

قال الدكتور (ناظم) فى حدة :

- نظرية لم تثبت صحتها بعد .

هتفت به (سلوى) :

- يكفى أن المعادلات الرياضية تؤكِّدها :

أجابها فى حزم :

- مازلنا نحتاج إلى دليل واحد .

هتفت :

- مثل ماذا ؟!

أجاب فى صرامة .

- أى دليل .. وليكن حتى مجرَّد ..

« أنا (نور) .. هل يسمعنى أحدكم ؟! »

انطلقت العبارة بغتة ، عَبْر جهــاز الاتصــال الخــاص بالفريق ، فاتسعت عيون الجميع ، وران عليهم صمت مباغت ، كرَّر (نور) خلاله :

- من (نــور) إلى الفريق .. هل يمكنكم التقــاط رسالتى هذه ؟!

صرخت (نشوى) ، وهى تقفز نحو جهاز الاتصال :

ـ أبى !

وانتفض جسد الدكتور (ناظم) فى عنف ، فى حين اتسعت عينا (رمزى) ومسئول المحطة الأرضية عن آخرهما .

أما (سلوى) ، فقد احتوت رأسها بين راحتيها مرة أخرى ، وتركت الدموع تنهمر كالسيل من عينيها ، وهى تتمتم فى انفعال جارف :

ـ كنت أعلم أنه سيعود .. كنت أعلم هذا .

وبكل ما تموج به نفسها ، هتفت (نشوى) ، عَبْر جهاز الاتصال ، ودموعها تغمر وجهها :

ـ أبى .. حمدًا لله على سلامتك يا أبى .. كم تسعدنا عودتكم .

أجابها صوت والدها فى مرح :

ـ الفضل يعود ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ، إلى المهارة المدهشة لـ (طارق) .. لقد انطلق بالمقاتلة كأفضل طيَّار فضائى رأيته ، فى حياتى كلها ، واستطاع تعقُّب ذلك الثقب ، الذى أرسلتم إليه الإشارة ، وسط عشرات الثقوب الأخرى ..

بكت (سلوى) فى حرارة أكثر ، وهى تتمتم :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

ومع آخر حروف كلماتها ، التقطت أجهزة الرادار المقاتلة الزمنية ، وهى تخترق الغلاف الجوى الأرضى ، فى طريق العودة من أخطر مهمة عرفها الإنسان ، عبر التاريخ ..

وعبر الزمان ..

★ ★ ★

انبعث ضوء بنفسجى هادئ ، يغمر ذلك المصعد الزجاجى الأسطوانى ، وهو يهبط داخل مقر المخابرات العلمية المصرية ، إلى حيث مكتب القائد الأعلى ، الذى نهض خلف مكتبه ، مع ابتسامة هادئة على شفتيه ، ليستقبل (طارق) ، الذى أدَّى التحية العسكرية التقليدية ، قبل أن يقول :

ـ الملازم (طارق) فى خدمتك يا سيِّدى .

ابتسم الدكتور (ناظم) بدوره ، قائلًا :

ـ استرخ يا (طارق) .. إنك لا تنتمى عمليًا لجهاز المخابرات هذا ، وإنما لمثيله فى العصر المقبل .

شدَّ (طارق) قامته ، فى وقفة عسكرية ، وهو يقول :

- إننى أعمل من أجل (مصر) ، فى أى مكان وزمان يا سيِّدى .

هزَّ القائد الأعلى رأسه فى إعجاب ، مغمغمًا :

- خير خلف لخير سلف .

ثم اعتدل بدوره ، قائلاً :

- لقد أديت مهمتك بنجاح أيها الملازم ، ونحن نعتذر لك عن كل المتاعب ، التى واجهتها بسببنا هنا .

قال (طارق) :

- لا عليك يا سيِّدى القائد .. أنا الذى يعتذر ، وبشدة ، عن كل ما سببته مقاتلتى لكم من متاعب ، ولكننى أقسم إن كل هذا لم يكن مقصودًا .

أجابه القائد الأعلى :

- بالتأكيد يا ولدى .. نحن واثقون من هذا .

ثم تبادل نظرة صامتة مع الدكتور (ناظم) ، قبل أن يتابع :

- إننا ندرك جيدًا لماذا كنت مضطرًا لإخفاء أمرك ، فمن الخطر أن تعلمنا بأمر يتعلَّق بالمستقبل ؛ إذ إن معرفتنا له قد تؤدى إلى تغيير التاريخ كله ، مما قد يعرِّض مستقبلنا كله لخطر أكبر .

أجابه (طارق) فى ارتياح :

- هذا صحيح يا سيِّدى .

ابتسم القائد الأعلى ، قائلاً :

- ولكن المصادفة قادتنا إلى معرفة سر آخر ، يتعلَّق بالمستقبل .

أطلَّ التساؤل من عينيه ، فأضاف الدكتور (ناظم) ، وهو يشعل جهاز الكمبيوتر :

- لقد أجرينا مقارنة عامة ، بين بصمتك الجينية ، وبصمات كل العاملين هنا .

تطلَّع (طارق) فى صمت إلى الشاشة ، قبل أن يخفض عينيه ، قائلاً :

- إذن فأنتم تعلمون .

وضع القائد الأعلى يده على كتفه ، قائلاً فى تأثر :

- لا يمكنك أن تتصوَّر كم أسعدنى هذا ، ولكن ثق بأن الأمر سيظل سرًّا مطلقًا .

ابتسم (طارق) ابتسامة باهتة ، مغمغمًا :

- أشكرك يا سيِّدى .

غلَّف الصمت المكان بضع لحظات ، والثلاثة يعجزون عن النطق ، من فرط التأثر ، قبل أن يكسر الدكتور (ناظم) هذا الصمت ، قائلاً :

- ستعود الآن إلى زمنك .. أليس كذلك ؟!

عاد (طارق) يبتسم ، قائلاً :

- بلى .. كان هذا فى حكم المستحيل ، لولا ما توصَّل إليه الفريق .

أجابه القائد الأعلى :

- بالتأكيد ، فالخريطة الجديدة ستساعدك على العودة إلى زمنك مباشرة ، بلا أدنى متاعب .

وسأله الدكتور (ناظم) فى اهتمام :

- هل ستصحب معك (برجيت) ؟!

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وهو يبتسم فى سعادة ، فاستدرك الدكتور (ناظم) فى لهفة ملحوظة :

- وفارس الزمن الثانى أيضًا ؟!

أجابه (طارق) :

- بالتأكيد .

سأله فى لهفة أكثر :

من هو ؟!

صمت (طارق) بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، قائلاً :

- فلنترك هذا لحينه يا دكتور (ناظم) .

ثم شرد ببصره ، مضيفًا :

- المهم أن المهمة قد انتهت بنجاح ... وبلا خسائر .

ولم يعقِّب أحدهما بحرف واحد .

لقد انتهت مهمته بالفعل ..

وبنجاح ..

★ ★ ★

ضمَّ (أكرم) زوجته (مشيرة) إليه فى حنان ، وهو يصافح (طارق) فى حرارة ، قائلاً :

- لست أدرى ماذا أقول يا صديقى .. لقد أسعدنى العمل معك كثيرًا ، على الرغم من كل الأهوال ، التى خضناها معًا .

ابتسم (طارق) ابتسامة كبيرة ، قائلاً :

- من المؤكَّد أننى أكثركم سعادة .

ثم أدار عينيه فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يضيف فى تأثُّر واضح :

- يكفى أننى رأيتكم شخصيًا ، وعملت معكم جنبًا إلى جنب .

وتوقَّفت عيناه عند (نشوى) ، وهو يتابع فى حنان حزين :

- ولن يمكنك أن تتصورى مدى سعادتى برؤيتك أنت بالذات يا (نشوى) ، فلم أكن أتصور أن يتاح لى هذا قط .

غمغمت فى دهشة :

- حقًا ؟!

ثم استدركت فى فضول قلق :

- ولماذا أنا بالذات ؟!

ابتسم دون أن يجيب ، والتفت إلى (برجيت) ، يربت على كتفها فى رفق ، قائلاً :

- هيا .. اتخذى مقعدك داخل المقاتلة .. سنقلع بعد قليل .

منحته أعذب ابتساماتها ، قبل أن تقول :

- صدقونى .. أنا أيضًا سأفتقدكم جميعًا .

قالتها ، وهى تغالب دموعها ، ووثبت داخل المقاتلة ، لتخفى انفعالها ، فتساءل الدكتور (ناظم) فى لهفة :

- وماذا عن فارس الزمن الثانى ؟!

أتاه صوت من خلفه ، يقول :

- هأنذا يا دكتور (ناظم) .

التفت بكل لهفته وفضوله إلى مصدر الصوت ، قبل أن يهتف فى ذهول :

- دكتورة (إلهام) .

ابتسمت (إلهام) ، وهى تتجه نحو المقاتلة مباشرة ، قائلة :

- لا تجعل هذا يدهشك .. أنت لجأت إلىَّ ، ولست أنا من عرض خدماته .

ثم التفتت إليه بابتسامة أكبر ، مضيفة :

- وبالمناسبة ! عندما اخترقت شبكة أمن الرياسة السرية ، لم أكن أحاول الاستيلاء على ما لديكم من معلومات ، بل كنت أضيف إليها بعض الحلول ، الخاصة بمشكلات السفر ، عبر الفضاء والزمن .

وغمزت بعينيها ، مستطردة :

- هذا قانونى تمامًا .. أليس كذلك ؟!

وأطلقت ضحكة مرحة ، وهى تتخذ مكانها داخل المقاتلة ، فهتف الدكتور (ناظم) ، ولم يفارقه ذهوله بعد :

- رباه ! من يصدِّق هذا ؟!

ابتسم (طارق) ابتسامة هادئة ، ثم شدَّ قامته ، وتنحنح ، قائلاً :

- لقد جاءت لحظة الرحيل .

بدا التأثُّر واضحًا على الجميع ، وصافحه (رمزى) ، مغمغمًا :

- لن ننساك أبدًا .

ربَّت (طارق) على كتفه ممتنًا ، وصافح (نشوى) فى صمت ، دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة ، ثم التفت إلى (سلوى) ، التى صافحته فى حنان بالغ ، وهى تسأله :

- قل لى : ما اسمك الحقيقى ؟!

اتسعت ابتسامته كثيرًا ، وهو يجيب :

- (طارق) هو اسمى الحقيقى .

هتفت :

- حقًا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، ثم مدَّ يده إلى (نور) ، الذى صافحه فى حرارة بالغة ، قائلاً :

- لقد نطق (رمزى) بالحقيقة .. إننا لن ننساك أبدًا .

ثم سأله فى اهتمام :

- ولكن هل أنت واثق من أن عصرك سيدرك نجاح مهمتك ؟!

ارتفع حاجبا (طارق) ، وتطلَّع إليه طويلاً فى صمت ، دون أن ينبس ببنت شفة !!

طويلاً جدًّا ..

ولأوَّل مرة فى حياته ، وبينما كان يتطلَّع إليهما فى صمت مماثل ، أدرك (أكرم) كم يتشابهان ..

(نور) و (طارق) ..

ولأوَّل مرة فى حياته أيضًا ، لم يعبِّر عما يدور فى أعماقه ، واكتفى بالصمت ..

الصمت الذى لم تقطعه كلمة واحدة ، حتى استقلَّ (طارق) مقاتلته الزمنية ، وانطلق بها لتشق الغلاف الجوى ، وتختفى فى مجرى الزمن ، ليبدأ رحلة زمنية جديدة ..

رحلة العودة إلى عصره ..

ولشدة تأثُّرها ، انفجرت (سلوى) باكية ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! كم أفتقده .

احتواها (نور) بين ذراعيه ، وراح يربِّت على ظهرها فى حنان بالغ ، فى حين قالت (نشوى) ، وهى تشاركها دموعها الغزيرة :

- أماه ! هذا التأثُّر الشديد لا يناسب حملك .
وقال (رمزى) :
- هذا صحيح يا (سلوى) .
كان (أكرم) أكثرهم تأثُّرًا ، إلاَّ أنه قاوم تلك العاطفة فى أعماقه ، وقال محاولاً إدارة دفة الحديث بعيدًا :
- الفحوصات الأوَّليَّة تقول : إنك ستنجبين ذكرًا يا (سلوى) .. تُرى أى اسم ستطلقين عليه .
هتفت فى سرعة وحماس :
- (طارق) .
وهنا أشاح الدكتور (ناظم) بوجهه ؛ ليخفى ذلك الانفعال الجارف ، الذى حفر خطوطه على ملامحه وكيانه ..
هذا لأنه الوحيد ، بين كل الحاضرين ، الذى يعرف السر ..
سر الفارس ...
فارس الزمن .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

الفارس الثانى

- كيف يواجه (نور) ورفيقاه قوة الچنرال (هولدشتاين) عبر الزمن ؟!
- ماسر فارس الزمن الثانى ، الذى نجح فى اختراق شبكة أمن الرياسة السرية ؟!
- ترى لمن يكون النصر هذه المرة ؟ وهل ينكشف سر (الفارس الثانى) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل المستقبل .

العدد القادم : المجهول

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

120

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم